# وصف الجنة في القرآن الكريم
# وأثره في الشعر الإسلامي
# حتى نهاية العصر الأموي

الدكتورة

شادية حسن عبد الرحمن زينى

الناشر

مكتبة دار القاهرة

١١٦ شارع محمد فريد ـ القاهرة

تليفون ٣٩٢٩١٩٢

| | | |
|---|---|---|
| اسم الكتـــاب | : | وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى العصر الأموي |
| اسم المـؤلـف | : | د / شادية حسن عبد الرحمن زيني |
| رقم الطبـعـة | : | الأولى |
| الســنــة | : | ٢٠٠٤ |
| رقـم الإيـداع | : | ١٤٧٤٣ |
| الترقيم الدولي | : | I. S. B. N. 977 - 6048 - 11 - 0 |
| اسم الناشــر | : | دار القاهرة |
| الــعــنــوان | : | ١١٦ شارع محمد فريد |
| الــبــلــد | : | جمهورية مصر العربية |
| المحــافظة | : | القاهرة |
| التليـفـون | : | ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢ |
| فـــاكس | : | ٠٠٢٠٢٣٩٣٣٩٠٩ |

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

# المقدمة

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعبادة المتقين نُزلاً ، أعدها وزيّنها وجمّلها . وأفاض على أهلها من النعم ، وكساهم من الحُلل ، لتكون مستقراً ومقامًا لهم ، لا يبغون عنها حِوَلاً ويسّر المكلفين للأعمال ، وهداهم النجدين ليبلوهم أيُهم أحسن عملا .

أحمده ـ سبحانه ـ وأشكره ، وأتوب إليه وأستغفره ، أرسل الرسل ، وأنزل الكتب، وأقام الحجة على خلقه ، فهو لم يخلقهم عبثًا ، ولم يتركهم هملاً . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ـ وأشهدُ أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، دعا إلى الحق ، وأوضح المحجة ، ومهّد الطريق إلى دار السلام ... صلي الله وبارك عليه وعلى آله وأزواجه وذريته وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن القرآن الكريم رغّب عباد الله المتقين في الجنة فوصفها لهم وجلاّها ، وفصّل في بيان نعيمها وفضل سكناها ، وأوضح ألوان المسرات والمتع فيها .. حتي إن القارئ لكتاب الله ، المتأمل في آيات وصف الجنة ، يري ببصيرته أنواعًا من النعيم المقيم ، والبهجة والمسرة ما لم يخطر على قلب بشر ولا سمعته أذن ...

عزت دار الفردوس من دار ، وجلّ فيها المبتغي والمرام ، دار وجنان هيأها الخالق وأعدها ... لتبلغ فيها النفوس بغيتها ومناها ... غرف مبنية فاقت في الأبرار منازلها وسكناها ... جلّ وتقدّس من سواها وبناها ... فيها الفوز العظيم والملك الكبير ، والنعيم المقيم ... ولموضع سوط فيها خير من الدنيا وما فيها ... جنات عدن يدخلها المتقون ... وفي روضاتها وغرفاتها مع أزواجهم يحبرون ... جنات يتكئ المؤمنون في سررها على فرش بطائنها من استبرق متقابلين ، وبالحور العين متنعمين ، يتفكهون بأنواع الثمار والفواكه مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون . يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يُصدعون عنها ولا يُنزفون . ينعمون بألذ

الشراب من خمر ولبن وعسل وماء . يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ... يلبسون الحرير والسندس والاستبرق وهم برضوان الله هانئون ، وفي جنات النعيم خالدون .. جنات المأوي فيها الرضا والسلام تحية من الخالق العظيم لعباده المتقين سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيم ، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين . وأنتم فيها خالدون .

جنات النعيم غرسها الرحمن بيده ، وجعلها مستقراً لأهله وخاصته ... يناديهم المنادي لكم النعيم سرمداً تَحْيَوْنَ ولا تموتون أبداً ، وتصحّون ولا تمرضون أبداً ، تشبّون ولا تهرمون أبداً ، وتنعمون ولا تبأسون أبداً ، يحل عليكم رضوان ربكم . فلا يسخط أبداً . جنات الخلد ظلها ممدود ، وخيرها غير محدود ، قطوفها دانية للآكلين ، وطعمها لذّة للطاعمين ، قد ذُلِّلت قطوفها تذليلاً ... فيها أزواج مطهرة ، خيرات حسان الوجوه ، في الخيام مقصورات وللطرف قاصرات ، عرباً أتراباً لأصحاب اليمين ، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ... لو اطلعت إحداهن على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحًا وعطراً وشذي ... ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ما في النجوم من ضياء ... حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون راضيات لا يسخطن أبداً ، وناعمات لا ييأسن أبداً ... وخالدات لا يزلن أبداً . أصحاب الجنة يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ، ويحلون من أساور من ذهب ولؤلؤا وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ، يجتمعون في ظلها الظليل لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريراً ...تتوالي عليهم المسرات والخيرات ، والإحسان والمكرمات ، نُزِعَ من قلوبهم الغِل ، وطُرِدَ عنهم الهم والحزن ، لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلامًا . وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنّا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المُقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لُغوب ... هدوء ورضا يغمره السلام والاطمئنان ، وتُحييهم الملائكة بالسلام ... سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار ... في جنات عدن يجتمع شملهم مع من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ... جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، ونزعنا ما في صدورهم من غِل إخوانًا على سرر متقابلين ... وفي جو التجمع والتلاقي تنادي الملائكة بالتكريم والترحيب ، يقولون سلام عليكم ، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ... وبعد هذه الحسني الزيادة ... فهذا

هو يوم المزيد ... إذ تنضر الوجوه برؤية الوجه الكريم .. فيا قرة أعين الناظرين ويا خيبة الخاسرين والمحرومين .. وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يُفعل بها فاقرة .

هذه الجنة التي وصف الخالق ـ عز وجل ـ نعيمها . وما أُخفي منه أعظم وأجل ( فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قُرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون ) ... وبشّر بها النبي المصطفى الكريم ، فكانت قرة أعين المبشرين من المؤمنين ... فتطلعت قلوبهم إلى ما فيها من الفضل والإكرام والنعيم المقيم ...

دونت أوصافها في الأحاديث الشريفة والكتب الوعظية . وانتفع المسلمون بوصف القرآن والحديث لها فتأثروا به ... وصاغ الشعراء شعراً عذباً في وصفها والتشويق إليها والترغيب فيها ... فتركت آيات وصف الجنة في القرآن أثراً عظيماً أثري التراث الإسلامي ... وزاد من قيمته ...

## الدراسات السابقة :

تُعَدُّ أول التصنيفات في وصف الجنة ، الأبواب الخاصة بوصفها في كتب الحديث ، فقد جمع البخاري أحاديث رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في وصف الجنة وصفة نعيمها وأهلها .. وصنفها في صحيحه تحت باب صفة الجنة والنار[١] ، حيث سرد فيه خمسة عشر حديثاً [٢] عن الجنة وصفتها ، كما سرد قبله ثلاثة أحاديث في صفة أهل الجنة[٣] . ولم يذكر البخاري مع الأحاديث الشريفة شيئاً من آيات وصف الجنة في القرآن ...

كما جمع مسلم في صحيحه الأحاديث الخاصة بوصف الجنة وصنفها تحت كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها[٤] ، حيث سرد فيه واحداً وثلاثين[٥] حديثاً في

---

(١) صحيح البخاري ، جـ ٧ ص ١٤١ .
(٢) المصدر السابق نفسه ، جـ ٧ ص ١٤١ ـ ١٤٦ .
(٣) صحيح البخاري ، جـ٧ ص ١٤٠ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، جـ ١٧ ص ١٦٥ . الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.
(٥) المصدر السابق نفسه ، جـ١٧ ص ١٦٥ ـ ١٧٨ .

وصف الجنة ونعيمها وصفة أهلها ، وبيان الأسباب الموصلة إليها مع تكرار بعض الأحاديث لتكرار الروايات فيها .. ولم يذكر آيات قرآنية في وصف الجنة مع الأحاديث الشريفة .

كما جمع الترمذي في سننه أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ في صفة الجنة ونعيمها، وصفة أهلها وصنفها تحت كتاب صفة الجنة[1]، حيث ذكر تسعة وأربعين[2] حديثًا في صفة الجنة ونعيمها ، وصفة أهلها ، ولم يذكر معها آيات قرآنية في وصف الجنة ونعيمها .

كما جمع ابن ماجه في سننه ، أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ في صفة الجنة ونعيمها ، وصفة أهلها ، وصنفها تحت باب صفة الجنة[3]، حيث سرد فيه أربعة عشر حديثًا[4]. ولم يذكر معها آيات قرآنية .

## حادي الأرواح :

ويأتي كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لابن القيم[5] كأوسع وأجمع كتاب في وصف الجنة ، حيث قسمه إللي سبعين بابًا ، في وصف الجنة ، وبيان أسمائها ، وأبوابها . وكل ما يتعلق بوصفها .. وقد درج في معظم أبواب الكتاب على ذكر الآيات الكريمة المتعلقة بكل باب .. ثم سرد الأحاديث الشريفة المرفوعة ، والآثار الموقوفة ... مع ذكر بعض أقوال العلماء واختلافاتهم ، كما ورد في الباب الخاص بالجنة التي اسكنها آدم عليه السلام وأُخرج منها[6]. كما أنه فصّل في بعض الأبواب،

---

(١) سنن الترمذي ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، جـ ٤ ص ٦٧١.

(٢) المصدر السابق نفسه ، جـ ٤ ص ٦٧١ ـ ٧٠٠ .

(٣) سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، جـ ٢ ص ١٤٤٧.

(٤) المصدر السابق نفسه ، جـ ٢ ص ١٤٤٧ ـ ١٤٥٣.

(٥) الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م. صححه وعلق عليه محمود حسن ربيع . نشر مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة .

(٦) ص ٢٥ ـ ٤٠ .

بأن وضّح معاني الآيات الكريمة المتصلة به ، وفصّل في بيان المراد منها ، كما في باب أسماء الجنة وعددها واشتقاقاتها[١] ... وهناك أبواب لم يرد فيها آيات تتصل بها. فاكتفي بإيراد الأحاديث الشريفة المتعلقة بها[٢] من أكثر من طريق .

وقد بيّن ابن القيم في مقدمة كتابه منهجه فيه وهدفه منه إذ قال « وهذا كتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه ، وتفصيله وتبويبه ، فهو للمحزون سلوة ، وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة ، محرك للقلوب ، إلى أجل مطلوب ، وحاد للنفوس إلى مجاورة الملك القدوس . ممتع لقارئه مشوق للناظر فيه ، لا يسأمه الجليس ، ولا يمله الأنيس ، مشتمل من بدائع الفوائد ، وفرائد القلائد ، على المجتهد في الطلب ، لا يظفر به فيما سواه من الكتب، مع تضمينه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات، والآثار الموقوفات والأسرار المودعة في كثير من الآيات ، والنكت البديعات ، وإيضاح كثير من المشكلات ، والتنبيه على أصول من الأسماء والصفات . إذ نظر فيه الناظر زاده إيماناً ، وجلّي عليه الجنة حتي كأنه يشاهدها عياناً . فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات ، وباعث الهمم العليات إلى العيش الهني في تلك الغرفات وكان والله يعلم ما قصدت ، وما بجمعه وتأليفه أردت ... وكان جل المقصود منه بشارة أهل السنة بما أعدّ الله لهم في الجنة ، فإنهم المستحقون للبشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة »[٣] .

وكما يلحظ من مقدمة ابن القيم أنه إنما أراد منه البشارة بالجنة وجمع ما جاء في وصفها من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة لدراسة بعض معانيها، والإشارة إلى بعض ما فيها من الأسرار البديعة ... إلا أنه في معظمه للتذكير بالجنة والتبشير بها ، والدعوة والإرشاد إلى الأسباب الموصلة إليها ... فهو إلى كتب الوعظ والإرشاد والتذكير أقرب إليها من كتب الأدب والدراسة الموضوعية البيانية للآيات الخاصة بوصف الجنة في القرآن الكريم .

---

(١) ص ٧١ ـ ٧٦ .

(٢) ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ . فصل في امتناع النوم عن أهل الجنة . وغيره من الفصول المماثلة .

(٣) ص ١٣ ـ ١٤ .

ومن الكتب التي أوردت شيئًا من وصف الجنة كما جاء في القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف كتاب « التذكرة بأحوال الموتي وأمور الآخرة » وهو مختصر كتاب التذكرة للإمام أبي عبد الله القرطبي . وهو كتاب في الوعظ والدعوة والإرشاد، وذلك أن المؤلف إنما أراد أن يذكّر الناس بأحوال الموت وأمور الآخرة محذراً من عقاب الله ، ومرغبًا في نعيمه وجزيل ثوابه ... وقد ذكر فيه أبوابًا في وصف الجنة ، وبعض ما فيها من ألوان النعيم ... وذلك بأن يذكر الآيات أو الأحاديث المتعلقة بالباب الذي يبينه[1] ... دون أن يشرح بعض مفرداتها ، أو يشير إلى أسرار التعبير فيها .... فهو من كتب الوعظ والتذكير ، وليس المراد منه الدراسة الأدبية البيانية للآيات أو الأحاديث الواردة في وصف الجنة .

ومن المراجع الحديثة في الجنة رسائل عديدة صغيرة الحجم أو في أجزاء ... تهدف إلى الوعظ والإرشاد وتوضيح العقيدة ، وتعني بوصف الجنة ، وبيان ما فيها من ألوان النعيم والمسرات والمتع ... وهي لا تهدف إلى الدراسة البيانية أو الأدبية للآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة ، في وصف الجنة ... وإنما تكتفي معظمها بسرد الآيات والأحاديث الشريفة الواردة في وصفها ، مع تقسيمها حسب ما في وصف الجنة من أنواع النعيم المقيم ... ومن هذه الكتب مثلاً : العقيدة في ضوء الكتاب والسنة ، للدكتور عمر سليمان الأشقر ، وهو كتاب في العقيدة ، وقد خصص الجزء الثالث منه عن اليوم الآخر الجنة والنار ... واهتم في الباب الثاني منه[2] بما يتعلق بالجنة من أمور عقدية ... مهتماً بإيراد الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة في وصف الجنة ... مع التقديم لكل فصل من فصوله بنبذه مختصرة توضح ما في الآيات الكريمة من أنواع النعيم حسب الفصول ... مع بيان بعض المعاني للآيات الكريمة[3] .

ومن هذه الكتب الوعظية في الجنة كتاب « نعيم الجنة في القرآن والسنة » تأليف

---

(١) المكتبة الملكية ـ مصر ـ ص ١٦٤ ـ ٢٠١ .

(٢) الطبعة الأولي ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، مكتبة الفلاح ـ الكويت ص ١١٧.

(٣) المرجع نفسه ص ١١٧ ـ ١٩٢ .

عبد اللطيف عاشور ... وفيه يهدف المؤلف إلى تحقيق غايتين ، أولاهما إغراء المؤمن بصالح الأعمال التي تحقق له الوصول إلى جنات الخلود ... وثانيتهما وصف صادق وأمين مرتكز على أدلة الكتاب والسنة لمتع الجنة ونعيمها[1] . وقد قسمه إلى مباحث تتعلق بوصف الجنة وبيان ما فيها من الدرجات والمنازل ، والقصور والأبواب والمساكن والفراش والنساء ، والشجر والأنهار والظل ... مبتدئًا كل فصل بالآيات المتصلة به والأحاديث ذات العلاقة به ... مع التعليق الموجز ، والبيان المبسط لبعض مفردات الآيات ...

ومن الرسائل المتعلقة بوصف الجنة كتاب « حياة أهل الجنة » لمؤلفه محمود شلبي ، وهو كتاب عُني مؤلفه بسرد آيات الجنة ، في لمحات سريعة ، وإشارات مقتطفة، من غير عناية بتخريج الآيات والأحاديث ، ولا اهتمام بدراسة الآيات أو بيان ما فيها من معاني وأسرار[2] ...

ومنها أيضًا كتاب « اليوم الآخر في ظلال القرآن » ، جمع وإعداد أحمد فائز ... وفيه عقد المؤلف الباب السادس في نعيم الجنة[3]... وقد اهتم بتقسيمه إلى مباحث تصف ما في الجنة من الطعام والشراب والنساء ، وأصحاب الجنة ، وأحوال الناس في الجنة ، ورؤية الله عز وجل فيها ... وقد نهج فيه على سرد الآيات القرآنية المتصلة بكل مبحث ، مع التعليق الموجز السريع عليها ثم سرد الأحاديث المتعلقة بهذا المبحث ، مع تخريج الآيات والأحاديث والتعليق الإنشائي عليها ...

ومن هذه الكتب التي سردت آيات وصف الجنة ، دون دراستها كتاب « الحياة بعد الموت » لمؤلفه إبراهيم الجمل ، وفيه عقد الباب السابع في حياة أهل الجنة ... حيث استهله بنبذة موجزة عن حياة أهل الجنة، وما يجدون فيها من المتعة واللذة[4] ...

---

(١) الطبعة الأولي ، مكتبة القرآن ـ القاهرة ـ ص ٣ ـ ٤ ، وبقية الكتاب .

(٢) الطبعة الثالثة ١٩٨٣م ـ ١٤٠٣هـ . دار الجيل .

(٣) الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١ م . ص ٣٠٧ ـ ٣٥٣ ، مؤسسة الرسالة .

(٤) ص ٢٥٥ ـ ٢٨٢ .

ثم قسمه إلى مباحث تتصل بما ورد في وصف الجنة في الآيات الكريمة، أو في الأحاديث الشريفة ، وذلك بسرد الآيات المتصلة بكل مبحث ، مع الإشارة السريعة إلى معاني الآيات ، والاقتباس من كتاب ابن القيم للتعليق على بعض الآيات ...

ومن المراجع الخاصة بالوعظ والإرشاد ، والمعنية بوصف الجنة ، كتاب « أهوال القيامة » لمؤلفه عبد الملك علي الكليب ، وهو كتاب عني فيه مؤلفه بصفة الجنة بقصد التذكرة والوعظ ، والترغيب فيما عند الله من متاع خالد مقيم ... وقد درج فيه على بيان صفة الجنة بأسلوب مرغب فيه تشويق إليها ، مستنداً في وصفه على الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المتعلقة بوصفها ، دون دراسة الآيات أو الأحاديث دراسة بيانية موضوعية تبين أسرار التعبير القرآني[1] ... ذلك أنه كتاب في الدعوة والوعظ .

ومن مراجع وصف الجنة التي عنيت بالوعظ والتذكير ، وسرد الآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة ، دون تخريج لها أو دراسة متأنية بيانية ـ من هذه المراجع كتابان آخران هما : « الجزاء ـ الجنة ـ النار » لمؤلفته : نعمت صدقي[2]. و « الجنة نعيمها والطريق إليها » لمؤلفه على حسن على عبد الحميد[3]. وهما على نفس منهج المراجع السابقة .

ويلحظ أن الكتب السابقة كلها تقصد إلى الدعوة إلى طاعة الله ، والترغيب فيما عند الله ـ عز وجل ـ من الفوز العظيم والملك الكبير ، الذي بيّن سبحانه كرم درجاته، وشرف منزلته بما ورد في الذكر الحكيم من آيات وصف الجنة ... وما وضحته الأحاديث الشريفة في وصفها ... إلا أنها لم تعن بدراسة الآيات القرآنية دراسة موضوعية أدبية بيانية أو بلاغية ... لتبين الإعجاز القرآني في وصف الجنة ... وتبين أسرار البلاغة القرآنية في اختيار الألفاظ ونسق الآيات ... مما يسبر غور المعاني للآيات

(١) مكتبة الكوثر ـ الرياض ، الطبعة الثامنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
(٢) الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م . دار الاعتصام .
(٣) الطبعة الأولي ١٤٠٥هـ ـ المكتبة الإسلامية ـ عمان الأردن

الكريمة ، ويجلّي وصف الجنة ويوضحه ليدرك الخيال شيئًا مما بينه الله ـ سبحانه ـ لعباده المؤمنين من صفة دار المتقين ومنازلهم وألوان متاعهم الحسي والروحي ...

## جهود الأستاذ سيد قطب :

أما المراجع التي عنيت بشيء من هذا اللون من الدراسة في آيات القرآن الكريم كافة ، ومنها آيات وصف الجنة ، فهي كتابات الأستاذ سيد قطب في كتابيه : التصوير الفني في القرآن الكريم .. ومشاهد القيامة في القرآن ... إلا أن الأستاذ لم يدرس كل آيات وصف الجنة دراسةٍ موضوعية بيانية ، وإنما علّق على عدد قليل من هذه الآيات بأسلوب بياني تصويري يعني بتصوير معاني الآيات ، ومرامي التعبير البياني في القرآن والنسق الفني فيه ... وذلك لا يعدو في كتابه « التصوير الفني » صفحات قليلة[١] درس فيها الآيات التي تصور مشاهد النعيم والعذاب في الآخرة ... كما لا يزيد في كتابه « مشاهد القيامة » عن صفحات معدودة بيّن فيها لمحات مما تصوره بعض آيات وصف نعيم أهل الجنة بأسلوب أدبي يميل إلى الإنشاء والتصوير[٢] .

ويسير الأستاذ سيد قطب على المنهج نفسه في تفسيره « في ظلال القرآن » حيث مال في تفسيره لآيات القرآن الكريم ، إلى الأسلوب الأدبي الإنشائي التصويري في تفسير آيات وصف النعيم في الآخرة [٣] .

## دراسة الدكتور شوقي ضيف :

وهناك دراسة موضوعية أدبية جادة لآيات وصف الجنة تتمثل في دراسة الدكتور شوقي ضيف في كتابه « سورة الرحمن وسور قصار »[٤] . حيث درس ما في سورة

---

(١) الطبعة الثامنة ، دار المعارف ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨٣ ، ٩٥ ، ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) الطبعة الشرعية السابعة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م دار الشروق ، ص ١٠٩ ـ ١١٧ ـ ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٣ .

(٣) استفادت هذه الدراسة بالنصوص التي تلائمها ، واقتبستها في أماكنها .

(٤) طبعة دار المعارف ـ بمصر .

الرحمن دراسة موضوعية كشفت صورة جلية للجنة ، وبينت بعض أسرار التعبير القرآني في آيات وصفها ... ولكنها اقتصرت على آيات وصف الجنة في سورة الرحمن ، مع الإشارة إلى بعض آيات الكتاب الكريم التي لها صلة بآيات سورة الرحمن .

## لماذا اخترت هذا الموضوع ؟

من هذا المنطلق ، ومن شغفي الشديد بآيات الكتاب العزيز في وصف الجنة ... ولأني لم أجد دراسة موضوعية شاملة لها ، إلا المتناثر منها في كتب التفسير البياني للقرآن الكريم .

من هذا المنطلق كان هدف هذا البحث لنيل درجة التخصص ـ الدكتوراة ـ ألا وهو جمع آيات الكتاب الكريم في وصف الجنة ، ودراستها دراسة موضوعية أدبية أسلوبية تصويرية ... تجمع المتناثر من تفسيرها البياني من كتب التفسير البياني المتنوعة ... وتحاول الكشف عن أسرار التعبير القرآني ، واختيار الألفاظ في الآيات الكريمة ... وتبين الأسرار البلاغية الدقيقة التي تنبثق من وراء نسق الآيات ، والتدرج في وصف ما في الجنة من أنواع الملذات والنعيم المقيم ...

كما تحاول هذه الدراسة اكتشاف أثر تمثل صورة الجنة كما بينتها آيات الكتاب الكريم . على الشعر الإسلامي في عصوره الأولي المتمثلة في عصر النبوة ، والخلفاء الراشدين ، والعصر الأموي ... لتبين كيفية تأثر شعراء الإسلام بما ورد في القرآن الكريم من وصف الجنة .. حيث لم أجد دراسة تجمع شعر وصف الجنة عند شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي ولا في العصور المتأخرة ...

ولهذين الهدفين قامت هذه الدراسة المتواضعة لآيات الكتاب الكريم في وصف الجنة ، وللشعر الإسلامي المتأثر بوصف الجنة في عصر صدر الإسلام ، والعصر الأموي ... مستندة في هذه الدراسة على المصادر الأساسية المتمثلة في كتب التفسير البياني للقرآن الكريم مثل : تفسير الكشاف للزمخشري ، والتفسير الكبير ، للفخر

الرازي ، وتفسير ابن عطية ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ، وروح المعاني للآلوسي، مع الرجوع إلى تفسير الطبري باعتباره التفسير المستند على السنة النبوية وأقوال الصحابة رضي الله عنهم .. والرجوع إلى بعض كتب التفسير اللغوي للقرآن مثل تفسير البغوي ... والاستناد إلى كتب معاني القرآن الكريم ومفرداته ، وكتب إعرابه ... لتتبين أمامي الصورة الجلية لآيات وصف الجنة في القرآن الكريم ...

هذا مع الرجوع إلى دواوين شعراء صدر الإسلام والخلفاء الراشدين والعصر الأموي لجمع الشعر المتأثر بوصف الجنة ، ودراسته دراسة تاريخية حسب وفيات شعرائه، ودراسته دراسة موضوعية تبين كيفية انعكاس أثر وصف الجنة في القرآن على شعراء هذه الفترة ... ودراسته دراسة تصويرية بيانية ، تبين كيف استطاع الشعراء المسلمون أن ينقلوا إحساسهم ومشاعرهم في تعلقهم بالجنة وسعيهم للوصول إليها وتأثرهم بالتصوير البياني في آيات وصف الجنة .

## أقسام البحث :

وعلى هذا الأساس قامت هذه الدراسة على ثلاثة أبواب تسبقها مقدمة وتمهيد ، وتتلوها خاتمة .

فكانت المقدمة في بيان أهداف البحث ودوافعه .

وجاء التمهيد في مبحثين ، كان أولهما لبيان أسماء الجنة وحقيقة عددها . وجُمعت في ثانيهما آيات وصف الجنة المدنية والمكية في القرآن والمقارنة بينها .

وجعلتِ الباب الأول من هذه الدراسة في وصف النعيم السي للجنة ، وقسمته إلى فصلين . خُصص الأول منها لدراسة الوصف المجمل للجنة ، ودرست فيه خمسة مباحث ، درست في الأول منها لفظ الجنة منكراً ، وفي ثانيها لفظ الجنة معرفًا بأل ، وفي ثالثها لفظ الجنة معرّفا بالإضافة ، فدرست إضافته إلى النعيم ، وإلى الفردوس ، وإلى الخلد ، وإلى المأوي ، وإلى العدن .

وفي المبحث الرابع من هذا الفصل درست لفظ الجنة نكرةموصوفة وفيه بينت

صفات للجنة ، كالسعة والعظمة ، وجريان الأنهار من تحتها . وفي المبحث الخامس ، درست وصف الجنة بصفة عامة مجملة دون ذكر اسمها ، كوصفها بالنعيم والملك الكبير ، ووصف ما فيها من الدرجات والمغفرة والرزق الكريم . ووصف ما فيها مما تقرُّ به الأعين .

وجعلت الفصل الثاني من هذا الباب في الوصف المفصل للجنة وقسمته إلى خمسة مباحث ، وصفت في أولها المساكن والفرش في الجنة فدرست في المساكن . كون الجنة مسكناً ونزلاً لأهلها ، وأبواب الجنة ، وغرف الجنة . ودرست في الفرش كل ما يتعلق به .

والمبحث الثاني من هذا الفصل خصصته لوصف الطعام والشراب ، ووصف آنيتهما فدرست في الطعام مقدمة في رزق أهل الجنة وكيفية الحفاوة بهم في تقديمه. ودرست الفاكهة واللحم من طعامهم . وفي الشراب درست الخمر ، واللبن ، والعسل، والماء ، والعيون ، ودرست آنية الطعام والشراب .

وجعلت المبحث الثالث من هذا الفصل في وصف الملابس والحلي في الجنة . فدرست فيهما كل ما يتعلق بهما .

وخصصت المبحث الرابع في هذا الفصل لدراسة وصف النساء والغلمان في الجنة . فدرست فيهما كل ما يتصل بهما .

ودرست في المبحث الخامس من هذا الفصل : الخضرة والشجر والظل والمناخ في الجنة .

وكان الباب الثاني من هذه الدراسة في وصف النعيم الروحي في الجنة ، وقسمته إلى فصلين ، خصصت الفصل الأول لدراسة : عوامل وعناصر النعيم الروحي في الجنة وفيه أربعة مباحث ، كان المبحث الأول منها لدراسة التبشير بالجنة ، والثاني لدراسة الترحيب بأهلها والسلام عليهم ، وكان الثالث منها لدراسة تحية أهل الجنة ودعاءهم . وكان الرابع منها لدراسة رضوان الله عن أهل الجنة ورضاؤهم عنه .

ودرست في الفصل الثاني من هذا الباب : أثر النعيم والراة على أهل الجنة ، وهو في ثلاثة مباحث ، كان الأول منها لدراسة التعبير الظاهر على وجوه أهل الجنة ، والثاني منها لدراسة تعبير أهل الجنة عن راحتهم ورضاهم . وجاء الثالث منها في دراسة حوار أهل الجنة فيما بينهم ، وحوارهم مع أهل النار .

وجُعِلَ الباب الثالث من هذه الدراسة ، لتصنيف ودراسة الشعر المتأثر بوصف القرآن الكَريم للجنة ، وقسمته إلى خمسة فصول ، درست في الفصل الأول منه الأثر النفسي لتدبير آيات وصف النعيم كما يتضح في سيرة المصطفي ﷺ وصحابته .

وجعلت الفصل الثاني لتصنيف الشعراء الإسلاميين الذين وصفوا الجنة ، وقمسته إلي مبحثين . خُصص المبحث الأول لشعراء عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين ، وجِعل المبحث الثاني لشعراء العصر الأموي .

ودرست في الفصل الثالث من هذا الباب تصنيف الشعر الإسلامي المتأثر بوصف الجنة في القرآن حسب الموضوعات .

وخصصت الفصل الرابع من هذا الباب لدراسة تأثر الشعراء الإسلاميين بأساليب وصور القرآن الكريم في وصف الجنة .

وجُعل الفصل الخامس من هذا الباب لدراسة التصوير البياني في شعر وصف الجنة ، وفيه درست التشبيه في هذا الشعر ، والكناية فيه .

الخاتمة : وفيها تم تلخيص البحث ، ورصد أهم النتائج التي توصل إليها .

# التمهيد

# أسماء الجنة وحقيقة عددها

١ ـ أسماء الجنة وحقيقة عددها في القرآن الكريم

٢ ـ آيات وصف الجنة المدنية والمكية في القرآن ، والمقارنة بينها .

## ١ ـ أسماء الجنة وحقيقة عددها في القرآن الكريم

**الجنة في اللغة :**

الجيم والنون أصل واحد ، وهو السَّتر والتَسَتُّر[(١)] . ويقال : جَنَّتِ الرياض جُنُوناً إذا عتم نبتها ، وجُنون النبت : التفافه ، ويقال للنخل المرتفع طولاً : مجنون ، وللنبتِ الملتفِّ الكثيف ، الذي قد تأزّرَ بعضُه في بعضٍ مجنون[(٢)] . والجنة : البستان ، ومنه الجنَّاتُ . والعرب تُسمِّي النخيل جنَّةً ، قال زهير :

كأنَّ عيْنَيَّ في غَرْبَيْ مُقَتَّلَةٍ ... من التواضحِ تسقي جنَّةً سُحُقا[(٣)]

والجنة : كل بستان ذي شجرٍ يسترُ بأشجارِه الأرض ، وقد تُسَمَّي الأشجارُ الساترة جنة[(٤)] .

والجنة : الحديقةُ ذات الشجر والنخل ، وجمعها : جنان ، وفيها تخصيص ، ويقال للنخلِ وغيرها ، قال أبو علي في التذكرة : لا تكون الجَنَّةُ في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب ، فإن لم يكن فيها ذلك ، وكانت ذات شجر فهي حديقة ، وليست بجنَّة[(٥)] .

وهذا المعني اللغوي للجنة : يدل على أن الجنة لم تسمَّ جنة إلا لكثرة أشجارها ، من النخيل والأعناب خاصة ، التي تستر الأرض بظلال أشجار الكثيفة الملتفة .

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون ، جـ١ ص٤٢١ . مادة جن .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق : أ ـ علي حسن هلالى، أ ـ محمد علي النجار ، جـ١٠ ص٤٩٩ ـ ٥٠٢ . مادة جن .

(٣) انظر : الصحاح ، للجوهري ،تحقيق : أحمد عبد الغفور عطا ، جـ٥ ص٢٠٩٤ ـ ٢٠٩٥ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ .

(٤) انظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص٩٦ مادة جن .

(٥) انظر : لسان العرب ، لابن منظور ، جـ١٣ ص٩٩ مادة جنن . القاموس المحيط ، للفيروزابادى، جـ٤ ص٢١٢ ـ ٢١٣ مادة جنة . تاج العروس ، للزّبيدي ، جـ٩ ص١٦٣ ـ ١٦٥ ـ ١٦٦ .

## الجنة في القرآن الكريم :

ورد لفظ الجنة في القرآن الكريم بالمعني اللغوي للجنة في اثنتين وثلاثين آية [1]، منها قوله تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[2] .

ويلحظ علي المعني اللغوي للجنة في القرآن أنه يدل علي الحديقة أو البستان التي زُرع فيها النخيل والأعناب ، وغير ذلك من الأشجار . كما ورد لفظ الجنة في القرآن الكريم بمعني إسلامي خاص يدل علي أنها دار النعيم والثواب في الدار الآخرة ، وذلك في آيات كثيرة بعضها مكية والأخري مدنية [3]... وسميت دار النعيم والثواب في الآخرة جنة ، أما من الاجتنان ، وهو السِتْر لتكاثف أشجارها ، وتظليلها بالتفاف أغصانها، وذلك تشبيهاً بالجنة في الأرض وإن كان بينهما بوْن كبير . وإما لستر حقيقة نعيمها المشار[4] إليه بقوله تعالى :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[5] .

ولا مانع من أن يكون تسمية دار الثواب جنة لالتفاف أشجارها وامتداد ظلها ،

---

(١) انظر : سورة البرة ، الآيتان : ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ، الأنعام ، الآيتان : ٩٩ ـ ١٤١ . الرعد ، آية : ٤ . الإسراء الآيتان : ٩٠ ـ ٩١ . الكهف ، الآيات : ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٥ ـ ٣٩ . المؤمنون ، الآيتان : ١٨ ـ ١٩ . الفرقان ، الآيتان : ٨ ـ ١٠ . الشعراء ، الآيات : ٥٧ ـ ٥٨ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤ ـ ١٤٦ ـ ١٤٧ ـ ١٤٨ . سبأ ، الآيتان : ١٥ ( ١٦ . يس ، الآيتان : ٣٣ ـ ٣٤ . الدخان ، الآيات : ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ . ق ، آية : ٩ . القلم ، آية : ١٧ . نوح ، آية : ١٢ . النبأ ، الآيات : ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيتان : ١٨ ـ ١٩ .

(٣) انظر المبحث الآتي « آيات وصف الجنة في السور المكية والمدنية » ص : ١٥ .

(٤) انظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ، ص ٩٦ ، مادة جن . لسان العرب ، جـ١٣ ص١٠٠ ، مادة جنن .

(٥) سورة السجدة ، من الآية : ١٧ .

وتكاثف أشجارها ... ووجود النخل والعنب والرمان ، ومختلف أنواع الفواكه والثمار فيها ... ولأن الله ـ عز وجل ـ قد أخفي حقيقة نعيمها وما فيها من أنواع المسرات عن كل النفوس . وذلك أن آيات وصف الجنة قد بينت أن الجنة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، من كل ما يعرفه الناس من ألوان المتاع الحسي والروحي . كما بينت الآيات الكريمة أن حقيقة نعيم الجنة لا تعلمه نفس أبداً ، ويدل علي ذلك الحديث الشريف الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « قال الله ـ عز وجل ـ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر »(١).

ويلحظ أن آيات وصف الجنة ـ دار النعيم والثواب ـ في القرآن الكريم قد وصفت الجنة بأن فيها بالإضافة إلى كثافة الأشجار والتفاف الأغصان وامتداد الظل ـ أنواعًا أخري من ألوان المتاع الحسي ، كالطعام ، والشراب ، واللباس ، والحلي ، والمساكن ، والنساء ، والغلمان ، والفراش ... وفيها أنواع من النعيم الروحي ، كالترحيب بأهلها ، وتكريمهم ، والسلام عليهم ، وسرورهم بمحادثة بعضهم بعض ، ونزع الغل والأضغان من قلوبهم ... وغير ذلك من اللذائذ المعنوية والحسية ... وفي هذا الجمع بين المعني اللغوي للفظ الجنة ، والمفهوم الإسلامي الذي أضافه القرآن الكريم ـ في هذا الجمع دلالة علي أن لكلمة الجنة في القرآن اصطلاح قرآني لم تعرفه العرب ، ولم يرد في العربية قبل الإسلام ، وكما جاء في القرآن الكريم ...

ولهذه الخصوصية في الاصطلاح القرآني للجنة ، وردت في القرآن أسماء عديدة تدل على الجنة التي هي دار النعيم والجزاء للمؤمنين ، كما بيّن ابن القيم ، إذ قال : «ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها ، ومسماها واحد باعتبار الذات ، فهي مترادفة من هذا الوجه ، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه ، وهكذا أسماء الرب

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، جـ١٧ ص ١٦٦ . كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها .

سبحانه وتعالى ، وأسماء كتابه ، وأسماء رسله ، وأسماء اليوم الآخر ، وأسماء النار»[1].

وفي إحصاء أسماء الجنة في القرآن نقل الراغب عن ابن عباس قوله : « إنما قال جنات بلفظ الجمع لكون الجنان سبعًا ، جنة الفردوس ، وعَدْن ، وجنة النعيم ، ودار الخلد ، وجنة المأوي ، ودار السلام ، وعليين »[2].

بينما أحصي ابن القيم اثني عشر اسمًا للجنة هي : الجنة ، دار السلام ، دار الخلد، دار المقامة ، جنة المأوي ، جنات عدن ، دار الحيوان ، الفردوس ، جنات النعيم، المقام الأمين ، مقعد صدق ، قدم صدق[3] .

وقد حدد القرآن أربع جنات خُصصت اثنتان منهما للخائفين مقام ربهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[4].. وخُصصت اثنتان دونهما لمن هم دونهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾[5]. والآيتان تدلان على أن الجنات اللاتي ورد ذكرهن ووصفهن في القرآن أربع جنات ... أما بقية الأسماء فهي صفات دالة على الجنة ... وقد حاول الدكتور شوقي ضيف تحديد كل جنة من الجنتين الأوليين ، والجنتين الأخريين ، وذلك إذ قال : « ومن يرجع إلى آيات الذكر الحكيم ويقرن هذه الجنات بعضها إلى بعض يلاحظ أن الأربعة الأولي وصفت بأنها منازل ومساكن للأبرار المؤمنين ، كقوله عزَّ شأنه في سورة التوبة :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

---

(١) حادي الأرواح إلي بلاد الأفراح ، قدم له وأشرف علي تصحيحه : علي السيد صبح المدني ، ص٧١ . مطبعة المدني ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .
(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٩٦ مادة جن .
(٣) انظر : حادي الأرواح ، ص ٧١ ـ ٧٦ .
(٤) سورة الرحمن ، آية : ٤٦ .
(٥) سورة الرحمن ، آية : ٦٢ .

وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾[1].

ونفس كلمة (عَدْن) معناها الإقامة والنزول والسكن ، وكذلك وصف الله في سورة الصافات ثواب عباد الله المخلصين بأنهم ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[2]. ثم قارن بينهم وبين عقاب الكافرين فقال : ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴾[3].

والنُّزل ما يهيأ للنزيل من الطعام والراحة ، وبذلك تُعدُّ جنات النعيم منزلاً ثانيًا من منازل الجنان ، ومثلها جنة الفردوس ، كما قال تعالى في سورة الكهف : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾[4]. أي منزلاً ومقامًا كريمًا ، ... وكذلك وُصفت جنّة المأوي في آية سورة السجدة : ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[5].

أما الجنات الثلاث الأخري فلم تُوصف بأنها مساكن ولا نُزلٌ للمؤمنين ... وبذلك يتضح أن الجنات المذكورة في القرآن أربع طبقًا للجنات الأربع المذكورة هنا في السورة وهي : عَدْن والنعيم والفردوس والمأوي »[6]...

ويبدو أن الجنات الأربع التي حددها الدكتور شوقي ضيف هي الأعلام على الجنة في القرآن ، أما الأسماء الأخري التي ذكرها الراغب وهي : جنة الخلد ، ودار السلام ، وعليون ، فإن الأوليين صفات كنّي بها الله عز وجل عن الجنة ، لما في الجنة من تقدير الخلود لأهلها ، ولكل ما فيها من أنواع النعيم ، فاستحقت أن يطلق عليها أن جنة الخلد ... وأنها دار السلام لما فيها من الأمن والطمأنينة والسلام لأهلها ، ولأن تحيتهم فيها سلام ، والربُّ ـ جل وعلا ـ يسلم عليهم ، والملائكة يدخلون عليهم من

---

(١) آية : ٧٢ . (٢) آية : ٤٣

(٣) : آية ٦٢ . (٤) آية : ١٠٧ .

(٥) آية : ١٩ .

(٦) سورة الرحمن وسورة قصار ، للدكتور شوقي ضيف ، ص ١١٤ ـ ١١٥ ـ ١١٦ ملخصاً .

كل باب بالسلام ، أما عليون فإنه كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[١]. كتاب مرقوم يشهده الأبرار المقربون ، وليس صفة دالة على الجنة ، ولا إسماً من أسمائها ... أما الأسماء الأخري التي أحصاها ابن القيم[٢] وهي : دار المقامة ، دار الحيوان ، المقام الأمين ، مقعد صدق ، قدم صدق ... فإنها صفات أيضًا دالة على الجنة ، وليست أعلامًا عليها ... إلا دار الحيوان فإنه وصف عام يشمل الحياة الآخرة كلها ، وليس الجنة فحسب .

وقد كني الله عز وجل عن الجنة بصفات أخري دالة عليها ، كما في قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾[٣].

وقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٤].

وقوله عز وعلا : ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾[٥].

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾[٦].

حيث كني الله ـ جل جلاله ـ عن الجنة بصفات لها فقال : روضة ، لهم درجات والدرجات العلى ، والمفاز ، فكانت صفات للجنة ذكرها ـ سبحانه ـ دالاً

---

(١) سورة المطففين ، الآيات : ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ .
(٢) انظر صحيفة ٩ فيما سبق .
(٣) سورة الروم ، آية : ١٥ .
(٤) سورة الأنفال ، من الآية : ٤ .
(٥) سورة طه ، الآيتان : ٧٥ ـ ٧٦ .
(٦) سورة النبأ ، الآيتان : ٣١ ـ ٣٢ .

عليها ويدل على ذلك أنه ـ سبحانه ـ فسر الدرجات العُلي في سورة طه بقوله :ـ (جنات عدن ...) ، وفسر المفاز في سورة النبأ بقوله : ( حدائق وأعنابا ) . وقد ورد في حديث رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ وصف لكل من الجنتين الأوليين ، والجنتين الأخريين ، وذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي بكر بن قيس عن أبيه أن رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ قال في تفسير قوله تعالى : ( ومن دونهما جنتان ) : « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدْن»[1] .

أما لفظ (الجنة) باسم الجنس ، فإنه دال على كل الجنات في القرآن الكريم ، لذا فإنه ورد كثيراً في القرآن ، بصيغة الإفراد ، والتثنية وجمع المؤنث السالم ، مع التعريف والتنكير في كل منها ... وهو في هذه الصيغ قد يأتي مجرداً من الوصف والإضافة ، وقد يكون مضافاً إلى صفة ، أو موصوفاً بصفة عامة أو مفصلة .

وعند إحصاء لفظ الجنة في القرآن بصيغة الإفراد مع التعريف والتجريد من الوصف والإضافة، وجد أنه ورد في أربع وأربعين آية من خمس وعشرين سورة مدنية ومكية[2] .

كما ورد لفظ الجنة بصيغة الإفراد مع التعريف والوصف في خمس آيات من خمس سور مدنية ومكية [3] . كما ورد لفظ الجنة بصيغة الإفراد نكرة عُرِّف بالوصف

---

(١) صحيح البخاري ، جـ٦ ص١٨١ . تفسير سورة الرحمن .

(٢) انظر : سورة البقرة ، الآيات : ٣٥ ، ٨٢ ، ١١١ ، ٢١٤ ، ٢٢١ . آل عمران ، الآيتان : ١٤٢ ، ١٨٥ ، النساء ، آية : ١٢٤ . المائدة ، آية : ٧٢ ، التوبة ، آية : ١١١ . محمد ، الآيتان: ٥ ، ٦ . الحشر ، آية : ٢٠ . التحريم : آية ١١ . الأعراف ، الآيات : ١٩ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ . هود ، الآيتان : ٢٣ ، ١٠٨ . النحل ، آية : ٣٢ . مريم ، آية : ٦٠ . طه ، الآيتان : ١١٧ ، ١٢١ . الفرقان ، آية : ٢٤ . الشعراء ، آية : ٩٠ ، يس ، الآيتان : ٢٦ ، ٥٥ . الزمر ، الآيتان : ٧٣ ، ٧٤ . غافر ، آية :٤٠ . فصلت ، آية : ٣٠ . الشوري ، آية : ٧٠ . الأحقاف ، الآيتان : ١٤ ، ١٦ . ق ، آية : ٣١ . التكوير ، آية : ١٣ .

(٣) انظر : سورة الرعد ، آية : ٣٥ . محمد : ١٥ . العنكبوت ، آية : ٥٨ . الزخرف ، آية : ٧٢ . النازعات ، آية : ٤١ .

في أربع آيات من أربع سور مدنية ومكية[١] . وورد لفظ الجنة بصيغة الإفراد نكرة عُرِّفت بالإضافة في ست آيات من ست سور مكية[٢] ، حيث أضيف لفظ الجنة إلى الخلد في آية واحدة . وأضيف إلى المأوي في آية واحدة ، وأضيف إلى النعيم في ثلاث آيات ، وأضيف إلى الضمير العائد على الذات الإلهية في آية واحدة . كما ورد لفظ الجنة بصيغة الإفراد ، مع التنكير والتجريد من الوصف والإضافة ، مع العطف عليه في آية واحدة من سورة[٣] مدنية .

وورد لفظ الجنة بصيغة التثنية مع التعريف في آية واحدة من سورة واحدة مدنية[٤] . كما ورد لفظ الجنة بصيغة التثنية نكرة موصوفة بصفات مفصلة في آيتين من سورة واحدة مدنية[٥] .

أما لفظ الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم ، فقد ورد معرَّفًا بالألف واللام ، مع التجريد من الوصف ، ومضافًا إليه في آية واحدة من سورة واحدة مكية[٦] . كما ورد لفظ الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم نكرة مجردة من الوصف والإضافة في آيتين من سورتين مكيتين[٧] . وورد لفظ الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم نكرة مجردة من الوصف والإضافة ، ومعطوفًا عليه في خمس آيات من خمس سور مكية[٨] .

---

(١) انظر : سورة آل عمران ، آية : ١٣٣ . الحديد ، آية : ٢١ ، الحاقة ، آية : ٢٢ . الغاشية ، آية : ١٠ .

(٢) انظر : سورة الفرقان ، آية : ١٥ . الشعراء ، آية : ٨٥ . النجم ، آية : ١٥ . الواقعة ، آية : ٨٩ . المعارج ، آية : ٣٨ . الفجر ، آية : ٣٠ .

(٣) انظر : سورة الإنسان ، آية : ١٢ .

(٤) انظر : سورة الرحمن ، آية : ٥٤ .

(٥) انظر : سورة الرحمن ، الآيتان : ٤٦ ، ٦٢ .

(٦) انظر : سورة الشوري ، آية : ٢٢ .

(٧) انظر : سورة المعارج ، آية : ٣٥ ، المدثر ، آية : ٤٠ .

(٨) انظر : سورة الحجر ، آية ٤٥ . الدخان ، آية : ٥٢ ، الذاريات ، آية ١٥ . الطور ، آية : ١٧ ، القمر ، آية : ٥٤ .

بينما ورد لفظ الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم نكرة موصوفة بصفة عامة أو مفصلة في ثمان وعشرين آية من ست عشرة سورة أكثرها مدني[1]. كما ورد لفظ الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم نكرة مضافًا مع الوصف أحيانًا بصفة عامة أو مفصلة في عشرين آية مع تسع عشرة سورة أكثرها مكي[2]. حيث أضيف لفظ الجنة إلى النعيم في ست آيات ، وأضيف لفظ الجنة إلى عدن في إحدي عشرة آية . وأضيف لفظ الجنة إلى الفردوس في آية واحدة ، مع ذكر اسم الفردوس بغير إضافة دالاً على الجنة في آية واحدة ، وأضيف لفظ الجنة إلى المأوي في آية واحدة .

ويلحظ في إحصاء أسماء الجنة أن أكثر الأسماء ورودا في القرآن الكريم هو لفظ (الجنة) اسم الجنس ، بصيغة الإفراد والتثنية ، وجمع المؤنث السالم ، مع التعريف والتنكير ، والوصف ، والإضافة ... ثم يأتي بعد ذلك اسم الجنة بالإضافة ، مثل جنات عدن ، بصيغة الجمع مع الإضافة ، حيث ورد في إحدي عشر آية من سورة مدنية ومكية[3]. وجنات النعيم ، بصيغة الإفراد والجمع ، مع الإضافة أو الوصف ، حيث ورد في تسع آيات مكية[4] وجنات المأوي ، بصيغة الإفراد والجمع ، مع الإضافة أو الوصف

---

(١) انظر : سورة البقرة ، آية : ٢٥ . آل عمران ، الآيات : ١٥ ، ١٣٦ ، ١٩٥ ، ١٩٨. النساء ، الآيات : ١٣ ، ٥٧ ، ١٢٢ . المائدة ، الآيات : ١٢ ، ٨٥ ، ١١٩ . التوبة ، الآيات : ٢١ ، ٧٢، ٨٩ ، ١٠٠ . الحج ، الآيتان : ١٤ ، ٢٣ . محمد ، آية : ١٢ . الفتح ، الآيتان : ٥ ، ١٧ . الحديد ، آية : ١٢ . المجادلة ، آية : ٢٢ . الصف ، آية : ١٢ . التغابن ، آية : ٩ . الطلاق، آية ١١ . التحريم ، آية : ٨ . إبراهيم ، آية ٢٣ . البروج ، آية : ١١ .

(٢) انظر : سورة : التوبة ، آية : ٧٢ ، يونس ، آية : ٩ . الرعد ، آية : ٢٣ . النحل ، آية : ٣٢ . الكهف ، الآيتان : ٣١ ، ١٠٧ مريم ، آية : ٦١ . طه ، آية : ٧٦ . الحج ، آية ٥٦ ، المؤمنون ، آية : ١١ . لقمان ، آية : ٨ . السجدة ، آية : ١٩ . فاطر ، آية : ١٢ . الصافات ، آية : ٤٣ ص ، آية : ٥٠ . غافر ، آية : ٨ . الواقعة ، آية : ١٢ . الصف ، آية : ١٧. القلم ، آية ٣٤ البينة ، آية : ٨ .

(٣) انظر : سورة التوبة ، ية : ٧٢ . الرعد ، آية : ٢٣ . الصف ، آية : ١٢ . البينة ، آية : ٨ . النحل ، آية : ٣٢ . الكهف ، آية : ٣١ . مريم ، آية : ٦١ . طه ، آية : ٧٦ . فاطر ، آية : ٣٣. ص ، آية : ٥٠ . غافر ، آية : ٨ .

(٤) انظر : سورة الحج ، آية : ٥٦ . يونس ، آية : ٩ . الشعراء ، آية : ٨٥ . لقمان ، آية : ٨ . الصافات ، آية : ٤٣ ، الواقعة ، الآيتان : ١٢ ، ٨٩ . القلم ، آية : ٣٤ ، المعارج ، آية : ٣٨ .

في ثلاث آيات مكية[١] . وجنات الفردوس ، بصيغة الجمع ، مع الإضافة ، وبغير إضافة في آيتين مكيتين[٢] .

ثم يأتي اسم الجنة بالإضافة إلى الخلد ، والمقامة ، والسلام حيث ورد اسم الجنة بالإضافة إلى الخلد في آية واحدة مكية [٣] ، وورد اسم الجنة بلفظ (دار) مضافًا إلى المقامة في آية واحدة مكية[٤] ، وورد اسم الجنة بلفظ (دار) مضافًا إلى السلام في آيتين مكيتين[٥] .

ثم تأتي بعد ذلك الصفات التي كني الله ـ سبحانه ـ بها عن الجنة مثل الروضة ، الدرجات العلى ، مقعد صدق ، المقام الأمين ، والمفاز ، حيث ورد كل منها في آية واحدة ، أو أكثر [٦] .

وفي هذه الإحصاء دلالة على أن لفظ الجنة ، اسم الجنس ، هو الاسم الدال على كل الجنات ، دون تخصيص ... أما أسماء الجنة بالإضافة إلى العدن ، والنعيم ، والفردوس ، والمأوي ، فهي الزعلام الدالة على أربع الجنات التي ورد ذكرها في سورة الرحمن . أما بقية الأسماء فهي صفات دالة على الجنة تتفق مع ما ورد في القرآن الكريم من صفات مجملة أو مفصلة لها .

وليس كل اسم أو صفة من أسماء أو صفات الجنة يدل على جنة واحدة ، وإنما كل اسم أو صفة منها يدل على جنات عدة ... كما يدل على ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي إسحاق بن حُميدَ أنه قال : « سمعت أنساً يقول:

---

(١) انظر : سورة السجدة ، آية : ١٩ . النجم ، آية : ١٥ ، المنازعات ، آية : ٤١ .
(٢) انظر : سورة الكهف ، آية : ١٠٧ . المؤمنون ، آية : ١١ .
(٣) انظر : سورة الفرقان ، آية : ١٥ .
(٤) انظر : سورة فاطر ، آية ٣٥ .
(٥) انظر : سورة الزنعام ، آية : ١٢٧ . يونس ، آية : ٢٥ .
(٦) انظر : سورة الروم ، آية : ١٥ . النساء ، آية : ٩٦ . الأنفال ، آية : ٤ . طه ، آية : ٧٥ . القمر
ـاف جـ٤ ص٤٩ . التفسير الكبير جـ٢٩ ص٧٨ ص

أصيب حارثةُ يوم بدرٍ وهو غلام ، فجاءت أُمُّهُ إلى النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقالت : يا رسولَ الله قد عرفتَ منزلة حارثة مني ، فإن يك في الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكن الأخري ترَي ما أصنعُ ؟ فقال : ويحك أوَهبلتِ أوَجنةٌ واحدة هيَ ، إنها جنانٌ كثيرة ، وإنه لفي جنة الفردوس »[1] لاتساعها والتفاف أشجارها وامتداد ظلالها .

## ٢. آيات وصف الجنة في السور المدنية والمكية والمقارنة بينها :

ورد الحديث عن الجنة ، أووصفها في القرآن الكريم في سور عديدة منها بعضها مكي والآخر مدني ... بلغ مجموعها اثنتين وسبعين سورة من سور القرآن الكريم . منها إحدي وخمسون من السور المكية ، وإحدي وعشرون من السور المدنية ... ولدراسة هذه الآيات وإحصائها ، ينبغي ترتيبها في السور المدنية والمكية حسب ترتيب المصحف الشريف ...

### أولاً ـ آيات وصف الجنة في السور المدنية :

وهي مرتبة وفق ترتيب سور القرآن الكريم بدءاً بالفاتحة فالبقرة وآل عمران ... حسب تسلسل السور القرآنية ... وهي كالآتي :

### ١ ـ الآيات في سورة البقرة :

أ ـ قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] .

(١) صحيح البخاري ، جـ٨ ص١٤٢ . كتاب الرقاق .
(٢) سورة البقرة ، آية ٢٥ .

ب ـ وقال الله عز وجل : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

جـ ـ وقال عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[2].

د ـ وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[3].

هـ ـ وقال جل وعلا : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[4].

و ـ قال الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[5].

## ٢ ـ الآيات في سورة آل عمران :

أ ـ قال عز وجل :

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٣٥ .
(٢) سورة البقرة ، آية : ٨٢ .
(٣) سورة البقرة : آية ١١١ .
(٤) سورة البقرة ، آية ٢٢١ .
(٥) سورة البقرة ، آية : ٢١٤ .
(٦) سورة آل عمران ، آية : ١٥ .

ب ـ وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(1).

جـ ـ وقال عز وجل :

﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾(2).

د ـ وقال عز وعلا :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾(3).

هـ ـ وقال الله سبحانه :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(4).

و ـ وقال الله تعالى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾(5).

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٣٣ .
(2) سورة آل عمران ، آية : ١٣٦
(3) سورة آل عمران : آية : ١٤٢ .
(4) سورة آل عمران : الآيات : ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ .
(5) سورة آل عمران : آية : ١٨٥ .

ز ـ وقال سبحانه وتعالى :
﴿ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾[1].

ح ـ وقال جل جلاله :
﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ ﴾[2].

## ٣ ـ آيات سورة النساء :

أ ـ قال الله سبحانه :
﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[3].

ب ـ وقال الله عز وجل :
﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾[4].

جـ ـ وقال الله عز وعلا :
﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران : آية : ١٩٥ .
(٢) سورة آل عمران : آية : ١٩٨ .
(٣) سورة النساء ، آية : ١٣ .
(٤) سورة النساء ، آية ٥٧ .
(٥) سورة النساء ، آية ١٢٢ .

د ـ وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾[1].

## ٤ ـ آيات سورة المائدة :

أ ـ قال سبحانه وتعالى :

﴿ ... لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[2].

ب ـ وقال عز وجل :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[3].

جـ ـ وقال عز وعلا :

﴿ ... إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[4].

د ـ وقال الله سبحانه :

﴿ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾[5].

---

(١) سورة النساء ، آية : ١٢٤ .
(٢) سورة المائدة ، من الآية : ١٢ .
(٣) سورة المائدة ، آية : ٦٥ .
(٤) سورة المائدة ، من الآية : ٧٢ .
(٥) سورة المائدة ، آية : ٨٥ /

هـ ـ وقال الله عز وجل :

﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1].

## ٥ ـ آيات سورة الأنفال :

أ ـ قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[2].

## ٦ ـ آيات سورة التوبة :

أ ـ قال عز وعلا :

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

ب ـ وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[4].

جـ ـ وقال جل جلاله :

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[5].

---

(١) سورة المائدة ، آية ١١٩ .

(٢) سورة الأنفال ، آية : ٤ .

(٣) سورة التوبة ، الآيتان : ٢١ ـ ٢٢ .

(٤) سورة التوبة ، آية : ٧٢ .

(٥) سورة التوبة ، آية : ٨٩ .

د ـ وقال الله سبحانه :

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(١).

هـ ـ وقال جل وعلا :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٢).

## ٧ ـ آيات سورة الرعد :

أ ـ قال سبحانه وتعالى :

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾(٣).

ب ـ وقال جل جلاله :

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾(٤).

## ٨ ـ آيات سورة الحج :

أ ـ قال الله عز وجل :

---

(١) سورة التوبة ، آية : ١٠٠ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ١١١ .

(٣) سورة الرعد ، الآيتان : ٢٣ ـ ٢٤ .

(٤) سورة الرعد ، آية : ٣٥.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾(١).

ب ـ وقال سبحانه

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾(٢).

جـ ـ وقال الله جل وعلا

﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾(٣).

## ٩ ـ آيات سورة السجدة :

أ ـ قال الله تعالى :

﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٤).

## ١٠ ـ آيات سورة محمد :

أ ـ قال سبحانه وتعالى :

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾(٥).

---

(١) سورة الحج ، آية : ١٤ .
(٢) سورة الج ، الآيتان : ٢٣ ـ ٢٤ .
(٣) سورة الحج ، آية : ٥٦ .
(٤) سورة السجدة ، آية : ١٩ .
(٥) سورة محمد ، الآيتان : ٥ ـ ٦ .

ب ـ قال عز وجل :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾[1].

جـ ـ وقال جل جلاله :

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِن مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾[2].

١١ ـ آيات سورة الفتح :

أ ـ قال سبحانه وتعالى :

﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3].

ب ـ وقال عز وجل :

﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[4].

---

(١) سورة محمد ، آية : ١٢ .
(٢) سورة محمد ، آية : ١٥ .
(٣) سورة الفتح ، آية : ٥ .
(٤) سورة الفتح ، آية : ١٧ .

## ١٢ ـ آيات سورة الرحمن :

أ ـ قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ ولِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ (٧٨) ﴾(١).

## ١٣ ـ آيات سورة الحديد :

أ ـ قال سبحانه وتعالى :

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٢).

---

(١) سورة الرحمن ، الآيات : ٤٦ ـ ٧٨ .

(٢) سورة الحديد ، آية : ١٢ .

ب ـ وقال الله جل وعلا :

﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[1].

## ١٤ ـ آيات سورة المجادلة :

أ ـ قال عز وجل :

﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) ﴾[2].

## ١٥ ـ آيات سورة الحشر :

أ ـ قال الله تعالى :

﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[3].

## ١٦ ـ آيات سورة الصف :

أ ـ قال سبحانه وتعالى :

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[4].

## ١٧ ـ آيات سورة التغابن :

أ ـ قال جل وعلا :

---

(١) سورة الحديد ، آية : ٢١ .

(٢) سورة المجادلة ، من الآية : ٢٢ .

(٣) سورة الحشر ، آية :٢٠ .

(٤) سورة الصف ، آية : ١٢ .

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١).

**١٨ ـ آيات سورة الطلاق :**

أ ـ قال جل جلاله :

﴿ رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ (٢).

**١٩ ـ آيات سورة التحريم :**

أ ـ قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣).

ب ـ قال الله عز وجل :

﴿ ... قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤).

---

(١) سورة التغابن ، آية : ٩ .

(٢) سورة الطلاق ، آية : ١١ .

(٣) سورة التحريم ، آية : ٨ .

(٤) سورة التحريم ، آية : ١١ .

## ٢٠ ـ آيات سورة الإنسان :

أ ـ قال سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ۝٥ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾[1].

ب ـ وقال جل وعلا

﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ۝١١ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ۝١٢ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝١٧ عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً ۝١٨ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ۝٢٠ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ۝٢١ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً ﴾[2].

## ٢١ ـ آيات سورة البينة :

أ ـ قال جل جلاله :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[3].

---

(١) سورة الإنسان ، الآيتان : ٥ ـ ٦ .

(٢) سورة الإنسان ، الآيات : ١١ ـ ٢٢ .

(٣) سورة البينة ، الآيتان : ٧ ـ ٨ .

## ثانيا : آيات وصف الجنة في السور المكية :

١ـ وهي مرتبة وفق ترتيب القرآن الكريم بالتسلسل من الأنعام فالأعراف وحتى آخر آيات سورة الأنعام ... وهي كالتالي :

أ ـ قال الله عز وجل :

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١).

### ٢ ـ آيات سورة الأعراف :

أ ـ قال الله عز وجل :

﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(٢).

ب ـ وقال الله جل جلاله :

﴿ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(٣).

جـ ـ وقال الله تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة الأنعام ، آية : ١٢٧ .
(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٩ .
(٣) سورة الأعراف ، آية : ٢٢ .
(٤) سورة الأعراف ، آية : ٢٧ .

د ـ قال جل وعلا :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾[1].

هـ ـ وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَٰؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[2].

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ٤٠ .

(٢) سورة الأعراف ، الآيات : ٤٢ ـ ٥٠ .

## ٣ ـ آيات سورة يونس :

أ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[١].

ب ـ وقال عز وعلا :

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥) لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٢].

## ٤ ـ آيات سورة هود :

أ ـ قال سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٣].

ب ـ وقال عز وجل :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[٤].

## ٥ ـ آيات سورة إبراهيم :

أ ـ قال الله عز وعلا :

---

(١) سورة يونس ، الآيتان : ٩ ـ ١٠ .
(٢) سورة يونس ، الآيتان : ٢٥ ـ ٢٦ .
(٣) سورة هود ، آية : ٢٣ .
(٤) سورة هود ، آية : ١٠٨ .

﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ ﴾(1).

## ٦ ـ آيات سورة الحجر :

أ ـ قال جل جلاله :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾(2).

## ٧ ـ آيات سورة النحل :

أ ـ قال الله تعالى :

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(3).

## ٨ ـ آيات سورة الكهف :

أ ـ قال الله سبحانه :

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾(4).

---

(١) سورة إبراهيم ، آية : ٢٣ .

(٢) سورة الحجر ، الآيات : ٤٥ ـ ٤٨ .

(٣) سورة النحل ، الآيات : ٣٠ ـ ٣٢ .

(٤) سورة الكهف ، آية : ٣١ .

ب ـ وقال جل وعلا :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾[١].

## ٩ ـ آيات سورة مريم :

أ ـ قال الله عز وجل :

﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾[٢].

## ١٠ ـ آيات سورة طه :

أ ـ قال الله سبحانه :

﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾[٣].

ب ـ وقال الله عز وعلا

﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾[٤].

جـ ـ وقال الله سبحانه :

﴿ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ

---

(١) سورة الكهف ، الآيتان : ١٠٧ ـ ١٠٨ .
(٢) سورة مريم ، الآيات : ٦٠ ـ ٦٣ .
(٣) سورة طه ، الآيتان : ٧٥ ـ ٧٦ .
(٤) سورة طه ، آية : ١١٧ .

﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾[1].

## ١١ ـ آيات سورة الأنبياء :

أ ـ قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[2].

## ١٢ ـ آيات سورة المؤمنون :

أ ـ قال جل جلاله :

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[3].

## ١٣ ـ آيات سورة الفرقان :

أ ـ قال الله سبحانه :

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴾[4].

ب ـ وقال سبحانه وتعالى :

﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾[5].

---

(١) سورة طه ، آية : ١٢١ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآيات : ١٠١ ـ ١٠٣ .

(٣) سورة المؤمنون ، الآيتان : ١٠ ـ ١١ .

(٤) سورة الفرقان ، الآيتان : ١٥ ـ ١٦ .

(٥) سورة الفرقان ، آية : ٢٤ .

جـ ـ وقال عز وعلا :

﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾[١] .

## ١٤ ـ آيات سورة الشعراء :

أ ـ قال الله عز وجل :

﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾[٢] .

ب ـ وقال سبحانه وتعالي :

﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٣] .

## ١٥ ـ آيات سورة العنكبوت :

أ ـ قال الله جل جلاله :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[٤] .

## ١٦ ـ آيات سورة الروم :

أ ـ قال الله تعالي :

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾[٥] .

---

(١) سورة الفرقان ، الآيتان : ٧٥ ـ ٧٦ .
(٢) سورة الشعراء ، الآيتان : ٨٤ ـ ٨٥ .
(٣) سورة الشعراء ، آية : ٩٠ .
(٤) سورة العنكبوت ، آية : ٥٨ .
(٥) سورة الروم ، آية : ١٥ .

## ١٧ ـ آيات سورة لقمان :

أ ـ قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[١].

## ١٨ ـ آيات سورة السجدة :

أ ـ قال الله سبحانه :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٢].

ب ـ قال جل وعز :

﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٣].

## ١٩ ـ آيات سورة سبأ :

أ ـ قال جل وعلا :

﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾[٤].

## ٢٠ ـ آيات سورة فاطر :

أ ـ قال الله جل جلاله :

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا

---

(١) سورة لقمان ، الآيتان : ٨ ـ ٩ .

(٢) سورة السجدة ، آية : ١٧ .

(٣) سورة السجدة ، آية : ١٩ .

(٤) سورة سبأ ، آية : ٣٧ .

حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[1].

## ٢١ ـ آيات سورة يس :

أ ـ قال الله عز وجل :

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾[2].

ب ـ وقال سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[3].

## ٢٢ ـ آيات سورة الصافات :

أ ـ قال عز وجل :

إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ

---

(١) سورة فاطر ، الآيات : ٣٣ ـ ٣٥ .

(٢) سورة يس ، الآيتان : ٢٦ ـ ٢٧ .

(٣) سورة يس ، الآيات : ٥٥ ـ ٥٨ .

﴿٥٢﴾أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون﴿٥٣﴾قال هل أنتم مطلعون﴿٥٤﴾ فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴿٥٥﴾قال تالله إن كدت لتردين﴿٥٦﴾ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴿٥٧﴾أفما نحن بميتين﴿٥٨﴾إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين﴿٥٩﴾إن هذا لهو الفوز العظيم﴿٦٠﴾لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾[1].

## ٢٣ ـ آيات سورة ص :

أ ـ قال سبحانه وتعالى :

﴿ هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب﴿٤٩﴾جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴿٥٠﴾ متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب﴿٥١﴾وعندهم قاصرات الطرف أتراب ﴿٥٢﴾هذا ما توعدون ليوم الحساب﴿٥٣﴾إن هذا لرزقنا ما له من نفاد﴾[2].

## ٢٤ ـ آيات سورة الزمر :

أ ـ قال جل جلاله :

﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ﴾[3].

ب ـ وقال جل وعلا :

﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴿٧٣﴾وقالوا الحمد لله

---

(١) سورة الصافات ، الآيات : ٤٠ ـ ٦١ .

(٢) سورة ص ، الآيات : ٤٩ ـ ٥٤ .

(٣) سورة الزمر ، آية : ٢٠ .

الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[1].

## ٢٥ ـ آيات سورة غافر :

أ ـ قال الله تعالى :

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[2].

ب ـ قال عز وجل :

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[3].

## ٢٦ ـ آيات سورة فصلت :

أ ـ قال جل وعلا :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾[4].

## ٢٧ ـ آيات سورة الشوري :

أ ـ قال سبحانه وتعالى :

---

(١) سورة الزمر ، الآيتان : ٧٣ ـ ٧٤ .
(٢) سورة غافر ، آية : ٨ .
(٣) سورة غافر ، آية : ٤٠ .
(٤) سورة فصلت ، الآيات : ٣٠ ـ ٣٢ .

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾[1].

ب ـ وقال تعالى :

﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾[2].

## ٢٨ ـ آيات سورة الزخرف :

أ ـ قال الله عز وجل :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[3].

## ٢٩ ـ آيات سورة الدخان :

أ ـ قال الله عز وجل :

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[4].

---

(١) سورة الشوري ، آية : ٧ .

(٢) سورة الشوري ، آية : ٢٢ .

(٣) سورة الزخرف ، الآيات : ٦٩ ـ ٧٣ .

(٤) سورة الدخان ، الآيات : ٥١ ـ ٥٧ .

## ٣٠ ـ آيات سورة الجاثية :

أ ـ قال الله سبحانه :

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾(١).

## ٣١ ـ آيات سورة الأحقاف :

أ ـ قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢).

ب ـ وقال الله عز وجل :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾(٣).

## ٣٢ ـ آيات سورة ق :

أ ـ قال الله سبحانه :

﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾(٤).

ب ـ وقال الله جل وعلا :

﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾(٥).

---

(١) سورة الجاثية ، آية : ٣٠ .
(٢) سورة الأحقاف ، الآيتان : ١٣ ـ ١٤ .
(٣) سورة الأحقاف ، آية : ١٦ .
(٤) سورة ق ، آية : ٣١ .
(٥) سورة ق ، الآيتان : ٣٤ـ ٣٥ .

## ٣٣ ـ آيات سورة الذاريات :

أ ـ قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾[1].

## ٣٤ ـ آيات سورة الطور :

أ ـ قال جل جلاله :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾[2].

## ٣٥ ـ آيات سورة النجم :

أ ـ قال الله سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾[3].

---

(١) سورة الذاريات ، الآيتان : ١٥ ـ ١٦ .

(٢) سورة الطور ، الآيات : ١٧ ـ ٢٨ .

(٣) سورة النجم ، الآيات : ١٣ ـ ١٥ .

## ٣٦ ـ آيات سورة القمر :

أ ـ قال عز وعلا :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (١) .

## ٣٧ ـ آيات سورة الواقعة :

أ ـ قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ (٢) .

ب ـ وقال جل جلاله :

﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة القمر ، الآيتان : ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢) سورة الواقعة ، الآيات : ١٠ ـ ٤٠ .

(٣) سورة الواقعة ، الآيتان : ٨٨ ـ ٨٩ .

## ٣٨ ـ آيات سورة القلم :

أ ـ قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[١].

## ٣٩ ـ آيات سورة الحاقة :

أ ـ قال جل وعلا :

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[٢].

## ٤٠ ـ آيات سورة المعارج :

أ ـ قال الله عز وجل :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾[٣].

ب ـ وقال عز وعلا :

﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾[٤].

## ٤١ ـ آيات سورة المدثر :

أ ـ قال الله تعالى :

﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴾[٥].

---

(١) سورة القلم ، آية : ٣٤ .
(٢) سورة الحاقة ، الآيات : ٢١ ـ ٢٤ .
(٣) سورة المعارج ، الآيتان : ٣٤ ـ ٣٥ .
(٤) سورة المعارج ، آية ٣٨ .
(٥) سورة المدثر ، الآيات : ٣٩ ـ ٤١

## ٤٢ ـ آيات سورة القيامة :

أ ـ قال الله عز وجل :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[١] .

## ٤٣ ـ آيات سورة المرسلات :

أ ـ قال سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٢] .

## ٤٤ ـ آيات سوة النبأ :

أ ـ قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾[٣] .

## ٤٥ ـ آيات سورة النازعات :

أ ـ قال الله سبحانه :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[٤] .

## ٤٦ ـ آيات سورة عبس :

أ ـ قال عز وعلا :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾[٥] .

---

(١) سورة القيامة ، الآيتان : ٢٢ ـ ٢٣ .

(٢) سورة المرسلات ، الآيات : ٤١ ـ ٤٣ .

(٣) سورة النبأ ، الآيات : ٣١ ـ ٣٦ .

(٤) سورة النازعات ، الآيتان : ٤٠ ـ ٤١ .

(٥) سورة عبس ، الآيتان : ٣٨ ـ ٣٩ .

## ٤٧ ـ آيات سورة التكوير :

أ ـ قال الله عز وجل :

﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾[١].

## ٤٨ ـ آيات سورة المطففين :

أ ـ قال سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾[٢].

ب ـ وقال الله سبحانه :

﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾[٣].

## ٤٩ ـ آيات سورة البروج :

أ ـ قال الله عز وعلا :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾[٤].

## ٥٠ ـ آيات سورة الغاشية :

أ ـ قال الله جل جلاله :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لا تَسْمَعُ فِيهَا

---

(١) سورة التكوير ، الآيتان : ١٣ ـ ١٤ .
(٢) سورة المطففين : الآيات : ٢٢ ـ ٢٨ .
(٣) سورة المطففين ، الآيتان : ٣٤ ـ ٣٥ .
(٤) سورة البروج ، آية : ١١ .

لاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾(١).

## ٥١ ـ آيات سورة الفجر :

أ ـ قال الله عز وجل :

﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾(٢).

(١) سورة الغاشية ، الآيات : ٨ ـ ١٦ .
(٢) سورة الفجر ، الآيتان : ٢٩ ـ ٣٠ .

## مقارنة بين وصف الجنة فى السور المدنية والمكية :

إن مقارنة آيات وصف الجنة في السور المدنية والمكية تبين لنا أن وصف ورد في السور المكية أكثر من السور المدنية ... حيث ورد وصف الجنة أو ذكرها في إحدى وعشرين[1] سورة من السور المدنية ، بلغ عدد الآيات فيها ١١٢ آية ، ورد معظمها متفرقًا[2] في السورة الواحدة ، وقليل منها متسلسل[3] في السورة . كما ورد عدد منها منفرداً[4] . بينما ورد ذكر الجنة أو وصفها في إحدى وخمسين[5] سورة من السور المكية ... بلغ عدد آيات وصف الجنة أو ذكرها فيها ٢٢٢ آية ، ورد معظمها متسلسلاً[6] فـي السورة

---

(١) انظر : صحيفة ١٧ مما سبق .

(٢) انظر : سورة البقرة ، آية : ٢٥ ، ٣٥ ، ٨٢ ، ١١١ ، ٢٢١ ، ٢١٤ ، آل عمران ، آية : ١٥ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٨٥ ، ١٩٥، ١٩٨ . النســاء ، آية ١٣ ، ٥٧ ، ١٢٢ ، ١٢٤ . المائدة آية : ١٢ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٨٥ ، ١١٩ . التوبة ، آية : ٧٢ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١١١ . الرعد، آية : ٣٥ . الحج ، آية : ١٤ ، ٢٣ ، ٥٦ . محمد ، آية : ١٢ ، ١٥ . الفتح ، آية : ٥ ، ١٧ . الحديد ، آية : ١٢ ، ٢١ . التحريم ، آي : ٨ ، ١١ .

(٣) انظر : سورة آل عمران ، الآيات : ١٦٩ ـ ١٧١ . التوبة ، الآيتان : ٢١ ـ ٢٢ . الرعد ، الآيتان: ٢٣ ـ ٢٤ . محمد ، الآيتان : ٥ ـ ٦ . الرحمن ، الآيتان : ٤٦ ـ ٧٨ . الإنسان ، الآيتان : ٥ ـ ٦ ، الآيات : ١١ ـ ٢٢ . البينة ، الآيتان : ٧ ـ ٨ .

(٤) انظر : سورة السجدة ، آية : ١٩ . المجادلة ، آية : ٢٢ . الحشر ، آية : ٢٠ . الصف ، آية : ١٢. التغابن ، آية : ٩ . الطلاق ، آية : ١١ .

(٥) انظر صحيفة : ١٧ مما سبق .

(٦) انظر : سورة الأعراف ، الآيات : ٤٢ ـ ٥٠ . يونس ، الآيتان : ٩ ـ ١٠ ، والآيتان : ٢٥ ـ ٢٦ . الحجر ، الآيات : ٤٥ ـ ٤٨ . النحل ، الآيات : ٣٠ ـ ٣٢ . الكهف ، الآيتان : ٣٠ ـ ٣١ ، والآيتان : ١٠٧ ـ ١٠٨ . سورة مريم ، الآيات : ٦٠ ـ ٦٣ . طه ، الآيتان : ٧٥ ـ ٧٦ ، الأنبياء ، الآيات : ١٠١ ـ ١٠٣ . الفرقان ، الآيتان : ١٥ ـ ١٦ ، والآيتان : ٧٥ ـ ٧٦ ، الشعراء ، الآيتان : ٨٤ ـ ٨٥ . لقمان ، الآيتان : ٨ ـ ٩ ، فاطر ، الآيات : ٣٣ ـ ٣٥ . يس ، الآيتان : ٢٦ ـ ٢٧. والآيات : ٥٥ ـ ٥٨ . الصافات ، الآيات : ٤٠ ـ ٦٠ . ص ، الآيات : ٤٩ ـ ٥٤ . الزمر ، الآيتان : ٧٣ ـ ٧٤ . فصلت ، الآيات : ٣٠ ـ ٣٢ . الزخرف ، الآيات : ٦٩ ـ ٧٣ . الدخان ، الآيات : ٥٢ ـ ٥٧ . ق . الآيتان : ٣٤ ـ ٣٥ . الذاريات ، الآيتان : ١٥ ـ ١٦ . الطور ، الآيات : ١٨ ـ ٢٨ . النجم ، الآيات : ١٣ ـ ١٥ . القمر ، الآيتان : ٥٤ ـ =

الواحدة ، وقليل منها متفرق[1] في السورة ، وبعضها ورد منفرداً [2] . كما تبين المقارنة بين آيات السور المكية والمدنية في وصف الجنة : أن آيات السور المدنية في مجملها طويلة نسبيًا ، ولا تنتهي أغلبها بفاصلة موحدة . بينما كانت في السور المكية متفاوتة في الطول والقصر ، وتوافق الآيات أو تقاربها . حيث جاءت طويلة في ست وعشرين سورة منها أغلبها من السور الطوال [3] ... مع توافق فواصل الآيات أو تقاربها ... وجاءت قصيرة متوافقة الفواصل أو متقاربة في خمس وعشرين [3] سورة منها ، أغلبه من السور القصار . وذلك يبين أن آيات وصف الجنة أو ذكرها في السور المكية جاءت قصيرة متفقة في

---

= ٥٥ . الواقعة ، الآيات : ١٠ ـ ٤٠ ، والآيتان : ٨٨ ( ٨٩ . الحاقة ، الآيات : ٢١ ـ ٢٤ ، المعارج ، الآيتان : ٣٤ ، ٣٥ . المدثر ، الآيات : ٣٩ ـ٤١ . القيامة ، الآيتان : ٢٢ ـ ٢٣ . المرسلات ، الآيات : ٤١ ـ ٤٣ . النبأ ، الآيات : ٣١ ـ ٣٦ . النازعات ، الآيتان : ٤٠ ـ ٤١ . عبس ، الآيتان : ٣٨ ـ ٣٩ . التكوير ، الآيتان : ١٣ ـ ١٤ . المطففين ، الآيات : ٢٢ ـ ٢٨ ، والآيتان : ٣٤ ـ ٣٥ . الغاشية ، الآيات : ٨ ـ ١٦ . الفجر ، الآيتان : ٢٠ ـ ٣٠ .

(١) انظر : سورة الأعراف ، آية : ١٩ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٤٠ . هود ، آية : ٢٣ ، ١٠٨ . طه ، آية : ١١٧ ، ١٢١ . الفرقان ، آية : ٢٤ . الشعراء ، آية : ٩٠ . السجدة ، آية : ١٧ ، ١٩ ، الزمر ، آية : ٢٠ . غافر ، آية : ٨ ، ٤٠ . الشوري ، آية : ٧ ، ٢٢ . الأحقاف ، آية ١٤ ، ١٦ . ق ، آية : ٣١ . المعارج ، آية : ٣٨ .

(٢) انظر : سورة الأنعام ، آية : ١٢٧ . إبراهيم ، آية : ٢٣ . العنكبوت ، آية : ٥٨ . الروم ، آية : ١٥ . سبأ ، آية : ٣٧ . الجاثية ، آية : ٣٠ . القلم ، آية : ٣٤ . البروج ، آية : ١١ .

(٣) انظر : سورة الأنعام ، آية : ١٢٧ . الأعراف ، الآيات : ١٩ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٥٠ . يونس ، الآيات : ٩ ، ١٠ ، ٢٥ ، ٢٦ . هود ، الآيتـان : ٢٣ ، ١٠٨ إبراهيم ، آية : ٢٣ . الحجر ، الآيات : ٤٥ ـ ٤٨ . النحل ، الآيات : ٣٠ ـ ٣٢ . الكهف ، الآيات ٣٠ ـ ٣١ ، ١٠٧ ـ ١٠٨ . مريم ، الآيات : ٦٠ ـ ٦٣ . طه ، الآيتان : ٧٥ ـ ٧٦ ، الأنبياء ، الآيات : ١٠١ ـ ١٠٣ . الفرقان ، الآيات : ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٧٥ ، ٧٦ . العنكبوت ، آية : ٥٨ . الروم ، آية : ١٥ . لقمان ، الآيتان : ٨ ـ ٩ . السجدة ، الآيتان : ١٧ ـ ١٩ . سبأ ، آية : ٣٧ . فاطر ، الآيات : ٣٣ ـ ٣٥ . الزمر ، الآيات : ٢٠ ، ٧٣ ، ٧٤ . غافر ، الآيتان : ٨ ، ٤٠ . فصلت ، الآيات : ٣٠ ـ ٣٢ . الشورى ، الآيتان : ٧ ، ٢٢ . الزخرف ، الآيات : ٦٩ ـ ٧٣ . الجاثية ، آية : ٣٠ . الأحقاف ، الآيتان : ١٤ ، ١٦ . البروج ، آية : ١١ .

(١) انظر : سورة المؤمنون ، الآيتـان : ١٠ ـ ١١ . الشعـراء ، الآيات : ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٠ . يس ، الآيات : ٥٥ ـ ٥٨ . الصافات ، الآيات : ٤٠ ـ ٦١ . ص ، الآيات : ٤٩ ـ ٥٤ . الدخان ، الآيات : ٥٢ ـ ٥٧ . ق، الآيات : ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ . الذاريات، الآيتان : ١٥ ـ ١٦ . الطور، =

الفواصل غالباً لتكون أكثر تأثيراً في نفوس المسلمين الأوائل ،لتحبيبهم فيما عند الله من ألوان النعيم ، ولتبث الأمن والطمأنينة والصبر في قلوبهم لقاء ما يجدون من أنواع الاضطهاد والتعذيب من مشركي مكة ... أما في السور المدنية ، فإن المسلمين قد استقر بهم المقام في المدينة، وابتعدوا عن الذل والمهانة والتعذيب ... وقويت شوكتهم ، وتعمقت العقيدة في نفوسهم ... فأصبحوا أكثر تمعناً وتفكيراً في معاني الآيات ومراميها فناسب أن تأتي آيات وصف الجنة أو ذكرها طويلة ومتفرقة في السورة الواحدة وليست متوافقة الفواصل ...

ويتبين من مقارنة آيات وصف الجنة أو ذكرها في السور المكية والمدنية ، أن آيات السور المدنية جاءت في معظمها من الوصف المجمل للجنة ... أو جاءت فيها الإشارة للجنة بذكر اسمها فقط بغير وصف ، أو موصوفاً بوصف مجمل أو مفصل . والقليل منها جا فيها وصف الجنة مفصلاً ... حيث وصفت الجنة ... أوصافاً مجملة عامة ، تكرر فيها وصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار في سبع وعشرين آية من ست عشرة سورة مدنية[(١)] . كما وصفت بأوصاف أخري مجملة لم تتكرر كثيراً[(٢)] . كما ورد ذكر اسم الجنة بصيغة الإفراد أو التثنية ، أو جمع المؤنث السالم بغير وصف ، أو موصوفاً بأوصاف مجملة أو مفصلة في سبع وأربعين آية ، من ثمان عشرة سورة مدنية[(٣)] .

---

= الآيات : ١٨ ـ ٢٨ . النجم ، الآيات : ١٣ ـ ١٥ . القمر ، الآيتان : ٥٤ ـ ٥٥ . الواقعة ، الآيات : ١٠ ـ ٤٠ ، والآيتان : ٨٨ ـ ٨٩ . القلم ، آية : ٣٤ . الحاقة ، الآيات : ٢١ ـ ٢٤ . المعارج ، الآيات : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ . المدثر ، الآيتان : ٣٩ ـ ٤٠ . القيامة ، الآيتان : ٢٢ ـ ٢٣ . المرسلات ، الآيات : ٤١ ـ ٤٣ . النبأ ، الآيات : ٣١ ـ ٣٦ . النازعات ، الآيتان : ٤٠ ـ ٤١ . عبس ، الآيتان : ٣٨ ـ ٣٩ . التكوير ، الآيتان : ١٣ ـ ١٤ . المطففين ، الآيات : ٢٢ ـ ٢٨ . الغاشية ، الآيات : ٨ ـ ١٦ . الفجر ، الآيتان : ٢٩ ـ ٣٠ .

(١) انظر : سورة البقرة ، آية : ٢٥ . آل عمران ، الآيات : ١٥ ، ١٣٦ ، ١٩٥ ، ١٩٨ . النساء، الآيات : ١٣ ، ٥٧ ، ١٢٢ . المائدة ، الآيات : ١٢ ، ٨٥ ، ١١٩ . التوبة ، الآيات : ٧٢ ، ٨٩ ، ١٠٠ . الرعد ، آية : ٣٥ . الحج ، الآيتان : ١٤ ، ٢٣ . محمد ، آية : ١٢ ، الفتح ، الآيتان : ٥ ، ١٧ . الحديد ، آية : ١٢ ، المجادلة ، آية : ٢٢ . الصف ، آية : ١٢ . التغابن ، آية : ٩ . الطلاق ، آية : ١١ . التحريم ، آية : ٨ . البينة ، آية : ٨ .

(٢) انظر : سورة آل عمران ، الآيات : ١١٣ ، ١٦٩ ـ ١٧١ . الأنفال ، آية : ٤ . التوبة ، الآيتان : ٢١ ـ ٢٢ . الحديد ، آية : ٢١ . الطلاق ، آية : ١١ . الرنسان ، آية : ٢٠ .

(٣) انظر : سورة البقرة ، الآيات : ٢٥ ، ٣٥ ، ٨٢ ، ١١١ ، ٢١٤ ، ٢٢١ . آل عمران ، الآيات : ١٥ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٨٥ ، ١٩٥ ، ١٩٨. النساء ، الآيات : ١٣ ، ٥٧ ، ١٢٢، =

وذكر اسم الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم مضافًا إلى العدن أو النعيم أو المأوي في سبع آيات من سبع سور مدنية [(١)] . بينما وصفت الجنة بأوصاف مفصلة ، كوصف الرزق ، والطعام ، والشراب والآنية ، والملابس ، والحلي ، والنساء ، والغلمان ، والشجر ، والظل ، والظل ، والمناخ ، والمساكن ، والفراش ، والعيون ، والأنهار في اثنتين وثلاثين آية من عشر سور مدنية [(٢)] . كما وصف النعيم الروحي لأهل الجنة في اثنتي عشرة آية من تسع سور مدنية[(٣)] .

أما آيات وصف الجنة أو ذكرها في السور المكية ، فإن الوصف المفصل فيها أكثر من الوصف المجمل ... حيث ورد وصف الجنة وصفًا مجملاً تكرر فيه وصف الجنة بأنها تجري من تحتها الأنهار تسع مرات في تسع سور مكية [(٤)] . بينما وصفت الجنة بأوصاف أخري مجملة لم تتكرر كثيراً في سبع عشرة آية من اثنتي عشرة سورة مكية[(٥)] . كما ورد

---

= ١٢٤ . المائدة ، الآيات : ١٢ ، ٧٢، ٨٥ ، ١١٩ . التوبة ، الآيات : ٢١ ، ٧٢ ، ٨٩ ، ١٠٠، ١١١ . الرعد ، آية : ٣٥ . الحج ، الآيتان : ١٤ ، ٢٣ . محمد ، الآيات : ٥ ، ٦ ، ١٢، ١٥. الفتح ، الآيتان : ٥ ، ١٧ . الرحمن ، الآيتان : ٤٦ ، ٦٢ . الحديد ، الآيتان : ١٢ ، ٢١ . المجادلة ، آية : ٢٢ . الحشر ، آية : ٢٠ . الصف ، آية : ١٢ . التغابن ، آية : ٩ . الطلاق ، آية : ١١ . التحريم ، الآيتان : ٨ ، ١١ . الإنسان ، آية : ١٢ .

(١) انظر : سورة المائدة ، آية : ٦٥ . التوبة ، آية : ٧٢ . الرعد ، آية : ٢٣ . الحج ، آية : ٥٦ . السجدة ، آية : ١٩ . الصف ، آية : ١٢ . البينة ، آية : ٨ .

(٢) انظر : سورة البقرة ، آية : ٢٥ . آل عمران ، آية : ١٥ ، النساء ، آية : ٥٧ . التوبة ، آية : ٧٢ ، الرعد ، آية : ٣٥ . الحج ، آية : ٢٣ . محمد ، آية : ١٥ . الرحمن ، الآيات : ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ . الصف ، آية : ١٢ . الإنسان ، الآيات : ٥ ، ٦ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ .

(٣) انظر : سورة آل عمران ، آية ١٥ . المائدة ، آية : ١١٩ . التوبة ، الآيات : ٢١ ، ٧٢ ، ١٠٠ . الرعد ، الآيتان : ٢٣ ـ ٢٤ . الحديد ، آية : ١٢ . المجادلة ، آية : ٢٢ . التحريم ، آية : ٨ . الإنسان ، آية : ١١ . البينة ، آية : ٨ .

(٤) انظر : سورة الأعراف ، آية : ٤٣ . يونس ، آية : ٩ . إبراهيم ، آية : ٢٣ . النحل ، آية : ٣١ . الكهف ، آية : ٣١ . طه ، آية : ٧٦ . العنكبوت ، آية : ٥٨ . الزمر ، آية : ٢٠ . البروج ، آية: ١١ .

(٥) انظر : سورة النحل ، آية : ٣٢ . مريم ، آية : ٦٢ . الفرقان ، الآيات : ١٦ ، ٢٤ ، ٧٦ . =

اسم الجنة بصيغة الإفراد ، وصيغة جمع المؤنث السالم مجرداً من الوصف أو موصوفًا بصفة عامة أو من الأوصاف المفصلة في ثمان وثلاثين آية من ثلاث وعشرين سورة مكية [1].

كما ورد اسم الجنة بصيغة الإفراد ، وصيغة جمع المؤنث السالم مضافًا إلى النعيم ، أو إلى العدن ، أو الفردوس ، أو الخلد ، أو المأوي في تسع عشرة آية من سبع عشرة سورة مكية [2]. بينما ذكرت الجنة بالإشارة إليها ببعض الصفات الخاصة بها ، بأن سميت الجنة باسم المأوي والفردوس ، والدرجات العلي ، ودار السلام ، ودار المقامة ، والرحمة ، والروضة ، والمفازة ، والنعيم ، في إحدي عشرة آية من إحدي عشرة[3] سورة مكية .

كما ذكر اسم الجنة بصيغة الإفراد ، وصيغة جمع المؤنث السالم معطوفًا عليه بعض الصفات المجملة للجنة ، كما في جنات وعيون ، جنات ونهر ، جنات ونعيم .

---

= السجدة ، آية : ١٧ . فصلت ، آية : ٣٢ . الزخرف ، آية : ٧١ . الجاثية ، آية : ٣٠ . ق ، آية ٣١ . الواقعة ، الآيتان : ٢٥ ، ٢٦ . الحاقة ، الآيتان : ٢١ ، ٢٢ . النبأ ، آية : ٣٦ . الغاشية ، الآيتان : ١٠ ، ١١ .

(١) انظر : سورة الأعراف ، الآيات : ١٩ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠. يونس ، آية : ٢٦ . هود ، الآيتان : ٢٣ ، ١٠٨ . إبراهيم ، آية : ٢٣ . النحل ، آية : ٣٢. مريم ، الآيتان : ٦٠ ، ٦٣ . طه ، الآيتان : ١١٧ ، ١٢١ . الفرقان ، آية : ٢٤ . الشعراء ، آية : ٩٠ . العنكبوت ، آية : ٥٨ . يس ، آية : ٢٦ . الزمر ، الآيتان : ٧٣ ، ٧٤ . غافر ، آية : ٤٠ فصلت ، آية : ٣٠ . الشوري ، آية ٧ . الزخرف ، الآيتان : ٧٠ ، ٧٢ . الأحقاف ، الآيتان : ١٤ ، ١٦. ق، آية : ٣١ . المعارج ، آية : ٣٥ ، المدثر ، آية : ٤٠ . التكوير ، آية : ١٣ . البروج ، آية : ١١ . الفجر ، آية : ٣٠ .

(٢) سورة يونس ، آية : ٩ . النحل ، آية : ٣١ . الكهف ، الآيتان : ٣١ ، ١٠٧ . مريم ، آية : ٦١. طه ، آية : ٧٦ . الفرقان ، آية : ١٥ . الشعراء ، آية : ٨٥ . لقمان ، آية : ٨ . السجدة ، آية : ١٩ . فاطر ، آية : ٣٣ . الصافات ، آية : ٤٣ . ص ، آية : ٥٠ . غافر ، آية : ٨ . النجم ، آية : ١٥ . الواقعة ، الآيتان : ١٢ ، ٨٩ . القلم . آية : ٣٤. المعارج ، آية : ٣٨ .

(٣) انظر : سورة الأنعام ، آية : ١٢٧ . يونس ، آية : ٩ . طه ، آية : ٧٥ ، المؤمنون ، آية : ١١ . الروم ، آية : ١٥ . فاطر ، آية : ٣٥ . الشوري ، آية : ٢٢ . الجاثية ، آية : ٣٠ . النبأ ، آية : ٣١ . النازعات ، آية : ٤١ . المطففين ، آية : ٢٢ .

في خمس آيات من خمس[1] سور مكية .

أما الصفات المفصلة للجنة فقد وردت كثيراً في السور المكية ، وورد أكثرها متسلسلاً في السورة الواحدة منها في سبع عشرة سورة[2] مكية . حيث وصفت الآيات المكية فيها المساكن والغرف ، والفراش ، والطعام والشراب ، والآنية ، والملابس ، والحلي ، والنساء ، والغلمان . والمناخ ، والظلال ، والشجر ، والرزق ، والنعيم الروحي، الذي بينت فيه الآيات المكية الكريمة ، التبشيرُ بالجنة ، والتحية فيها ، والترحيب بأهلها، ونضرة وجوه أهلها واستبشارهم ، وحوار أهل الجنة مع بعضهم بعض ، وحوارهم مع أهل النار ، والرضي المتبادل بين الله عز وجل وبينهم ، وأمنهم من الخوف والفزع يوم القيامة .

وقد جاء الوصف المفصل لأنواع النعيم الحسي والروحي في آيات كثيرة ، فصّلت كل نوع من أنواع النعيم الحسي والروحي في الآيات المكية حيث وصف الطعام والشراب وآنيتهما في ثلاث وثلاثين آية من اثنتي عشرة سورة مكية[3] ... كما وصفت

---

(١) انظر : سورة الحجر ، آية : ٤٥ . الدخان ، آية : ٥٣ . الذاريات ، آية : ١٥ . الطور ، آية : ١٨ . القمر ، آية : ٥٤ .

(٢) انظر : سورة الأعراف ، الآيات : ٤٠ ـ ٥٠ . يونس ، الآيات : ٩ ، ١٠ ، ٢٥ ، ٢٦ . الحجر ، الآيات : ٤٥ ـ ٤٨ . الكهف ، الآيتان : ٣٠ ـ ٣١ . الأنبياء ، الآيات : ١٠١ ـ ١٠٣ . الفرقان ، الآيتان : ٧٥ ـ ٧٦ . فاطر ، الآيات : ٣٣ ـ ٣٥ . يس ، الآيات : ٥٥ ـ ٥٨ . الصافات ، الآيات : ٤٠ ـ ٦١ . ص ، الآيات : ٤٩ ـ ٥٤ . الزمر ، الآيتان : ٧٣ ـ ٧٤ . فصلت ، الآيات : ٣٠ ـ ٣٢ . الزخرف ، الآيات : ٦٩ ـ ٧٣ . الدخان ، الآيات : ٥٢ ـ ٥٧ . الطور ، الآيات : ١٨ ـ ٢٨ . الواقعة ، الآيات : ١٠ ـ ٤٠ ، والآيتان : ٨٨ ـ ٨٩ . الحاقة ، الآيات : ٢١ ـ ٢٤ . القيامة ، الآيتان : ٢٢ ـ ٢٣ . المرسلات ، الآيات : ٤١ ـ ٤٣ . النبأ . الآيات : ٣١ ـ ٣٦ . عبس ، الآيتان : ٣٨ ـ ٣٩ . المطففين ، الآيات : ٢٢ ـ ٢٨ ، الآيتان : ٣٤ ، ٣٥ . الغاشية ، الآيات : ٨ ـ ١٦ .

(٣) انظر : سورة يس ، آية ٥٧ . الصافات ، الآيات : ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ . ص ، آية : ٥١ . الزخرف ، الآيتان : ٧١ ، ٧٣ . الدخان ، آية : ٥٥ . الطور ، الآيات : ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣. الواقعة ، الآيات : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ . الحاقة ، الآيتان : ٢٣ ، ٢٤ . المرسلات ، الآيتان : ٤٢ ، ٤٣ . النبأ ، الآيتان : ٣٤ ، ٣٥ . المطففين ، الآيات ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ . الغاشية ، الآيتان : ١٢ ، ١٤ .

الملابس والحلي في ثلاث آيات من ثلاث سور مكية [١]. كما وصفت المساكن والغرف في ست آيات من خمس سور مكية [٢].ووصفت الآيات المكية نساء الجنة والغلمان فيها في خمس عشرة آية من ثمان سور مكية [٣]. كما وصف فراش الجنة في إحدي عشرة آية من ثمان[٤] سور مكية . ووصفت السور المكية المناخ في الجنة وظلالها وأشجارها في تسع آيات من ست[٥] سور مكية . كما وصفت السور المكية الرزق في الجنة في خمس آيات من خمس[٦] سور مكية . كما وصف النعيم الروحي لأهل الجنة في ست وستين آية من اثنتين وعشرين[٧] سورة مكية .

ويتبين من هذا الإحصاء لآيات وصف الجنة في السور المكية أن الآيات المكية لم

(١) انظر : سورة الكهف ، آية : ٣١ . سورة فاطر ، آية : ٣٣ . الدخان ، آية : ٥٣ .

(٢) انظر : سورة الفرقان ، آية : ٧٥ . العنكبوت ، آية : ٥٨ . سبأ ، آية : ٣٧ . ص ، آية ٥٠ . الزمر ، الآيتان : ٢٠ ، ٧٣ .

(٣) انظر : سورة يس ، آية : ٥٦ . الصافات ، الآيتان : ٤٨ ، ٤٩ . ص ، آية : ٥٢ . الزخرف ، آية: ٧٠ . الدخان ، آية : ٥٤ . الطور ، الآيتان : ٢٠ ، ٢٤ . الواقعة ، الآيات : ١٧ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ . النبأ ، آية : ٣٣ .

(٤) انظر : سورة الحجر ، آية : ٤٧ . الكهف ، آية : ٣١ . يس ، آية : ٥٦ . الصافات ، آية : ٤٤ . الطور ، آية : ٢٠ . الواقعة ، الآيات : ١٥ ، ١٦ ، ٣٤ . المطففين ، الآيتان : ٢٣ ، ٣٥ . الغاشية ، الآيات : ١٣ ، ١٥ ، ١٦ .

(٥) انظر : سور الروم ، آية : ١٥ ، يس ، آية : ٥٦ . الشوري ، آية : ٢٢ . الواقعة ، الآيات : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٨٩ . المرسلات ، آية : ٤١ . النبأ ، آية : ٣٢ .

(٦) انظر : سورة الأعراف ، آية : ٥٠ . مريم ، آية : ٦٢ . الصافات ، آية : ٤١ . ص ، آية : ٥٤ . غافر ، آية : ٣٢ .

(٧) انظر : سورة الأعراف ، الآيات : ٤٣ ـ ٥٠ . يونس ، الآيات : ٩ ، ١٠ ، ٢٥ ، ٢٦ . إبراهيم ، آية : ٢٣ . الحجر ، الآيات : ٤٥ ـ ٤٨ . النحل، آية : ٣٢ . الأنبياء ، الآيات : ١٠١ ـ ١٠٣. الفرقان ، آية : ٧٥ . فاطر ، الآيتان : ٣٤ ، ٣٥ . يس ، الآيات : ٢٦ ، ٢٧ ، ٥٨ . الصافات ، الآيات : ٥٠ ـ ٦١ . الزمر ، الآيتان : ٧٣ ، ٧٤ . غافر ، آية : ٨ . فصلت ، الآيات : ٣٠ ـ ٣٢ . الدخان ، آية : ٥٦ . الأحقاف ، آية : ١٤ . ق ، الآيتان : ٣٤ ، ٣٥ . الطور ، الآيات : ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ . المدثر ، الآيات : ٣٩ ـ ٤١ . القيامة ، الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ . عبس ، الآيتان : ٣٨ ، ٣٩ . المطففين ، آية : ٢٤ ، الغاشية ، الآيتان : ٨ ، ٩ .

تدع جانباً من جوانب وصف الجنة المجمل أو المفصل ، كما لم تدع اسمًا من أسماء الجنة سواء المجرد من الوصف والإضافة أو الموصوف أو المعطوف عليه إلا ذكرته وبينته . حيث ذكر ـ سبحانه وتعالى ـ كل اسم من أسماء الجنة ، وصفاتها المجملة ، وفصّل ـ عز وجل ـ في صفات الطعام ، والشراب ، واللباس ، والحلي ، والنساء ، والغلمان ، والمساكن ، والغرف ... ووضّح ـ سبحانه ـ كل ما ينعم به أهل الجنة من ألوان النعيم الروحي فيها ... مما يدل على أن الإجمال والتفصيل في وصف الجنة قد جاء واسعًا مفصلاً حتى كان كافيًا ، ومفصلاً لكل ما يتعلق بوصفها في الآيات المكية التي كانت الدعوة إلى الإسلام فيها في بدايتها ... حيث كان المسلمون الأوائل في حاجة وتطلع إلى ما أعد الله ـ عز وجل ـ لبعداه المتقين الصابرين من أنواع المتاع الحسي والروحي في الآخرة ...

أما الآيات المدنية في وصف الجنة فإنها كانت قليلة بالنسبة لما جاء في السور المكية من وصفها ... كما أن التفصيل في الآيات المدنية أقل من الإجمال فيها ... بينما كان الإجمال في الآيات المكية أقل من التفصيل فيها ... مما يدل على أن الله ـ عز وعلا ـ قد فصّل كثيرًا في الآيات المكية ، وأجمل كثيرًا في الآيات المدنية ... ليكون الإجمال في المدني إشارة إلى ما ورد من التفصيل في المكي . كما أن الإشارة إلى أسماء الجنة قد وردت كثيرًا في الآيات المكية ، بينما كانت قليلة في الآيات المدنية ... وذلك لأن الناس قد عرفوا في الآيات المكية كل أسماء الجنة التي بينتها الآيات ... لذا فإن الإشارة إليها كانت قليلاً في الآيات المدنية ، حيث أصبح العلم بها متحققًا في الآيات المكية .

# الباب الأول

# الوصف الحسي للجنة

وهو في فصلين :

**الفصل الأول : الوصف المجمل للجنة**

**الفصل الثانى : الوصف المفصل للجنة**

# الفصل الأول

# الوصف المجمل للجنة

# الفصل الأول

## الوصف المجمل للجنة في القرآن الكريم

ورد ذكر الجنة في سورعديدة من القرآن الكريم ، بأساليب مختلفة ، متفاوتة بين الإيجاز والإطناب ، والإجمال والتفصيل ، فمنها ما يقدم صورة مجملة عامة للجنة ، ومنها ما يفصل في الصورة . وفي كل من الإجمال والتفصيل نجد ألواناً كثيرة . ففي الإجمال مثلاً ، وهو محل بحثنا الآن نجد الآيات تأتي في صور متعددة يمكن أن نقسمها على النحو التالي :

آيات فيها ذكر للفظ الجنة فقط . وأخري تصور السعة والعظمة ، وثالثة تبين أنها تجري من تحتها الأنهار ، ورابعة تذكر أنها مسكن ونزل للمتقين . وبعضها يصف الخلود فيها ، والأخري تذكر الجنة والنعيم المقيم والملك الكبير فيها ، وأنها درجات ومنازل ، وأن حقيقة نعيمها خافية عن كل النفوس ... وقد تختلف هذه الأوصاف المجملة ، وقد تتكرر في مواضع عدة للتقرير والتأكيد .

وسنعرض الآن لبعض هذه الآيات ، لنعرف كيفية التدرج والتكامل بينها لرسم الصورة العامة في وصف الجنة .

ولدراسة هذه الآيات ينبغي أن تُقسّم إلى أقسام هي : آيات ورد فيها لفظ الجنة منكرًا ، وأخري ورد فيها لفظ الجنة معرّفاً بأل . وثالثة ورد فيها لفظ الجنة معرّفاً بالإضافة .

### أولاً. لفظ الجنة منكرًا :

وهي الآيات الكريمة التي ورد فيها لفظ الجنة نكرة في صيغة المثني أو جمع المؤنث السالم :

#### ١ ـ لفظ الجنة منكّرًا بصيغة المثنى :

وقد وردت كلمة الجنة نكرة بصيغة التثنية كما في قوله سبحانه :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[1].

وقوله عز وجل :

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾[2].

والذي يلحظ في الآيتين الكريمتين أن كلمة ( جنتان ) هنا جاءت نكرة مثناة ، ثم جاء بعدهما وصف تفصيلي لكل جنتين على حده . مما يؤكد أن هناك أربع جنات ... جنتان للسابقين المقربين ، والأخريان دونهما لمن دونهم من أصحاب اليمين ، وقد فصّل المفسرون[3] في تقسيم هاتين الجنتين فقال أكثرهم : إحداهما منزلة ومحل زيارة أحبابه له ، والأخري منزل أزواجه وخدمه . أو بستان داخل قصره ، وبستان خارجه ، أو مزلان ينتقل من أحدهما إلى الآخر لتتوفر دواعي لذته ، وتظهر ثمار كرامته ، أو جنة لعقيدته ، وجنة لعمله . أو جنة لفعل الطاعات ، وجنة لترك المعاصي ، أو جنة يثاب بها، وأخري يتفضل بها عليه . أو إحداهما روحانية ، والأخري جسمانية . أو جنة عدن ، وجنة نعيم . أو جنة للخائف الإنسي ، وجنة للخائف الجني . ولا يهمنا هنا التفصيل في تعيين المراد بقدر ما يهمنا السر في التنكير والتثنية في ذكر الجنة هنا ، وهو ـ والله أعلم ـ للتدليل على كثرة الجنات التي يَعِدُ بها ربُّ العالمين ، فالآيتان هنا تدلان على وجود أربع جنات تختلف مستوياتها باختلاف مراتب المتقين ، وفي آيات أخري بيّن سبحانه أنها جنات على نحو قوله سبحانه :

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾[4].

وهذا يثبت أن الجنة التي يَعِدُ بها ربُّ العالمين كثيرة ... وقد وردت في القرآن

---

(١) سورة الرحمن ، آية : ٤٦ .

(٢) سورة الرحمن ، آية : ٦٢ .

(٣) انظر : تفسير البغوي جـ٤ ص٢٧٣ ـ ٢٧٦ . الكشاف جـ٤ ص ٥٤ . التفسير الكبير جـ٩ ص ١٢٢ ـ ١٢٣ . تفسير النسفي جـ٣ ص٤٥٩ . البحر المحيط جـ٨ ص١٩٦ ـ ١٩٨ . تفسير أبي السعود جـ٨ ص١٨٤ . حاشية الشهاب جـ٨ ص١٣٧ . روح المعاني جـ٢٧ ص١١٦ ـ ١٢١ .

(٤) سورة التوبة ، آية : ٢١ .

الكريم بصيغة الإفراد والتثنية ، والجمع لتدلل على كثرة هذه الجنات وتنوعها ... هذا بالإضافة إلى ما في التثنية هنا من مراعاة التناسق اللفظي في سورة الرحمن ... فالتثنية هنا تجمع بين عمق المعني وجمال الإيقاع ... وقد ألمح الفخر الرازي إلى سر التنكير والتثنية في الآيتين بقوله : « والتنكير في الثواب بالجنة إشارة إلى كثرة المراتب التي لا تحد ونعمه التي لا تعد »[1].

وقوله : « إنه تعالى ذكر الجنة والجنات فهي لا تصال أشجارها ومساكنها وعدم وقوع الفاصل بينها كمهامه وقفار ، صارت كجنة واحدة ، ولسعتها وتنوع أشجارها وكثرة مساكنها كأنها جنات ولاشتمالها على ما تلتذ به الروح والجسم كأنها جنتان»[2].

فالتنكير يفيد السعة والعظمة التي لا تحد جوانبها ولا يدرك كنهها عقل ، ولا يصل إلى وصفها خيال ، كما أشار رحمه الله ... ولكن التثنية ليست لمجرد اشتمالها على ما تتمتع به الروح والجسم كما يفهم من كلامه ـ يرحمه الله ـ ، ذلك لأن اعتماد قوله يجعل للعدد اعتبارات معنوية ليس لها قيمة لفظية ... فالتثنية هنا ليست لمجرد اشتمالها على ما تتمتع به الروح والجسم فحسب ، وإلا لما قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾[3].

ليدل على اختلاف مراتب الجنات ... ثم إن الجنة في الإفراد والتثنية والجمع تدل صفاتها التي وردت في القرآن الكريم على اشتمالها على ما تلتذ به الروح والجسم .

### ب ـ لفظ الجنة منكرًا بصيغة جمع المؤنث السالم :

ومن الآيات التي ورد فيها لفظ الجنة منكرًا بصيغة جمع المؤنث السالم قوله تعالى :

﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾[4].

---

(١) التفسير الكبير ، جـ٢٩ ص١٢٢ .
(٢) التفسير الكبير ، جـ٢٩ ص١٢٣ .
(٣) سورة الرحمن ، آية : ٦٢
(٤) سورة المدثر ، الآيتان : ٣٩ ، ٤٠

وقوله سبحانه :

﴿ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴾[1].

فقد وردت كلمة الجنة نكرة دون وصف أو تعريف في الآية الأولى ، والإبهام مع التنوين هنا يعطي الخيال مجالاً أرحب في تصوير هذه الجنات وتخيلها ، فهي جنات لا يصل إلى وصفها أسلوب ولا يتخيلها في كمالها عقل وذلك ما بينه المفسرون[2] بقولهم : لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها . فللتنكير والتنوين هنا فائدة أعظم من التعريف ، فهو يعطينا صورة أوسع وأشمل لهذه الجنات ، فهي جنات عظيمة ذات صفات تكد الذهن في تأمل حقيقتها وتخيل صورتها .

وقد أشار الشهاب إلى مغزي التنوين هنا بقوله : « يشير إلى أن تنوينه للتعظيم »[3].

وفي الآية الثانية ، وهي :

﴿ أولئك فى جنات مكرمون ﴾

فالتنكير مع التنوين يفيد العظمة ، ويعطي الخيال مجالاً واسعًا في تخيل هذه الجنات التي لا يصل إلى وصفها وصف . وقد ألمح أبو السعود إلى هذا المعنى بقوله : «أي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها »[4]. ثم إن كلمة (مكرمون) تفيد زيادة في وصف نعيم الجنة ، فهي بما فيها من الظل والراحة وألوان النعيم الحسي ، يجد أهلها راحة نفسية بالتكريم ، فيكون هذا زيادة في وصف هذا النعيم ، وقد لحظ الأستاذ سيد قطب هذا المعني ، فأشار إليه بقوله : « ويجمع هذا النص القصير بين لون من النعيم الحسي ولون من النعيم الروحي ، فهم في جنات ، وهم

---

(١) سورة المعارج ، آية : ٣٥ .

(٢) انظر : الكشاف حـ٤ ص١٦١ : التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ج٣٠ ص٢١٠ ، تفسير النسفي جـ٣ ص٦١٨ . تفسير أبي السعود ٩ ص٦١ .حاشية الشهاب جـ٨ ص٢٧٩ . روح المعاني ، جـ٢٩ ص١٣٢ .

(٣) حاشية الشهاب جـ٨ ص٢٧٩ .

(٤) تفسير أبي السعود ، جـ٩ ص ٣٤ . ويتبعه الألوسي في روح المعاني جـ٢٩ ص٦٤ .

يلقون الكرامة في هذه الجنات . فتجتمع لهم اللذة بالنعيم مع التكريم »[1] .

وقد ورد لفظ الجنة نكرة في صيغة جمع المؤنث السالم ، كما في قوله تعالي :

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾[2] .

فإن تنكير (جنات) في الآية يفيد السعة والعظمة أيضًا ، فهي جنات لا يصل إلى وصفها واصف ، ولا يدرك كنهها عقل ، كما أشار الزمخشري بقوله : « وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرّف »[3] ولكن جملة الصفة التي أتت بعدها ، وهي قوله عز وجل :

﴿ ... لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾[4] .

أعطت لفظ ـ(جنات) في الآية الكريمة زيادة في التخصيص والإيضاح ؛ حيث إن جملة الصفة وما فيها من التأكيد تعطي لهذه الجنات صورة النعيم الخالد الذي لا يزول عن أهلها أبدًا . ولا يخفي ما يفيده أسلوب الحصر من تخصيص أهل هذه الجنات بالنعيم المقيم . ثم إن اختيار كلمة (نعيم) يفيد المبالغة في النعمة ، وقد أشار الفخر الرازي إلى بلاغة جملة الصفة هذه بقوله : « وقوله ( فيها نعيم ) إشارة إلى كون المنافع خالصة من المكدورات لأن النعيم مبالغة في النعمة ، ولا معني للمبالغة في النعمة إلا خلوها عن ممازجة الكدورات ، وقوله ( مقيم ) عبارة عن كونها دائمة غير منقطعة . ثم إنه تعالى عبر عن دوامها بثلاث عبارات : أولها : ( مقيم ) ، وثانيها : ( خالدين فيها ) ، وثالثها قوله : ( أبدا ) فحصل من مجموع ما ذكرنا أنه تعالى يبشر هؤلاء المؤمنين المهاجرين المجاهدين بمنفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم »[5] .

ثم إن لفظ الجنة ورد نكرة بصيغة جمع المؤنث السالم معطوفًا عليه ، مما يعطيه شيئًا من الوصف ، كما في قوله سبحانه :

---

(١) في ظلال القرآن جـ٦ ص٣٧٠٢ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ٢١ .

(٣) الكشاف ، جـ٢ ص ١٤٤ ، ويتبعه في ذلك البيضاوي في حاشية الشهاب جـ٤ ص٣١٢ .

(٤) سورة التوبة ، الآيتان : ٢١ ـ ٢٢ .

(٥) التفسير الكبير ، جـ١٦ ص١٥ .

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾[1].

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾[2].

فجاءت لفظة ( جنات ) نكرة معطوفًا عليها (عيون) و (نهر) ، فما الفرق بينهما؟ وما سر الجمع مع التنكير في كلمة (جنات) ؟ ، وما معني العطف في (عيون) و (نهر) ؟.

يتبين هذا من مراجعة صياغة الآية الكريمة ، فقوله تعالى : ( إن المتقيم في جنات وعيون ) يفيد : أنه تعالى يعطي المتقي جزاء التقوي جنات عظيمة وارفة الظلال ، لا يمكن حصرها ، ولا يعرف قدرها ولا يمكن تخيلها . فالتنكير يفيد التعظيم ، أما الجمع فيفيد الكثرة الزائدة ، فهي ليست كجنات الدنيا يمكن حصرها أو تصورها ، كما يدل أيضًا على الكرم الإلهي عند الإعطاء ، فهو يعطي بالجمع ، فجاءت (جنات) ، أما الوعد فإنه يعد بالإفراد ... ذلك أن الوعد إذا كان بالإفراد ، ثم كان الإعطاء بالجمع فهذا من الكرم الإلهي ، وهذا من دقة التعبير القرآني وبلاغته ، وهو ما أشار إليه الفخر الرازي بقوله : « نقول ههنا : الله ـ تعالى ـ عند الوعد وحد الجنة ، ... وعند الإعطاء جمعها إشارة إلى أن الزيادة في االوعد موجودة ، والخلاف ما لو وعد بجنات ثم كان يقول إنه في جنة لأنه دون الوعد »[3] .

ثم إن التنكير مع الجمع في كلمة (جنات) هنا مع أنها معروفة عند المسلمين ، ولا يجهلون صفتها يفيد تعظيم هذه الجنات وزيادة عددها ، وقد ألمح إلى هذا المعني الفخر الرازي بقوله : « وأما حكمة الجمع فلأنها بالنسبة إلى الدنيا ، وبالإضافة إلي جناتها جنات لا يحصرها عدد ... والتنكير مع أنها معرفة للتعظيم »[4].

---

(١) سورة الذاريات : آية : ١٥ .

(٢) سورة القمر ، آية : ٥٤ .

(٣) التفسير الكبير ، جـ٢٨ ص٢٠٠ .

(٤) التفير الكبير ، جـ٢٨ ص ٢٠٠ .

أما العطف في قوله تعالى : ( وعيون ) فهو يعطي لهذه الجنات التي لا يتخيل وصفها عقل ، ولا يدرك كنهها تدبر وتفكير زيادة في الوصف ، حيث يبين العطف أن الجنة تتفجر فيها العيون ، وتنساب متشبعة في جوانبها ، والإنسان المتقي الذي وعده الله بهذه الجنات يجلس خلال هذه الجنات ، وخلال عيونها المنسابة في كل جهاتها ... ومهما أوتي الإنسان من قوة التخيل فلن يستطيع وصف جمال هذه الجنات وسحرها . فهي ممتدة في الأفق الواسع البعيد ، فلا يصل إلى نهايتها بصر ، وهي ظليلة كثيرة الشجر ملتفة الأغصان ممتدة الظل ، فيها العيون الكثيرة التي تتفجر في ساحاتها المنبسطة الواسعة ، وتنساب في أرجائها المختلفة ...

ومهما كان وصف الواصف لهذه الجنات فلن يستطيع تصورها عقل أبداً [1] .

وكذلك الأمر في قوله سبحانه :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾[2] .

فكلمة ( جنات ) جاءت نكرة وجمع مؤنث سالم ، لتفيد المعنى السابق نفسه ، أما العطف بالواو : ( ونهر ) ، فقد ذكر المفسرون[3] عدة معانٍ له . فهو إما أن يكون مفرد أنهار ، ووحّده لأجل رؤوس الآي ، وإما أراد السعة والضياء من النهار ، وإما جمع النهار بمعنى : أنه لا ليل في الجنة ولا ظلمة ، وإما جمع نهر كأسد وأُسد .

وأقرب هذه المعاني أن يكون مفرد أنهار ؛ ذلك أن إرادة السعة والضياء من النهار بعيدة، إذ لا ليل في الجنة ولا ظلمة ، وليس له زيادة فائدة في وصف الجنة ، وكذلك جمع نَهْر فإنه بعيد أيضاً .

أما أن يكون (نهر) مفرد أنهار فإنه أقرب هذه المعاني في تفسير الآية ، ولكن أفراده

(١) انظر التفسير الكبير ، جـ٢٨ ص٢٠٠ . تفسير النسفي جـ٣ ص٤١٥ . تفسير أبي السعود جـ٨ ص١٣٨ . روح المعاني ، جـ٢٧ ص٧ .

(٢) سورة القمر ، آية : ٥٤ .

(٣) انظر : تفسير البغوي جـ٤ ص٢٦٦ . الكشاف جـ٤ ص٤٩ . التفسير الكبير جـ٢٩ ص٧٨ . تفسير النسفي جـ٣ ص٤٥١ . البحر المحيط جـ٨ ص١٨٤ . تفسير أبي السعود جـ٨ ص٥ . حاشية الشهاب جـ٨ ص١٢٩ . روح المعاني جـ٢٧ ص٩٥ .

ليس لمجرد مراعاة فواصل الآي كما أشار بعض المفسرين [(١)]... بل إن الإفراد هنا ليحدث التناسق بين جرس اللفظ وإيقاع المعني [(٢)]. فالإفراد في قوله تعالى : ( ونهر ) هنا مع التنكير والعطف بالواو يفيد أن المتقي يجلس في الجنة عند نهر عظيم واسع هو أعظم الأنهار وأحسنها ، ولا يمكن أن يجلس إنسان عند عدة أنهار ، إنما عند نهر أو نهرين فحسب .

وكذلك الحال في الجنة ؛ لأن الله ـ سبُحانه ـ يصف نعيم الجنة بما نفهمه في الدنيا [(٣)].

وقد تشابهت الآيتان الكريمتان في كونهما توضحان جزاء المتقين . ففي الأولى تبيّن أن المتقين في جنات وعيون ، والثانية تبيّن أنهم في جنات ونهر . فكيف يكون الجمع بين العيون والأنهار ؟. والجواب أنه لا تناقض بين وجود الأنهار والعيون في الجنة؛ وذلك أن العيون تتفجر ثم تنساب على سطح الأرض ماءً يكوِّن الأنهار ، فالنهر مع وحدته يمكن أن يجتمع مع العيون الكثيرة ... ووصف الجنة في القرآن الكريم مقترن دائمًا بالماء ذلك أن النهر أو مجري الماء في البستان في الدنيا يعطي لهذا البستان جمالاً رائعًا ، فكيف إذا كان ذلك في الجنة ؟.. والله ـ سبحانه ـ إنما يصف لنا الجنة بما نعرفه من أمر الدنيا ليقرب لنا صفتها ... وقد جاء وصفها في الآيتين الكريمتين السابقتين مع تقاربهما وقصرهما وصفاً دقيقاً جامعاً يعطي مجالاً واسعاً في تخيل صفة الجنة .

## ثانيًا. لفظ الجنة معرفًا بأل :

### أ ـ لفظ الجنة معرفًا بأل بصيغة المفرد :

نجد آيات عديدة ورد فيها لفظ الجنة معرفًا بأل فقط صفة أو إضافة ، مثل قوله

---

(١) منهم تفسير البغوي جـ٤ ص٢٦٦ . تفسير أبي السعود جـ٨ ص١٧٥ . حاشية الشهاب جـ٨ ص١٢٩. روح المعاني جـ٢٧ ص٩٥ .
(٢) في ظلال القرآن ، جـ٦ ص٣٤٤٢ .
(٣) التفسير الكبير ، جـ٢٩ ص٧٩ .

تعالى :

﴿ لا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[1].

وقوله عز وجل :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾[2].

وقوله سبحانه :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[3].

وقوله تعالى :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾[4].

وقوله جل جلاله :

﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[5].

وقوله جل وعلا :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾[6].

---

(١) سورة الحشر ، آية : ٢٠

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٤٢ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٨٥ .

(٤) سورة النساء ، آية : ١٢٤ .

(٥) سورة المائدة ، آية : ٧٢ .

(٦) سورة البقرة ، آية : ٢١٤ .

وقوله سبحانه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾[1].

وقوله جل جلاله :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾[2].

والذي يلحظ في هذه الآيات الكريمة أن لفظ (الجنة) جاء معرّفًا بالألف واللام ، ولم تعرِّفه صفة أو إضافة ، حيث لم يكتسب تعريفاً لا بصفة مجملة ولا مفصلة ، وقد جاء اللفظ بهذه الصيغة معرّفًا بالألف واللام في آيات كثيرة في القرآن الكريم ، بعضها مكي[3] ، (وبعضها مدني [4]) ، ولكنه ورد أكثر في السور المدنية الطوال بهذه الصيغة ، وكأن ذلك كان استرجاعًا للأوصاف المفصّلة التي وردت في بعض السور المكية القصار[5] ، بحيث أصبحت الإشارة إلى الجنة التي سبقت صفاتها أمراً مستساغاً ، وهذا يدل على أن « أل » في لفظ ( الجنة ) للعهد ، وليس للاستغراق أو للجنس [6]... لأنه أقرب المعاني إلى التفسير ، أي الجنة التي سبق وصفها وعهدتموها من قبل .

## ب ـ لفظ الجنة معرّفًا بأل بصيغة المثني :

ورد لفظ الجنة معرّفًا بالألف واللام في صيغة المثني في آية واحدة من سورة

---

(١) سورة التوبة ، آية : ١١١ .

(٢) سورة التحريم ، من الآية : ١١ .

(٣) وردت بهذا اللفظ مقصوداً بها دار النعيم في الآخرة في السور المكية الطوال (٢١) مرة في سورة : الأعراف ، يونس ، هود ، النحل ، الفرقان ، الشعراء ، العنكبوت ، يس ، الزمر ، فصلت ، الشوري ، الأحقاف . وفي السور القصار مرة واحدة في سورة التكوير .

(٤) وردت بهذا اللفظ مقصوداً بها دار النعيم في الآخرة في السور المدنية (١١) مرة ، في سور : البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، التوبة ، محمد ، التحريم .

(٥) مثل سور : الواقعة ، الحاقة ، المرسلات ، النبأ ، المطففين ، الغاشية .

(٦) انظر : شرح قطر الندي وبل الصدي ، لابن هشام ص١٥٦ تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .

الرحمن من السور المدنية ، كما في قوله تعالى :

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾(١) .

حيث ورد لفظ الجنة معرّفًا بصيغة المثني (الجنتين) لتدل الآية الكريمة أن ثمار الجنة وقطافهـا دانية قريبـة ، لا يتعب أهل الجنة في تناولها ، وقد جاءت هذه الآية الكريمة بعد أن ذكر الله ـ سبحانه ـ بعض الصفات المفصلة للجنتين اللتين أعدتا لمن خاف مقام ربه من عباد الله المتقين (٢) في قوله تعالى :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾(٣) .

... وهذا النسق الفني الذي وردت فيه الآية الكريمة ، يدل على أن الألف واللام في قوله تعالى : ( الجنتين ) للعهد ... فهي بمثابة الإشارة إلى الجنتين اللتين سبق ذكرهما ، وفصلت صفاتهما وعرفتموها .

## ثالثًا. لفظ الجنة معرفًا بالإضافة :

ورد لفظ الجنة معرّفًا بالإضافة ؛ وذلك أن لفظ الجنة نكرة يستفيد التعريف بإضافته إلى معرفة ، أو إضافته إلى نكرة أيضاً فيستفيد التخصيص . وقد تعددت إضافة لفظ الجنة إلى صفات مختلفة في القرآن الكريم ، بحيث أضيفت إلى خمس صفات : جنة النعيم ، وجنات الفردوس ، وجنة الخلد ، وجنة المأوي ، وجنة عدن ... وكل صفة من هذه الصفات تعطي الجنة شيئًا من الوصف يظهر خلال عرض الآيات التي تعددت فيها الصفات .

---

(١) سورة الرحمن ، آية ٥٤ .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٧ ص١٤٩ ـ ١٥٠ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١٠٢ . تفسير البغوي ، ج٤ ص٢٧٤ . التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٢٧ . تفسير النسفي، ج٣ ص٤٦٠ ـ ٤٦١ . البحر المحيط ج٨ ص١٩٧ . حاشية الشهاب، ج٨ ص١٣٨ . تفسير أبي السعود ، ج٨ ص١٨٤ . روح المعاني ، ج٢٧ ص١١٨ .

(٣) سورة الرحمن ، آية : ٤٦ .

## أ ـ لفظ الجنة مضافاً إلى النعيم :

وردت في القرآن الكريم آيات أضيف فيها لفظ الجنة إلى النعيم ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾(١).

وقوله سبحانه :

﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾(٢).

وقوله عز وجل :

﴿ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾(٣).

وقوله عز وعلا :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾(٤).

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾(٥).

وقوله تعالى :

﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾(٦).

وقوله جل جلاله :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾(٧).

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٦٥ .
(٢) سورة الحج ، آية : ٥٦ .
(٣) سورة الشعراء ، آية : ٨٥ .
(٤) سورة لقمان ، آية : ٨ .
(٥) سورة الواقعة ، الآيتان : ١١ ـ ١٢ .
(٦) سورة الواقعة ، آية : ٨٩ .
(٧) سورة القلم ، آية : ٣٤ .

وقوله عز وعلا :

﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾(١).

ولفظ الجنة هنا جاء بغير الألف واللام ، ولكنه استفاد التعريف والوصف من الإضافة التي أضيف إليها ... وهو في كل الآيات مضاف إلى (النعيم) معرفة أو نكرة ... فبإضافته إلى المعرفة استفاد تعريفًا ، وبإضافته إلى النكرة استفاد تخصيصًا ، وفي الحالتين أعطت الإضافة للفظ الجنة وصفًا ثابتًا هو النعيم ، بمعني أن الجنة مشتملة على ما فيه التنعم الدائم ... ثم إن الإضافة أفادت التخصيص . أي ليس في هذه الجنات إلا النعيم الخالص الذي لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا ... كما أفاد بعض المفسرين (٢) . ثم إن إضافة لفظ الجنة إلى النعيم يبين أن الجنة كلها نعيم وإن اختلفت مراتب النعيم فيها . وقد أشار إلى هذا المعني الألوسي في قوله : «وإن اختلفت مراتب النعيم فيها »(٣) . مما يدل على أن النعيم في الجنة ليس درجة من درجات الجنة ، وإنما صفة عامة فيها وإن اختلفت مراتبه ... وفي إضافة الجنة إلى النعيم نجد لفظ الجنة يأتي بصيغة الإفراد في آيات ، وبالجمع في آيات أخري ، والجمع والإفراد في لفظ الجنة إنما يأتي تبعًا لما يقتضيه الأسلوب . فالآية التي تتحدث عن الجمع جمع فيها لفظ الجنة، كما في قوله سبحانه :

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾(٤).

والآية التي تتحدث عن مفرد أفرد فيها لفظ الجنة ، كما في قوله تعالى :

﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾(٥).

---

(١) سورة المعارج ، آية : ٣٨ .
(٢) انظر : الكشاف ج٤ ص١٣٠ . التفسير الكبير ، ج٣٠ ص٩١ . تفسير النسفي ، ج٣ ص٥٧٠. البحر المحيط ،ج٨ ص٣١٥ . تفسير أبي السعود ج٩ ص١٧ . حاشية الشهاب ج٨ ص٢٣١ .
(٣) روح المعاني ، ج٦ ص١٨٤ .
(٤) سورة الحج ، آية : ٥٦ .
(٥) سورة المعارج ، آية : ٣٨ .

### ب ـ لفظ الجنة مضافًا إلى الفردوس :

نجد آية واحدة في القرآن الكريم أضيف فيها لفظ الجنة إلى الفردوس هي قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾[(١)] .

وفيها ورد لفظ الجنة نكرة مضافًا إلى (الفردوس) وهي معرفة فاستفاد التعريف بالإضافة . ولكن هل هذه الإضافة أكسبتُ الجنة صفة مجملة ؟ يتبين هذا من معرفة معني كلمة الفردوس . وهل هي علم على الجنة ؟ أو صفة لها ؟. والفردوس كما في اللسان : « الوادي الخصيب عند العرب كالبستان ... وحقيقته : أنه البستان الذي يجمع ما يكون في البساتين »[(٢)] .

والفردوس في القاموس المحيط : « الأودية التي تنبت ضروبًا من النبت ، والبستان يجمع كل ما يكون في البساتين تكون فيه الكروم »[(٣)] وهو عربي ، ويعني بلسان الروم البستان . أو هو رومي معرّب ، وهو بالسريانية أيضًا قال الزجاج[(٤)] : « الفردوس : الأودية التي تنبت ضروبًا من النبت وقالوا الفردوس : البستان ، وقالوا : هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية ، والفردوس أيضًا بالسريانية ، كذا لفظة الفردوس ، ولم نجد في أشعار العرب إلا في بيت لحسان بن ثابت :

وإن ثوابَ اللهِ كلَّ موحدٍ جنان من الفردوس فيها يخلّدُ[(٥)]

وحقيقته : أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين لأنه عند أهل كل لغة كذلك » .

---

(١) سورة الكهف ، آية : ١٠٧ .

(٢) لسان العرب ، ج٦ ص١٦٣ ، مادة فردس .

(٣) القاموس المحيط ، ج٢ ص٢٤٤ ، مادة الفردوس .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٣ ص٣١٤ ـ٣١٥ . وانظر المعرّب ، للجواليقي ص٤٧٠ ، الدكتور ف . عبد الرحيم ، دار القلم .

(٥) ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق : د/ وليد عرفات ، ج١ ص٢٦٩ .

وقد اختلف المفسرون[1] في المقصود بالفردوس فقالوا : الأودية التي تنبت ضروباً من النبت ، أو سرَّة الجنة ، أو هو وسط الجنة ، وأعلى الجنة ، أو البستان الذي فيه الأعناب ، والبستان بلسان الروم ، والجنة بلسان الحبش ، والجنة الملتفة الأشجار ، والروضة المستحسنة ، والتي تنبت ضروباً من النبات ، والجنة من الكرم خاصة .

والجمع بين هذه التعريفات يبين أن جنة الفردوس علم جنة ، هي أعلى الجنات ، وصفتها أنها ملتفة الأشجار التي تنبت ضروباً من النبات . يفهم هذا من قول الألوسي : « وكل ذلك لا ينافي كون الفردوس في اللغة البستان كما توهم ، إذ لا مانع من أن يكون أعلى الجنة بستاناً ، لكنه لكونه في غاية السعة أطلق على كل قطعة منه جنة فقيل جنات الفردوس »[2].

## ج ـ لفظ الجنة مضافاً إلى الخلد :

ومن إضافة لفظ الجنة إلى معرفـة : إضافته إلى الخلد ، كما في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾[3].

وفي الآية الكريمة هذه أضيف لفظ الجنة ، وهو نكرة إلى (الخلد) ، وهو معرَّف بالألف واللام ، فاستفاد التعريف عن طريق الإضافة .

... ولكن هل المضاف إليه (الخلد) صفة للجنة ؟ أم أن كلمة (جنة الخلد) علم على جنة من الجنات ؟.

---

(1) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٣ ص٣١٤ ـ ٣١٥ . معاني القرآن الكريم ، للنحاس ، ج٤ ص٣٠٠ ـ ٣٠١ . المعرّب ، للجواليقي ص٤٧٠ . تفسير البغوي ج٣ ص١٨٦ . التفسير الكبير ج٢١ ص١٧٥ . البحر المحيط ج٦ ص١٦٨ ، تفسير أبي السعود ، ج٥ ص٢٥٠ . روح المعاني ج١٦ ص٥٠ .

(2) روح المعاني ، ج١٦ ص٥٠ .

(3) سورة الفرقان ، آية : ١٥ .

يتضح الجواب عن ذلك بمعرفة المعنى اللغوي لكلمة (الخلد) ، فهي كما في اللسان : « الخُلْد : دوام البقاء في دار لا يخرج منها ... والخُلْد : من أسماء الجنة ، وفي التهذيب : من أسماء الجنان »[1]. وهي كما في القاموس : « الخُلْد بالضم : البقاء والدوام كالخلود والجنة »[2]. وجنة الخلد ، بيّن الفخر الرازي أن صفتها : « التي لا ينقطع نعيمها »[3].

ويتضح من ذلك أن الإضافة في ( جنةُ الخلد ) تدل على صفة عامة تبين أن نعيمها دائم لا ينقطع ولا يزول ... وبذا أعطت إضافة الجنة إلى الخلد وصفًا واسعًا عظيمًا ، يبين أن في الجنة نعيمًا ومتاعًا دائمًا لا ينقطع ولا يزول عن أهلها .

وقد اختلف المفسرون في بيان فائدة الإضافة في (جنة الخلد) ، فقالوا : إن كانت الإضافة معلومة ـ أي للمؤمنين ـ فهي للمدح ، وإن كانت غير معلومة للكفرة فلإفادة خلود الجنة ، أو هي : للتمييز عن جنات الدنيا ، أو لبيان صفة الكمال . وهذا كله يدل على أن الجنة تتميز بأنها دار الخلود في النعيم المقيم ، وأن متاعها لا يحول ولا يزول ، إذ هي في دار البقاء ، والخلود ، وهي خالدة وأهلها خالدون فيها .

### د ـ لفظ الجنة مضافًا إلى المأوي :

ومن إضافة لفظ الجنة إلى ما هو معرّف بالألف واللام ، قوله تعالى :

﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ ﴾[4].

وقوله عز وجل :

﴿ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾[5].

---

(١) لسان العرب ، جـ٣ ص١٦٤ . مادة خلد .

(٢) القاموس المحيط ، ج١ ص٣٠٢ . مادة خلد .

(٣) التفسير الكبير ، ج٢٤ ص٥٧ .

(٤) سورة السجدة ، آية : ١٩ .

(٥) سورة النجم ، آية : ١٥ .

وفي هاتين الآيتين أضـيف لفظ الجنة ، وهو نكرة إلى كلمـة (المأوى) ، وهي معرّفة بالألف واللام ، فاستفاد تعريفاً ووصفاً يوضحه .

وقد اختلف المفسرون في تفسير كلمة (المأوى) التي وردت في الآيتين ، مضافًا إليها لفظ الجنة ... فقال أكثرهم [١] : إنها علم مخصوص لجنة من الجنات ، وإنما عرفت بذلك لأنها تأوي أرواح الشهداء ، أو الملائكة وجبريل ، أو المتقون ، وهي علم كجنة عدن . أو اسم مكان خاص . وإضافة الجنة إليه إضافة حقيقة ، أو من إضافة العام للخاص . أو لأنها المأوي الحقيقي ، وإنما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة . أو أن كلمة (المأوى) رمز إلى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا .

والتحقيق في التفسير يثبت أن (جنة المأوى) علم دال على صفة عامة للجنة ، وإضافة الجنة إليها هي من إضافة الموصوف للصفة [٢] .. فالجنة من صفاتها أنها المكان الذي يأوي إليه المتقون ، وذلك مستفاد من تعريف كلمة (المأوى) في اللغة ، إذ قيل فيـها : « المأوي : كل مكان يأوي إليـه شيء ليـلاً ونهـاراً . وجنة المأوي قيل : جنة المبيت» [٣] . ويدل على هذا قوله تعالى :

﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [٤] .

أي هي المرجع له لا غيرها ، كما ذكر المفسرون [٥] فيها . بل إن هذا الوصف ليس خاصاً بالجنة ، وإنما وصفت به النار أيضاً ، وذلك في قوله سبحانه :

﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [٦]

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ، ج٣ ص٩٧ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٧٢ . تفسير البغوي ، ج٤ ص٢٤٨ و ج٣ ص٥٠٢ . الكشاف ج٣ ص٢٢٢ و ج٤ ص٣٨ . التفسير الكبير، ج٢٨ ص ٢٩٢ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٣ وج٣ ص٤٣٤ . البحر المحيط ، ج٧ ص٢٠٣ و ج٨ ص١٥٩ . تفسير أبي السعود ج٧ ص٨٥ ، ج٨ ص١٥٧ . حاشية الشهاب ج٧ ص١٥٤ ، ج٨ ص١١٢. روح المعاني ج٢٧ ص٥٠ ـ ٥١ و ج٢١ ص١٣٣ .

(٢) انظر : حاشية الشهاب ج٨ ص١١٢ ، روح المعاني ج٢٧ ص٥١ .

(٣) لسان العرب ، ج١٤ ص٥٢ ، مادة أوا .

(٤) سورة النازعات ، آية : ٤١ .

(٥) انظر : تفسير النسفي ج٣ ص٦٤٩ . تفسير أبي السعود ٩ ص١٠٤ . روح المعاني ج٣٠ ص٣٦.

(٦) سورة النازعات ، آية : ٣٩ .

فإضافة الجنة إلى المأوي تثبت لها صفة عامة تبين أنها المرجع لكل من آمن واتقي . وجنة المأوي بهذا المعني هي الجنة التي رجح الجمهور وابن كثير أنها الجنة التي أسكن فيها آدم عليه السلام ، وأخرج منها . وذلك لأن الألف واللام في لفظ الجنة في قوله تعالى :

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(١) .

الألف واللام كما بين ابن كثير ليست للعموم ، ولا لمعهود لفظي ، وإنما تعود على معهود ذهني . وهو المستقر شرعاً من جنة المأوي (٢) .

## هـ ـ لفظ الجنة مضافاً إلى العدن :

ومن الآيات التي أضيف فيها لفظ الجنة إلى الوصف قوله تعالى :

﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ ﴾(٣) .

وقوله تبارك وتعالى :

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾(٤) .

وقوله عز وجل :

﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾(٥) .

وقوله عز وعلا :

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٣٥ .

(٢) انظر : قصص الأنبياء ، لابن كثير ، ج١ ص١٥ ، تحقيق د/ مصطفي عبد الواحد .

(٣) سورة الكهف ، آية : ٣١ .

(٤) سورة الرعد ، الآيتان : ٢٣ ـ ٢٤ .

(٥) سورة مريم ، آية : ٦١ .

جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1].

وهذه الآيات أضيف فيها لفظ الجنة إلى كلمة ( عدن ) . وقد اختلف المفسرون[2] في المقصود بقوله تعالى : ( جنات عدن ) في الآيات الكريمة ، فقالوا : إما أن يكون (العدن) اسمًا لموضع معين من الجنة ، أو جنة من الجنان هي بطنان الجنة ووسطها ، أو بمعني جنات إقامة واستقرار ، بناءً على أن معني العدن في اللغة : الإقامة، أو بساتين إقامة ، أو علم لأرض الجنة ، لكونها مكان إقامة ، أو علم لإحدي الجنات الثمان ، أو من المعدن ، أي هي معدن النعيم والأمن والسلامة .

ويوضح المراد من قوله سبحانه ( جنات عدن ) معني العدن في اللغة ، كما جاء في اللسان : « عَدَنَ بالمكان يعْدِنُ ويعْدُنُ عَدْنًا وعُدُونًا : أقام ، وعَدَنتُ البَلَد : توطنته . ومركز كل شيءٍ معدنه ، وجنات عدن منه ، أي جنات إقامة لمكان الخُلْد »[3]، وكما جاء في القاموس : « عَدَنَ بالبلد يَعْدِنُ ويعْدُنُ عَدْنًا وعُدُونًا : أقام، ومنه جنات عدن»[4].

وبهذا المعني اللغوي فسر الزجاج معني قوله تعالى : ( جنات عدن ) ، فقال : «ومعني ( جنات عدن ) : جنات إقامة ، وقيل في التفسير ( جنات عدن ) من الأربع الجنات التي أعدها الله لأوليائه »[5].

وهذا المعني اللغوي لكلمة (عدن) يوضح أن إضافة لفظ الجنة إلى كلمة (عدن)

---

(١) سورة الصف : آية : ١٢ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ج٣ ص١٦ ، وج٣ ص١٦٠ . التفسير الكبير ج٢١ ص١٢١ و ج٣٢ ص٥٥ . تفسير النسفي ج٢ ص٣٣٦ و ج٣ ص٥٢٢ . تفسير أبي السعود ج٥ ص١٨ و ج٥ ص٢٧٢ . حاشية الشهاب ج٥ ص٢٣٦ و ج٨ ص٣٨٧ . روح المعاني ج١٣ ص١٤٣ و ج٥ ص٢٧٠ و ج١٦ ص١١٠ - ١١١ .

(٣) لسان العرب ، ج١٣ ص٢٧٩ . مادة عدن

(٤) القاموس المحيط ، ج٤ ص٢٤٨ . مادة عدن .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ، ج٣ ص٢٨٣ . وانظر ج٣ ص١٤٧ ، ج٣ ص٣٣٦ ، ج٥ ص٣٥٠ من الكتاب نفسه .

لوصف الجنة عامة بأنها دار إقامة لمن اتقي ... مما يدل على أن (جنات عدن) علم يدل على وصف عام للجنات .

بدليل تسمية الجنة في آية أخري بدار المقامة ، كما في قوله سبحانه :

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[1] .

ويؤيد هذا المعني قول البغوي في تفسير قوله تعالى :

﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾[2] .

« أي إقامة ، يقال : عَدَنَ بالمكان ، إذا أقام به ، سميت عدنًا لخلود المؤمنين فيها »[3] . ويسانده قول الأستاذ سيد قطب في تفسير قوله تعالى :

﴿ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾[4] .

« جنات للإقامة الدائمة في نعيمها الذي يمثله هنا الأمن من الفناء والفوات والطمأنينة من القلق الذي يعكر وينغص كل طيبات الأرض »[5] .

## رابعاً . لفظ الجنة نكرة موصوفة :

نجد في القرآن الكريم آيات عديدة ورد فيها لفظ الجنة نكرة بصيغة المفرد أو صيغة جمع المؤنث السالم موصوفًا بصفة عامة مجملة تبين صفة الجنة ، وأنها عظيمة السعة ، وأنها تجري من تحتها الأنهار .. وأنها عالية[6] .

---

(١) سورة فاطر ، الآيتان : ٣٤ ـ ٣٥ .
(٢) سورة الكهف ، من الآية : ٣١ .
(٣) تفسير البغوي ، ج٣ ص١٦٠ .
(٤) سورة البينة ، من الآية : ٨ .
(٥) في ظلال القرآن ، ج٦ ص٣٩٥٣ .
(٦) سوف تدرس الآيات التي تبين صفة العلو للجنة في مبحث مساكن الجنة .

## ١ ـ السعة والعظمة في الجنة :

من الأوصاف المجملة للجنة وصفها بالسعة والعظمة اللامتناهية ، فالقرآن الكريم يصف الجنة بالسعة اللامتناهية التي لا يتصورها خيال بشر ، فيقرب هذا الوصف بمقارنتها بسعة السموات والأرض : إذ السموات والأرض من أكبر ما يتعلق به ذهن الإنسان ، وذلك قوله سبحانه :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[١] .

وقوله تبارك وتعالى :

﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[٢] .

واختلف المفسرون[٣] في تفسير قوله تعالى : ( عرضها السموات والأرض) وقوله سبحانه : (عرضها كعرض السماء والأرض) . فقالوا : إما أن يكون هذا المعني من التشبيه الحقيقي . وإما على سبيل المجاز . فإذا كان من التشبيه الحقيقي فإن المقصود بعرض السماء والأرض يختلف حسب ما تصوره المفسرون ، فهو إما أن يكون كعرض سبع السموات وسبع الأرضين لو وصل بعضها ببعض . وإما أن العرض هنا لكل جنة

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٣٣ .

(٢) سورة الحديد ، آية : ٢١ .

(٣) انظر تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص١١١ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١٢٧ . معاني القرآن الكريم ، للنحاس ، ج١ ، ص٤٧٦ ـ ٤٧٧ . تفسير البغوي ، ج١ ، ص٣٥١ ، و ج٤ ص٢٩٩ . الكشاف ج١ ، ص٢١٧ و ج٤ ص٦٧ . تفسير ابن عطية ، ج٣ ص٣٢٤ . التفسير الكبير ج٩ ص٥ ـ ٦ و ج٢٩ ص٢٣٤ . تفسير النسفي ج١ ض٢٥٢ و ج٣ ص٤٨٣ . تفسير أبي السعود ج٢ ص٨٥ و ج٨ ص٢١١ . حاشية الشهاب ج٣ ص٦٣ و ج٨ ص١٦٠ ـ ١٦١ . روح المعاني ج٤ ص٥٦ و ج٢٧ ص١٨٥ ـ ١٨٦ .

من الجنات الأربع التي ذكـر المفـسرون وهي : جنة عـدن ، وجنة الفـردوس ، وجنة النعيم، وجنة المأوي . أو أن يكون عرض كل جنة يملكها كل واحدٍ من المتقين . وإما أن يكون كعرض السموات والأرض كما هي طباقًا ، لا بأن بأن تقرن كبسط الثياب .

وهذا التأويل يوضح مدي السعة والعظمة التي مثلها هذا التشبيه ، فإذا كان عرض الجنة على هذه السعة ـ والعرض دائمًا أقصر من الطول ـ فإن طولها أعظم ، وهذه مبالغة في وصف مساحة الجنة لا يدركها العقل أبدًا ، حيث لا يعلم مقدار سعتها إلا الله سبحانه ... أما إذا كان المقصود من العرض على سبيل المجاز فيجوز أن يراد بالعرض البسطة والسعة على التمثيل للمبالغة في وصفها بالسعة ، فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه سبحانه . وخص العرض لأنه أقصر من الطول للمبالغة . وإما أن يكون الكلام جاريًا على طريقة العرب من الاستعارة ، حيث صورت مساحة الجنة وسعتها القصوي بقوله تعالى : ( عرضها السموات والأرض ) كما تقول لرجل : هذا بحر ... ووجه آخر هـو : هـو أن الجنـة لو عرضت بالسموات والأرض على سبيل البيع لكانتا ثمنًا للجنة .

واختلاف المفسرين في تأويل معني قوله تعالى : ( عرضها السموات والأرض ) يوضح مدي إفادة هذا التشبيه الذي شبه به الله ـ سبحانه ـ لبيان سعتها وعظمتها ... فهي غير متناهية المساحة ، بحيث لا يتخيل عظمتها وسعتها عقل بشري ... ويهمنا هنا مدي بلاغة هذا التشبيه ، وما يتركه التعبير القرآني من أثر في تصور العقل ... فالمشابهة بين السماء والأرض والجنة تبدو لأول وهلة بعيدة جدًا ؛ إذ كيف تكون الجنة في السماء ، وعرضها السماء والأرض ؟ وحذف كاف التشبيه من الآية الأولي ، يفيد سقوط إمكانية المقارنة والمشابهة ، فتبدو الجنة وعرضها هو السماء والأرض على سعتهما وعظمتها ... ثم إذا كان هذا مقدار العرض فكيف يكون مقدار الطول ؟... الله سبحانه وحده هو الذي يعلم مساحة هذه الجنة التي قرّب وصفها للبشر بذكر مساحة عرضها . ووجود كاف التشبيه في الآية الثانية يبين أن مقارنة عرض الجنة بعرض السماء والأرض يفيد أن هذه المقارنة بين الجنة والسماء والأرض ليست على الحقيقة ، وإنما هي لضرب المثل لتقريب سعة الجنة ، وإلا فالجنة أعظم من هذا المثل وأحسن .

**ب ـ تجري من تحتها الأنهار :**

من الأوصاف المجملة للجنة وصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار ... حيث كثر وصف القرآن الكريم لها بهذه الصفة ... حتي أنها وصفت بهذا في القرآن الكريم في خمس وثلاثين(١) آية في سور مختلفة .

وقد وردت هذه الصفة مقرونة بصفات أخري للجنات في بعض الآيات مثل قوله تعالى :

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٢) .

ومثل قوله تبارك وتعالى :

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾(٣) .

---

(١) انظر سورة البقرة ، آية : ٢٥ ، سورة آل عمران ، آية ١٥ ، ١٣٦ ، ١٩٥ ، ١٩٨ . سورة النساء، آية ١٣ ، ٥٧ ، ١٢٢ . سورة المائدة ، آية ١٢ ، ٨٥ ، ١١٩ . سورة الأعراف ، آية : ٤٣ . سورة التوبة ، آية ٧٢ ، ٨٩ ، ١٠٠ . سورة يونس ، آية ٩ . سورة الرعد ، آية ٣٥ . سورة إبراهيم ، آية ٢٣ . سورة النحل ، آية ٣١ . سورة الكهف ، آية ٣١ . سورة طه ، آية ٧٦ . سورة الحج ، آية ١٤ ، ٢٣ . سورة العنكبوت ، آية ٥٨ . سورة الزمر ، آية ٢٠ . سورة محمد ، آية ١٢ . سورة الفتح ، آية ٥ ، ١٧ . سورة الحديد آية ١٢ . سورة المجادلة ، آية ٢٢ . سورة الصف، آية ١٢ . سورة التغابن ، آية ٩ . سورة الطلاق ، آية ١١ . سورة التحريم ، آية ٨ . سورة البروج ، آية ١١ . سورة البينة ، آية ٨ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٥ . وانظر سورة آل عمران آية ١٥ . سورة النساء ، آية ٥٧ ، سورة التوبة ، آية ٧٢ . سورة الرعد ، آية ٣٥ . سورة النحل ، آية ٣١ . سورة الكهف ، آية ٣١ . سورة الحج، آية ٢٣ . سورة الصف ، آية ١٢ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ١٥ .

ووردت آيات تصف الجنة بأنها تجري من تحتها الأنهار دون اقترانها بصفة أخرى غير جريان الأنهار من تحتها ، مثل قوله عز وجل :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1] .

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ( من تحتها ) تحت : طرف مكان ، اختلف المفسرون[3] في تفسير المقصود به في الآيات الكريمة . وتفسيرهم له يدور حول المعاني الآتية : إن أريد بالجنة الأشجار ، فجريان الأنهار من تحتها ظاهر . وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها ، فلا بد من تقدير مضاف ، أي من تحت أشجارها . وإن أريد بها مجموع الأرض والأشجار ، فاعتبار التحتية بالنظر إلى الجزء الظاهر المصحح لإطلاق اسم الجنة على الكل . أو إن كانت « تحت » بمعني جانب ، كقولهم : داري تحت دار فلان . أو من تحت أوامر أهلها ، كما في قول الله عز وجل على لسان فرعون :

﴿ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِى مِن تَحْتِى ﴾[4] .

---

(١) سورة النساء ، من الآية ١٣ . وانظر : سورة آل عمران ، آية ١٣٦ ، ١٩٥ . سورة النساء ، آية ١٢٢ . سورة المائدة ، آية ١٢ ، ٨٥ ، سورة التوبة ، آية ٨٩ . سورة طه ، آية ٧٦ . سورة الحج ، آية ١٤ . سورة محمد ، آية ١٢ . سورة الفتح ، آية ٥ ، ١٧ . سورة التغابن ، آية ٩ . سورة البروج ، آية ١١ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ٨٩ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ج١ ص٥٦ ـ ٤٨٢ . تفسير ابن عطية ج١ ص٢٠٧ ، وج٣ ص٤٨ وج٦ ص٥٩٥ . تفسير أبي السعود ج١ ص٦٩ وج٦ ص٩٨ وج٩ ص١٣٨ . حاشية الشهاب ج٢ ص٦٦ ـ ٦٧ . روح المعاني ج١ ص٢٠٢ ، ج٤ ص٢٣٣،ج١٧ ص١٢٦ وج٣٠ ص٩١ .

(٤) سورة الزخرف ، من الآية : ٥١ .

أو من تحت منازلها ومساكنها وعلوها من الغرف . أو من تحت ثمارها . أو يحتمل أن منابعها من تحت الجنات .

والتفسير الثالث ، وهو : إن أريد بالجنة مجموع الأرض والأشجار فجريان الأنهار يكون على الجزء الظاهر ، هو الأقرب إلى واقع الجنة الذي تثبته الآيات القرآنية ، والمعنى اللغوي لكلمة « الجنة » . فالقرآن الكريم أظهرت آياته أن الجنة : هي البساتين تجري فيها المياه ، وتنمو بها الأشجار والثمار ، كما في قوله سبحانه :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾[(١)] .

ومعنى كلمة « الجنة » في اللغة ، كما في الصحاح : « البستان ومنه الجنات»[(٢)] . وفي اللسان : « الحديقة ذات الشجر والنخل »[(٣)] . وقد فسرها المفسرون بهذا المعنى ، فقال ابن عطية : « جنات جمع جنة ، وهي بستان الشجر والنخيل »[(٤)] ، وقال أبو حيان : « الجنة : البستان الذي سترت أشجاره أرضه . وكل شيء ستر شيئًا فقد أجنه »[(٥)] . وكلام أبي حيان يوضح أن المقصود بالجنة الأرض والشجر معًا ، وهو يثبت أن أقرب تفسير للظرف (من تحتها ) هو ما أشير إليه .

ووصف الجنة بأنها ( تجري من تحتها الأنهار ) وصف مجمل ، ولكنه جامع لكل مظاهر الجمال والحسن الذي جعل الجنة :

﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾[(٦)] .

---

(١) سورة الرحمن ، الآيات : ٤٦ ـ ٥٢ .
(٢) الصحاح ، للجوهري ، جـ٥ ص٢٠٩٤ ، مادة جنن .
(٣) لسان العرب ، لابن منظور ، ج١٣ ص٩٩ ، مادة جنن .
(٤) تفسير ابن عطية ، ج١ ص٢٠٧ .
(٥) البحر المحيط ج١ ص١٠٩ .
(٦) سورة الزخرف ، من الآية : ٧١ .

وجعلها « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[1].
ولذا كثيراً ما اقتصر وصف القرآن الكريم للجنة على ذكر الأنهار ، كما أشار إلى ذلك الفخر الرازي بقوله : « كثيراً ما يقتصر الله على ذكر الأنهار في وصف الجنة ، لأن الأنهار يتبعها الأشجار ، والأشجار تتبعها الثمار ، ولأنه سبب حياة العالم »[2].

وإسناد الجري للأنهار مجاز ، لأنه إنما يجري الماء وحده[3]. ولكن لهذا المجاز لطيفة دقيقة ألمح إليها الشهاب بقوله : « ولإسناد الجري للأنهار نكتة خاصة تعرفها الخاصة ، وهي : أن أنهار الجنة ليست إلا المياه لجريها من غير أخدود »[4]. وهذا الإسناد يعطي لأنهار الجنة ميزة تميزها عن أنهار الدنيا ، ذلك أن النهر عادة ما يجري في شق من الأرض يضبط مساره ، ويجمع المياه فيه . أما أنهار الجنة على هذا الوصف فإنها تجري على سطح الأرض منضبطة في مسارها مجتمعة مياهها ... مما يجعل لها جمالاً ومزية على أنهار الدنيا ... وقد ورد في الأثر عن مسروق : « أنهار الجنة تجري في غير أخدود »[5].

## خامساً. وصف الجنة بصفة عامة مجملة دون ذكر اسمها :

وقد وردت آيات كريمة تصف الجنة التي أعدت للمتقين دون أن يذكر اسم الجنة ... بل يشار إليها بصفتها العامة ... كما في وصف الله تعالى لها بالنعيم والملك الكبير ، ووصفها بأن فيها درجات ومغفرة ورزق كريم ... ووصفها بأن فيها ما تقرُّ به الأعين .

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج٢ ص٣٧٠ .
(٢) التفسير الكبير ، ج٢٨ ص٥١ .
(٣) تفسير ابن عطية ج١ ص٢٠٨ .
(٤) حاشية الشهاب ، ج٢ ص٦٧ .
(٥) تفسير البغوي ج١ ص٥٦ ، وتفسير أبي السعود ، ج١ ص٦٩ .

## أ ـ وصف ما في الجنة من النعيم والملك الكبير :

وذلك كما في قوله عز وعلا :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكًا كَبِيراً ﴾[1] .

فقد وصف الله عز وجل الجنة في سورة الإنسان صفات مفصلة[2] ، ثم أجمل وصفها في هذه الآية الكريمة ، حيث بيّن ـ سبحانه ـ أن فيها حيثما أمتد البصر ونظر، النعيم والملك الواسع العظيم الهنيء ...

وقد بين بعض المفسرين[3] أن الخطاب في الآية الكريمة موجه إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو إلى كل من سمع الخطاب ... يقول الفخر الرازي : « قوله ( وإذا رأيت ) خطاب لمحمد خاصة ، والدليل عليه أن رجلاً قال لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أرأيت إن دخلتُ الجنة أتري عيناي ما تري عيناك ؟ فقال : نعم ، فبكي حتي مات ،وقال آخرون : هو خطاب لكل أحد »[4] .

والتفسير الراجح : أن الخطاب في الآية الكريمة موجه إلى النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاصة ، وإلى كل أحد استمع إليه عامة ، وذلك أن القرآن الكريم أُنزِل على النبي عليه الصلاة والسلام خاصة ، وهو نذير وبشير للناس عامة . ثم إن في توجيه الخطاب بالرؤية وتكراره في فعل الشرط والجواب دليلاً على أن المراد الرؤية البصرية الحسية ، وذلك أن المعني للآية الكريمة : إذا رميت بطرفك هنا وهناك رأيت ملكاً واسعاً هنئًا ، ويدل على صحة هذا المعني للآية الكريمة الحديث الذي أخرجه ابن حنبل في مسنده عن ابن عمر قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن أدني أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة ، يري أقصاه كما يري أدناه ، ينظر في

---

(١) سورة الإنسان ، آية : ٢٠ .

(٢) انظر سورة الإنسان ، الآية : ١٢ ـ ٢٢ .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، م١٤ ج٢٩ ص٢٢١ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ،ج٣٠ ص٢٥٢ .

(٤) التفسير الكبير ، ج٣٠ ، ص٢٥٢ .

أزواجه وخدمه . وإن أفضلهم منزلة لينظرَ في وجه الله ـ تعالى ـ كل يوم مرتين »[١] .

وفي حذف المفعول في قوله تعالى : ( وإذارأيتَ ) دلالة على إشاعة الخطاب بالرؤية وعمومه في كل اتجاه من اتجاهات الجنة ، إذ أن حذف المفعول يعطي مجالاً رحباً للخيال في تصور هذا النعيم والملك الكبير في الجنة .. وقد أشار الزمخشري إلى مزية حذف المفعول في الآية الكريمة ، إذ قال : « ( رأيت ) ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم ، كأنه قيل : وإذا أوجدت الرؤية ثَمَّ ، ومعناه : أن بصر الرائي إينما وقع لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك كبير »[٢] . ثم إن في اختيار الظرف ( ثَمَّ ) للدلالة على الجنة [٣] ، نكتة بلاغية دقيقة : إذ فيها إيحاء بتراخ وسعة الجنة ، بحيث لا يصل العقل إلى كنه السعة والانبساط فيها ... وذلك أن ( ثَمَّ ) ، كما بيّن الزجاجي[٤] وابن هشام[٥] : اسم يشار به إلى المكان البعيد المتراخ ، وهو ظرف لا يتصرف .

ثم إن تنكير وتنوين المفعول به لفعل الخطاب الثاني (رأيتَ نعيمًا) فيه إشارة إلى فخامة وعظمة النعيم في الجنة ... وقد ألمح البغوي إلى هذا المعنى ، إذ قال : « ( رأيت نعيمًا ) لا يوصف »[٦] . ويزيد من الإيحاء بعظمة وفخامة النعيم في الجنة العطف في قوله تعالى : ( وملكاً كبيراً ) ، حيث إن حرف العطف « الواو » وموافقة المعطوف للمعطوف عليه في التنكير والتنوين تشير إلى مشاركته له في صفته ... مع ما يدل عليه

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج٢ ص١٣ .

(٢) الكشاف ، ج٤ ص١٧٠ ، وانظر : التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ج٣٠ ص٢٥١ . تفسير النسفي ، ج٣ ص٦٣٠ ، تفسير أبي السعود ، ج٩ ص٧٤ . حاشية الشهاب ، ج٨ ، ص٢٩٠ ـ ٢٩١ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٢٦١ ، الكشاف ، ج٤ ص١٧٠ .

(٤) حروف المعاني والصفات ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، ص٢٤ . تحقيق : د/ حسن شاذلي فرهود ، دار العلوم للطباعة : ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

(٥) مغني اللبيب ، لجمال الدين بن هشام الأنصاري ، وبهامشه حاشية الشيخ محمد الأمير ، ج١ ص١٠٨ . دار إحياء الكتب العربية . عيسي البابي الحلبي .

(٦) تفسير البغوي ، ج٤ ص٤٣٠ .

لفظ الملك من تمكن أهل الجنة من هذا النعيم ، وحرية تصرفهم فيه ... ذلك أن الملك كما يبين الراغب : « ضبط الشيء المتصرّف فيه بالحكم »[1] . وهذا النسق القرآني للآية الكريمة يدل على أن الجنة فيها من النعيم والمتاع الحسي والروحي الشيء العظيم الذي لا يصل إلى إدراك حقيقته عقل البشر جميعاً ...

## ب ـ وصف ما في الجنة من الدرجات والمغفرة والرزق الكريم :

وذلك كما في قوله عز وجل :

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[2] .

فالآية الكريمة تبين أن المؤمنين الذين استحقوا صفة الإيمان الحق بأعمالهم الصالحة وصفاتهم الأخلاقية لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ... وقد اختلفت أقوال المفسرين[3] في بيان المراد من قوله تعالى : ( لهم درجات) ، إذ قالوا : أي مراتب رفيعة ، وفضائل قدموها في أيام حياتهم . أو مراتب في الجنة . أو منازل رفيعة في الجنة بقدر أعمالهم . أو شرف وكرامة وعلو منزلة . أو درجات أعمال الدنيا . أولهم مراتب بعضها أعلى من بعض أو درجات من الكرامة والزلفي ، أو درجات عالية في الجنة .

وأقوال المفسرين هذه يفهم منها أن المراد من قوله تعالى : ( لهم درجات) إما مراتب في الجنة ومنازل رفيعة فيها قدر أعمالهم الدنيوية ... وإما كرامة وشرف وعلو منزلة في الجنة ... أي أن المراد إما العلو الحسي في الجنة ، أو العلو المعنوي فيها ...

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٤٩٣ مادة ملك .

(٢) سورة الأنفال ، آية : ٤ .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، م٦ ج٩ ص١٨٠ . معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، ج٢ ص٤٠١. إعراب القرآن ، للنحاس ، ج٢ ص١٧٦ . تفسير البغوي ، ج٢ ص٢٢٩ ـ ٢٣٠ . الكشاف ، ج٢ ص١١٣ . تفسير ابن عطية ج٦ ص٢١٨ . التفسير الكبير ،ج١٥ ص١٢٣ . تفسير النسفي، ج١ ص٦٠١. البحر المحيط ، ج٤ ص٤٥٨ . تفسير أبي السعود ، ج٤ ص٤ . حاشية الشهاب ، ج٤ ص٢٥٣ . روح المعاني ، ج٩ ص١٦٨ .

ولا مانع من الجمع بين المعنيين العلو الحسي والمعنوي . لأن الجنة عالية حسياً ، وفيها درجات ومراتب خصصت للمؤمنين حسب تفاوت أعمالهم الدنيوية ، كما يدل على ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من آمن بالله وبرسوله ، وأقام الصلاة ، وصام رمضان ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها ، فقالوا : يا رسول الله أفلا نُبشِّر الناس ، قال : إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فأسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ، أُرَاهُ فوقهُ عرش الرحمن ، ومنه تُفجّر أنهار الجنة ، قال محمد بن فُلَيح عن أبيه : وفوقه عرش الرحمن »[1]. كما أن من دخل الجنة من المؤمنين فإنه ينال الشرف والكرامة وعلو الشأن عند الله سبحانه وتعالى ... وقد وضّح الفخر الرازي سبب الجمع بين المعنيين فى الآية الكريمة ، إذ قال: « واعلم أن الصفات المذكورة قسمان : الثلاثة الأول : هي الصفات القلبية والأحوال الروحانية ، وهي الخوف والإخلاص والتوكل . والاثنتان الأخيرتان هما الأعمال الظاهرة والأخلاق . ولا شك أن لهذه الأعمال والأخلاق تأثيرات في تصفية القلب ، وفي تنويره بالمعارف الإلهية ، ولا شك أن المؤثر كلما كان أقوي كانت الآثار أقوي وبالضد . فلما كانت هذه الأخلاق والأعمال لها درجات ومراتب . كانت المعارف أيضًا لها درجات ومراتب ، وذلك هو المراد من قوله : ( لهم درجات عند ربهم ) والثواب الحاصل في الجنة أيضاً مقدر بمقدار هذه الأحوال فثبت أن مراتب السعادات الروحانية قبل الموت وبعد الموت ، ومراتب السعادات الحاصلة في الجنة كثيرة ومختلفة ، فلهذا المعني قال : ( لهم درجات عند ربهم ) »[2]. ثم إن نسق الآية الكريمة يبين أن درجات الجنة تجمع بين العلو الحسي والمعنوي لمن دخلها ، وذلك أن الظرف المضاف إلى ربِّ المضاف إلى ضمير المؤمنين (عند ربهم) أما متعلق بمحذوف وقع صفة

---

(١) صحيح البخاري ، جـ٤ ص١٩ ـ ٢٠ . كتاب الجهاد .
(٢) التفسير الكبير ، ج١٥ ص١٢٣ ـ ١٢٤ .

لدرجات مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائنة عنده تعالى ، أو بما يتعلق به الخبر أي لهم من الاستقرار .

كما أن إضافة الظرف إلى الرب المضاف إلى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم ، وإيذان بأن ما وعد لهم متيقن الثبوت والحصول مأمون الفوات [(1)] . ثم إن عطف قوله تعالى : ( ومغفرة ) على قوله تعالى (لهم درجات ) يفيد أن فوز المؤمنين بالمراتب والمنازل الرفيعة في الجنة يتبعه تجاوز الله ـ سبحانه ـ عن سيئاتهم التي فرطت منهم في الدنيا ، وغفرانه لذنوبهم التي ارتكبوها في حياتهم الدنيا وفي هذا مزيد عناية وتشريف لأهل الجنة يشعرم بالارتياح والغبطة والبهجة والسرور ... ثم إن عطف قوله تعالى : (ورزق كريم) على المغفرة يدل على أن المؤمنين يحظون في الجنة بالراحة المعنوية ، والمتاع الحسي المتمثل في الرزق ، الذي وصفه الله عز وجل بأنه كريم ... وقد بين المفسرون المراد بالرزق في الآية الكريمة ، حيث قالوا [(2)] : أي الجنة . أو ما أعد الله في الجنة لهم من مزيد المآكل والمشارب وهنيء العيش . أو نعيم الجنة ، ويعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم . أو صافٍ عن كدّ الاكتساب ، وخوف الحساب . أو لا ينقضي أمده ولا ينتهي عدده ، وهو ما أعد لهم من نعيم الجنة . أو أن رازقه كريم فلذا دلّ على الكثرة وعدم الانقطاع .

ويتضح من أقوال المفسرين في بيان معني الرزق أنهم عنوا به الجنة أو ما أعد الله سبحانه فيها من ألوان النعيم ... ثم إنهم فصلوا في بيان وصفه بأنه كريم ...

والراجح أن المراد بالرزق في الآية الكريمة هو ما أعد الله عز وجل في الجنة من ألوان المتاع الحسي والروحي فيها ... وفي وصف الرزق بأنه كريم مبالغة في وصفه بالطيب والحسن والخلوص من كل المنغصات . وذلك أن الكرم اسم جامع لكل ما

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ، ج٤ ص٥ .

(٢) انظر : جامع ابيان ، للطبري ، م٦ ج٩ ص١٨١ . تفسير البغوي ، ج٢ ص٢٣٠ . الكشاف ، ج٢ ص١١٣ ـ ١١٤ . تفسير ابن عطية ، ج٦ ص٢١٨ . التفسير الكبير ، ج١٥ ص١٢٤ . تفسير النسفي ، ج١ ص٦٠١ . البحر المحيط ، ج٤ص٤٥٨ . تفسير أبي السعود ،ج٤ ص٥ . حاشية الشهاب ، ج٤ ص٢٥٣ . روح المعاني ، ج٩ ص١٦٨ .

يحمد ويستحسن ويخلص من جميع المذام [1].

فالآية الكريمة تبين أن الله سبحانه أعد للمومنين حقًا درجات في الجنة تجمع بين أنواع المتاع الحسي والمعنوي الخالص من الشوائب والمنغصات .

### جـ ـ وصف ما في الجنة مما تقرُّ به الأعين :

وذلك كما في قوله تعالى :

﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2] .

فالآية الكريمة تصف الجنة بصفة عامة ، تبين أن فيها مما أُخْفِي على المؤمنين ما تقر به أعينهم ... وفي التعبير بقوله تعالى : ( فلا تعلم نفس ) تعميم لنفي العلم عن كل النفوس ... أي لا تعلم نفس من النفوس كلهن ، لا ملك مقرّب ولا نبي مرسل، ما أخفي الله ـ سبحانه وتعالى ـ لهم في الجنة مما تقر به أعينهم من ألوان النعيم والمسرات [3] ... وفي هذا النعيم لنفي العلم عن كلالنفوس دلالة على أن ما في الجنة من أنواع المتاع الحسي والروحي لا يمكن أن يدرك كنهه خيال بشر أو تصوره .. ويدل على ذلك الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : قال الله ـ عز وجل ـ : « أَعْددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأتْ ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، مصداق ذلك في كتاب الله :

﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ »[4][5].

وقد بين أبو حيان مزية هذا النسق القرآني للآية الكريمة ، حيث قال : « ولا تعلم

---

(١) انظر : تفسير ابن عطية ، ج٦ ص٢١٨ ، التفسير الكبير ، ج١٥ ص١٢٤ . البحر المحيط ، جـ٤ ص٤٥٨ ، روح المعاني ، جـ٩ ص١٦٩ .

(٢) سورة السجدة ، آية : ١٧ .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ، م١١ ج٢١ ص١٠٣ ـ ١٠٥ . تفسير البغوي ، ج٣ ص٥٠٢ . الكشاف، ج٣ ص٢٢١ . تفسير النسفي ، ج٣ ص٤٣ . البحر المحيط ، ج٧ ص٢٠٣ . تفسير أبي السعود ، ج٧ ص٨٥ . حاشية الشهاب ، ج٧ ص١٥٣ . روح المعاني ، ج٢١ ص١٣٢ .

(٤) سورة السجدة ، آية : ١٧ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٧ ص١٦٦ . كتاب الجنة وصفة نعيمها .

نفس نكرة في سياق النفي فيعم جميع الأنفس مما ادّخر الله تعالى لأولئك وأخفاه من جميع خلائقه مما تقرُّ به أعينهم ، لا يعلمه إلا هو وهذه عدة عظيمة لا تبلغ الأفهام كنهها ، بل ولا تفاصيلها »[1].

وقد اتفقت أقوال المفسرين في بيان المراد من قوله تعالى : ( من قُرَّةِ أعينٍ ) ... بأنه ما تُسرُّ به أعينهم ولا تَطَّلع إلى غيره [2] ... وتبدو دقة التعبير القرآني عما يسرُّ به المؤمنون من ألوان النعيم في الجنة بقوله سبحانه : ( ما أُخفي لهم من قرة أعين ) ... ذلك أن في البناء للمفعول في الفعل (أُخفى) دلالة على ما يفاجأ به المؤمنون من ألوان المسرات في الجنة ... إذ يجدون فيها ما أخفي عنهم كلهم من أنواع اللذائذ ... فإذا ما رأوه في الجنة سرَّت به عيونهم ونفوسهم سروراً لا يجعل لهم مطمحًا فيما وراء هذا النعيم ... ذلك أن المعنى اللغوي لكلمة قُرَّة أعين ، يدل على ما تسكن به العين فلا يكون لها إطلاع إلى غيره ولا مطمح[3] ... يقول الإمام الفخر الرازي في تفسير الآية الكريمة : « يعني مما تقر العين عنده ، ولا تلتفت إلى غيره ، يقال إن هذا لا يدخل في عيني تطلع إلى غيره ، فإذا لم يبق تطلع للعين إلى شيء آخر لم يبق للعين مسرح إلى غيره فتقر »[4]. ثم إن إضافة القرة إلى الأعين ، نكرة دون تعريف أو تخصيص دلالة على حسن وكمال ما أُخفي عن كل الأعين ... وقد وضح الألوسي مزية هذا النسق للآية الكريمة ، إذ قال : « وفي إضافة القرة إلى الأعين على الإطلاق ، لا إلى أعينهم تنبيه على أن ما أُخفي لهم في غاية الحسن والكمال »[5].

---

(١) البحر المحيط ، ج٧ ص٢٠٣ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ، ج٣ ص٥٠٢ . الكشاف ج٣ ص٢٢١ . التفسير الكبير ، ج٢٥ ص١٨١. البحر المحيط ، ج٧ ص٢٠٣ . روح المعاني ، ج٢١ ص١٣٢ .

(٣) انظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص ٤١٣ مادة قرّ .

(٤) التفسير الكبير ، ج٢٥ ص١٨١ .

(٥) روح المعاني ، ج٢١ ص١٣٢ .

# الفصل الثانى
# الوصف المفصل للجنة

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : المساكن في الجنة .

المبحث الثاني : الفرش في الجنة

المبحث الثالث : وصف الطعام والشراب في الجنة ووصف آيتهما .

المبحث الرابع : وصف الملابس والحلي في الجنة .

المبحث الخامس : وصف النساء والغلمان في الجنة .

المبحث السادس : الخضرة والشجر والظل والمناخ .

# المبحث الأول

## المساكن في الجنة

بين الله سبحانه وتعالى أن الجنة منزل المتقين ،ومأوي الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ... وقد فصّل الله ـ سبحانه ـ في وصف هذا المسكن المعد للمتقين ، وبين كل ما يتعلق به من حيث الغرف ، والدرجات والأثاث ، والفرش والزينة . كما بين سبحانه أن طبيعة السكني في الجنة تخالف المألوف من سكني الدنيا .. كما وضح أن أصحاب الجنة يتمتعون فيها متاعًا حسيًا ومعنويًا ، ويمرحون في ساحاتها الواسعة الفسيحة على غير المألوف في مساكن الدنيا .

وقد بيّن الله ـ سبحانه ـ أن الجنة أعدت نزلاً وثوابًا للمتقين ، وذلك في آيات عديدة منها قوله تعالى :

﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ ﴾(١) .

وقوله سبحانه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾(٢) .

وقوله جل جلاله :

﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٣) .

والآيات تبين أن الجنة نُزُلٌ لمن آمن بالله وعمل صالحًا واتقي ... وقد اختلف

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٨ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ١٠٧ .

(٣) سورة السجدة ، آية : ١٩ .

المفسرون في المقصود بقوله تعالى ( نُزُلاً ) فقالوا [1] : عطاءً ، لأن النُزُل ما يُعد للضيف ثم صار عاماً . أو رزقًا على أنه مصدر مؤكد . أو ثوابًا كقوله تعالى :- ﴿ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [2] . أو تكرمه . أو بتقدير مضاف أي ذات نزلٍ . أو جمعاً بمعني النازلين .

واقترب من هذه المعاني أصحاب مفردات القرآن ومعانيه فقال الفراء : « لهم ذلك نزلاً وثواباً ، مفسرًا كما تقول : هو لكِ هبةً وبيعاً وصدقة » [3] . وقال ابن قتيبة : « أي ثواباً ورزقًا » [4] . وقال الراغب : « والنُزُل : ما يُعَدُّ للنازلِ من الزاد » [5] .

وهذه المعاني يمكن أن يؤلف بينها بحيث تكون الجنة ثواباً وعطاء ورزقًا للمؤمنين، إكراماً وهبة لهم من الله .

وقد فصّل بعض المفسرين فقالوا [6] : إن جعل النزول بمعني ما يهيأ للنازل فالمعني : كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلاً ، أو جعلت نفس الجنات نزلاً مبالغة في الإكرام .

والذي يرجح من تفصيلهم هذا أن الجنة نفسها تُعد نزلاً للمؤمنين مبالغة في إكرام الله جزاءً لأعمالهم الصالحة ... وليس ثمار الجنة فقط إذ لم يعد الله بثمار الجنة وحدها ، بل وعد بالجنات وما فيها . كما في قوله سبحانه :

---

(١) انظر تفسير الكشاف ج١ ص٢٣٩ ، ج٣ ص ٢٢٢ . تفسير ابن عطية ، ج٣ ص٤٧٢ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٩ ص١٥٣ . تفسير النسفي ج١ ص٢٨٥ ، ج٣ ص٤٤ . تفسير البحر المحيط ج٣ ص١٤٨ ، ج٧ ص٢٠٣ . تفسير أبي السعود ج٢ ص١٣٥ ، ج٧ ص٨٥ . تفسير حاشية الشهاب ج٣ ص٩٤ ، ج٧ ص١٥٤ . تفسير روح المعاني ج٤ ص١٧٢ - ١٧٣ ، ج٢١ ص١٣٣ .

(٢) سورة آل عمران ، من الآية : ١٩٥ .

(٣) معاني القرآن ، للفراء ج١ ص٢٥١ .

(٤) تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص١١٧ .

(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ص٦١٠ .

(٦) انظر تفسير البغوي ج٣ ص١٨٦ . تفسير أبي السعود ج٥ ص٢٥٠ . تفسير روح المعاني ج١٦ ص٥١ .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(١).

ثم إن نزولهم في الجنة وخلودهم فيها يعني التنعم بكل ما فيها بل كيف يأخذون ثمرها دون النزول والسكن فيها ؟

وهذا يعني أن الجنة التي وُعدَ بها المؤمنون والمؤمنات هي مقر سكناهم ونزلهم : أي منزلهم الذي أعده الله لهم في الآخرة . وقد فُسِّرَ النُّزُلُ في اللغة بالمنزل كما قال ابن منظور : « والنُّزُل : المنْزِل » (٢). وقال صاحب القاموس : « والنُّزُل بضمتين : المَنزِل ، وما هيىء للضيف أن يَنْزِل عليه » (٣). ويؤيد معنى أنها منزل المؤمنين والمؤمنات في الآخرة قول الزجاج : « ( نزلاً ) مؤكد أيضاً لأن خلودهم فيها إنزالهم فيها » (٤). كما يسانده قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ في شأن أهل الجحيم :

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾(٥).

فكما أن الجنة نُزُل المؤمنين أي : منزلهم الذي إليه يأوون ، فإن جهنم نُزُل الكافرين أي منزلهم الذي إليه يأوون .

وقد وصف الله ـ سبحانه ـ سكن أهل الجنة الذي يخلدون فيه بأحسن وصف ، وبيّن أنه متميز بمزايا عديدة تجعله الأحسن والأفضل من كل ما يُعَدُّ سكناً . وقد وردت آيات عديدة في القرآن تبين مزايا سكني الجنة وأفضليتها بحيث يثبت للبشر أن الجنة لا يَعْدِلُها سكن آخر مهما بلغت درجته ومنزلته ... ومن الآيات التي تبين هذه المنزلة لسكنَى الجنة قوله سبحانه وتعالى :

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٧٢ .
(٢) لسان العرب ، ابن منظور مادة نزل ج١١ ص٦٥٦ .
(٣) القاموس المحيط ، الفيروز ابادي مادة النزول ج٤ ص٥٧ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج١ ص٥٠١ .
(٥) سورة الكهف ، من الآية : ١٠٢ .

﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾[1] .

والآية تبين أن الجنة مستقرة ومقيـل للمؤمنين .. أي أنها مكـان السكن والقرار لهم ...

وقد اتفق أكثر المفسرين[2] على أن المستقر يكون على حقيقته أي : المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحادثون . أما المقيل فهو إما أن يراد به حقيقة اللفظ أي : موضع قائلة ، يعني أن أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله إلى وقت القائلة حتي يسكنوا مساكنهم في الجنة[3] . روي عن ابن مسعود : « لا ينتصف النهار يوم القيامة حتي يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار »[4] . وإما أن يراد المقيل على التشبيه أي أنه: المكان الذي يأوون إليه للاستـرواح إلى أزواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن . وسُمي مقيلاً على طريق التشبيه ، لأنه لا نوم في الجنة وإنما المشابهة تقع في التمتع في الهدوء والخلوة[5] .

وقد فُسِّر المستقرُّ والمقيل بمعان أخري منها : أن المستقر مكان الاستقرار ، والمقيل زمان القيلولة إشارة إلى أنهم من المكان في أحسن مكان ، ومن الزمان في أطيب زمان . أو أن مستقر أهل الجنة غير مقيلهم ، فإنهم يقيلون في الفردوس ، ثم يعودون إلى مستقرهم ،أو أن المستقر والمقيل في المحشر قبل دخول الجنة ، أو المستقر فيها والمقيل فيه[6] .

---

(١) سورة الفرقان ، آية : ٢٤ .

(٢) انظر تفسير الكشاف ج٣ ص٩٤ . تفسير النسفي ج٢ ص٥٣٧ . تفسير البحر المحيط ج٦ ص ٤٩٣ . تفسير أبي السعود ج٦ ص٢١٢ ، تفسير حاشية الشهاب ج٦ ص٤١٩ . تفسير روح المعاني ج١٩ ص٨ .

(٣) انظر تفسير البغوي ج٣ ص٣٦٦ . تفسير أبي السعود ج٦ ص٢١٢. تفسير المراغي ج٧ ص٦ .

(٤) روي في تفسير البغوي ج٣ ص٣٦٦ .تفسير الكشاف ج٣ ص٩٤ ـ ٩٥ . التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٤ ص٧٢ . تفسير النسفي ج٢ ص٥٣٧ . تفسير روح المعاني ج١٩ ص٨ .

(٥) انظر : تفسير الكشاف ج٣ ص٩٤ ـ ٩٥ . تفسير النسفي ج٢ ص٥٣٧ . تفسير البحر المحيط ج٦ ص٤٩٣ . تفسير أبي السعود ج٦ ص٢١٢ . تفسير حاشية الشهاب ج٦ ص٤١٩ . تفسير روح المعاني ج١٩ ص٨ .

(٦) انظر التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٤ ص٧٢ . تفسير روح المعاني ج١٩ ص٨ .

والاختلاف في تفسير المستقر والمقيل لا يعدو أن يكون اختلافًا في كونهما مكانين أو زمانين أو مكانًا وزمانًا ولكن الأشهر أن يكونا مكانين ... يقول الألوسي : « هذا وتفسير المستقر والمقيل بالمكانين حسبما سمعت هو المشهور وهو أحد احتمالات تسعة ... وما شئت تخيل في خيرية زمان أصحاب الجنة وأحسنيته وكذا في خيرية استقرارهم وأحسنية استراحتهم يومئذ »[1]. وهذا يعني أن المهم في قوله تعالى :

﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾[2].

هو بيان أفضلية ذلك المكان الذي أعده الله ـ سبحانه ـ مستقرًا ومقيلاً للمؤمنين ... ويبدو هذا من سياق الآية حيث وصف المستقر بالأحسن ووصف المقيل بالخيرية مع عطفه على المستقر .. وقد ألمح أبو السعود إلى مزية هذا السياق في الآية بقوله : «وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز إلى أنه مزين بفنون الزين والزخارف . والتفضيل المعتبر فيهما إما لإرادة على الإطلاق أي هم في أقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل ، وإما بالإضافة إلى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا أو إلى ما لهم في الآخرة بطريق التهكم بهم »[3].

فالسياق الذي جاء عليه الآية الكريمة أفاد أن الجنة التي أعدها الله لأوليائه من المؤمنين والمؤمنات أحسن قرارًا وأنعم سكنًا لا يماثلها منزل ولا يتخيل وصفها عقل ... وقد أكد الله هذا الوصف للجنة في آيات عديدة مثل قوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾[4]. والمستقر والمقام كما بينه المفسرون : موضع القرار والإقامة[5]. وفي وصفهما بالحسن رمز لتزين الجنة ووصفها بالمحاسن الخالصة عن

---

(١) تفسير روح المعاني ج١٩ ص٩ .

(٢) سورة الفرقان ، آية : ٢٤ .

(٣) تفسير أبي السعود ج٦ ص٢١٢ . وانظر أيضًا : تفسير الكشاف ج٣ ص٩٥ . تفسير البحر المحيط ج٦ ص٤٩٣ . تفسير حاشية الشهاب ج٦ ص ٤١٩ . تفسير روح المعاني ج١٩ ص٨ . تفسير المراغي ج٧ ص٦ .

(٤) سورة الفرقان ، آية : ٧٦ .

(٥) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٨٠ . تفسير البغوي ج٣ ص٣٧٩ . تفسير النسفي ج٢ ص٥٥٧ . تفسير في ظلال القرآن ج٥ ص٢٥٨١ .

الشوائب والكدورات ، بحيث يستقر فيها أهلها في أحسن حال .

وقد بيّن الله ـ سبحانه ـ أن الجنة ميراث خالص للمؤمنين ، كما في قوله سبحانـه :

﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1].

ومعني ( أورثتموها ) كما بينه المفسرون[2] : أعطيتموها ، أو صُيِّرت لكم كالإرث ، أو ورثتموها عن آبائكم ، أو يرثها أهل الجنة من أهل النار .

يبدو أن تفسير قوله تعالى (أورثتموها) بمعني أعطيتموها على معني : « أن الميراث مجاز عن الإعطاء »[3] أقرب هذه المعاني ، وذلك أن الجنة ـ كما تبين الآيات العديدة ـ هي عطاء الله لأوليائه ... وإنما جاء الإعطاء بلفظ الميراث لما في هذا التعبير المجازي من معني الملكية الخالصة التي تخوِّل لهم الجنة خالصة من غير تعب ، ذلك أن الجنة لا تُستَحقُّ بالعمل بل بفضلِ الله ورحمته ... وقد أشار النسفي إلى هذا المعني بقوله : «سماها ميراثًا لأنها لا تُستحقُّ بالعمل بل هي محض فضل الله وعده على الطاعات كالميراث من الميت ليس بعوض عن شيء بل هو صلة خالصة »[4].

والذي يبدو أن هذا التعبير المجازي في قوله تعالى : ( أورثتموها) يفيد أكثر من معني الإعطاء الخالص من غير تعب « ذلك أن في لفظ : (أورثتموها) معني التمليك التام الذي يتمكن معه أهل الجنة من التصرف فيها تصرف الوارث فيما يرثه[5] ، ثم في

---

(١) سورة الأعراف ، من الآية : ٤٣ .

(٢) انظر تفسير البغوي ج٢ ص١٦١ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج١٤ ص٨١ ـ ٨٢ . تفسير النسفي ج١ ص٥٣٨ . تفسير البحر المحيط ج٤ ص٣٠٠ . تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٢٩ . تفسير حاشية الشهاب ج٤ ص١٧٠ . تفسير روح المعاني ج٨ ص١٢١ .

(٣) تفسير حاشية الشهاب ج٤ ص١٧٠ . وانظر تفسير روح المعاني ج٨ ص١٢١ .

(٤) تفسير النسفي ج١ ص٥٣٨ . وانظر التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج١٤ ص٨٢ . تفسير حاشية الشهاب ج٤ ص١٧٠ .

(٥) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٧ ص٢٣ . تفسير النسفي ج٣ ص٢٣٦ . تفسير البحر المحيط ج٧ ص٤٤٣ . تفسير أبي السعود ج٧ ص٢٦٤ . تفسير روح المعاني ج٢٤ ص٣٥ .

صيغة (اورثتموها) من أُورِثَ معني يختلف عن معني : (وَرِثَ) ؛ إذ ورد في مفردات الراغب : « ويقال لكل من حصل له شيء من غير تعب قد وَرِثَ كذا ، ويقال لمن خُوِّل شيئًا مهنئًا : أُورِثَ »[1]. فالصيغة تدل على أن الجنة التي أُورِثَها الله لعباده الصالحين عطاء مهنيء مفرح لهم ... وليس مجرد تملكهم للجنة وتمكنهم من التصرف فيها حسب رغبتهم .

ويساند هذا المعني قوله ـ سبحانه وتعالى ـ في آية أخري :

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[2].

وقد فُسِّرَ قوله تعالى : ( وأورثنا الأرض ) : بالمكان الذي استقروا فيه على الاستعارة تشبيهاً بأرض الدنيا . أو أرض الدنيا . أو أرض الجنة [3].

والمعني الذي يرجح من هذه المعاني أن المقصود بالأرض أرض الجنة لقوله تعالى في آية أخري :

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[4].

وعلى معني أن المقصود بالأرض في قوله تعالى : ( وأورثنا الأرض ) : أرض الجنة . تُبين الآية فرح المؤمنين وغبطتهم وبهجتهم عند رؤية الجنة وما فيها من نعيم ومعرفتهم بأنهم مقرهم ، ومكان سكنهم الذي أعده الله لهم .. فقولهم :

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ص٥٥٥ . وانظر بصائر ذوي التمييز ، للفيروزابادي ج٥ ص١٩٤ .

(٢) سورة الزمر ، آية : ٧٤ .

(٣) انظر معاني القرآن ، للفراء ج٢ ص٤٢٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٤ ص٣٦٤ . تفسير البغوي ج٤ ص٨٩ . التفسيرالكبير ، للفخر الرازي ج٢٧ ص٢٣ . تفسير النسفي ج٣ ص٢٣٦ . تفسير البحر المحيط ج٧ ص٤٤٣ . تفسير روح المعاني ج٢٤ ص٣٥ .

(٤) سورة الأنبياء ، آية ١٠٥ . وانظر تفسير البغوي ج٤ ص٨٩ .

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[1] .

يدل على فرحتهم بعطاء الله لهم وسرورهم به . وفي قوله سبحانه وتعالى : ( نتبوأ من الجنة حيث نشاء ) رمز لتملكهم للجنة ، ودلالة على سعة هذه الجنة وعظم مساحتها .. حيث قال الزجاج في تفسيره : « نتخذ فيها من المنازل ما شئنا ، والعرب تقول لكل من اتخذ منزلاً : تبوأ فلان منزلاً »[2] . وتبوأ المكان أي : « حله وأقام به»[3] . وقد فُسِّرَ قوله تعالى : ( نتبوأ من الجنة حيث نشاء) بتفسيرات مختلفة[4] منها : أن يتبوأ كل منهم في أي مكان أراده من جنته الواسعة . أو أن كلاً منهم يتبوأ في أي مكان من مطلق الجنة أو من جنات غيره . أو أن يتبوأ كل منهم في أي مكان شاء من مطلق الجنة أو من مطلق جنات غيره إلا أنه لا يشاء غير مكانه لسلامة نفسه وعصمة الله تعالى له .

والراجح من هذه التفسيرات هو التفسير الأول وهو : أن يتبوأ كل منهم في أي مكان أراده من جنته الواسعة . ذلك أن هذا التفسير يوحي بمدي سعة الجنة وعظم مساحتها ... الذي فسره قوله تعالى :

﴿ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾[5] .

وقد وصف سبحانه الجنة التي أعدها سكناً لأوليائه الصالحين بصفات العلو والرفعة والهدوء والسكينة التي تريح البال وتسر الخاطر ... ومن ذلك قوله سبحانه :

﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾[6] .

---

(١) سورة الزمر ، آية : ٧٤ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٤ ص٣٦٤ .

(٣) بصائر ذوي التمييز ، الفيروزابادي ج٢ ص٢٨٢ .

(٤) انظر تفسير النسفي ج٣ ص٢٣٦ . تفسير أبي السعود ج٧ ص٢٦٤ . تفسير روح المعاني ج٢٤ ، ص٣٥ .

(٥) سورة آل عمران ، من الآية : ١٣٣ .

(٦) سورة الحاقة ، الآيتان ٢١ ـ ٢٢ .

وفي هذه الآية وصف الله ـ سبحانه ـ العيشة بأنها راضية . وأورد المفسرون[1] تعليلات لهذا الوصف يمكن حصرها فيما يلي : بمعني أنها مرضية ، أو ذات رضا أي ملتبسة بالرضا فيكون بمعني مرضية ، أو أنه مجاز في السناد والأصل في عيشة راض صاحبها .

والراجح من هذه المعاني هو التفسير الأخير ، وهو أنها مجاز حيث أُسْنِدَ الرضا إلى العيشة وهو لصاحبها ... وقد ألمح أبو السعود إلى مزية هذا المجاز بقوله : « أو جُعِلَ الفعل لها مجازاً وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم »[2] .. فالتعبير بصيغة الفاعل للمفعول له مغزي ؛ لأنه يعطي زيادة في وصف محاسن الجنة ومزاياها التي تجعل ساكنها يعيش فيها حياة هانئة مليئة بالمسرات والمتع ، مما يجعل العيشة نفسها كأنها راضية بما يتمتع به صاحبها .

وقد لحظ الفخر الرازي مزية الصيغة بقوله : « ذكروا في حد الثواب أنه لا بد أن يكون منفعة ، ولا بد أن تكون خالصة عن الشوائب ، ولا بد أن تكون دائمة ، ولا بد وأن تكون مقرونة بالتعظيم ، فالمعني إنما يكون مرضيا به من جميع الجهات لو كان مشتملاً على هذه الصفات فقوله : ( عيشة راضية ) كلمة حاوية لمجموع هذه الشرائط التي ذكرناها »[3] .

أما قوله تعالى : ( في جنة عالية ) فهو وصف للجنة بالعلو والرفعة .

وعلو الجنة إما علو المكان أو المكانة ، أو هما معاً ، وقد وضح المفسرون المقصود

---

(١) انظر معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١٨٢ . مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٦٨ . تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ص٢٩٦ . تفسير البغوي ج٤ ص٣٨٨ . تفسير الكشاف ج٤ ص١٣٥ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٣٠ ص١١٢ . تفسير النسفي ج٣ ص٥٧٨ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص٣٢٥ . بصائر ذوي التمييز ، للفيروزابادي ج٣ ص٧٨ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٢٥ . تفسير حاشية الشهاب ، ج٨ ص٢٣٨ . تفسير روح المعاني ، للألوسي ج٢٩ ص٤٨ .

(٢) تفسير أبي السعود ، ج٩ ص٢٥ .

(٣) التفسير الكبير ، ج٣٠ ص١١٢ .

بهذا العلو فقالوا[1] : مرتفعة المكان في السماء . أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المباني والقصور والدرجات .

والذي يرجح أن قوله تعالى : ( في جنة عالية ) جامع لكل المعاني التي قالها المفسرون ، فالجنة عالية علواً حسياً ، لأن مكانها في السماء وهي عالية بطبيعة الحال ... ورفيعة قدراً ومكانة لأنها درجة من الثواب لا يصل إليها إلا من اختاره الله ليكون مؤمناً صالحًا يعمل الطاعات ويتجنب المعاصي ويتقرب إلى الله بالتوبة والاستغفار ... وهي متفاوتة في درجاتها فلكل مؤمن درجة حسب عمله ومنزلته عند الله ... فهي جامعة بين العلو الحسي والمعنوي .. وقد بين الفخر الرازي جواز الجمع بين علو المكان والمكانة في الجنة بقوله : « والعلو إن أريد به العلو في المكان فهو حاصل ، لأن الجنة فوق السموات ، فإن قيل : أليس أن منازل البعض فوق منازل الآخرين ، فهؤلاء السافلون لا يكونون في الجنة العالية ؟ قلنا إن كون بعضها دون بعض لا يقدح في كونها عالية وفوق السموات . وإن أريد العلو في الدرجة والشرف فالأمر كذلك ، وإن أريد به كون تلك الأبنية عالية مشرفة فالأمر أيضاً كذلك »[2] .

فالجنة عالية في المكان رفيعة في الدرجة .. وفي وصف الله لها بالعلو إيحاء بما فيها من هدوء وطمأنينة وراحة من الضوضاء فهي بعيدة عن كل ما يعكر صفو أهلها ... يستفاد هذا الإيحاء من وصف الله ــ سبحانه وتعالى ــ للجنة في آية أخرى في قوله تعالى :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾[3] .

ففي هذه الآيات وصف الله أهل الجنة وما انعكس على وجوههم من أثر تعيمها،

---

(١) انظر تفسير البغوي ج٤ ص٣٨٨ . تفسير الكشاف ج٤ ص١٣٥ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٣٠ ص١١٢ . تفسير النسفي ج٣ ص٥٧٨ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص٣٢٥ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٢٥ . تفسير حاشية الشهاب ج٨ ص٢٣٨ . تفسير روح المعاني ج٢٩ ص٤٨ .

(٢) التفسير الكبير ، ج٣٠ ص١١٢ .

(٣) سورة الغاشية ، الآيات ٨ ــ ٩ ــ ١٠ ــ ١١ .

ثم وصفها بالعلو ، ثم وصفها بالهدوء والبعد عن اللغو والضوضاء وقول الفحش ...

أما قوله تعالى في وصف الجنة :

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾[1] .

فهو وصف للجنة بالعلو . ومعني (عالية) كما أجمع أكثر المفسرين [2] : أنها عالية مكاناً وقدراً . أما قوله تعالى : ( لا تسمع فيها لاغية ) فقد اختلف المفسرون[3] في تحديد الفاعل للفعل : ( تسمع ) فقالوا : يا مخاطب ، أو الوجوه .

ومعني هذا أن يُسْنَدَ الفعل إلى ضمير المخاطب « أنت » أي : لا تسمع أنت يا مخاطب . ويكون في هذا عدول من الغيبة إلى الخطاب . أو يُسْنَدَ الفعل إلى ضمير الغائبة « هي » أي الوجوه ، ولا يكون هنا التفات ، إذ يعود الضمير إلى الوجوه المذكورة آنفاً ويراد ذوات المؤمنين .

والراجح أن يُسْنَدَ الفعل إلى ضمير المخاطب « أنت » ؛ وذلك لأن في الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لمحة دقيقة ، إذ المخاطب الذي يعجب من وصف الجنة ونعيمها يتجه إليه الخطاب وكأنه يلفته إلى أن هذه الجنة التي سبق وصفها ووصف نعيمها لو قدر لك يا مخاطب أن تكون من أهلها ، وأسكنك الله فيها فإنك لن تسمع فيها كلمة لاغية ، ففيها تشويق المخاطب إلى مطالعة هذا النعيم .

كما أن في الالتفات من الغيبة إلى الخطاب إيحاء بأن الجنة حق مباح لكل مخاطب سعي لها سعيها . والإيحاء إليه بأنه يستطيع أن يتمتع بهذا النعيم إذا حقق شروطه .

---

(١) سورة الغاشية ، الآيتان : ١٠ ـ ١١ .

(٢) انظر التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٣١ ص١٥٤ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٨٣ . تفسير أبي السعود ج٩ ص١٥٠ . تفسير حاشية الشهاب ج٨ ص٣٥٣ . تفسير روح المعاني ، ج٣٠ ص١١٥ . تفسير في ظلال القرآن ، ج٦ ص٣٨٩٧ .

(٣) انظر تفسير الكشاف ، ج٤ ص٢٠٦ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٨٣ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص٤٦٣ . تفسير أبي السعود ج٩ ص١٥٠ . تفسير حاشية الشهاب ج٨ ص٣٥٣ . تفسير روح المعاني ج٣٠ ص١١٥ .

كما اختلف المفسرون في تحديد المقصود بقوله سبحانه : (لاغية) ، وحصروا[1] المقصود بها في ثلاثة معان : إما لغواً ، أو كلمة ذات لغوٍ ، أو نفساً تلغو ، فهي إما أن تكون مصدراً ، أو صفة لموصوف محذوف أي كلمة لاغية فتكون على النسب أي كلمة ذات لغو ... وفيه مجاز لأن الكلمة ملغو بها لا لاغية . أو صفة نفس محذوفة أي لا تسمع فيها نفسًا لاغية ، ويكون فيها مجاز في الاسناد لأن المسموع الصوت فيكون التقدير صوت نفس لاغية ..

والراجح أن المعني المقصود : كلمة ذات لغوٍ ، لأن معني اللغوِ في اللغة كما فسره الراغب الاصفهاني : « اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية وفكر فيجري مَجْرَي اللَّغَا ... »[2] .

وقد فُسِّرَ قوله تعالى : (لاغية) باللغو كما قال ابن منظور : « واللاغية : اللغو ... وكلمة لاغية : فاحشة ، وفي التنزيل العزيز : (لا تسمع فيها لاغية) هو على النسب ، أي كلمة ذات لغو ، وقيل : أي كلمة قبيحة أو فاحشة »[3] . فاللغو هو الكلام الساقط الذي لا يُعْتَدُّ به ، وقد يُسمِّي كل كلام قبيح لغواً ، وبهذا يصبح معني (لاغية) : أي لا تسمع فيها كلامًا مستقبحًا أو ساقطاً لا جدوي فيه[4] . وبهذا تصبح الجنة عالية الشأن ليس فيها كلام مستقبح فاحش غير مفيد ، وإنما كل كلمة فيها ذات فائدة بعيدة عن الفحش والبذاءة . وهذا مما يريح نفس ساكنيها ، لأنهم لا يسمعون كلامًا سيئًا مستقبحًا يؤذي مسامعهم ونفوسهم ... وقد ألمح سيد قطب إلى هذا الجو الرائع الهاديء الذي ينعم به أهل الجنة بقوله : « ويطلق هذا التعبير جواً من السكون والهدوء

---

(١) انظر مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٩٦ . تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٥٢٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٣١٨ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٧٩ . تفسير الكشاف ، للزمخشري ج٤ ص٢٠٦ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٣١ ص١٥٤ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٨٣ . تفسير أبي السعود ج٩ ص١٥٠ . تفسير حاشية الشهاب ج٨ ص٣٥٣ . تفسير روح المعاني ، للألوسي ج٣٠ ص١١٥ .

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٤٧٢ .

(٣) لسان العرب ، مادة لغا ، ج١٥ ص٢٥١ .

(٤) انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية ج٢ ص٥٧٩ .

والسلام والاطمئنان والود والرضي والنجاء والسمر بين الأحباء والأوداء ، والتنزه والارتفاع عن كل كلمة لاغية لا خير فيها ولا عافية ... وهذه وحدها نعيم . وهذه وحدها سعادة . سعادة تتبين حين يستحضر الحس هذه الحياة الدنيا وما فيها من لغو وجدل وصراع وزحام ولجاج ... »[1].

ولعل الله سبحانه يريد أن يؤكد هذا النعيم الذي ينعم به أهل الجنة وهو الهدوء والسكينة وراحة النفس ، بالبعد عن سماع الضوضاء والكلام المستقبح الكريه ، الذي لا جدوي فيه ولا فائدة ؛ وذلك أننا نجد آيات عديدة تصف الجنة بالبعد عن اللغو ... مثل قوله تعالى :

﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إلاَّ سَلاماً ... ﴾[2].

وقوله سبحانه :

﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً ﴿٢٥﴾ إلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً ﴾[3].

وقوله عز وجل :

﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّاباً ﴾[4].

وفي هذه الآيات نجد الله ـ سبحانه ـ يكرر نفي اللغو عن الجنة مع العطف والاستثناء ... وهذا يدعونا إلى التفكير في دقائق التعبير القرآني ، ومحاولة إدراك مزية التكرار لنفي اللغو عن الجنة ... حيث نفي اللغو في الآيات الثلاث ، ولكن كل آية جاءت في أسلوب يغاير الأخري ، ففي آية سورة مريم نفي اللغو واستثني منه سلاماً ، وفي الواقعة نفي اللغو وعطف عليه نفي التأثيم ثم استثني (إلا قيلا سلاما سلاما ) ، وفي النبأ نفي اللغو وعطف عليه نفي الكذب ، فهل بين اللغو والتأثيم والكذب علاقة معنوية ؟ وهل بين اللغو والسلام علاقة معنوية أيضاً ؟.

---

(١) في ظلال القرآن ، ج٦ ص٣٨٩٧ .

(٢) سورة مريم ، من الآية : ٦٢ .

(٣) سورة الواقعة ، الآيتان : ٢٥ ـ ٢٦ .

(٤) سورة النبأ ، آية : ٣٥ .

الراجح أن هناك علاقة بين اللغو والتأثيم والكذب ، لذا جمع الله بينها في الآيات، فاللغو : بيّن أهل اللغة والمفسرون[1] أنه يقصد به : الباطل والفحش والهذر من الكلام ، أو ما لا يعتد به من الكلام ، أو ما يُلغى من الكلام ويؤثم فيه ، أو اليمين الكاذبة ، أو كل كلام منكر قبيح سبيله أن يلغى ويطرح ، أو الكذب وما لا طائل تحته من الكلام ...

أما التأثيم الذي عطف منفيًا على اللغو في آية الواقعة فقد بيّن المفسرون [2] : أنه يقصد به : النسبة إلى الإثم ، أي لا يقال لهم أثمتم ، أو الهذيان ، أو الكذب .

أما الكذّاب الذي عطف على اللغو في آية النبأ فهو كما بينه أهل اللغة والمفسرون[3] : يقصد به أنهم لا يُكذِّب بعضهم بعضاً ، فهو بالتشديد يعني المبالغة في نفي الكذب ، بمعني : لا يوجد في الجنة كذباً البتة . وقد ألمح أبو عبيدة[4] إلى المبالغة بقوله : « كِذّاباً : أشد من الكذب وهما مصدر المكاذبة » .

وقرىء ( كِذابًا ) بالتخفيف من المكاذبة أي : لا يتكاذبون تكاذب الناس في الدنيا[5] ..

---

(١) انظر مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، ج٢ ص٨ . تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٧٤ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٣ ص٣٣٧ . معاني القرآن الكريم ، للنحاس ، ج٤ ص٣٤٢ . تفسير البغوي ، ج٣ ص٢٠١ ـ ٢٠٢ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٢١ ص٢٣٧ . تفسير النسفي ج٢ ص٣٣٧ . تفسير البحر المحيط ج٦ ص٢٠٢ . تفسير أبي السعود ج٥ ص٢٧٣ . تفسير في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ج٤ ص٢٣١٥ .

(٢) انظر التفسير الكبير ج٢٩ ص١٥٨ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٥ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص٢٠٦ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩٢ . تفسير حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٣ . تفسير روح المعاني ج٢٧ ص١٣٩ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ج٣ ص٢٢٩ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٣٩ . تفسير الكشاف ج٤ ص١٧٩ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٣١ ص٢١ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٤٢ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص٤١٥ . بصائر ذوي التمييز ، للفيروزابادي ، ج٤ ص٣٣٨ ـ ٣٣٩ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٩٢ . تفسير روح المعاني ج٣٠ ص١٨ . تفسير المراغي م١٠ ج٣٠ ص١٦ .

(٤) مجاز القرآن ج٢ ص٢٨٣ .

(٥) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ص٤٤٥ .

وهذا يدل على أنها بالتشديد والتخفيف تعني نفي الكذب مطلقاً عن الجنة[1] ..

ومن عرض معاني اللغو والتأثيم والكِذّاب يتضح أن هناك علاقة معنوية وثيقة تربط بين هذه الكلمات التي كرر الله ـ سبحانه وتعالى ـ نفي وجودها في الجنة ... فاللغو : كل كلام قبيح منكر يمكن أن يلغي وقد يكون كذباً ... والتأثيم هو كل ما يُؤَثَّم عليه الإنسان . والتكذيب أو المكاذبة : كل كلام قبيح يبعد عن الصدق فيكذب قائله ... وكلها صفات قبيحة قد يؤثم صاحبها ، وتشيع الجدل والخصومة وتسبب الحقد والتنافس بين الناس ... ولذا نفي الله ـ سبحانه ـ وجودها في الجنة التي أعدها لعباده المتقين ... ولكن ما سر تكرار كلمة (لغواً) في الآيات الثلاث ؟... سر التكرار ـ والله أعلم ـ أن اللغو كلمة عامة تجمع بين الكذب ، وما يُؤَثَّم عليه أو ما لا يُؤَثَّم عليه ... فقد يلغو الإنسان فيقول كلامًا هذراً تمجه النفس وتمل منه ولكنه في الوقت نفسه ليس كذباً وليس كلاماً يستحق عليه الإثم .

أما التأثيم فهو خاص بكل ما يؤثم عليه الإنسان من أي قول ... وكذلك التكذيب فهو خاص بكل ما جانب الصواب ... ولكن قد يقول الإنسان الكذب وهو عالم به فيأثم عليه ، وقد يقوله غير عالم بكذبه فلا يأثم ... ولذا حَسُن أن تُكرر كلمة (لغواً) ويعطف عليها التأثيم والتكذيب ؛ لأن اللغو قد يجمع بين الكذب والإثم ، وقد لا يكون فيه شيء منهما . أما الكذب والتأثيم فإن كلاً منهما يغاير الآخر ويختلف عن اللغو .

ويلحظ في الآيات السابقة أن الله ـ سبحانه ـ استثني بعد نفي اللغو والتأثيم ، فقال سبحانه :

﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا ... ﴾[2].

وقال عز وجل :

﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا ﴾[3].

---

(١) انظر تفسير الكشاف ج٤ ص١٧٩ . وانظر بصائر ذوي التمييز للفيروزابادي ج٤ ص٣٣٨ ـ ٣٣٩.

(٢) سورة مريم من الآية : ٦٢ .

(٣) سورة الواقعة ، الآيتان : ٢٥ ـ ٢٦ .

فاستثني السلام من اللغو مفرداً ، ومن اللغو والتأثيم معًا ... وذكر في الاستثناء الأول السلام مفرداً ، ومكرراً في الاستثناء الثاني ... فما معني السلام ؟ وما سر تكراره في آيات وصف الجنة ...؟.

بيّن أهل اللغة والمفسرون أن معني قوله تعالى : (سلامًا) يقصد به : إما اسم جامع للخير متضمن للسلامة بمعني : أن أهل الجنة لا يسمعون إلا ما يسلِّمهم . وإما أن يكون من تسليم الله عليهم ، أو من تسليم الملائكة عليهم ، أو من تسليم بعضهم على بعض بعض ، وفي القولين يكون الاستثناء منقطعاً [(١)].

وإما أن يكون السلام بمعني الدعاء بالسلامة ، وأهل الجنة في غني عن هذا الدعاء فيكون من باب اللغو ، وفيه يكون الاستثناء متصلاً ، ويكون المعني : إن كان السلام من اللغو فهم لا يسمعون لغواً سواه ، وهو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم[(٢)].

والراجح أن يكون الاستثناء منقطعًا ، لأن الأقرب أن معني السلام هو التحية[(٣)] إما من تسليم الله عليهم لقوله سبحانه :

﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[(٤)].

أو من تسليم الملائكة عليهم لقوله سبحانه وتعالى :

وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[(٥)].

---

(١) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، ج٢ ص٨ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٣ ص ٣٣٧ . معاني القرآن الكريم ، للنحاس ، ج٤ ص ٣٤٢ . تفسير البغوي ج٣ ص٢٠٢ .

(٢) انظر : التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٢١ ص٢٣٧ . تفسير النسفي ج٢ ص٣٣٧ . تفسير البحر المحيط ج٦ ص٢٠٢ . تفسير أبي السعود ج٥ ص٢٧٣ . تفسير حاشية الشهاب ج٦ ص١٦٩ – ١٧٠ . تفسير روح المعاني ج١٦ ص١١٢ .

(٣) انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية ، ج١ ص٦٠٩ .

(٤) سورة يس ، آية : ٥٨ .

(٥) سورة الرعد ، الآيتان : ٢٣ – ٢٤ .

أو من تسليم بعضهم على بعض لقوله عز وجل :

﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾(1).

وهذا القول راجح لدلالة الآيات عليه ، ولأن الجنة كما وصفها الله سبحانه دار السلام في قوله عز من قائل :

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾(2).

وهو قول لا تكلف فيه ويتناسب مع ما ورد من آيات الله في وصف الجنة . وقد ألمح ابن القيم إلى الأخذ بهذا الرأي حين قال (3) : « ولما كانت الجنة دار السلامة من كل عيب وشر وآفة ، بل قد سلمت من كل ما ينغص العيش والحياة كانت تحية أهلها فيها سلام ، والرب يحييهم فيها بالسلام والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم ».

أما الوجه الآخر ، وهو أن يكون الاستثناء متصلاً فقد ألمح الشهاب إلى قبوله والأخذ به ظاهراً لما فيه من فائدة الإكرام وإظهار التحاب ، وذلك في قوله (4) : « قوله أو على أن معناه الدعاء بالسلامة إلخ ... يعني أن السلام المعروف دعاء بالسلامة من الآفات ، ولا آفة في الجنة ، فالدعاء بالسلامة منها لا فائدة فيه فيكون لغواً بحسب الظاهر ، ويصح فيه الاتصال من هذا الوجه ، وإنما قال ظاهراً ، لأن هذا وإن كان معناه وبحسب وضعه ، لكن المقصود منه الإكرام وإظهار التحاب حتي لو تُرِكَ عُدَّ إهانة فلذا كان لائقًا بأهل الجنة ». ولا حاجة للأخذ بهذا الوجه ، فهو قول يميل إلى التكلف والتمحل ، ولا دليل عليه من آيات القرآن .

ويلحظ تكرار السلام في قوله سبحانه :

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾(5).

---

(1) سورة إبراهيم ، من الآية : ٢٣ .

(2) سورة الأنعام ، من الآية : ١٢٧ .

(3) بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية م١ ج٢ ص١٤٥ .

(4) تفسير حاشية الشهاب ج٦ ص١٧٠ .

(5) سورة الواقعة ، الآيتان : ٢٥ ـ ٢٦ .

كما يلحظ تكرار ذكر السلام في آيات وصف الجنة في القرآن ، فما سر التكرار للسلام في قوله سبحانه : ( إلا قيلاً سلاماً سلاماً ) ؟ ..

بين المفسرون[1] أن سر تكرار السلام في الآية يدل على فشو السلام وشيوعه بين أهل الجنة ، والمعني أنهم يسلمون سلامًا بعد سلام ، أي يرد بعضهم على بعض السلام ...

وفي هذا دليل على تمام النعمة والمتعة في الجنة ، فالمتعة ليست حسية فحسب ، بل هي متعة نفسية أيضًا يعكسها ذلك الجو الهادىء المفعم بالمحبة والمودة ، والتواصل بين أهل الجنة فهم يعيشون هدوءاً نفسياً خالياً من التحاسد والتباغض والجدل واللجاج، ولا يسمعون إلا القول الطيب السليم من العيوب والمناقص ويشيع بينهم التواصل والحب فكل منهم يسلم على الآخر ... بل هم يعيشون في سلام دائم تام ...

وقد ألمح الفخر الرازي إلى فائدة تكرار السلام إذ قال [2] : « نقول فيه إشارة إلى تمام النعمة ، وذلك لأن أثر السلام في الدنيا لا يتم إلا بالتسليم ورد السلام ، فكما أن أحد المتلاقيين في الدنيا يقول للآخر : السلام عليك ، فيقول الآخر : وعليك السلام ، فكذلك في الآخرة يقولون (سلاماً سلاماً) » .

كما صور الأستاذ سيد قطب الجو النفسي العام الذي يعيش فيه أهل الجنة ، إذ قال [3] : « ثم هم بعد ذلك كله يحيون في هدوء وسكون ، وفي ترفع وتنزيه عن كل لغوٍ في الحديث ، وكل جدلٍ . وكل مؤاخذةٍ ... حياتهم كلها سلام ، يرِفُّ عليها السلام ، ويشيع فيها السلام . تسلم عليها الملائكة في ذلك الجو الناعم الآمن ، ويسلم بعضهم على بعض ، ويبلغهم السلام من الرحمن ... فالجو كله سلام سلام » .

---

(١) انظر تفسير الكشاف ج٤ ص٥٨ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٢٩ ص١٦١ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٥ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩٢ . تفسير حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٣ . تفسير روح المعاني ج٢٧ ص١٣٩ .

(٢) التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٦١ .

(٣) في ظلال القرآن ، ج٦ ص٣٤٦٤ .

## أبواب الجنة :

قبل بيان ما دلت عليه الآيات القرآنية الكريمة من وصف ما بداخل الجنة من الغرف ، وأنواع الفرش والزينة والأثاث ينبغي الإشارة إلى الآيات الكريمة التي ذكرت أبواب الجنة ، وما ورد من وصفها في الأحاديث الشريفة ...

فقد بين الله ـ عز وجل ـ أن أبواب الجنة كثيرة ، وليس لها باب واحد ، وذلك كما في قوله عز شأنه :

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[1] .

فالآية الكريمة تبين أن الملائكة تكرّم أهل الجنة بالدخول عليهم من كل باب من أبوابها ، وإلقاء السلام عليهم ، بشري من الله لهم بالنعيم الذي أُعِدَّ لهم في الجنة ...

وفي صياغة الآية الكريمة دلالة على كثرة أبواب الجنة وسعتها . حيث أضيف لفظ (كل) الدال على العموم[2] ، إلى كلمة (باب) النكرة لتكون دالة على الكثرة ... ثم إن صيغة الجمع في المبتدأ (الملائكة) تدل على سعة الأبواب وعظمتها ... حيث تبين الآية الكريمة بهذا النسق أن كل باب من أبواب الجنة ، يدخل منه عدد كبير من الملائكة للسلام على أهل الجنة وتبليغهم بشرى الله عز وجل لهم ... وقد أخرج الطبري عن عبد الله بن عمرو أنه قال : « إن في الجنة قصراً يقال له عدن ، حوله البروج والمروج ، فيه خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة ، لا يدخله إلا نبي أو صدّيق أو شهيد »[3] .

---

(١) سورة الرعد ، الآيتان : ٢٣ ـ ٢٤ .

(٢) حروف المعاني ، لأبي القاسم الزجاجي ، ص ١٧ ، تحقيق د/ حسن شاذلي فرهود .

(٣) جامع البيان ، م٨ ج١٣ ص١٤٢ .

وقد بين المفسرون المراد من قوله تعالى : ﴿ من كل باب ﴾ حيث قالوا [1] : أي من أبواب الجنة . أو من أبواب القصور . أو من كل باب من أبواب البر كباب الصلاة ، وباب الزكاة ، وباب الصبر . أو من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف . أو يكون بمعني النوع كالبابة ، فيكون مجازاً أو كناية ، أريد به دخول الأرزاق الكثيرة عليهم ، وأنها تأتيهم من كل جهة .

ولا مانع من أن يكون قوله تعالى : ﴿ من كل باب ﴾ دالاً على أبواب الجنة ، وأبواب القصور ، وأبواب البر فيها ... لما في هذا المعني من دلالة على مزيد الحفاوة والتكريم لأهل الجنة الذي تدل عليه صياغة الآية الكريمة ... وقد دلت الأحاديث الشريفة على كثرة أبواب الجنة وتعددها ... فقد أخرج مسلم في صحيحه عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسي عبد الله وابن أَمَته وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء » [2] . كما أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أنفق زوجين في سبِيل الله نودي من أبواب الجنة ، يا عبد الله هذا خيرٍ ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعِيَ من بابِ الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دُعِيَ من بابِ الصدقة . فقال أبو بكر رضي الله عنه : بِأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما عَلى من دُعِيَ من تلك الأبواب من ضرورة ؟ فهل يدعي أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم » [3] .

كما بين الله ـ عز وعلا ـ صفة أبواب الجنة في قوله سبحانه :

---

(١) انظر : تفسير البغوي ، ج٣ ص١٦ . التفسير الكبير ، ج١٩ ص٤٥ . حاشية الشهاب ،ج٥ ص٢٣٦ . روح المعاني ، ج١٣ ص١٤٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١ ص٢٢٧ .

(٣) صحيح البخاري ، ج٣ ص٣٢ .

﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ ﴾[١].

حيث وصفت الآية الكريمة أبواب الجنة بأنها مفتّحة لاستقبال أهلها والترحيب[٢]. بهم . وقد لخص الفخر الرازي المعاني المرادة من قوله تعالى (مفتحةً لهم الأبواب ) ، حيث قال : « وفي قوله (مفتحة لهم الأبواب ) وجوه (الأول) : أن يكون المعني : أن الملائكة الموكلين بالجنان إذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له أبوابها وحيوه بالسلام ، فيدخل كذلك محفوفًا بالملائكة على أعز حال وأجمل هيئة ، ... (الثانى) : أن تلك الأبواب كلما أرادوا انفتاحها انفتحت لهم ، وكلما أرادوا انغلاقها انغلقت لهم، ... (الثالث) : المراد من هذا الفتح ، وصف تلك المساكن بالسعة ، ومسافرة العيون فيها ، ومشاهدة الأحوال اللذيذة الطيبة »[٣].

والتفسير الراجح من هذه الوجوه هو الوجه الثالث ، وهو أن المراد من هذا الفتح هو وصف تلك المساكن بالسعة ، ومسافرة العيون فيها ومشاهدة الأحوال اللذيذة ... وذلك أن في هذا التفسير دلالة على سعة انفتاح أبواب الجنة ... وقد بين الحديث الشريف هذه الصفة في أبوابها ... فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ... والذي نفسي بيدهِ ما بين المصراعيـن من مصاريع الجنة ، كما بين ، مكة وهَجَر ، وكما بين مكة وبُصْري »[٤]. كا أن في بيان صفة أبواب الجنة بأنها مفتحة لأهلها ، دلالة على ما ينعم به أهلها من مزيد الحفاوة والترحيب والتكريم لهم ... فهم في كل حركاتهم فيها وتنقلاتهم لا يحتاجون إلى الاستئذان على الأبواب، وإنما لهم الحرية التامة في تنقلاتهم ، ومشاهدة ما يمتعهم من ألوان اللذائذ واللطائف في الجنة ...

ويصف الله ـ عز وجل ـ أبواب الجنة بأنها مفتحةٌ حال استقبال أهلها في آية

---

(١) سورة ص ، الآيتان : ٤٩ ـ ٥٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٤ ص٣٣٧ . معاني القرآن الكريم ، للنحاس ،ج٦ ص١٢٦ . تفسير البغوي ، ج٤ ص٦٦ . الكشاف ، ج٣ ص٣٣٢ .

(٣) التفسير الكبير ، ج٢٦ ص٢١٩ .

(٤) سنن الترمذي ، ج٤ ص٦٤ . باب ما جاء في الشفاعة .

أخري ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[1].

حيث بينت الآية الكريمة ، أن أبواب الجنة مفتَّحة حال استقبال أهلها .. وذلك أن أبواب الأفراح تكون مفتّحةً لانتظار من يقوم عليها[2] ..

## غرف الجنة :

ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ مساكن الجنة ، وسمي درجاتها غرفًا ، إذ وردت آيات تبين أن المؤمنين المتقين يستقرون آمنين في غرف الجنة المبنية بعضها فوق بعض ..

والغرف في الجنة وردت في القرآن بلفظ المفرد كما في قوله سبحانه :

﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾[3].

والغرفة في اللغة كما قال ابن منظور : « العلِّية ، والجمع غُرْفات وغُرَفات وغُرْفات وغُرَف . والغرفة : السماء السابعة »[4]... فالغرفَة كما ظهر من معناها اللغوي : أعلى البناء ، ولذا أطلقت على السماء السابعة ، وسميت منازل الجنة غرفًا لأنها والله أعلم ـ في أعلى الجنة .

وقد بين أهل اللغة والمفسرون[5] أن المقصود من لفظة الغرفة في الآية : الدرجة

---

(١) سورة الزمر ، آية : ٧٣ .

(٢) درست هذه الآية في مبحث الترحيب بأهل الجنة والسلان عليهم ص٤٠١ .

(٣) سورة الفرقان ، آية : ٧٥ .

(٤) لسان العرب ، ج٩ ص٢٦٤ ، مادة غرف .

(٥) انظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ص٣٧٢ . تفسير البغوي ج٣ ص٣٧٩. تفسير الكشاف ج٣ ص١٠٦ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٢٤ ص١١٥ . تفسير النسفي ج٢ ص٥٥٧ . تفسير البحر المحيط ج٦ ص٥١٧ . بصائر ذوي التمييز للفيروزابادي ج٤ ص١٣٠. تفسير أبي السعود ج٦ ص٢٣١ ـ ٢٣٢ . تفسير حاشية الشهاب ، ج٦ ص٤٣٨ . تفسير روح المعاني ج١٩ ص٥٣ . تفسير في ظلال القرآن ج٥ ص٢٥٨١ .

الرفيعة ، أو العلّية ، أو اسم للجنة يراد به الدرجات العالية ، أو السماء السابعة . أو أعلى درجات الجنة ، أو الدرجة العالية من المنازل ، أو المكان الخاص في الجنة .

ويمكن الجمع بين هذه المعاني كلها بأنها العلّية أي الدرجة الرفيعة العالية الخاصة التي أعدها الله لأوليائه المتقين في الجنة ... وذلك لأن العلّية هي الغرفة في أعلى البناء[1] ، فدل ذلك على أن المراد بقوله سبحانه : (الغرفة) الدرجة العالية الخاصة من الجنة .. بل هي أعلى درجات الجنة وأحسنها . ويدل على هذا الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن سهل ابن سعد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب الدري في السماء »[2] .

وهيئة هذه المنزلة من الجنة والتي سماها الله الغرفة لا يعلمها إلا هو وقد نقل البغوي وأبو حيان[3] عن عطاء وابن عباس أنها : بيوت من زبرجد ودر وياقوت .

وقد ورد لفظ (الغرفة) مفرداً معرّفًا في هذه الآية ، يراد به الجنس أي يقصد بالغرفة الغرفات ، يدل على هذا أن الله ـ سبحانه ـ ذكره في آية أخري جمعاً معرفاً في قوله سبحانه : ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [4] .

وقد ألمح الزمخشري إلى إرادة الجنس من لفظ المفرد في قوله تعالى : (الغرفة) ، إذ قال[5] : « فوحد اقتصاراً على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله : (وهم في الغرفات آمنون ) وقراءة من قرأ في الغرفة » .

وإرادة الجنس من لفظ المفرد في قوله تعالى ( الغرفة ) أدت إلى أن يقرأ بعض القراء قوله تعالى :

---

(١) انظر التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٢٤ ص١١٥ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ج١٧ ص١٦٨ .
(٣) انظر تفسير البغوي ج٣ ص٣٧٩ . تفسير البحر المحيط ج٦ ص٥١٧ .
(٤) سورة سبأ ، من الآية : ٣٧ .
(٥) الكشاف ج٣ ص١٠٦ . وانظر تفسير النسفي ج٢ ص٥٥٧ . تفسير أبي السعود ج٦ ص٢٦٢ . تفسير حاشية الشهاب ج٦ ص٤٣٨ .

﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾[1].

بالأفراد لإرادة الجنس ، وقد ألمح الألوسي[2] إلى مزية الإفراد في قراءتهم إذ قال : « ... وابن وثاب والأعمش وطلحة وحمزة وخلف (في الغرْفة ) بالتوحيد وإسكان الراء وابن وثاب أيضاً بالتوحيد وضم الراء . والتوحيد على إرادة الجنس . لأن الكل ليسوا في غرفة واحدة والمفرد أخصر مع عدم اللبس فيه » .

وهذا يدل على أن (الغُـرْفـة) و (الغُـرُفـات) اسم دال على أعلى منازل الجنة ودرجاتها . وهي لا تختلف في دلالتها سواء في الإفراد أم في الجمع ، ولكن التعبير القرآني في صياغة المفرد والجمع يدل غلي صفة هذه المنزلة الرفيعة من الجنة ، فهي وإن كانت أعلى منزلة في الجنة فإنها في حد ذاتها تنقسم إلى درجات بعضها أعلى من بعض ...

وللطيبي رأي آخر في سر التعبير القرآني بالإفراد والجمع في قوله تعالى (الغرفة ) و(الغرفات) وهو كما نقله الألوسي[3] : وإيثار الجمع هنالك على ما قال الطيبي لأنها رتبت على الإيمان والعمل الصالح ولاخفاء في تفاوت الناس فيهما ، وعلى ذلك تتفاوت الأجزية ، وها هنا رتب على مجموع الأوصاف الكاملة فلذا جيء بالواحد دلالة على أن الغرف تتفاوت » .

ويبدو أن كلامه يعتمد على الربط بين العمل والجزاء ، فهو يربط بين العمل الصالح والمنزلة التي يستحقها به المؤمن في الجنة ولكنه لا يوضح صفة للجنة ...

ويبدو أن (الغرفات) في الجنة نعيمها يختلف ـ والله أعلم ـ عن المنازل والدرجات الأخري التي بينها الله ـ سبحانه ـ على الجنة ، ذلك أنه سبحانه قال( وهم في الغرفات آمنون ) فهم علاوة على ما هم فيه من راحة واستمتاع ونعيم ، يشعرون بالأمن التام

---

(١) سورة سبأ ، من الآية : ٣٧ .

(٢) تفسير روح المعاني ج٢٢ ص١٤٩ .

(٣) تفسير روح المعاني ، ج١٩ ص٥٣ .

عن زوال هذه النعمة ، والأمن من جميع المكاره وكل ما يكدر هذا الأمن والنعيم[1] .. فهم في نعيم روحي ومادي أبدي لا ينقطع عنهم ولا يزول .

وقد ذكر الله ـ سبحانه ـ هذه المنزلة من الجنة (الغرف) في آية أخري جمعاً دون تعريف ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[2].

و (غرفا ) كما ذكر المفسرون[3] بمعني علالي ، وهي جمع عِلِّية ، والعِلِّية كما ذُكِرَ آنفاً هي الغرفة التي في أعلى البناء .

والتنكير مع الجمع . يدل على التكثير والتعظيم ، بحيث تصور هذه الكلمة سعة عظيمة وكثرة هائلة لهذه الغرف ...

ويبدو أن هذه الغرف مع عظمتها وكثرتها متناهية البعد عن بعضها بعض ، يدل على هذا الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدُّرِّي الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ... »[4].

وهذا الحديث يدل على أن كثرة هذه الغرف وتباعدها مرتبطة بمنازل المتقين وتفاضلهم في أعمالهم ...

---

(١) انظر التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٢٥ ص٢٦٢ . تفسير النسفي ج٣ ص١٠٢ . تفسير أبي السعود ج٧ ص١٣٦ . تفسير روح المعاني ج٢٢ ص١٤٩ .

(٢) سورة العنكبوت ، آية : ٥٨ .

(٣) انظر تفسير البغوي ج٣ ص٤٧٣ . تفسير الكشاف ج٣ ص١٩٤ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٢٥ ص٨٥ ـ ٨٦ . تفسير النسفي ج٢ ص٩٤ . تفسير البحر المحيط ج٧ ص١٥٧ . تفسير أبي السعود ج٧ ص٤٥ . تفسير حاشية الشهاب ج٧ ص١٠٨ . تفسير روح المعاني ج٢١ ص١٠ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ج١٧ ص١٦٩ .

وفي الآية الكريمة زيادة وصف لهذه الغرف التي أعدها الله ـ سبحانه ـ لأوليائه، إذ قال سبحانه:

﴿ ... لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... ﴾[1].

فالغرف المعدة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات وصفها الله سبحانه بأن الأنهار تجري من تحتها زيادة في المتعة والإحساس بالنعيم؛ لأن الماء مع الخضرة والجو اللطيف والنسيم العليل من أحسن ما يتمتع به الإنسان في الدنيا، لذا وصف الله له الجنة بما يقرب من إدراكه وفهمه ليشتد تعلقه بهذه المنزلة من الجنة فيكثر من العمل الصالح الذي يوصله إليها.

وقد بين الله ـ سبحانه ـ أن غرف الجنة مبنية بعضها فوق بعض كما في قوله سبحانه:

﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾[2].

والغرف هي العلالي ولكنها في هذه الآية: بعضها فوق بعض، أي بعضها أرفع من بعض. كما بين أهل اللغة والمفسرون[3]. وقد وصف الله سبحانه هذه الغرف بأنها (مبنية) فما سر ذلك الوصف في التعبير القرآني؟:

وقد بين المفسرون[4] أن المقصود بقوله تعالى (مبنية) الدلالة على أن صفة هذه الغرف أنها: سويت تسوية المباني في الدنيا في القوة والمتانة والرصانة، أو أن هذا الوصف تأكيد للحقيقة وبيان أن هذه الغرف وعلو شأنها، حيث وصفت بأن الله سبحانه وتعالى

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٥٨.

(٢) سورة الزمر، آية: ٢٠.

(٣) انظر معاني القرآني وإعرابه، للزجاج، ج٤ ص٣٥٠. تفسير البغوي ج٤ ص٧٥. تفسير النسفي ج٣ ص٢١٥. تفسير البحر المحيط ج٧ ص٤٢٢. تفسير أبي السعود ج٧ ص٢٤٩.

(٤) انظر تفسير الكشاف ج٣ ص٣٤٣. تفسير البحر المحيط ج٧ ص٤٢٢. تفسير أبي السعود ج٧ ص٢٤٩. تفسير حاشية الشهابي ج٧ ص٣٣٤. تفسير روح المعاني ج٢٣ ص٢٥٤.

هو الباني لها .

وقد فصّل الفخر الرازي المقصود بهذا الوصف الإلهي للجنة بقوله : « فإن قيل : مامعني قوله : (مبنية) ؟ قلنا : لأن المنزل إذا بني على منزل آخر تحته كان الفوقاني أضعف بناءً من التحتاني فقوله : (مبنية) معناه أنه وإن كان فوق غيره لكنه في القوة والشدة مساوٍ للمنزل الأسفل »(١) .

وذكر الآلوسي رأيًا آخر مخالفًا لما سبق في سر الوصف بقوله تعالى : (مبنية) ، إذ قال : « وأقول والله تعالى أعلم : وصفت الغرف للإشارة إلى أنها مهيأة معدة لهم قد فرغ من أمرها كما هو ظاهر الوصف لا أنها تبني يوم القيامة لهم ، وفي ذلك من تعظيم شأن المتقين ما فيه »(٢) .

والراجح فى سر الوصف للغرف بأنها (مبنية) أن ذلك ـ والله أعلم ـ تقريب لوصف الجنة من إدراك الإنسان في الدنيا ، ذلك أنه وصف لها يقربها من فهم العقل البشري ، بحيث يعلم أنها حقيقة ، فيراها ببصيرته مبنية مجهزة لاستقبال المتقين . وفي هذا زيادة ترغيب في الجنة وتحبيب في مساكنها التي بنيت وأُعدّت لتكون دار قرار ، ومكان استقرار ، وليست محتملة للتنقل أو الترحال . أما كنه هذه الغرف وهيأتها فعلمه عند الله ...

وقد ألمح ابن قيم الجوزية إلى شيء من مزية هذا الوصف لغرف الجنة ، إذ قال : «فأخبر أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناء حقيقة لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل ، وأنه ليس هناك بناء . بل تتصور النفوس غرفًا مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض حتي كأنها ينظر إليها عيانًا »(٣) .

وإذا كانت منازل الجنة ودرجاتها غرف مبنية بعضها فوق بعض فما سر ذكر الخيام في آيات أخري في وصف الجنة ، كما في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾(٤) .

---

(١) التفسير الكبير ج٢٦ ص٢٦٣ .

(٢) روح المعاني ج٢٣ ص٢٥٤ .

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص١٠٢ .

(٤) سورة الرحمن ، آية : ٧٢ .

والخيام جمع خيمة ، والخيمة : « بيت من بيوت الأعراب مستدير يبنيه الأعراب من عيدان الشجر ... وقيل : هي ثلاثة أعواد أو أربعة يلقي عليها الثمام ويستظل بها في الحر ، والجمع خيمات وخيام ... »(١) .

والخيام في الآية كما بينها أهل اللغة والمفسرون (٢) : البيوت ، أو الهوادج ، أو بيت الرجل كالبيت من الخشب ، أو بيوت من الدر المجوف أو اللؤلؤ .

وأيًا كان المقصود بالخيام في الآية ، فإنها تثبت أن في الجنة خيامًا . وقد وصف الحديث الشريف خيام الجنة ، كما في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن سعيد بن منصور عن أبي قدامة ... أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوّفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يري بعضهم بعضاً »(٣) .

وهذا يبين أن في الجنة خيمة لكل مؤمن ... كما دلت الآيات والأحاديث السابقة أن في الجنة غرفًا ... فما الفرق بين الغرف والخيام ... وما سر ذكرهما في الجنة ؟..

الراجح أن هناك فرقًا بين الغرف والخيام ... فالغرف ـ والله أعلم ـ أعلى منزلة في الجنة كما ظهر من معني الغرفة في اللغة ، وكما دل الحديث الشريف . أما الخيام فالأية والحديث الشريف يدلان على أنها مشاعة في الجنة لكل المؤمنين ...

أما سر التعبير القرآني في ذكر الغرف والخيام فهو ـ والله أعلم ـ أن الخيام بيوت الأعراب التي ألفوها وأحبوها لأنها علامة ترحلهم وتنقلهم لطلب المرعي والتنزه . فورد ذكرها في وصف الجنة تشويقًا وتحبيبًا لمن أحب حياة الترحال ... أما الغرف المبنية ، فإنها علامة على الاستقرار والإقامة ، ودليل الحضارة والمدنية ، ولذا فهي مطمع للنفوس التي تري فيها تحقيق الاستقرار والإقامة ، وذكرها كأعلى منازل الجنة دليل على أنها

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور مادة خيم ج١٢ ص١٩٣ .
(٢) انظر مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٤٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ص١٠٢ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ج٢٩ ص١٣٥ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦١ . تفسير البحر المحيط ، ج٨ ص١٩٩ . تفسير روح المعاني ج٢٧ ص١٢٣ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ج١٧ ص١٧٥ .

مطلب نفيس لا يحصل عليه إلا من استحق أعلى درجات الجنة ... والله أعلم .

وللفخر الرازي رأي غريب في سر قوله تعالى :

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾[(١)] .

وذلك قوله : « وهو أن المؤمن في الجنة لا يحتاج إلى التحرك لشيء ، وإنما الأشياء تتحرك إليه . فالمأكول والمشروب يصل إليه من غير حركة منه ، ويطاف عليهم بما يشتهونه ، فالحور يكنَّ في بيوت وعند الانتقال إلى المؤمنين في وقت إرادتهم تسير بهن للارتحال إلى المؤمنين خيام ، وللمؤمنين قصور تنزل الحور من الخيام إلى القصور ...»[(٢)] .

وهذا الرأي فيه بعد عن حقيقة وصف الجنة التي تبينها الآيات والأحاديث ، فهو يبين أن الحور تعرض على المؤمنين عند أرادتهم في الخيام ... على اعتبار أن الخيام هوادج ... ولكن الآيات القرآنية لم تذكر أن الحور مما يطاف به على أهل الجنة ... حيث قال سبحانه .

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴾[(٣)] .

وقال سبحانه :

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾[(٤)] .

ولم يرد ذكر لطواف الحور على المؤمنين ... ثم إن الحديث الشريف الذي ورد فيه ذكر الخيام : « إن للمؤمن في الجنة الخيمة ...»[(٥)] ، يدل على أن لكل مؤمن خيمة في الجنة فيها أهله وهو يطوف عليهم .

---

(١) سورة الرحمن ، آية : ٧٢ .

(٢) التفسير الكبير ج٢٩ ص١٣٥ .

(٣) سورة الإنسان ، من الآية : ١٥ .

(٤) سورة الإنسان ، من الآية : ١٩ .

(٥) صحيح مسلم ج١٧ ص١٧٥ . كتاب الجنة وصفة نعيمها . وانظر صحيفة ١٣٩ مما سبق .

# المبحث الثاني

## الفرش في الجنة

بيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه الكريم ما في الجنة من الفرش والرياش والبسط والوسائد التي يرتفق بها المؤمنون ، فبين أن فيها أرائك وسرراً وبسطاً ووسائد ... يتكيء عليها المؤمنون فينظرون إلى ما أولاهم الله من النعيم والملك ... وفي هذا متعة حسية وروحية ... لا يصل العقل البشري إلى كنهها ، وإنما حاول تخيلها من خلال ما جاء من وصفها في القرآن الكريم ... حيث قرّب الله ـ سبحانه ـ وصفها للإنسان بما يعرف من أمور دنياه ... وأما حقيقة ما في الجنة من النعيم الحسي والروحي فلا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .

ونحاول في هذا المبحث أن نستعرض ما جاء في القرآن الكريم من وصف لفرش الجنة ... حيث بدت الجنة بما فيها من فراش وثير ... مكان متعة حسية ومعنوية ... لا يصل إلى كنه حقيقتها عقل بشري مهما بلغت درجة تخيله بالنسبة إلى ما في الجنة من جمال ومتاع .

وقد بينت الآيات التي تصور فرش الجنة . أن في الجنة سرراً وأرائك ونمارق وزرابى، وثيرة وناعمة ومريحة ، تجلب المتعة والسرور والراحة الجسمية والنفسية لأهل الجنة . كما بينت كيفية جلوس أهل الجنة على ما هيأه الله فيها من فرش ومتاع ... وما يشيع بينهم من المودة والألفة والتقارب بحيث يجلسون متقابلين متصافين ليس بينهم بغضاء ولا غل ولا تنافس ... ولا كراهية . بل هم في صفاء دائم يدور بينهم حديث الألفة والمحبة ، منشغلين بالمتع التي هيأها الله لهم ...

ونستطيع تقسيم الآيات التي وصفت فراش الجنة حسب ما ذكر في وصفها من الأثاث ، وحسب هيأت الجلوس التي وصفها الله لأهل الجنة ... فنجد آيات تصف كيفية جلوس أهل الجنة بأنهم متكئون ، وآيات أخري تبين أنهم متكئون على الآرائك والسرر متقابلين وناظرين إلى ما وهبهم الله من النعم ، وثالثة تصف السرر والنمارق والزرابي وكيفية وجودها وهيأتها في الجنة ...

فقد وصف الله هيئة الجلوس لأهل الجنة فبين أنها الاتكاء كما قال سبحانه :

﴿ جنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ ۝٥٠ مُتَّكِئِينَ فِيهَا ... ﴾[1] .

ولم تبين هذه الآية الكريمة الذي يتكئون عليه ، وإنما بينت أن هيئة الجلوس في الجنة هي الاتكاء . وهذا يدل على الراحة والاستقرار والأمن في جلوس أهل الجنة ، فالجلوس في رهبة وخوف لا يجلس متكئًا . ذلك أن معني اتكأ : « جلس متمكناً مستقراً »[2] .

وذلك ـ والله أعلم ـ يترك مجالاً خصباً للخيال ليتصور أجمل وأروع وأحسن ما يتكيء عليه الجالسون من أهل الجنة .

وإن كان هناك بيان لما يتكأ عليه في آيات أخري يأتي ذكرها .

والسبب في نصب قوله تعالى : (متكئين) من الآية أنه حال . وقد بين الفخر الرازي العامل في هذه الحال بقوله : « قوله (متكئين فيها) حال قدمت على العامل فيها وهو قوله (يدعو فيها) والمعني يدعون في الجنات»[3] .

وذلك أنهم يتكئون في مجالسهم بعد دخولهم الجنات ، وأنهم يدعون وهم متكئون ، وهذا غاية في الرفاهية والنعيم ، لأن هذه الهيئة التي توضحها الآية لجلوس أهل الجنة ، ليست هيئة مرهق أو متعب أو متربص لخوف ، بل هي هيئة من هو صافي الذهن ، الذي لا يشغله هم أو تفكير في أمر طعامه أو شرابه أو ما يتعلق بشيء من شئونه الخاصة . بل هو مترف مرفه من أهل السعادة المخدومين .

وقد أشار أبو حيان إلى هذا المعني بقوله : « والاتكاء من هيآت أهل السعادة »[4] . كما أن دعاءهم للطعام والشراب وهم متكئون فيه إشارة إلى فراغهم من التكاليف الدنيوية ، وعدم الالتزام بها .. فقد ورد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يدل

---

(١) سورة ص من الآيتين ٥٠ ـ ٥١ .

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية ٢ة ص٨٧٩ .

(٣) التفسير الكبير ٢٦ ص٢١٩ . وانظر حاشية الشهاب ج٧ ص٣١٦ .

(٤) تفسير البحر المحيط ج٧ ص٤٠٥ .

على النهي عن الأكل متكئًا فيما أخرجه البخاري عن أبي جحيفة قال : كنت عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لرجل عنده : « لا آكل وأنا متكىء »[1]. فإذا كان الأكل في الدنيا حال الاتكاء ليس مرغوبًا ونهي عنه الرسول عليه الصلاة والسلام، فإن الإتكاء والأكل في الجنة كما تدل عليه الآية الكريمة دليل على غاية النعيم والرفاهية التي يعيشها أهل الجنة بعيداً عن التكاليف الدنيوية ؛ ذلك لأن الدنيا دار تكليف، أما الجنة فهي دار الفراغ من التكاليف والتمتع بكل ألوان النعيم . وقد ألمح سيد قطب إلى هذه المتعة بقوله : « فأما الأولون فلهم جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ولهم فيها راحة الاتكاء ، ومتعة الطعام والشراب »[2]. كما أن الاتكاء في الجنة دليل على صحة البدن وقوته . وقد أشار إلى هذا المعني الفخر الرازي حيث قال : « الاتكاء من الهيئات الدالة على صحة الجسم وفراغ القلب ، فالمتكىء تكون أمور جسمه على ما ينبغي وأحوال قلبه على ما ينبغي ، لأن العليل يضطجع ولا يستلقي ، أو يستند إلى شيء على حسب ما يقدر عليه للاستراحة ، وأما الاتكاء بحيث يضع كفه تحت رأسه ومرفقه على الأرض ويجافي جنبيه عن الأرض فذاك أمر لا يقدر عليه ، وأما مشغول القلب في شيء فتحركه مستوفز »[3].

ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ فراش الجنة في آيات أخري بين فيها هيئة الاتكاء في الجنة ، ونوع الفرش التي تسعمل في الاتكاء ، فذكر أن أهل الجنة يتكئون على فرش، وسرر وأرائك ... فمن هذه الآيات فوله تعالى :

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾[4].

والفُرُش جمع الفراش [5]، وهو : ما افترش[6] في الأرض ليكون وطاءً ممهداً

---

(١) صحيح البخاري ج٧ ص٩٣ باب الأكل متكئًا ١٣ .
(٢) في ظلال القرآن ج٥ ص٣٠٢٣ .
(٣) التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٢٧ .
(٤) سورة الرحمن ، من الآية : ٥٤ .
(٥) انظر تفسير البغوي ج٤ ص٢٧٤ ، تفسير النسفي ج٣ ص٤٥٩ .
(٦) انظر لسان العرب ، لابن منظور ج٦ ص٣٢٦ مادة فرش .

يمكن أن يستقر عليه . وقد جُمِعَ اللفظ في الآية ليصور مدي كثرة هذه الفرش في الجنة وكيفية انتشارها فيها ، كما يشير إلى هذا قول الفخر الرازي إذ يقول : « الظاهر أن لكل واحد فرشاً كثيرة لا أن لكل واحد فراشاً فلكلهم فرش عليها كائنون »(١) .

وقد اختلف المفسرون في المقصود بالاستبرق فقالوا (٢) : هو : ما غلظ من الديباج. أو هو المتاع الصيني الذي ليس له صفاقة الديباج ولا خفة الفرند . أو هو الديباج الصفيق جداً . أو هو الديباج الثخين . أو هو المخمل الحرير السميك . ويحلظ أن الاختلاف ليس متفاوتًا كثيراً . وإنما الذي اهتم به المفسرون هو السر في ذكر البطائن دون الظهائر ... فبين بعضهم النكتة البلاغية من ذكر بطائن الفرش دون ظهائرها ؛ وذلك أن البطائن إذا كانت من الإستبرق وهو الديباج الغليظ كانت الظهائر أعلى وأشرف ، وقد بين ابن قتيبة الحكمة البيانية من ذكر البطائن دون الظهائر ، إذ قال : «وإنما أراد الله ـ جل وعز ـ أن يعرفنا ـ من حيث نفهم ـ فضل هذه الفرش وأن ما ولي الأرض منها استبرق ، وهو الغليظ من الديباج . وإذا كانت البطانة كذلك فالظهارة أعلى وأشرف»(٣) .

كما ذكر الفخر الرازي وجهاً آخر من وراء ذكر البطائن دون الظهائر إضافة إلى الوجه الأول ، وذلك إذ قال : « قال أهل التفسير ، قوله (بطائنها من استبرق ) يدل على نهاية شرفها ، فإن ما تكون بطائنها من الاستبرق تكون ظهائرها خيراً منها ، وكأنه شيء لا يدركه البصر من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم ، وفيه وجه آخر معنوي : وهو أن أهل الدنيا يظهرون الزينة ، ولا يتمكنون من أن يجعلوا البطائن كالظهائر ، لأن غرضهم إظهار الزينة ، والبطائن لا تظهر ، وإذا انتفي السبب انتفي المسبب ، فلما لم

---

(١) التفسير الكبير ج٢٩ ص١٢٦ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ج٣ ص١١٨ ، مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٤٥ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٤٢ ، معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١٠٤ . تفسير الكشاف ، ج٤ ص٥٤ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٢٩ ص١٢٦ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٨٥ . تفسير في ظلال القرآن ، لسيد قطب ج٦ ص٣٤٥٧ .

(٣) تفسير غريب القرآن ص٤٤١ ـ ٤٤٢ .

يحصل في جعل البطائن من الديباج مقصودهم وهو الإظهار تركوه ، وفي الاخرة الأمر مبني على الإكرام والتنعيم فتكون البطائن كالظهائر فذكر البطائن »[1].

والأظهر أن الوجه الأول أرجح لأنه يتفق مع طريقة التعبير القرآني ، ذلك أن القرآن في وصف الجنة يبرز عادة ما يقل شأنه ليترك الخيال يتصور عظمة وحسن ما لم يذكر ... كما قال سبحانه في وصف سعة الجنة :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾[2].

فذكر سعة العرض وهو دون الطول ليتخيل العقل سعة أعظم وأوسع للطول .

وقد اجتهد اللغويون والمفسرون في ذكر المقصود بالظهائر ، فقد ذكر الفراء أن البطانة قد تكون ظهارة حيث قال : « وقد تكون البطانة ظهارة والظهارة بطانة في كلام العرب ، وذلك أن كل واحد منهما قد يكون وجهًا ، وقد تقول العرب : هذا ظهر السماء ، وهذا بطن السماء لظاهرها الذي تراه »[3].

وهذا كلام مرجوح لأن فيه قلبًا لمعاني الألفاظ وهو تأويل لا تحمله الآية ، ويقلل من السر البياني للتعبير القرآني ، وقد رد عليه ابن قتيبة بقوله : « قال الفراء : قد تكون البطانة ظهارة ... وهذا أيضًا من عجب التفسير . كيف تكون البطانة ظهارة ، والظهارة بطانة ـ والبطانة ما بطن من الثوب ، وكان من شأن الناس إخفاؤه ، والظهارة ما ظهر منه وكان من شأن الناس إبداؤه ، وهل يجوز لأحد أن يقول لوجه مصلّي : هذا بطانته ، ولما ولي الأرض منه : هذه ظهارته »[4].

وذكر المفسرون تأويلات أخري للمقصود بالظهائر فقالوا [5] : ظواهرها من نور

---

(١) التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٢٨ .

(٢) سورة آل عمران ، من الآية : ١٣٣ .

(٣) معاني القرآن ، ج٣ ص١١٨ .

(٤) تفسير غريب القرآن ، ص ٤٤١ .

(٥) انظر تفسير البغوي ج٤ ص٢٧٤ . تفسير الكشاف ج٤ ص٥٤ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٥٩ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص١٩٧ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٨٥ . تفسير روح المعاني ، ج٢٧ ص١١٨ .

جاهد ، أو من نور يتلألأ ، أو من سندس ، أو لا يعلمها إلا الله .

والراجح في هذه الأقوال أن الظهائر لا يعلمها إلا الله ، وإنما ذكرت البطائن لتترك للخيال مجالاً أوسع في تخيل كيفية ونوع الظهائر والله أعلم .

وإنما الذي يلفت النظر في هذه الآية أنها وضحت المتكأ الذي يتكىء عليه أهل الجنة فبينت أنه فرش وثيرة مريحة مبطنة بالإستبرق ... وكأن هذا تدّرج في ذكر ما في الجنة من فراش . لتأتي الآيات الأخري في هذا المجال مبينة ما هي هذه الفرش ...؟

ويقول الله سبحانه وتعالى في بيان فرش الجنة :

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾[1] .

وفي هذه الآية بيان لما يتكىء عليه أهل الجنة من فراش وهو هنا : (رفرف خضر وعبقري حسان ) فما الرفرف والعبقري الذي يُتكأُ عليه في الجنة ؟.

اختلفت أقوال اللغويين وأهل التفسير في بيان المقصود بالرفرف فذكروا أنها[2] : رياض الجنة ، أو المخاد ، أو الفرش والبسط ، أو المحابس أو الوسائد ، أو الفرش المرتفعة ، أو المجالس ، أو فضول المجالس والبسط ، أو المرافق أو الزرابي ، أو مجالس خضر فوق الفرش ، أو ثياب خضر يتخذ منها المحابس ، أو ما فضل فثني ، أو النمارق ، أو أطراف البسط ، أو كسر الخباء .

وهذه الأقوال ترجع إلى ما يصوره اللفظ القرآني من بيان فراش أهل الجنة ، فاللفظ (رفرف) يصور مدي الرقة والنعومة والطراوة والليونة في متكأ أهل الجنة ، ويمكن أن يُفهم اللفظ على تشبيه فراش الجنة برفرفة رياضها في الرقة والطراوة واللون ولذلك فالراجح أن يُفَسَّر الرفرف بما ذكره الراغب الأصفهاني حيث قال : « وقوله تعالى : (

---

(١) سورة الرحمن آية : ٧٦ .

(٢) انظر معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١٢٠ . مجاز القرآن لأبي عبيدة ج٢ ٢٤٥ ، تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٤٣ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١٠٢ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٧٨ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص١٩٨ ـ١٩٩ . بصائر ذوي التمييز ، للفيروزابادي ، ج٣ ص٩١ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٨٧ . في ظلال القرآن ، لسيد قطب ج٦ ص٣٤٥٨ .

على رفرف خضر ) : فضربٌ من الثياب مشبّه بالرياض »[١] . والثياب أي القماش يكون منه المفارش والبسط والمخاد والوسائد ... وقد فسره الفخر الرازي بتفسير آخر حيث قال : « الرفرف : إما أن يكون أصله من رف الزرع إذا بلغ من نضارته فيكون مناسبًا لقوله تعالى : (مدهامتان) ويكون التقدير أنهم متكئون على الرياض والثياب العبقرية ، وإما أن يكون من رفرفة الطائر وهي حومه في الهواء حول ما يريد النزول عليه فيكون المعنى أنهم على بسط مرفوعة كما قال تعالى : ( وفرش مرفوعة) »[٢] .

وهذا التفسير يعلل لتشبيه تتكأ أهل الجنة : بالرياض والطير كما يوحيه استعمال اللفظ (رفرف) . وكأنه كما يقول الدكتور شوقي ضيف « بساط أو شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به وارتفع أو هوي كالمراجيح يمينًا وشمالاً ورفعًا وخفضًا . وكأنه بساط طائر ... »[٣] .

وفي وصفه بقوله تعالى (خضر) دليل على مشابهته بالرياض الخضراء ، وفيه متعة للنظر والروح ، لأن الخضرة من الألوان التي تمتع النفس ويميل إليها البصر .

والرفرف اسم جنس جمعي واحده رفرفة ، يدل عليه وصفه بصيغة الجمع وهو قوله سبحانه : (خضر) ، والجمع في قوله تعالى : (متكئين) ... وصيغة الجمع هذه تصور كثرة وانتشار ما يتكيء عليه أهل الجنة ، بحيث يكون لكل واحد رفارف كثيرة يتكيء عليها . وقد قريء : على رفارف خضر ، ورفارف خضار[٤] وعباقر ...

وكما اختلف النحويون والمفسرون في بيان المقصود بالرفرف ، اختلفوا في بيان المقصود بقوله تعالى : ( وعبقري حسان) فقالوا [٥] : الطنافس الثخان ، أو أرض كان

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص٢٠٤ .
(٢) التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٣٦ .
(٣) سورة الرحمن وسور قصار ، للدكتور شوقي ضيف ، ص١٥٧ .
(٤) انظر التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٢٩ ص١٣٦ .
(٥) انظر معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١٢٠ ، مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٤٥ . تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٣ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١٠٥ . معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ص٣٣٢ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٧٨ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٢٩ ص١٣٧ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص١٩٩ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٨٧ . تفسير حاشية الشهاب ج٨ ص١٣٩ .

يعمل فيها الوشي فنسب إليها كل شيء جيد ، أو ضرب من الفُرُش جعله الله تعالى مثلاً لفرش الجنة ، أو كل جليل ونفيس فاخر عند العرب يسمي عبقري نسبة إلى عبقر بلد للجن أو في اليمن ، أو الزرابي ، أو الديباج الغليظ .

والراجح أنها فرش فاخرة جليلة جيدة الوشي والصنع منسوبة إلى عبقر كما هي طريقة العرب في نسبة كل نفيس ومتقن الصنع فاخر من الثياب وغيرها إلى عبقر . وقد ألمح الأستاذ سيد قطب إلى مزية هذا اللفظ بقوله : « وكأنها من صنع عبقر لتقريب وصفها إلى العرب ، وكانوا ينسبون كل عجيب إلى وادي الجن عبقر »[(1)] .

والعبقري اسم جنس جمعي مثل الرفرف ولذلك وصفها سبحانه بالجمع فقال (وعبقري حسان) ... وفي استعمال الرفرف والعبقري في بيان متكأ أهل الجنة تقريب لوصفها للبشر على ما تعارفوه من أمر دنياهم ليتخيل العقل البشري نعيم الجنة ، ورفاهية أهلها بما يتقلبون عليه من فرش وثير فاخر الصنع جميل المنظر ناعم الملمس ، يبهج النفس والنظر ويمتع الجسم والفكر ... وقد وصفت هذه الفرش العبقرية بأنها حسان ولم يقل حسنة لموافقة رءوس الآيات ولإضفاء صفة الحياة والجمال عليها .

ومن الآيات التي تصف فَرْش الجنة لتقربه إلى التصور البشري آيات أخري تبين أن أهل الجنة متكئون على سرر توصف بأوصاف مختلفة ، فتوصف بأنها موضونة ، ومصفوفة ، ومرفوعة وذلك كما في الآيات التي نستعرضها كما في قوله تعالى :

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾[(2)] .

والسرر جمع سرير ، وهو الذي يُجلَسُ عليه ويُضطجع ، وقد يكون مشتقًا من السرور ، إذ كان في الدنيا لأولي النعمة والسعادة[(3)] ... وقد حاول الفخر الرازي وضع تصور لهيئة سرر أهل الجنة إذ قال : « والسرر التي تكون للملوك يكون لها قوائم من

---

(١) في ظلال القرآن ، ج٦ ص٣٤٥٨ .
(٢) سورة الواقعة ، الآيتان : ١٥ ـ ١٦ .
(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١١٠ ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص٢٣٤ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٣ .

شيء صلب ويكون مجلسهم عليها معمولاً بحرير وغير ذلك ، لأنه أنعم من الخشب وما يشبهه في الصلابة . وهذه السرر قوائمها من الجواهر النفيسة ، وأراضيها من الذهب الممدود »[1].

وهذا الوصف للسرر في الجنة : اقتبسه الفخر الرازي من معني الوصف الذي وصفت به في الآية ، وهو قوله تعالى : (موضونة) إذ فسر اللغويون والمفسرون معني : (موضونة) بأنها منسوجة بعضها في بعض مداخلة كحلق الدرع أي محكمة الصنع . أو أنها مرمولة بالذهب والجواهر مشبكة بالدر والياقوت[2].

كما أن ما ورد من السنة النبوية الشريفة يدل على عظمة متاع المؤمن في الجنة إذ قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « إن أدني أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنةٍ . وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوةً وعشيةً »[3].

فإذا كان هذا ما أخبر به الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن منزلة أدني أهل الجنة منزلة ، فإن كون السرر في الجنة منسوجة بالذهب والجواهر والياقوت أمر لا يستبعد والله أعلم .

وقوله تعالى : ( متكئين عليها ) حال[4] من الضمير في على ، وهو العامل فيها

---

(١) التفسير الكبير ج٢٩ ص١٤٩ .

(٢) انظر معاني القرآن . للفراء ، ج٣ ص١٢٢ . مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٤٨ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٤٦ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١١٠ . معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص٥٦٣ . تفسير البغوي ، ج٤ ص٢٨٠ . تفسير الكشاف ،ج٤ ، ص٥٧ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٢٩ ص١٤٩ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٣ . تفسير البحر المحيط ، ج٨ ص٢٠٥ . بصائر ذوي التمييز ، للفيروزابادي ، ج٥ ص٢٣٤ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩١. تفسير حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٣ . تفسير روح المعاني ج٢٧ ص١٣٥ . تفسير المراغي م٩ ج٢٧ ص١٣٦. تفسير في ظلال القرآن ج٦ ص٣٤٦٣ .

(٣) سنن الترمذي ج٤ ص٦٨٨ ، الجنة ١٧ .

(٤) انظر : تفسير الكشاف ج٤ ص٥٧ .تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٤ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص٢٠٥ . تفسير أبي السعود ج٨ ص٢٩١ . تفسير حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٣ . تفسير روح المعاني ج٢٧ ص١٣٦ .

أي استقروا عليها متكئين ... وفي هذا الحال نكتة بلاغية لطيفة تبين أن اتكاءهم على السرر نفسها التي وصفها الله ـ سبحانه ـ بأنها : ( موضونة ) . وقد ألمح الفخر الرازي إلى مزية هذا الحال بقوله : « وقوله تعالى ( متكئين عليها ) للتأكيد ، والمعنى أنهم كائنون على سرر متكئين عليها متقابلين ، ففائدة التأكيد ، هو أن لا يظن أنهم كائنون على سرر متكئين على غيرها ، كما يكون حال من يكون على كرسي صغير لا يسعه للاتكاء فيوضع تحته شيء آخر للاتكاء عليه ، فلما قال على سرر متكئين عليها ، دل على أن استقرارهم واتكاءهم جميعاً على سرر »[1].

ويفهم من قول الفخر الرازي أن السرر واسعة ومريحة لدرجة أن اتكاءهم واضطجاعهم يكون عليها في وقت واحد ... وفي هذا متعة الاستقرار والطمأنينة التي يشعر بها من هو آمن من تنقله من مكان إلى آخر طلباً للمكان المريح في حال اليقظة والنوم .

ولا يقتصر نعيم أهل الجنة على المتاع الحسي في استقرارهم على سرر مريحة منسوجة بالذهب والجواهر ، مشبكة بالدر والياقوت . بل إن الآية الكريمة تبين نعيماً روحياً آخر يعيشون في ظلاله ، فهم يتكئون على هذه السرر متقابلين ... والمقابلة كما بين الراغب[2] إما تكون بالذات ، وإما بالعناية والتوفر والمودة .

فهم إما أن يكونوا في وضع ينظر بعضهم في وجوه بعض ولا ينظر في أقفاء بعض[3] ، وإما أن أحداً من السابقين لا يري غيره فوقه [4].

وقد وصفوا على الوجه الأول مع نعمهم بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق ، وصفاء المودة . ويتفق الوجه الثاني مع قوله سبحانه وتعالى : في وصف الجنة :

---

(١) التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٤٩ .

(٢) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٤٠٦ .

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١١٠ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٨٠ . تفسير الكشاف ج٤ ص٥٧ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٤ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص٢٠٥ ، تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩١ . تفسير روح المعاني ، ج٢٧ ص١٣٦ . تفسير المراغي م٩ ج٢٧ ص١٣٦ . تفسير في ظلال القرآن ج٦ ص٣٤٦٤ .

(٤) انظر التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٢٩ ص١٤٩ .

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾(١).

وقد أشار الفخر الرازي إلى اختيار الوجه الثاني معللاً ذلك بقوله : « وقوله تعالى (متقابلين) فيه وجهان : (أحدهما) : أن أحداً لا يستدبر أحداً . (وثانيهما) أن أحداً من السابقين لا يري غيره فوقه . وهذا أقرب لأن قوله (متقابلين) على الوجه الأول يحتاج إلى أن يقال متقابلين معناه أن كل أحد يقابل أحداً في زمان واحد ، ولا يفهم هذا إلا فيما لا يكون فيه اختلاف جهات »(٢).

ويظهر أن الراجح هو الوجه الثاني لما فيه من نعمة الشعور بالمساواة بين أهل الجنة ، ذلك أن من ينعم بشيء ، ثم يري أن نعمة غيره أحسن منه ، فإن هذا الشعور ينغص عليه سعادته ... هذا في حال أهل الدنيا ... أما أهل الجنة فإن الله ـ سبحانه ـ قد أخبر أنه نزع ما في صدورهم من غل فكل واحد منهم يري أنه مساوٍ لغيره ، وهذا يزيل ما قد ينغص عليه هناءته ومتعته الحسية والمعنوية .

من الآيات التي وصفت سرر أهل الجنة قوله تعالى :

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾(٣).

والآية تبين أن هيئة جلوس أهل الجنة هي الاتكاء ، وهي هيئة تدل على راحة البال والفراغ من هم المشاغل ، وتدل على صحة الجسم وقوته ... كما أشار إلى هذا المفسرون في الآيات السابقة (٤) ، وفي هذه الآية يقول الفخر الرازي ، مبيناً مزية قوله تعالى : (متكئين) : « الإتكاء فإنه هيئة تختص بالمنعم ، والفارغ الذي لا كلفة عليه ولا تكلف لديه ، فإن من يكون عنده من يتكلف له يجلس له ، ولا يتكيء عنده ، ومن يكون في مهم لا يتفرغ للإتكاء فالهيئة دليل خير »(٥).

---

(١) سورة الحجر ، آية : ٤٧ .
(٢) التفسير الكبير ج٢٩ ص١٤٩ .
(٣) سورة الطور ، آية : ٢٠ .
(٤) انظر صحيفة : ١٤٤ .
(٥) التفسير الكبير ، ج٢٨ ص٢٤٩ .

وجمع السرر دليل على الكثرة ، حيث أن لكل واحد سرراً كثيرة .

أما قوله تعالى : (مصفوفة) فهي صفة للسرر ، وقد بين المفسرون أن المقصود بها : بيان أن السرر منسقة في صف واحد مستوٍ بعضها إلى جنب بعض [١] .

وقد أشار الفخر الرازي إلى السر البياني من قوله تعالى : (مصفوفة) ، إذ قال : «(مصفوفة) دليل على أنه لمجرد العظم ، فإنها لو كانت متفرقة لقيل في كل موضع واحد ليتكىء عليه صاحبه إذا حضر في هذا الموضع» [٢] .

والظاهر أن قوله تعالى : (مصفوفة) لا يدل على مجرد العظم كما أشار ، وإنما وصف السرر بأنها مصفوفة ، يدل على التنظيم والتنسيق والترتيب فلكل واحد مجموعة كبيرة من السرر ، ولكنها مصطفة إلى بعضها بعض في نسق واحد ... وفي هذا نعمة التنسيق والتنظيم . وقد ألمح الأستاذ سيد قطب إلى معني آخر لهذا الوصف ، إذ قال : «منسقة يجدون فيها لذة التجميع بإخوانهم في هذا النعيم» [٣] .

ومن الآيات التي وصفت سرر الجنة ، قوله تعالى :

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [٤] .

والسرر في الآية جمع سرير [٥] ، وجمعها مع التنوين يدل على الكثرة المتناهية لهذه السرر ، يدل على هذا أنها لم ترد في القرآن إلا جمعًا ، لتدل على أن لكل واحد من أهل الجنة مجموعة كبيرة من السرر . وقد نقل البغوي عن ابن عباس قوله في وصف هذه السرر : « ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت » [٦] . ولعل

---

(١) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ، ص٢٩٠ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٣٨ . تفسير روح المعاني ج٢٧ ص٣١ . تفسير في ظلال القرآن ج٦ص ٣٣٩٦ .

(٢) التفسير الكبير ج٢٨ ص٢٤٩ .

(٣) في ظلال القرآن ، ج٦ ص٣٣٩٦ .

(٤) سورة الغاشية الآيات : ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ .

(٥) انظر تفسير النسفي ج٣ ص٦٨٣ .

(٦) تفسير البغوي ج٤ ص٤٧٩ . وانظر التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ج٣١ ص١٥٥ .

هذا الوصف مستفاد من قوله تعالى في وصفها : ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾[1] الذي أشير إليه سابقاً .

وقد وصفت السرر في الآية بأنها مرفوعة ، وقد اختلف المفسرون في بيان المقصود بالارتفاع في السرر ، فقالوا[2] : رفعت لهم في الهواء حتي أشرفت على ما خولهم الله من ملك ونعم ، أو مخبوءة لهم من رفعت الشيء إذا خبأته . أو من رفعة المقدار أو السمك ليري المؤمن بجلوسه عليها جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم . أو رفعت بعضها فوق بعض فإذا جاء ولي الله ليجلس عليها تطامنت له فإذا استوي عليها ارتفعت

ولا تفاوت كبير بين هذه الأقوال ، فهي تعود إلى أن ارتفاع السرر في الجنة إما حسي وإما معنوي .. والظاهر أن الارتفاع في سرر الجنة يجمع بين الرفعة الحسية والمعنوية .. فليس بعزيز على الله أن تجمع بينهما سرر الجنة ، التي وصفها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : بأن « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[3] .

أشار سيد قطب إلى مزية الارتفاع في سرر الجنة بقوله : « والارتفاع يوحي بالنظافة كما يوحي بالطهارة »[4] . كما أن الارتفاع يوحي بالهدوء والسكينة والراحة والاطمئنان الذي يجلبه البعد عن كل ما فيه تنغيص لأهل الجنة المتكئين على سررها العالية .

وقد بينت الآية فُرُشاً أخري مع السرر المرتفعة في الجنة وهي قوله تعالى :

---

(١) سورة الواقعة ، آية : ١٥ .

(٢) انظر معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٢٥٨ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٧٩ . تفسير الكشاف ج٤ ص٢٠٦ ـ ٢٠٧ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ج٣١ ص١٥٥ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٨٣ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص ٤٦٣ . تفسير أبي السعود ج٩ ص١٥٠ . تفسير حاشية الشهاب ج٨ ص٣٥٤ . تفسير روح المعاني ج٣٠ ص١١٥ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، ج١٧ ص١٦٦ . كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها .

(٤ في ظلال القرآن ج٦ ص٣٨٩٧ .

﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[1].

وفسر اللغويون والمفسرون النمارق بقولهم[2] : هي الوسائد واحدها نُمرُقة أو نمرِقة بالضم والكسر . أو مساند ومطارح ، أوالحشايا . والظاهر الذي يجمع عليه أكثر المفسرين : أنها وسائد صف بعضها إلى جنب بعض ... وفي وصفها بأنها مصفوفة ما يوحي باتصالها في نمط واحد . وفي هذا مزيد من الراحة عند الاتكاء عليها ، وقد ألمح الألوسي إلى مزية هذا الوصف بقوله : « صف بعضها إلى جنب بعض للاستناد إليها والاتكاء عليها . وقال الكلبي : وسائد موضوعة بعضها إلى جنب بعض كالشيء الذي جعل صفاً أينما أراد أن يجلس المؤمن جلس على واحدة واستند إلى أخري »[3] .

أما الزرابي فقد بين اللغويون والمفسرون أنها يقصد[4] بها :: الطنافس التي لها خمل رقيق ، أو البسط العراض الفاخرة ، أو هي في الأصل ثياب محبرة منسوبة إلى محل ثم استعيرت للبسط ، أو هي مساند .

والراجح الذي قاله أكثر اللغويين والمفسرون أنها البسط العراض ... حيث أن الصفة التي وصفت بها : (مبثوثة) تدل على هذا المراد ، إذ معني (مبثوثة) كما بينه اللغويون

---

(١) سورة الغاشية ، الآيتان : ١٥ ـ ١٦ .

(٢) انظر معاني القرآن ، للفراء ، ج٣ ص٢٥٨ . مجاز القرآن ،لأبي عبيدة ج٢ ص٢٩٦ . تفسير غريب القرآن ،لابن قتيبة ص٥٢٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٣١٨ . تفسير البغوي ، ج٤ ص٤٧٩ . تفسير الكشاف ج٤ ص٢٠٧ ، التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٣١ ص١٥٥ ، تفسير النسفي ج٣ ص٦٨٤ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص٤٦٣ .تفسير أبي السعود ج٩ ص١٥٠ . تفسيرروح المعاني ، ج٣٠ ص١١٥ . تفسير في ظلال القرآن ج٦ ص٣٨٩٧ .

(٣) تفسير روح المعاني ج٣٠ ص١١٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٢٥٨ .مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٩٦. تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٥٢٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٣١٨ . معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص٢١٦ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٧٩ . تفسير الكشاف ، ج٤ ص٢٠٧ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ٣١ ص١٥٥ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٨٤ . تفسير أبي السعود ج٩ ص١٥٠ . تفسير حاشية الشهاب ج٨ ص٣٥٤ . تفسير روح المعاني ج٣٠ ص١١٥ .

والمفسرون : أي مبسوطة ومنشورة أو متفرقة هنا وهنا في المجالس . والبسط والنشر يكون للبسط في المجالس .

هذه الفرش التي بينتها الآية الكريمة توحي بجو من الراحة والاستقرار والرفاهية والترف الذي ينعم به أهل الجنة ، فيما أعده الله من فراش ورياش وطنافس ومخامل وبسط وسرر منظمة مريحة جذابة ... وقد ألمح سيد قطب إلى هذه النعم التي يعيش في ظلالها المؤمنون ، إذ قال : « وكلها مناعم مما يشهد الناس له أشباهًا في الأرض . وتذكر هذه الأشياء لتقريبها إلى مدارك أهل الأرض أما طبيعتها وطبيعة المتاع بها فهي موكلة إلى المذاق هناك للسعداء الذين يقسم الله لهم هذا المذاق »[1] .

ومن الآيات التي وصفت فرش الجنة ، قوله تعالى :

﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾[2] .

والآية تعم فرش الجنة فتدل على أن ما أعده الله للمومنين من فرش الجنة رفيع المستوى عالي المكانة والجودة ... وقد اختلف اللغويون والمفسرون في بيان المقصود بالفرش في الآية الكريمة فبينوا أن المقصود بالفرش إما جمع فراش وهو ما يفترش للجلوس عليه والنوم ، وإما أن يراد به النساء ، إذ تسمي العرب النساء فراشًا ولباسًا على الاستعارة . ووصفها بأنها (مرفوعة) يعني على الوجه الأول : أنها رفيعة القدر أو منضدة مرتفعة على الأسرة ويعني على الوجه الثاني أنهن كائنات على الأرائك لقوله تعالى :

﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾[3] .

أو لكونهن شريفات في القدر والمنازل[4] .

---

(١) تفسير في ظلال القرآن ، ج٦ ص٣٨٩٧ .

(٢) سورة الواقعة آية : ٣٤ .

(٣) سورة يس آية : ٥٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن ، للفراء ، ج٣ ص١٢٥ . مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، ج٢ ص٢٥٠ . معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ، ص ٢٠٥ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٨٣ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٦ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص٢٠٧ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩٣ . تفسيرحاشية الشهاب ج٨ ص١٤٤ . تفسير المراغي م٩ ج٢٧ ص١٣٧ . تفسير في ظلال القرآن ج٦ ص٣٤٦٤ .

والراجح أن المقصود بالفرش في الآية الوجه الأول ... أي ما يفترش على السرر للجلوس والنوم عليه . وذلك لمناسبة وصفها مع ما وصف الله به فرش الجنة ، إذ قال سبحانه في وصف سرر الجنة :

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾(١) ...

بمعنى أنها مرتفعة بعضها فوق بعض ، وعالية المستوي إذ هي فرش وسرر لأهل الجنة المؤمنين الذين اختصهم الله برحمته ...

أما كون الفرش هي النساء على الاستعارة فيبعد الأخذ به ، إذ ليست طريقة القرآن التعبير عن المرأة على اعتبار أنها جماد ، وأنها مما يقتني ، وإنما قال في النساء :

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾(٢).

فذكر الضمير المشير إلى النساء ليدل عليهن ، أما في الآية الكريمة (وفرش مرفوعة) فليس فيها ضمير يدل على النساء ، ولا إشارة إلى الضمير ، وكأنه يتكلم عن جماد ... وقد دلل بعض اللغويين والمفسرين(٣) على قصد النساء بالفرش بعود الضمير في (أنشأناهن) على (وفرش) و (وحور عين) . وهو قول يبعد الجزم به ، إذ هو ضمير لم يجر له ذكر ، يقول أبو جعفر النحاس : « وقال أبو عبيدة : في الضمير الذي في (أنشأناهن أنه يعود على (وحور عين) ، وقال الأخفش سعيد : هو ضمير لم يجر له ذكر إلا أنه قد عرف معناه »(٤) كما يرد الشهاب على هذا الرأي بقوله : « والفراش والاستخدام بإرجاع الضمير إلى الفرش بمعني النساء بعد إرادة معناها المعروف منها كما ذكره البقاعي بعيد هنا »(٥) . وهو قول يدل على عدم الجزم في عود الضمير في (أنشأناهن) على الفرش وحدها . إضافة إلى أن عطف (فرش) على (حور) ، والعطف

---

(١) سورة الغاشية ، آية : ١٣ .

(٢) سورة البقرة ، من الآية : ١٨٧ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، ج٢ ص٢٥١ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٨٣ تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٦ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص٢٠٧ .

(٤) إعراب القرآن ، ج٤ ص٣٣٢ .

(٥) حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٤ .

يقتضي المغايرة . فإرادة المرأة بهذا المعني بعيد جداً في هذا السياق ، وأغني عنه اللفظ المباشر قبله في (حور عين) .

والأرائك نوع من الفرش التي ذكرها الله ـ سبحانه ـ ضمن فرش الجنة ، حيث بيّن ـ سبحانه ـ أن أهل الجنة يتكئون على الأرائك لينظروا إلى ما أولاهم الله من الفضل والنعم .

وقد ذكر الله ـ سبحانه ـ الأرائك في فرش الجنة خمس مرات في القرآن الكريم، في آيات يبيّن فيها هيئة أهل الجنة في استعمالها دون أن يصف هذه الأرائك ... إذ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾[١] .

ويقول في السورة نفسها :

﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾[٢] .

وقد اتفق المفسرون [٣] : على أن الأرائك يقصد بها : الأسرة في الحجال ، إذ لا تكاد تطلق الأريكة على السرير إلا عند كونه في الحجلة .

والحَجَلة بفتحتين : بيت مربع من الثياب الفاخرة يرخي على السرير يسمي الناموسية . فالأرائك بهذا الوصف توحي بالنعيم التام الذي تجلبه النعومة والطراوة والراحة والهدوء لأهل الجنة حين جلوسه واتكائهم على هذه السرر المعدة لهم ... فإذا أخبرت الآيتان أنهم (على الأرائك ينظرون) فإلى ماذا يمتد نظرهم ... ؟

اختلف المفسرون إلى المنظور إليه ، فقالوا [٤] : إما إلى ما شاءوا مد أعينهم إليه من

---

(١) سورة المطففين ، الآيتان : ٢٢ ـ ٢٣ .
(٢) سورة المطففين ، الآيتان : ٣٤ ـ ٣٥ .
(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٣٠٠ . تفسير الكشاف ج٤ ص١٩٦ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٣١ ص٩٨ . تفسير أبي السعود ج٩ ص١٢٨ .تفسير حاشية الشهاب ج٨ ص٣٣٨ . تفسير روح المعاني ج٣٠ ص٧٤ ـ ٧٥ . تفسير في ظلال القرآن ج٦ ص٣٨٥٩.
(٤) انظر المصادر السابقة نفسها عدا معاني القرآن ، للزجاج .

مناظر الجنة ، وإما إلى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة ، وإما إلى أعدائهم يعذبون في النار . وإما إلى ربهم . وإما ينظرون بمعني لا ينامون .

والراجح أنهم ينظرون إلى كل ما يجلب لهم المتعة الحسية والراحة النفسية ، أي أن نظرهم يمتد إلى ما شاءوا النظر إليه من مناظر الجنة ، وما أولاهم الله من النعم ، وما أتاح الله لهم من النظر إليه سبحانه وتعالى . بمعني أنهم في هدوء وراحة بال تتيح لهم متعة النظر إلى ما شاءوا .

أما ما قيل بأنهم ينظرون إلى أعدائهم يعذبون في النار ، فبعيد ، إذ النظر إلى النار وأهلها المعذبون فيها ، لا يجلب لهم المتعة ، بل إن النفس تنفر من رؤية العذاب وتتقزز منه ... وأما ما قيل بأن معني ينظرون بمعني لا ينامون ، فهو كما قال الشهاب [(١)] : «من تحريف الكلم» ويبعد الأخذ به ...

والمهم أن في قوله تعالى : (ينظرون) دليل على نعومة وشفافية الحجال بحيث لا تحجب أبصارهم عن الإدراك [(٢)] .

وقد ذكر الله ـ سبحانه ـ الأرائك أيضاً في فرش الجنة موضحاً هيئة جلوس أهل الجنة عليها ... فقال سبحانه :

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً ﴾ [(٣)] .

ومتكئين منصوبة [(٤)] على وجهين ، إما على المدح بالقطع ، وإما على الحال ... والراجح أنهاحال من الضمير (هم) في (جزاهم) ... وهذا يدل على أن جلوس أهل الجنة حال وجودهم فيها هو الاتكاء .

---

(١) تفسير حاشية الشهاب ج٨ ص٣٣٨ .
(٢) انظر تفسير الكشاف ج٤ ص١٩٦ . تفسير أبي السعود ج٩ ص١٢٨ .
(٣) سورة الإنسا ، آية : ١٣ .
(٤) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٢١٦ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٢٥٩ . تفسير البغوي ، ج٤ ص٤٢٩ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٣٠ ص٢٤٧ . تفسير النسفي ، ج٣ ص٦٢٩ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٧٣ . تفسير حاشية الشهاب ، ج٨ ص٢٨٩ . تفسير روح المعاني ج٢٩ ص١٥٨ .

وهذا الاتكاء يكون في الجنة على الأرائك كما تبينه الآية الكريمة . وقد سبق[1] بيان قول المفسرين[2] في المقصود بالأرائك ... في الآية الكريمة ... وعنها يقول ابن منظور : « وهي في الحقيقة الفُرُش أكانت في الحجال أو في غير الحجال »[3].

والراجح أن كل ما يُتكأ عليه من فرش وسرر فهو أريكة ، ليدل أن أهل الجنة يتكئون على سرر أو فرش أو منصات ، سواء كانت في الحجال أو ليست فيها ...

المهم في الآية أنها تعطي إيحاء بجو الترف والرخاء والهدوء والاسترخاء والتمكن والاستقرار ، الذي يعيش في ظلاله أهل الجنة المختصون برحمة الله .

وقد ألمح الأستاذ سيد قطب إلى هذا الجو الناعم بقوله : « فهم في جلسة مريحة مطمئنة والجو حولهم رخاء ناعم دافىء ... »[4].

كما ورد ذكر الأرائك في وصف فرش الجنة في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾[5].

سبق[6] بيان قول المفسرين[7] في الأرائك .

وقد سميت بذلك إما لكونها في الأرض متخذة من شجر الأراك ، وإما لكونها مكاناً للإقامة من قولهم أرك بالمكان أروكاً ، وأصل الأروك : الإقامة على رعي الأراك ثم تجوز به في غيره من الإقامات[8].

---

(١) انظر صحيفة ١٦٣ مما سبق .
(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٢٥٩ . تفسير البغوي ، ج٤ ص٤٢٩ . التفسير الكبير ، ج٣٠ ص٢٤٧ . تفسير أبي السعود ، ج٩ ص٧٣ . روح المعاني ، ج٢٩ ص١٥٨ .
(٣) لسان العرب ، ج١٠ ص٣٨٩ ، مادة أرك .
(٤) في ظلال القرآن ، ج٦ ص٣٧٨٢ .
(٥) سورة يس ، آية : ٥٦ .
(٦) انظر صحيفة ١٤٢ مما سبق .
(٧) انظر مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص١٦٣ . تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٣٦٦ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٤ ص٢٩٢ . معاني القرآن الكريم ، للنحاس ، ج٥ ص٥٠٨ ، ٥٠٩. تفسير البغوي ج٤ ص١٦ . تفسير أبي السعود ج٧ ص١٧٣ . تفسير روح المعاني ج٢٣ ص٣٦ .
(٨) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص١٢ .

وفي تكرار ذكرها في القرآن الكريم ضمن فرش الجنة ما يدل على كثرتها وانتشارها في الجنة ، حيث تكون مكان استرخاء وراحة لأهل الجنة وقد بيّن الله ـ سبحانه ـ أن هيئة الجلوس عليها هي الاتكاء ... ألمح الفخر الرازي إلى دلالة هذه الهيئة إذ قال : « إشارة إلى أدل وضع على القوة والفراغة ، فإن القائم قد يقوم لشغل والقاعدة قد يقعد لهم . وأما المتكىء فلا يتكىء إلا عند الفراغ والقدرة ، لأن المريض لا يقدر على الاتكاء ، وإنما يكون مضطجعاً أو مستلقياً »[1] .

وفي قراءة (متكئون) بالرفع [2] ، إما لكون (هم) مبتدأ و(وأزواجهم) عطف عليه و(متكئون) خبر المبتدأ ، وإما لكون (على الأرائك) خبر مقدم ، (متكئون) مبتدأ مؤخر ... وأما في قراءتها (متكئين) بالنصب ، فهي حال من الضمير المستكن في الظرفين ، أو منصوبة على القطع ...

والراجح الرفع لتدل في حال كونها خبراً للمبتدأ (هم على تمام النعمة باجتماعهم بأزواجهم في الجو الناعم اللطيف في هيئة جلوس دالة على الراحة والقوة والاسترخاء ، وهذا من تمام الفضل والنعمة . وتدل في حال كونها مبتدأ مؤخراً على اختصاص الأرائك بالاتكاء ، فتدل على الترف والراحة وتمام الاسترخاء والنعمة .

ومما ورد فيه ذكر الأرائك في وصف فرش الجنة قوله سبحانه وتعالى :

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[3] .

والاتكاء على الأرائك كناية عن الترف والتنعم ، كما سبق بيان ذلك ، وقد ألمح الألوسي إلى هذا بقوله : « كناية عن تنعمهم وترفههم فإن الاتكاء على الأرائك شأن المتنعمين المترفهين »[4] .

---

(١) التفسير الكبير ، ج٢٦ ص٩٢ .
(٢) انظر تفسير أبي السعود ج٧ ، ص١٧٣ .
(٣) سورة الكهف ، من الآية : ٣١ .
(٤) تفسير روح المعاني ، ج١٥ ص٢٧٢ .

وفي هذه الآية تعقيب لوصف فرش الجنة بقوله : (نعم الثواب وحسنت مرتفقا) ذلك أن : (الثواب) كما بينه المفسرون [1] هو الجنة وما فيها من وسائل التنعيم والترفيه » و : (حَسُنَتْ) أي الأرائك أو الجنات ، و : (مرتفقا) أي متكأ ... إذ وصف الله ـ سبحانه ـ الجنة ونعيمها وما فيها من الأرائك وما يتكأ عليه بالحسن زيادة في تنعيم أهلها وترفيههم ...

وفي آثار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يبين أن أهل الجنة يتنعمون في جلوسهم واتكائهم في الجنة ، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن الهيثم ابن مالك الطائي أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن الرجل ليتكىء المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول منه ولا يمله يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه »[2] .

---

(١) انظر معاني القرآن ، للنحاس ج٤ ص٢٣٦ . تفسير البغوي ج٣ ص١٦١ . تفسير أبي السعود ، ج٥ ص٢٢٠ ـ ٢٢١ . تفسير روح المعاني ج١٥ ص٢٧٢ .

(٢) انظر تفسير روح المعاني ، للألوسي ، ج١٥ ص٢٧٣ .

# المبحث الثالث

# وصف الطعام والشراب في الجنة
# ووصف آنيتهما

وفيه ما يلي :

- مقدمة في طعام أهل الجنة ـ الرزق وكيفية الحفاوة بهم في تقديمه .
- طعام أهل الجنة ـ الفاكهة ـ اللحم .
- شراب أهل الجنة .
- آنية الطعام والشراب في الجنة .

## مقدمة في طعام أهل الجنة
## الرزق وكيفية الحفاوة بهم في تقديمه

وصف القرآن الكريم طعام أهل الجنة في آيات كثيرة ، ورد فيها ذكر الطعام مجملاً تارةً ومفصلاً أخري .. فبين أن طعام أهل الجنة رزق دائم لا ينفد ولا ينقطع ، وأنه متنوع متفاوت الأشكال مختلف الطعوم . ذلك أن حديث القرآن عن رزق أهل الجنة يعد مدخلاً لتفصيل نعيم أهل الجنة ، لأن حاجة الإنسان في الدنيا والتي تعد من أسباب سعادته وراحته تنحصر في مسكن يؤويه فيه كل أسباب الراحة والسعادة . وطعام يغذيه ويمد جسده بالطاقة والحيوية اللازمة لحركته ونشاطه ، ويحتاج إلى شراب يتلذذ به ويمده بالانتعاش ويرويه .. وبحاجة إلى كسوة من الملابس التي تستر جسمه وتحميه من تقلبات الجو ... وحلية يتزين بها ويتجمل ...

وإذا كانت هذه الحاجات الضرورية لبني الإنسان في الدنيا ... فإن الله سبحانه يبين في القرآن الكريم أن رزق أهل الجنة يدخل تحته كل ما تتطلبه حاجاته الضرورية في الدنيا .. ليقرب للمتقين وصف الجنة وما أعد لهم فيها من أنواع النعيم والملذات ..

ومن هنا فإن وصف طعام أهل الجنة في القرآن الكريم جاء متفقًا مع ما يعرفه الناس من حال دنياهم ومعاشهم . حيث بين القرآن الكريم أن طعام أهل الجنة متنوع بين الخبز واللحم والفاكهة والثمار الأخري ، كما بين أن طعام الجنة وإن تماثل في شكله وأسمائه مع طعام الدنيا فإنه متميز بخصائص لا يعرفها أهل الدنيا .. كما بين القرآن الكريم هيئة تقديم الطعام في الجنة ، وكيفية تناول أهل الجنة له ، وما يجدونه من الحفاوة والتكريم وهو يقدم لهم .. كما فصل القرآن في نوعية الأطباق والصحاف التي يقدم فيها الطعام ، وهيئة وأشكال من يقدم الطعام من الغلمان والجواري . وما إلى ذلك من تفصيلات تتعلق بما ينعم به أهل الجنة ، واللذة التي يجدونها في تناول الطعام وتذوقه ..

وفي دراسة الآيات التي وصفت طعام أهل الجنة تتبين المميزات التي تميز بها هذا الطعام عن طعام الدنيا ..

فإذا كان الرزق في الدنيا يحصل عليه الإنسان بعد تعب وجهد وهو مع ذلك مقنن مقدر على قدر حظ الإنسان من دنياه ، فإنه في الآخرة ميسر للمتقين في الجنة بغير عناء أو مشقة ، وهو متسع دائم متواصل العطاء ، ليس له حد ينتهي إليه .. وفي هذا المعني يقول سبحانه :

﴿ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1].

والرزق كما فسره الراغب : « يُقال للعطاء الجاري تارة دنيوياً كان أم أخرويا ، وللنصيب تارة ، ولما يصل إلى الجوف ويتغذي به تارة »[2] ..

فالرزق كلمة تعم كل عطاء أو نصيب دنيوياً كان أم أخروياً .. والرزق في الجنة يشمل كل ما يناله المتقون من ثواب ونعيم ومنه الطعام ، وقد أشار الشهاب إلى هذا المعني بقوله : « وفيه إشارة إلى أن المراد بالرزق كل ما لهم فيه من الثواب »[3] ..

فالرزق في الجنة يشمل المتع الحسية والمعنوية التي يتمتع بها أهل الجنة بما يفيضه الله عليهم فيها .. والطعام من الرزق الذي يتمتع به أهل الجنة .. أما كونه بغير حساب كما في الآية ، فقد بيّن المفسرون[4] أن المراد به : أنه بغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة أو أنه لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير . أو أنه بمعني غير متناهٍ .. لأن رزق المخّلد مخلّد .

وفي هذا التفسير دلالة على وصف رزق أهل الجنة بأنه بغير حساب يترك للذهن فرصة واسعة لتصور مدي سعة هذا الرزق ودوامه واستمراره .. فهو غير متناه عند حد ينتهي إليه .. وقد بيّن القرآن الكريم دوام رزق أهل الجنة واستمراره في قوله تعالى :

---

(١) سورة غافر ، من الآية : ٤٠ .

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١٩٩ . وانظر بصائر ذوي التمييز . للفيروزأبادي ج٣ ، ص٦٥ ، ٦٦ .

(٣) حاشية الشهاب علي البيضاوي ج٧ ، ص٣٧٢ .

(٤) انظر : تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٣٨٧ . تفسير البغوي ج٤ ، ص٩٨ . تفسير الكشاف ج٣ ، ص٣٧٢ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، ج٢٧ ، ص٧٠ . تفسير أبي السعود ج٧ ، ص٢٧٧ ، تفسير حاشية الشهاب ج٧ ، ص٣٧٢ . تفسير روح المعاني ج٢٤ ، ص٧٠ .

﴿ ...ولَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا ﴾ [١]..

والبُكرة كما فسرها ابن منظور : « الغدوة »[٢] وهي أول النهار كما بينها الراغب[٣] ، والعشي : « من زوال الشمس إلى الصباح »..

وقد بيّن المفسرون[٤] أن المقصود بالبكرة والعشي في الآية ليس الليل والنهار ، وذلك إذ قالوا : يقصد بالبكرة والعشي : أنهم يؤتون رزقهم في مقدار طرفي النهار والليل في الدنيا ، أو أنهم يؤتونه مقدار ما يريدون في كل ساعة إلى أن يأتي الوقت الذي يتلوه .. أو أن المراد به رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق ، إذ كانت العرب لا تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي . أو أن المراد دوام الرزق ودوره كما تقول أنا عند فلان صباحاً ومساءً تريد الديمومة لا الوقتين المعلومين ..

والراجح أن التعبير القرآني : ( بكرةً وعشيًا ) يدل على دوام واستمرارية الرزق لأهل الجنة ، إذ ليس في الجنة ليل يعرف به البكرة والعشي كما يفهم من كلام المفسرين ، فقد نقل البغوى[٥] عن أهل التفسير فقال : « قال أهل التفسير : ليس في الجنة ليل يُعرف به البكرة والعشي ، بل هم في نور أبداً ، ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار ، وقيل : إنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ، ووقت الليل بإرخاء الحجب » .. ونقل الآلوسى[٦] عن الحكيم الترمذي عن الحسن وأبي قلابة قالا :

---

(١) سورة مريم ، من الآية : ٦٢ .

(٢) لسان العرب ج٤ ص٧٦ ، مادة بكر .

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٥٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٢ ، ص١٧٠ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٣ ، ص٣٣٧ . معاني القرآن الكريم ، للنحاس ج٤ ، ص٣٤٣ . تفسير الكشاف ج٢ ص٤١٦ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٢١ ، ص٢٣٧ . تفسير النسفي ج٢ ، ص٣٣٧ . البحر المحيط ج٦ ، ص٢٠٢ . تفسير أبي السعود ج٥ ، ص٢٧٣ . روح المعاني ج١٦ ، ص١١٢ .

(٥) تفسير البغوي ج٣ ، ص٢٠٢ . وانظر معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٣ ، ص٣٣٧ . معاني القرآن الكريم ، للنحاس ج٤ ، ص ٣٤٣. الكشاف ج٢ ، ص٤١٦ . تفسير النسفي ج٢ ، ص٣٣٧ . البحر المحيط ج٦ ، ص٢٠٢ .

(٦) روح المعاني ج١٦ ، ص١١٢ .

«جاء رجل إلى رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ فقال : يا رسول الله هل في الجنة من ليل ؟ قال : وما هيجك على هذا ؟ قال : سمعت الله ـ تعالى ـ يذكر في الكتاب :

﴿ ... وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (١).

... فقلت : الليل من البكرة والعشي ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ليس هناك ليل وإنما هو ضوء ونور يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو ، وتأتيهم طرف الهدايا من الله تعالى لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها في الدنيا وتسلم عليهم الملائكة عليهم السلام » .. ولم يرد هذا الحديث في شيء من كتب السنة ..

وقد بيّن القرآن الكريم دوام الرزق في الجنة واستمراره بتعبير آخر يبين عدم نفاده ، وذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾(٢).

والرزق في الجنة هو كل ما يتمتع به أهلها من ألوان النعيم والثواب ، ويدخل في هذا النعيم الطعام الذي يتلذذ به أهل الجنة بتذوقه وتناوله في أشكاله المختلفة وصنوفه المتنوعة ، وقد بينت الآية الكريمة أن هذا الرزق الذي يتمتع به المتقون في جنات عدن ليس له انقطاع (٣)، فهو دائم الوجود لهم ، لا يخافون انتهاءه ولا انقطاعه . وفي هذا الشعور زيادة في النعيم النفسي ، إذ من يتمتع بشيء وهو موقن عدم انقطاعه أكثر تلذذاً واستمتاعاً من الذي يقدم له النعيم فيتذوقه على عجل خوفاً من انقطاعه ونهايته ..

وإذا كان طعام الدنيا لكل نوع منه مذاق ثابت بحيث يجلب السأم عند تكراره ، وعدم تنويعه .. فإن طعام أهل الجنة مختلف المذاق وإن تشابهت أشكاله ، بحيث لا يحس المتقون بالملل والسأم من تذوقه مهما تكرر .. إذ الأشكال واحدة والطعوم

---

(١) سورة مريم ، من الآية : ٦٢ .
(٢) سورة ص ، آية : ٥٤ .
(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٤ ، ص٣٣٧ . معاني القرآن الكريم للنحاس ج٦ ، ص١٢٦ . تفسير البغوي ج٤ . ص ٦٧ . تفسير أبي السعود ج٧ ، ص ٢٣٢ .

مختلفة .. وقد بيّن القرآن الكريم هذه المزية لطعام أهل الجنة إذ قال سبحانه :

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1].

والآية تبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بجنات فيها رزق وفير من الثمار المتشابهة الشكل المختلفة الطعوم بحيث لا يشعر من يأكله بتكراره فلا يمله أبدا .. وقد تعددت أقوال المفسرين[2] في إعراب (كلما رزقوا) من قوله تعالى :

( كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ) .

فقالوا : إنه لا يخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات ، أو خبر مبتدأ ، أو جملة مستأنفة ، أو حالاً من الذين آمنوا تقديره مرزوقين على الدوام ، أو منصوب على الظرفية .. فإن كانت صفة جنات فهي في محل نصب ، وإن كانت خبراً فهي في محل رفع بتقدير مبتدأ محذوف عائد على الجنات أي هي كلما رزقوا ، أو عائد على الذين آمنوا أي هم كلما رزقوا ..

والوجه الراجح عند بعض المفسرين[3] أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب ، وذلك لاستقلال الجملة لأنها في الأوجه الأخري تحتاج إلى تقدير ، ولأن للاستئناف مزية يوضحها قول أبي حيان الأندلسي [4]: « والأحسن في هذه الجملة أن تكون مستأنفة لا موضع لها من الإعراب . وأنه لما ذكر أن من آمن وعمل الصالحات لهم جنات صفتها كذا هجس في النفوس حيث ذكرت الجنة الحديث عن ثمار الجنات

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٥ .

(٢) انظر : الكشاف ج١ ص٥٢ . التفسير الكبير ج٢ ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ . تفسير النسفي ج١ ، ص٣٣ . البحر المحيط ج١ ، ص١١٣ ـ ١١٤ . تفسير أبي السعود ج١ ، ص٦٩ . حاشية الشهاب ج٢ ، ص٦٨ . روح المعاني ج١ ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

(٣) انظر الكشاف ج١ ، ص٥٢ . البحر المحيط ج١ ، ص١١٣ . حاشية الشهاب ج٢ ، ص٦٨ . روح المعاني ج١ ، ص٢٠٢ .

(٤) البحر المحيط ج١ ، ص١١٣ . وانظر الكشاف ج١ ، ص٥٢ . حاشية الشهاب ج٢ ، ص٦٨ .

وتشوقت إلى ذكر كيفية أحوالها فقيل لهم :

( كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً ) » ..

وحرفا الجر في قوله تعالى : ( كلما رزقوا منها من ثمرة ) كلاهما لابتداء الغاية ، وهما متعلقان بـ (رزقوا) على جهة البدل كما يوضح المفسرون[(١)] ويمثلهم قول أبي حيان الأندلسى[(٢)] : « ومن في قوله ( منها ) هي لابتداء الغاية وفي ( من ثمرة ) كذلك لأنه بدل من قوله ( منها ) أعيد معه حرف كقوله تعالى :

﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ... ﴾[(٣)].

وكلتاهما تتعلق برزقوا على جهة البدل ذكرناه لأن الفعل لا يقضي حرفي جر في معني واحد إلا بالعطف أو على طريقة البدل .وهذا البدل هو بدل الاشتمال » وهذا يدل على أن الرزق ابتدأ من الجنات ، والرزق من الجنات ابتدأ من ثمرة . وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الواحدة ، وإنما المراد النوع من الثمار [(٤)] .. أي أن المعني كلما رزقوا نوعاً من أنواع الثمار في الجنة رأوه شبيهاً لما سبق أن رزقوا به من قبل .. والتنكير في قوله تعالى : (رزقا) يدل على التنويع أو التعظيم أي نوعاً لذيذاً غير ما تعرفونه [(٥)] ..

وفي هذا النظم القرآني للآية الكريمة نكتة بلاغية دقيقة تبين أن طعام أهل الجنة أكثره من الثمار المتنوعة ، وأنه مكفول لهم بوفرة تحقق لهم كل احتياجاتهم .. وقد ألمح الشهاب إلى مزية النظم القرآني في الآية الكريمة بقوله : « قلت : الذي لاح ليبعد

---

(١) انظر : تفسير البغوي ، ج١ ص٥٦ . التفسير الكبير ، ج٢ ص١٢٩ . تفسير النسفي ، ج١ ص٣٣ . تفسير أبي السعود ، ج١ ص٦٩ . حاشية الشهاب ،ج٢ ص٦٨ . روح المعاني ، ج١ ص٢٠٣ .

(٢) البحر المحيط ج١ ، ص ١١٤ .

(٣) سورة الحج . من الآية : ٢٢ .

(٤) انظر : التفسير الكبير ج٢ ، ص١٢٩ . تفسيرالنسفي ج١ ، ص٣٣ . البحر المحيط ج١ ، ص١١٤ .

(٥) انظر حاشية الشهاب ج٢ ، ص٦٨ .

التأمل الصادق أن تعليق الرزق بمحله وتعقيبه بثمرة منكرة يقتضي عمومه لكل ما فيها كما قال تعالى :

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [1].

ولولا ذكرهما لم يفد النظم مع ما فيه من الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال الذي هو أوقع في القلوب وإليه أشار العلامة بما ذكره من السؤال . والحاصل أن تعلق منها يفيد أن سكانها لا يحتاجون لغيرها لأن فيها كل ما تشتهي الأنفس ، وتعلق من ثمرة يفيد أن المراد بيان المأكول على وجه يشمل جميع الثمرات دون بقية اللذات المعلومة من السابق واللاحق ، وفيه إشارة أيضًا إلى أن عامة مأكولهم الثمار والفواكه ، لأنهم لا يمسهم فيها جوع ولا نصب يحوجهم إلى قوت به قوام البدن وبدل ما يتحلل ... »[2]..

وقول الشهاب هذا هو ما يفيده النظم القرآني الكريم للآية .. إلا أن قوله « عامة مأكولهم الثمار والفواكه » لا يتفق مع ما ورد في القرآن الكريم الذي دل على أن طعامهم من اللحوم والفواكه . كما في قوله تعالى :

﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾[3].

.. وقوله تعالى :

﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [4].

وقد تعددت أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى :

﴿ قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ [5].

.. حيث اختلفت آراؤهم : هل المشابهة بين رزقهم في الجنة ورزقهم السابق في

---

(١) سورة محمد ، من الآية : ١٥ .
(٢) حاشية الشهاب ج٢ ، ص ٧٠ .
(٣) سورة الطور ، آية : ٢٢ .
(٤) سورة الواقعة ، الآيتان : ٢٠ ـ ٢١ .
(٥) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥ .

الدنيا ، ثم المشابهة بين أرزاقهم في الجنة .. وذلك قولهم في تفسير الآية[1] : أي كأنه ذلك لشبهه به ، أو هذا مثل الذي رزقنا من قبل في الدنيا ، أو هذا الذي رزقنا من ثمار الجنة من قبل ، وعلة قولهم هذا أن ثمار الجنة إذا جني منها شيء ظهر مكانها مثلها في اللون والشكل ، مختلفة في الطعم ، فإذا رزقوا ثمرة بعد أخري ظنوا أنها الأولي ، أو أن المعني هذا الذي وعدنا به في الدنيا ، فكأنهم قد رزقوه في الدنيا إذ وعد الله منتجز .. أو معناه أن رزق الغداة كرزق العشي ، أو كما روي عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: والذي نفسي بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة إلى فيه حتي يبدل الله تعالى مكانها مثلها ..

ومن أقوالهم الغريبة[2] في تفسير الآية ! أن هذا إشارة إلى اعترافهم بإعادة أشجار الدنيا وثمارها كإعادة أنفسهم فيكون قولهم تعجباً من قدرته تعالى ، أو أن أرض الجنة قيعان تنبت فيها أعمال الدنيا ، فثمرة النعيم مما غرسوه في الدنيا .. أو أن للآية تفسيراً آخر بأن مستلذات أهل الجنة بمقابلة ما رزقوه في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة فيجوز أن يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات ..

والذي يبدو أن الأقوال الثلاثة الأخيرة في تفسير الآية بعيدة المأخذ ، إذ لا تتفق مع النظم القرآني للآية الكريمة ، ثم إن الأخير منها كما يبدو من أقوال المتصوفة في مذهبهم ، وقد رده أبو السعود بقوله : « ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فإن الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل الثواب »[3] ..

أما أقوال المفسرين السابقة[4] في تفسير الآية الكريمة :

---

(١) انظر : تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٣ . تفسير الطبري ج١ ، ص٣٨٥ . تفسير البغوي ج١ ، ص ٥٦ . تفسير ابن عطية ج١ ، ص٢٠٨ ـ ٢٠٩ . التفسير الكبير ج٢ ، ص١٢٩ . تفسير النسفي ج١ ، ص ٣٣ . البحر المحيط ج١ ، ص١١٤ ـ ١١٥ . تفسير أبي السعود ج١ ، ص٦٩ ـ ٧٠ . حاشية الشهاب ج٢ ، ص٧٢ . روح المعاني ج١ ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٢) انظر تفسير البيضاوي هامش حاشية الشهاب ج٢ ، ص٧٣ ـ ٧٤ .

(٣) تفسير أبي السعود ج١ ، ص٧٠ .

(٤) انظر الصحيفة السابقة رقم ١٧٨ .

﴿ هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾[1].

فيمكن جمعها في قولين أساسيين هما : تشبيه ثمار الجنة بثمار الدنيا ، على سبيل التعجب والاستغراب ، أو تشبيه أرزاقهم في الجنة بعضها ببعض على سبيل الإخبار ..

والراجح هو القول الأول عند أكثر المفسرين [2]، ويمثلهم قول أبي السعود : «والأول أنسب لمحافظة عموم كلما فإنه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا لا فيما عدا المرة الأولي يظهرون التعجب وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كأنهم قالوا : هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن أين له هذه الرتبة من اللذة والطيب . ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من أنه ليس في الجنة من أطعمة الدنيا إلا الاسم [3]، فإن ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان أن لا تشابه بينهما أصلاً. كيف لا وإطلاق الأسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعاً »[4].

وفي ترديد أهل الجنة هذا القول عند كل مرة يرزقون فيها بثمرة من ثمار الجنة نكتة بلاغية دقيقة تدل على مدي ما يجده أهل الجنة من تفاوت عظيم بين ثمار الجنة وثمار الدنيا .. وإن كانت تشابهها في اللون والشكل والاسم ، وقد ألمح الزمخشري إلى هذه المزية البلاغية بقوله : « وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الأمر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم »[5].

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ج١ ، ص٣٨٧ ـ ٣٨٨ . الكشاف ج١ ، ص٥٣ . التفسير الكبير ج٢ ، ص١٢٩ . تفسير أبي السعود ج١ ، ص٧٠ . حاشية الشهاب ج٢ ، ص٧٢ . روح المعاني ج١ ، ص٢٠٤ .

(٣) ورد هذا الأثر في تفسير الطبري ج١ ، ص٣٩٢ . تفسير ابن عطية ج١ ، ص٢٠٩ . تفسير البحر المحيط ج١ ، ص١١٥ . روح المعاني ج١ ، ص٢٠٤ .

(٤) تفسير أبي السعود ج١ ص٧٠ .

(٥) تفسير الكشاف ج١ ، ص٥٣ . وانظر تفسير النسفي ج١ ، ص٣٣ .

والذي يدل على أن قوله تعالى :
﴿ هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾[1].

مقصود به تشبيههم ثمار الجنة بثمار الدنيا قوله تعالى بعد ذلك
﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ [2].

وقد تعددت أقوال المفسرون[3] في بيان معني قوله تعالى : (متشابهًا) إذ قالوا : أي يشبه بعضه بعضًا ، أو متفق المناظر مختلف الطعوم ، أو متشابهًا أي يعرفونه ، أو أن تشابهه أنه كله خيار لا رذل فيه ، أي يشبـه بعضـه بعضًا فـي الجـودة والحسن ، أو أنه متشابـه فـي الفضـل ، أي كل واحد منه له من الفضل في نحوه مثل الذي للأخر في نحوه ، أو متشابهًا فـي الاسم مختلفا في الطعم ، أو أنه لاستحكام الشبه كأنه ذاته ذاته ..

وكمـا تعددت أقـوال المفسرين في بيان معني : (متشابهًا ) تعددت في عود الضمير المجرور في قوله تعالى : ( وأتوا به ) حيث قالوا [4]: إن كان المشبه به هو رزق الدنيا فالضمير المجرور يعود على المرزوق في الدنيا والآخرة ، بحيث يشبه رزق الآخرة رزق الدنيا . وإن كان المشبه به رزق الجنة فالضمير المجرور يعود على المرزوق في الجنة بحيث يشبه بعضه بعضاً ..

والتأويل الذي يرجح الأخذ به : أن رزق الجنة يشبه رزق الدنيا في الشكل واللون ويخالفه في الطعم ، وذلك ليتناسب مع عموم (كلما) في قوله تعالى :

---

(١) ، (٢) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥ .
(٣) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج١ ، ص٣٤ . تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص١٠١ . تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤ . تفسير الطبري ج١ ، ص٣٨٦ ـ ٣٨٧ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج١ ، ص١٠٢ . تفسير البغوي ج١ ، ص٥٦ . تفسير ابن عطية ج١ ، ص٢٠٩ ـ ٢١٠ . البحر المحيط ج١ ، ص١١٦ . روح المعاني ج١ ، ص٢٠٣ .
(٤) انظر : تفسير الكشاف ج١ ، ص ٥٣ . التفسير الكبير ج٢ ، ص ١٣٠ . تفسير النسفي ج١ ، ص٣٣ . البحر المحيط ج١ ، ص ١١٥ . تفسير أبي السعود ج١ ، ص٧٠ .

﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ [1].

حيث يكون آخر الآية (وأتوا به متشابهًا) جملة معترضة للتقرير والتأكيد ، إذ لما حكي الله تعالى عن أهل الجنة تشابه الأرزاق صدفهم في دعوتهم وقررها بقوله : (وأتوا به متشابها) ..

وقد ألمح الزمخشري إلى مزية النظم القرآني للآية الكريمة بقوله : « فإن قلت كيف موقع قوله (وأتوا به متشابها) من نظم الكلام ؟ قلت : هو كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأي من الرأي كذا وكان صوابًا ومنه قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [2].

وما أشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير » [3].

وقد أخذ بهذا التأويل للآية كثير من المفسرين ويمثلهم الطبري في قوله : « وأولي هذه التأويلات بتأويل الآية ، تأويل من قال : وأتوا به متشابهًا في اللون والمنظر ، والطعم مختلف . يعني بذلك اشتباه ثمر الجنة وثمر الدنيا في المنظر واللون ، مختلفًا في الطعم والذوق ، لما قدمنا من العلة في تأويل قوله :

( كلما رزقوا منها من ثمرة رزقًا قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل ) ، وأن معناه : كلما رزقوا من الجنان من ثمرة من ثمارها رزقا قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا ، فأخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم قالوا ذاك ، ومن أجل أنهم أتوا بما أتوا به من ذلك في الجنة متشابهاً ، يعني بذلك تشابه ما أتوا به في الجنة منه والذي كانوا رزقوه في الدنيا في اللون والمرأي والمنظر ، وإن اختلفا في الطعم والذوق فتباينا ، فلم يكن لشيء مما في الجنة من ذلك نظير في الدنيا » [4] ..

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥ .

(٢) سورة النمل ، من الآية : ٣٤ .

(٣) الكشاف ج١ ، ص٥٣ . وانظر التفسير الكبير ج٢ ، ص١٣٠ . تفسيرالنسفي ج١ ، ص٣٣ . تفسير أبي السعود ج١ ، ص٧.

(٤) تفسير الطبري ج١ ، ص٣٩٢ .

والتشابه بين ثمر الجنة وثمر الدنيا يبين مدي التمايز الذي يجده أهل الجنة بين ما رزقوه في الدنيا وما يتمتعون به في الجنة .

وقد بيّن الزمخشري مزية التشابه بين ثمار الجنة وثمار الدنيا بقوله : « فإن قلت : لأي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة ؟ وما بال ثمر الجنة لم يكن أجناساً أخر ؟ قلت : لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل وإذا رأي ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ، ولأنه ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه إلف، ورأي فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتاً بينه وبينما عهد بليغاً ، أفرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ، ولو كان جنساً لم يعهده وإن كان فائقاً حسب أن ذلك الجنس لا يكون إلا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين »[(١)] ..

وقبول هذا الرأي الذي أخذ به أكثر المفسرين لا يمنع من قبول الرأي الآخر الذي مال إليه بعض المفسرين[(٢)] وهو : أن التشابه إنما يكون بين ثمار الجنة بعضها ببعض ، وقد بين أبو حيان الأندلسي[(٣)] علة الأخذ بهذا الرأي بقوله : « وما ذكره الزمخشري غير ظاهر الآية ، لأن ظاهر الكلام يقتضي أن يكون الضمير عائداً على مرزوقهم في الآخرة فقط لأنه هو المحدث عنه والمشبه الذي رزقوه من قبل » .

فعود الضمير إلى المرزوق في الجنة أولي لأن الحديث في الآية عن الجنة وعن رزق أهلها الذي يتنعمون به فيها .. ثم لأن الآثار التي أوردها بعض المفسرين[(٤)] تؤيد الأخذ بهذا الرأي ، وهو ما روي عن الحسن : « يؤتي أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤدي بالأخري فيقول : هذا الذي أتينا به من قبل ، فيقول الملك : كل فاللون واحد والطعم مختلف » .. وما روي عن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال : « والذي نفس

---

(١) تفسير الكشاف ج١ ، ص ٥٣ .

(٢) انظر : تفسير النسفي ج١ ، ص ٣٣ . البحر المحيط ج١ ، ص ١١٥ ـ ١١٦ . روح المعاني ج١ ، ص٢٠٤ .

(٣) البحر المحيط ج١ ، ص ١١٥ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ج١ ، ص ٣٨٧ . تفسير النسفي ج١ ، ص٣٣ . روح المعاني ج١ ، ص٢٠٣ .

محمد بيده : إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة إلى فيه حتى يبدلها الله مكانها مثلها ، فإذا أبصرها والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك » ..

وهي أدلة ترجح الأخذ بهذا الرأي ، وأن كانت لا تقطع في الأخذ به ذلك أن التشابه الذي أشار إليه القرآن في قوله تعالى : ( وأتوا به متشابها ) يمكن أن يكون عاما بين ثمار الجنة وثمار الدنيا ، وثمار الجنة بعضها ببعض . وقد مال أبو حيان الأندلسي إلى هذا الإطلاق في التشابه إذ قال : « والأظهر أن يكون المعنى ثبوت التشابه ولم يقيد التشابه بل أطلق فتقييده يحتاج إلى دليل »[1].

وإذا كان الإنسان في الدنيا يجد تنغيصاً في متعته بطعامه وشرابه بخوفه من زواله وانقطاعه أو عدم دوامه .. مما يعكر عليه لذة التمتع بطعامه وشرابه في الدنيا ، لشعوره أن هذه النعم لن تدوم وأن مصيرها لا بد أن يؤول إلى الزوال ، وأن هذه النعم قد يحرم من التمتع بها لأي سبب .. إذ كان هذا حال الإنسان في الحياة الدنيا في تمتعه بنعمة الطعام والشراب .. فإن الحال في الجنة مختلفة تماماً إذ لا ينغص على أهلها في تنعمهم فيها بطعامهم وشرابهم شعور بالزوال أو الانقطاع أو الحرمان من هذه النعمة بسبب أو بآخر ، وذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ بين أن من صفات الجنة أن نعمها دائمة لا تزول ولا تنقطع ولا تمنع عن أهلها إطلاقًا ، فهي دائمة بدوام الجنة وخلودها .. وقد ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ دوام طعام الجنة ونعمها في آيات كثيرة كقوله سبحانه :

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾[2]

والأُكْل والأُكُل بضم الكاف وسكونه : كل ما يُؤكل[3] ، وأُكُل الشجرة جناها وثمرها كما بين اللغويون[4]..

---

(١) البحر المحيط ج١ ، ص ١١٦ .

(٢) سورة الرعد ، من الآية : ٣٥ .

(٣) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١٦ . بصائر ذوي التمييز للفيروزابادي ، ج٢ ص٨١ .

(٤) انظر : معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس ج١ ، ص ١٢٤ . لسان العرب ، لابن منظور ج١١ ، ص٢٢ ، مادة أكل .

وقد بين المفسرون [1] أن المقصود من قوله تعالى : ( أُكُلها ) إما أن يكون المراد منه : ما يؤكل في الجنة ، أو ثمرها ، أو لذاتها .. والراجح أن التفسير الأرجح لمعني قوله تعالى : ( أُكلها ) أنه كل ما يؤكل في الجنة من ثمار ولحوم وكل ما فيها من طعام .. وذلك أن الآية لم تبين أن المقصود بالأُكل هو الثمر وحده بل كل ما يؤكل في الجنة من طعام .. وأن آية أخري تبين أن فاكهة الجنة كثيرة ودائمة غير مقطوعة ، وهي قوله تعالى :

﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [2] .

والمهم في الآيتين أنهما تصفان نعمة أهل الجنة في طعامهم بأنها دائمة مستمرة غير معرضة للزوال أو الانقطاع مما يكفل لهم شعوراً دائمًا بالراحة والمتعة لاطمئنانهم على دوام نعمتهم وعدم خوفهم من انقطاعها أو زوالها كما هي حال أهل الدنيا الذين يتمتعون بطعامهم متعة ينغصها شعورهم بأنها متعة وقتية غير مستديمة بل إن مصيرها إلى الزوال والانقطاع كما هي حال حياتهم الدنيا .

وإذا كان الإنسان في الحياة الدنيا لا يجد كل ما يشتهيه من دنياه لأن الأرزاق مقدرة ومقسمة من عند الله ـ عز وجل ـ ، أو لأن أسبابًا أخري تحرم الإنسان من بعض ما يشتهيه في دنياه .. إذا كانت هذه حال الإنسان في دنياه مع ما يشتهيه من طعام أو شراب أو ملذات أخري .. فإن حال أهل الجنة مختلفة تمامًا . إذ يجدون فيها كل ما تشتهيه أنفسهم ، وما لم يخطر على بالهم من النعم .. وذلك لأن الله ـ تعالى ـ وصف نعيم أهل الجنة في آيات كثيرة تبين أن فيها من النعم والملذات كل ما يشتهيه أهلها وما لم يخطر على بالهم من النعم .. مثل قوله تعالى :

﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [3] ..

---

(١) انظر : تفسير الطبري ج١٦ ، ص ٤٦٩ . تفسير البغوي ج٣ ، ص٢١ . التفسير الكبير ج١٩ ، ص٥٩ . تفسير النسفي ج٢ ، ص١٥١ . البحر المحيط ج٥ ، ص٣٩٦ . تفسير أبي السعود ج٥ ، ص٢٥ . روح المعاني ج١٣ ، ص١٦٣ ـ ١٦٤ .

(٢) سورة الواقعة ، الآيتان : ٣٢ ـ ٣٣ .

(٣) سورة ق ، آية : ٣٥ .

والتعبير بضمير الغيبة في قوله تعالى : ( لهم ) بيان لمدي التكريم والراحة التي يجدها أهل الجنة .. فقوله تعالى : (لهم) يجوز أن يكون كلامًا من الله ـ سبحانه ـ للملائكة بأن يتولوا خدمة وإكرام أهل الجنة وتقديم كل ما يخطر ببالهم وما يشاءونه من متاع ونعيم .. وهذا بمثابة إعلان للملأ الأعلى لإكرام أهل الجنة وزيادة الحفاوة بهم .. وقد ألمح الفخر الرازي إلى مزية النظم القرآني للآية بقوله : « هو أن يقال قوله تعالى : (لهم) جاز أن يكون كلامًا مع الملائكة ، يقول للملائكة : توكلوا بخدمتهم واعلموا أن لهم ما يشاءون فيها ،فأحضروا بين أيديهم ما يشاءون »[1] ..

وقد بين المفسرون معني قوله تعالى : ( لهم ما يشاءون فيها ) بقولهم[2] : أي يسألون الله ـ تعالى ـ حتي تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاءوا .. أو ما تعلقت به مشيئاتهم من أنواع الملاذ والكرامات .. أو يعطون ما شاءوا من فنون المطالب كائنًا ما كان ..

وكلها تفسيرات ترجع إلى معني واحد : هو أنهم يعطون كل ما يشاءونه من أنواع الملذات والكرامات ، ولا يمنع عنهم شيء مما تتعلق به مشيئاتهم ، بل إنهم يعطون فوق ما يشاءون مما لم يخطر على بالهم من فنون الملذات والمطالب .. حسب ما توضح بقية الآية في قوله تعالى :

﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[3].

... وإضافة الظرف إلى ضمير المتكلم يبين أن هذا عهدٌ من الله لأهل الجنة بإغداق النعم عليهم فوق ما يريدون وأنهم سيعطون من المتع والملذات أكثر مما يخطر على بالهم من المطالب ..

وقد بين الفخر الرازي مزية هذا النظم القرآني بقوله : « وأما أنا فعندي ما لا يخطر ببالهم ولا تقدرون أنتم عليه »[4] ..

---

(١) التفسير الكبير ج٢٨ ، ص ١٨١ .وانظر في ظلال القرآن ج٦ ، ص ٣٣٦٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ، ص٤٧ . تفسير البغوي ج٤ ، ص ٢٢٦ . البحر المحيط ج٨ ، ص١٢٨ . تفسير أبي السعود ج٨ ، ص١٣٢ .

(٣) سورة ق ، من الآية : ٣٥ .

(٤) التفسير الكبير ، ج٢٨ ص١٨١ .

وأما معني قوله تعالى : ( ولدينا مزيد ) فقد اختلف المفسرون[1] في بيان المزيد الذي وعد به الله عباده من أهل الجنة فقالوا : أي الزيادة لهم في النعيم مما لم يخطر ببالهم ، أو هو النظر إلى وجه الله الكريم ، أو أن السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال الله ـ عز وجل ـ (ولدينا مزيد) ، أو أن (مزيداً) مبهم غير محدد ، أو هو مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها .

والتفسير الراجح من هذه الأقوال : هو أن المزيد الذي وعد الله به عباده المتقين من أهل الجنة مبهم غير معين ، وذلك أن الإبهام أوسع في معناه بحيث يشمل كل ما قاله المفسرون وغيره مما لم يخطر على قلب بشر ولم يفكر به عقل ولم يدر بخلد أحد من الناس ، وذلك يتناسب مع الحديث الذي روي عن النبي عليه الصلاة والسلام في وصف الجنة .. فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قال : « قال الله تبارك وتعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[2] .

ويتناسب هذا التفسير مع آية أخري وردت في وصف الجنة وهي قوله سبحانه وتعالى :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[3] .

وإذا كان الإنسان في الحياة الدنيا يجد متعة لذة روحية عند الإكرام في تقديم الطعام له عند من يضيفه .. فإن المتقين أهل الجنة .. يعيشون هذه المتعة الروحية في كل أوقات طعامهم وشرابهم . وإذا أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن صفة تقديم الطعام لأهل الجنة بأن الملائكة تبالغ في إظهار الإكرام والاحترام لهم عند كل طعام أو شراب يقدم لهم .. إذ قال سبحانه في ذلك :

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ، ص ٤٧ . تفسير البغوي ج٤ ، ص٢٢٦ . الكشاف ج٤ ، ص٢٤ . تفسير أبي السعود ج٨ ، ص١٢٣ . روح المعاني ج٢٦ ، ص١٩٠ . تفسير في ظلال القرآن ج٦ ، ص ٣٣٦٥ .

(٢) صحيح البخاري ج٦ ، ص ١٤٥ ، تفسير سورة السجدة .

(٣) سورة السجدة ، آية : ١٧ .

﴿ إنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] ..

فالمتقون في جنات خاصة بهم نعيمها ومتعها تعلوعلى كل نعيم ومتعة . فالتنوين للتفخيم والتنويع [2] ، فهم في عيشٍ رغيد وهناءة دائمة لا ينغصها شيء من المنغصات التي تعرض لمتع الحياة الدنيا ..

وقد بين المفسرون[3] أن معني قوله تعالى : (فاكهين) : معجبين أو ناعمين أو متلذذين ..

ويبدو أن المعني متقارب في هذه التفسيرات ، فالمعجب والناعم والمتلذذ يعني أن لذته ومتعته بما هو فيه من نعيم وراحة نفسية وجسدية أدت إلى إعجابه بما هو فيه وتنعمه به، إذ كلها مشاعر يؤدي بعضها إلى بعض .

ولنظم الآية الكريمة : (فاكهين بما آتاهم ربهم ..) ميزة بلاغية دقيقة تبين أم كل ما هم فيه من نعيم وراحة نفسية وجسدية إنما هو إكرام من الله لهم ، وعناية بحالهم أشعرتهم بأنهم في محل العناية والرعاية التامين من عند الله سبحانه وتعالى .. وما ألذ الشعور بنعمة خصهم الله بها لرفعة مكانتهم عنده سبحانه .

وقد بين الفخر الرازي مزية النظم القرآني للآية بقوله : « وقوله (فاكهين) يزيد في ذلك ، لأن المتنعم قد تكون آثار التنعيم على ظاهره وقلبه مشغول ، فلما قال (فاكهين) يدل على غاية الطيبة ، وقوله (بما آتاهم ربهم) يفيد زيادة في ذلك ، لأن الفكه قد يكون خسيس النفس فيسره أدني شيء ، ويفرح بأقل سبب ، فقال : (فاكهين) لا

---

(١) سورة الطور ، الآيات : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

(٢) انظر : الكشاف ج٤ ، ص٣٤ . تفسير أبي السعود ج٨ ، ص ١٤٨ . روح المعاني ج٢٨ ، ص٣٠ .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ، ص٩١ . تفسيرغريب القرآن ، لابن قتيبة ص٢٤٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ، ص٦٣ . تفسير البغوي ج٤ ، ص ٢٣٨ . تفسير أبي السعود ج٨، ص١٤٨ .

لدنو هممهم بل لعلو نعمهم حيث هي من عند ربهم »[1] ..

وفي قوله تعالى :

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

زيادة في بيان ما يجده أهل الجنة من الإكرام والحفاوة في كل ما يقدم لهم من متعة ونعيم .. فقوله تعالى : (كلوا واشربوا هنيئًا ) أمر على تقدير يقال لهم [3]، وهو أمر امتنان وتكريم وليس أمر إيجاب ولا ندب لأن الاخرة ليست دار تكليف وثواب وعقاب ، إنما هي دار الثواب فحسب ، فالأمر هنا لأهل الجنة بأن يأكلوا ويشربوا هو الإذن لهم بالتمتع بما أعد الله لهم من نعمة الطعام والشراب ، إذ هو إذن مفتوح لهم لا يتعلق بثواب أو عقاب إنما هو إعطاء للحرية كاملة بأن ينعموا بكل ما يجدون في الجنة من أنواع الطعام والشراب على الدوام .. وفي هذا الأمر إظهار للحفاوة بهم ، إذ هو إعلاء من شأنهم لتفضل الملائكة بإظهار التكريم التام لهم من الله سبحانه .. فأهل الجنة لا يتمتعون بنعمة الأكل والشرب فحسب ، بل ينعمون بحسن الضيافة وحفاوة التكريم إظهاراً لعظم منزلتهم عند الله سبحانه .. وقد بين الفخر الرازي أن هذا الأمر ليس لا يجاب أو ندب بقوله : « قوله (كلوا) ليس بأمر إيجاب ولا ندب ، لأن الآخرة ليست دار تكليف ...»[4] ..

وقد بين المفسرون[5] أن قوله تعالى : (هنيئًا) يراد به أكلاً وشرباً : مأمون العاقبة من التخمة والسقم . أو هو الذي لا تنغيص فيه ، أو كل ما لا يلحق مشقة ولا يعقب وخامة ..

وهي معان متقاربة لقوله تعالى (هنيئًا) تبين أنه وصف للأكل والشرب خال من

---

(١) التفسير الكبير ج٢٨ ، ص ٢٤٨ .

(٢) سورة الطور، آية : ١٩ .

(٣) انظر : البحر المحيط ج٨ ، ص١٤٨ . تفسير أبي السعود ج٨ ، ص١٤٨ .روح المعاني ج٢٧ ، ص٣١ .

(٤) التفسير الكبير ج٣ ، ص١١٢ .

(٥) انظر : تفسير البغوي ج٤ ، ص ٢٣٨ . الكشاف ج٤ ، ص٣٢ . البحر المحيط ج٨ ، ص١٤٨ . تفسير أبي السعود ج٨ ، ص١٤٨ . روح المعاني ج٢٧ ، ص٣١ .

كل ما فيه تنغيص من المنغصات الي يمكن أن يعرض لها الإنسان في متعة بالطعام والشراب في الدنيا .. وقد فصّل الفخر الرازي في بيان مزية قوله تعالى : (هنيئًا) بقوله : « وقوله تعالى (هنيئًا) إشارة إلى خلوها عما يكون فيها من المفاسد في الدنيا ، منها أن الآكل يخاف من المرض فلا يهنأ له الطعام ، ومنها أنه يخاف النفاد فلا يسخو بالأكل . والكل منتف في الجنة فلا مرض ولا انقطاع ، فإن كل أحد عنده ما يفضل عنه ، ولا إثم ولا تعب في تحصيله ، فإن الإنسان في الدنيا ربما يترك لذة الأكل لما فيه من تهيئة المأكول بالطبخ والتحصيل من التعب أو المنة أو ما فيه من قضاء الحاجة واستقذار ما فيه ، فلا يتهنأ . وكل ذلك في الجنة منتفٍ »[١]..

وكل هذه المعاني المختلفة التي تفيدها الآيات ظهرت من النظم القرآني الدقيق للآيات الكريمة ، وقد أشار الأستاذ سيد قطب إلى مزية هذا النظم القرآني للآيات بقوله : « وهم يلتذون ما آتاهم ربهم ويتفكهون ،ومع النعيم ولذته التهنئة والتكريم : (كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون ) وهذا بذاته متاع أكرم . وهم ينادون هذا النداء العلوى. ويعلن استحقاقهم لما هو فيه »[٢].

وتماثل الآيات السابقة من سورة الطور ، آية آخري من سورة الحاقة هي قوله تعالى:

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[٣].

وتفسيرها[٤] قريب من تفسير الآية السابقة ، إلا أن هذه الآية الكريمة ختمت بما يبين سبب تكريم أهل الجنة والحفاوة بهم حال تمتعهم بنعمة الطعام والشراب في الجنة .. وذلك قوله تعالى :

﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[٤].

---

(١) التفسير الكبير ج٢٨ ، ص٢٤٨ .

(٢) في ظلال القرآن ج٦ ، ص٣٣٩٦ .

(٣) سورة الحاقة ، آية : ٢٤ .

(٤) انظر صحيفة ١٩١ ـ ١٩٢ مما سبق .

(٥) سورة الحاقة ، من الآية : ٢٤ .

.. أي بما قدمت من الأعمال الصالحة في الحياة الدنيا [1] .. وفي قوله تعالى : (بما أسلفتم) بيان أن ما ينعم به أهل الجنة من النعيم الروحي والحسي الذي تمثله الآية الكريمة يكون نتيجة الأعمال الصالحة التي قدمها المتقون في دنياهم .. وذلك أن معنى السَّلف في اللغة : « القرض والفعل أسلفت »[2]، والقرض هو الذي قال الله ـ سبحانه ـ فيه :

﴿ مَن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[3].

فالسلف والقرض هو كل ما يقدمه الإنسان راجيًا من ورائه الخير ، وكل عمل صالح يقدمه الإنسان في حياته الدنيا إنما يكون فيه راجيًا الأجر والثواب العظيم من عند الله ، وهو الجنة ونعيمها التي وعد بها عباده المتقين في الآية الكريمة ..

---

(1) انظر : تفسير البغوي ج٤ ، ص٣٨٨ . التفسير الكبير ج٣٠ ، ص١١٣. تفسير النسفي ج٣ ، ص٥٧٩ . البحر المحيط ج٨ ، ص٣٢٥ .
(2) لسان العرب ج٩ ، ص١٥٨ ، مادة سلف .
(3) سورة الحديد ،آية : ١١ .

# طعام أهل الجنة (الفاكهة. اللحم)

## أولاً : طعام أهل الجنة (الفاكهة)

ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ طعام أهل الجنة ، وبيّن أن من طعامهم الذي يقدم لهم ، ويتمتعون بتناوله والتلذذ به الفاكهة . فذكر الفاكهة من طعامهم مجملة تارة ، ومفصلة مبينة تارة أخري . وذكرها نكرة تارة ، ومعرّفة موصوفة تارة أخري . وبيّن ـ سبحانه ـ بعض أنواع الفاكهة في الجنة .. وعند دراسة الآيات التي تصف الفاكهة من طعام أهل الجنة تجد أن الفاكهة تبدو وكأنها أكثر طعامهم . بل إنها هي الطعام المخصص لأهل الجنة . وهذا يدعو إلى سؤال هو : كيف يكون طعام أهل الجنة الفاكهة ؟مع أن الفاكهة في الحياة الدنيا نوع تكميلي يأتي بعد أنواع الطعام الأخري ، وتكون في آخر الطعام للتلذذ بها والتمتع بطعمها اللذيذ بعد الشبع ؟

والجواب على هذا السؤال : أن في ذكر الفاكهة وتخصيصها بطعام أهل الجنة تنبيه على وجود ما هو أهم منها من بقية الأطعمة من باب التحدث عن الأقل أهمية لإظهار قيمة المهم الذي لم يذكر ، كما في ذكر البطائن دون الظهائر في قوله تعالى :

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ (١).

.. فإذا كانت البطائن هكذا فما بالك بالظهائر ؟..

وكذا الأمر في ذكر الفاكهة من طعام أهل الجنة .. فإذا كانت الفاكهة وهي طعام تكميلي موجودة في الجنة ومتنوعة بهذه الكثرة والوفرة ، فما بالك بأنواع الأغذية الأخري التي تقدم لأهل الجنة .. ؟

وفي دراسة الآيات التي وردت في وصف الفاكهة من طعام أهل الجنة يتبين لنا أن لها أنواعًا وصفات تميزها عن فاكهة الدنيا .. فقد بين الله سبحانه وتعالى أن رزق الجنة فواكه ذات خصائص معينة كما في قوله تعالى :

---

(١) سورة الرحمن ، من آية : ٥٤ .

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴾[1].

وصف الله تعالى الرزق في الآية الكريمة بأنه (معلوم) وفي بيان معني قوله تعالى (معلوم) بيّن المفسرون[2] أنه يراد به : أنه منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر ، أو أنه معلوم الوقت كقوله تعالى :

﴿ ... وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[3].

.. أو أن رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد فكل ما يأكلونه على سبيل التلذذ . أو أن الرزق المعلوم يراد به الجنة ، وقوله : ( في جنات ) يأباه ، أو أنهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا الذي لا يعلم متي يحصل ولا متي ينقطع ، أو أنه القدر الذي يستحقونه بأعمالهم من ثواب الله وكرامته عليهم ..

والأظهر أن التفسير الراجح : أنه منعوت بصفات وخصائص خاصة خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر ، وذلك لأن رزق الجنة يختلف عن رزق الدنيا ، ويتميز بخصائص ومميزات لا تخطر على قلب بشر وتميزه بخصائص ومميزات خاصة به تجمع أيضًا دوامه واستمرار حضوره صباحًا ومساءً ، وأنه متواصل العطاء لا ينقطع أو يزول ..

وقد فُسِّرَ الرزق المعلوم في الآية بأنه (فواكه) ، وفي إعراب (فواكه) اختلف المفسرون[5] فقالوا : إما بدل من رزق ، بدل كل من كل ، أو بدل بعض من كل ،

---

(١) سورة الصافات ، الآيتان : ٤١ ـ ٤٢ .

(٢) انظر تفسير البغوي ج٤ ص٢٧ . تفسير الكشاف ج٣ ص٣٠٠ . التفسير الكبير ج٢٦ ص١٣٦ . تفسير البحر المحيط ج٧ ص٣٥٩ . تفسير أبي السعود ج٧ ص١٩٠ . تفسير روح المعاني ج٢٣ ص٨٥ .

(٣) سورة مريم ، من الآية : ٦٢ .

(٤) انظر إعراب القرآن ، للنحاس ج٣ ص٤١٨ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٧ . تفسير البحر المحيط ج٧ ص٣٥٩ . تفسير أبي السعود ج٧ ص١٩٠ . تفسير روح المعاني ج٢٣ ص٨٦ .

وإما خبر مبتدأ مضمر أي ذلك .

والتفسير الراجح أن ( فواكه ) بدل بعض من كل ، وخصصت الفواكه بالذكر دون بقية الرزق ، وذلك لأن رزق أهل الجنة كله يؤكل لأجل التلذذ والتمتع لا لحفظ الصحة وتقوية الأبدان .. ثم إن ذكر الفاكهة دون بقية الأرزاق في الجنة يدل على أهمية ما لم يذكر من بقية الأطعمة ..

ومعني الفاكهة في اللغة كما بين الراغب : « هي الثمار كلها وقيل بل هي الثمار ما عدا العنب والرمان »[1] .. والفاكهة هي ما يؤكل للتفكه والتلذذ والتمتع كما بين الفيومي في تعريفها إذ قال : « الفاكهة : ما يتفكه به أي يتنعم بأكله رطباً كان أو يابساً »[2] ..

وبهذا التعريف للفاكهة يتبين أن فاكهة الجنة هي بعض الرزق المقدم لأهلها ، ولكنها خصت بالذكر لأن الرزق إنما يقدم لأهل الجنة للتمتع والتلذذ بتناوله لا لحفظ الأجسام وتقويتها ؛ إذ أبدانهم صحيحة سليمة لا تحتاج إلى الحفظ والتقوت ، ولأن في ذكر الفاكهة دون بقية الرزق إشارة إلى أهمية وعظمة ما لم يذكر من بقية الرزق ، وقد أشار الفخر الرازي إلى النكتة البلاغية من ذكر الفاكهة بدلاً من الرزق ، إذ قال : « ثم لما ذكر الله ـ أن لهم رزقاً بيّن أن ذلك الرزق ما هو فقال ( فواكه ) وفيه قولان (الأول) أن الفاكهة عبارة عما يؤكل لأجل التلذذ لا لأجل الحاجة ، وأرزاق أهل الجنة كلها فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات فإنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد ، فكل ما يأكلونه فهو على سبيل التلذذ و (الثانى) أن المقصود من ذكر الفاكهة التنبيه بالأدني على الأعلى، يعني لما كانت الفاكهة حاضرة أبداً كان الأدام أولي بالحضور»[3] ..

وهذان القولان أقرب إلى التحقيق والاندماج مع بعضهما ليحققا النكتة البلاغية من التعبير القرآني ، وإن كان الفخر الرازي قد فضل القول الأول بقوله : « والقول

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٣٩٩ .
(٢) المصباح المنير ، للفيومي ، ص ٤٧٩ .
(٣) التفسير الكبير ج٢٦ ص١٣٦ ـ ١٣٧ .

الأول أقرب إلـى التحقيق »[1] .. فإن الإعجـاز البلاغـي للقرآن يناسبه الجمع بين القولين ..

والفاكهة التي تقدم في الجنة لأهلها ، تقدم لهم في حال من الإكرام والحفاوة لا تكون لأهل الدنيا إلا في حالات خاصة من التنعيم والرخاء . أما أهل الجنة فإن الله ـ سبحانه ـ قد بين أن التكريم مقترن دائماً مع الدعوة للطعام والشراب .. فقد ختمت الآية الكريمة بعد الدعوة للأكل بقوله سبحانه (وهم مكرمون) .. والإكرام في الآية بينه المفسرون[2] بمعان مختلفة منها : أن الإكرام بثواب الله ، أو لأن الأكل الخالي عن التعظيم يليق بالبهائم ، أو لا يلحقهم هوان عند الله وذلك أعظم المثوبات وأليقها بأولى الهمم ، أو مكرمون في نيله بحيث يصل إليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن أرزاق الدنيا ..

والظاهر أن الإكرام في الجنة عند الأكل يشمل كل ما سبق مما بينه المفسرون ، وذلك أن أهل الجنة ينعمون فيها بكل ما هيأه الله ـ سبحانه وتعالى ـ لعباده المتقين من ألوان النعيم الحسي من مأكل ومشرب ومسكن وملبس ينعم به أهل الجنة من عباد الله المتقين ، مضافاً إليه كل ما ينعمهم به الله من ألوان النعيم الروحي كالسلام من الله تعالى ، والتحية من الملائكة ، وحسن المعاشرة فيها ، وحفاوة الاستقبال والتكريم في كل ما يقدم لهم من الخدمة والعناية يجلب لهم النعيم الروحي الذي يزيد من متعتهم الحسية .. وقد بين الألوسى[3] أن الإكرام في تقديم الأكل في الجنة لون من ألوان النعيم الروحي فيها ، إذ قال : « ولعل هذه إشارة إلى النعيم الروحاني بعد النعيم الجسماني الذي هو بواسطة الأكل » ..

وقد ذكر الفاكهة في رزق أهل الجنة في أكثر الآيات نكرة منونة وذلك كما في قوله تعالى :

---

(١) المصدر نفسه ج٢٦ ص١٣٧ .

(٢) انظر تفسير البغوي ج٤ ص٢٧ . التفسير الكبير ج٢٦ ص١٣٧ . تفسير أبي السعود ج٧ ص١٩٠ . تفسير روح المعاني ج٢٣ ص٨٦ .

(٣) تفسير روح المعاني ج٢٣ ص٨٦ .

﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾[1] ..

وتنكير كلمة (فاكهة) وتنوينها يعطي إيحاءً بكثرة الفاكهة في الجنة وعظم شأنها ، فهي فاكهة غير محددة الشكل أو الحجم أو العدد أو النوع . إنما هي فاكهة لا يعلم شأنها إلا الله سبحانه وتعالى .. وقدألمح بعض المفسرين إلى مزية التنكير في كلمة (فاكهة) ، إذ قال الفخر الرازي : « والتنكير لبيان الكمال »[2] ، وقال أبو السعود : « أي لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من الفواكه »[3] ، وقال الألوسي : « والتنوين للتفخيم أي فاكهة جلية الشأن »[4] .

وأقوال المفسرين هذه تبين أن للتنكير والتنوين في كلمة (فاكهة) مزية بلاغية هامة توحي بما في الجنة من فاكهة عظيمة الشأن ، لا يخطر على قلب البشر وصفها وهيأتها ، فهي أمر مجهول قرّب الله ـ سبحانه وتعالى ـ وصفها وأنواعها في آيات أخري من القرآن الكريم .

وقد بيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ تحقق ملكية أهل الجنة لما يرزقهم فيها من الرزق ، ففي أسلوب وصياغة الآية الكريمة ما يدل على اختصاصهم بملكية فاكهة الجنة وقدرتهم على التصرف فيها بما يشاءون ، إذ قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ ﴾ [5] بأسلوب القصر [6] ، بتقديم الخبر الجار والمجرور على المبتدأ النكرة ، ولم يقل يأكلون ليفيد اختصاصهم بفاكهة الجنة وعدم تصرف أحد غيرهم فيها ، بل إنهم قادرون على التصرف فيها كما يشاءون وبما يشاءون .. وليس أنهم يأكلون فحسب ..

وقد ألمح الفخر الرازى[7] إلى المزية البلاغية في تركيب الآية الكريمة إذ قال :

---

(١) سورة يس ، آية : ٥٧ .
(٢) التفسير الكبير ج٢٦ ص٩٣ .
(٣) تفسير أبي السعود ج٧ ص١٧٣ .
(٤) روح المعاني ج٢٣ ص٣٧ .
(٥) سورة يس ، من الآية : ٥٧ .
(٦) انظر خصائص التراكيب ، للدكتور محمد أبو موسي ص٢٤٨ ، ٢٤٩ .
(٧) التفسير الكبير ج٢٦ ص٩٣ . انظر روح المعاني ، للألوسي ج٢٣ ص٣٧ .

« وقوله (لهم فيها فاكهة) ولم يقل يأكلون إشارة إلى كون زمام الاختيار بيدهم وكونهم مالكين وقادرين ».

ولا يقتصر تمتع أهل الجنة بما فيها من ألوان الرزق من الفواكه ، بل إنهم يتمتعون بنيل كل ما يطلبون فيها من ألوان النعيم ، بل لهم الحق في ملكية كل ما يخطر على بالهم مما يجدونه فيها من ألوان المتع .. يوضح هذا النعيم قوله تعالى في أعقاب إخباره بملكيتهم لما فيها من الفواكه بقوله سبحانه (ولهم ما يدّعون) فهم لا يملكون الفواكه فحسب بل مالكين لكل ما يطلبون ويتمنون بخلاف أهل الدنيا ؛ إذ ليس لهم إلا ما تحققت ملكيتهم له فهم له ينالون إلا ما يثبت أنه حق لهم ..

والذي يثبت حال أهل الجنة معني كلمة (يدّعون) وبنيتها.. إذ أورد أهل اللغة أن يدّعون من الادّعاء : « أن تدّعي حقا لك أو لغيرك »[1]، فمعني كلمة يدّعون وصيغتها تدل على أن لأهل الجنة الحق في كل ما يطلبون من ألوان النعيم فيها ..

وقد بيّن المفسرون[2] معني يدّعون بأنه : يتمنون ، لقول العرب ادّع عليّ ما شئت أي تمنّ ما شئت مأخوذ من الدعاء بالشيء . أي ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم .. أو ما يتداعون ، ومعناه أن كل ما يصح أن يدعو أحد صاحبه إليه أو يطلبه أحد من صاحبه فهو حاصل لهم . أو بمعني ما يدعون به لأنفسهم أي دعاؤهم مستجاب سواء طلبوا أو لم يطلبوا .. أو أنه مأخوذ من الدعوي أي الادّعاء ، بمعني أن كل ما يدّعونه لأنفسهم فهو حق خالص لهم ..

والتفسير الذي يرجح الأخذ به هو التفسير الأخير ، وهو الادّعاء بمعني أن كل ما

---

(١) معجم مقاييس اللغة ج٣ ص٢٨٠ . وانظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١٧٢ . بصائر ذوي التمييز ، للفيروزابادي ج٢ ص٦٠ .

(٢) انظر مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص١٦٤ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٣٦٧ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٤ ص٢٩٢ . معاني القرآن الكريم ، للنحاس ج٥ ص٥٠٩ . تفسير البغوي ج٤ ص١٦ . تفسير الكشاف ج٣ ص٢٩٠ . التفسير الكبير ، ج٢٦ ص٩٣ . البحر المحيط ج٧ ص٣٤٢ . تفسير أبي السعود ج٧ ص١٧٣ ، ١٧٤ . حاشية الشهاب ج٧ ص٢٤٨ . روح المعاني ج٢٣ ص٣٧ .

يدّعيه أهل الجنة فهو لهم ، كما وضحه معني الكلمة وبينتها في الآية ، وهذا يجعل لبنية الكلمة كما وردت في الآية الكريمة مزية بلاغية خاصة ، توحي في الآية بمتعة روحية لأهل الجنة ؛ إذ أن حالهم فيها يختلف عن حال الدنيا ، ففي الدنيا لا يملك الإنسان كل ما يدّعيه لنفسه ، بل هو مطالب في كل ما يدّعي ملكيته بإحضار ما يثبت الملكية وإلا فلا يأخذ إلا ما كان له عن طريق الإثبات بالوثائق .

وهذا الاختلاف بين حال أهل الجنة وحال أهل الدنيا يدل على أن أهل الجنة يعيشون في أقصي حالات البهجة والغبطة والسرور بخلاف أهل الدنيا المبتلين بالخوف والجوع والجزع وعدم تحقيق كل ما تصبو إليه النفس .. وقد وضح أبو السعود حال أهل الجنة بقوله : « وأيًا ما كان ففيه دلالة على أنهم في أقصي غاية البهجة والغبطة»(١) ..

وقد ورد في القرآن ما يدل على أن أهل الجنة يتمتعون بتناول كل ما فيها من أنواع الفواكه ، آمنين من خوف المرض والحرمان ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾(٢) .

وفي قوله تعالى : (بكل فاكهة) إيحاء بما يتمتع به أهل الجنة من تناول كل أنواع الفاكهة التي تخطر على البال والتي لم تخطر ، فليس في الجنة ما يمنع من التمتع بجميع أنواع الفاكهة التي يعرفها أهل الدنيا والتي لم يجدها في الحياة الدنيا .. فأهل الجنة بإمكانهم كما دلت الآية الكريمة أن يطلبوا كل ما في الجنة من فواكه ، ويمكنهم أن ينعموا بتذوق كل ما فيها من ألوان المتع .. وهذا بحد ذاته نعمة عظمي ، فكل ما يشتهونه من أنواع الفاكهة بإمكانهم التمتع بتناوله آمنين من المخاوف التي تعرض لأهل الدنيا ..

وذلك أن أهل الدنيا تعرض لهم مخاوف في طعامهم منها الخوف من نفاذ هذا الطعام وانقطاعه وعدم دوامه ، ومنها الخوف من الحرمان بسبب الفقر أو العلل التي

---

(١) تفسير أبي السعود ج٧ ص١٧٤ . وانظر في ظلال القرآن ج٧ ص٢٩٧٢ .
(٢) سورة الدخان ، آية : ٥٥ .

تحرمهم من التنعيم بكل أنواع الفواكه ومنها الخوف من التخمة والأمراض عند الكثرة من الفواكه ..

أما أهل الجنة فإن تنعمهم بالتلذذ بكل أنواع الفاكهة لا ينغصه عليهم شيء من هذه المخاوف . .

وفي تفسير الآية اتفق المفسرون[1] على أن قوله تعالى : (يَدْعون) بمعني : يطلبون ويأمرون بإحضار كل ما يشتهونه من الفواكه ، بحيث لا يتخصص شيء منها بمكان أو زمان ، آمنين في تناولهم لها من كل ما قد يسؤوهم في تمتعهم بها .. وهذا فرق ما بين حال أهل الدنيا وأهل الجنة ..

ولا تقتصر متعة أهل الجنة بالتلذذ بطعم جميع ما فيها من أنواع الفاكهة ، بل إن الحق ـ تبارك وتعالى ـ بيّن أن مما يمتلكه أهل الجنة حقًا خالصًا كل صنف من أنواع الثمار التي تخرجها الأرض .. فهم يتنفعون بالفاكهة وبكل أنواع الثمار الأخري كالخضار وغيرها مما ينتجه الشجر من صنوف المأكولات ..

يبين ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[2].

وذلك أن الثمر في اللغة كما عرفه الراغب : « اسم لكل ما يتطعم من أعمال الشجر .. »[3] ..

وقد ورد في القرآن الكريم بأربعة معان منها : أنه بمعني الفواكه المختلفة[4]. كما في قوله تعالى :

﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾[5].

---

(١) انظر تفسير البغوي ج٤ ص١٥٥ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٢٧ ص٢٥٣ ـ ٢٥٤ . تفسير النسفي ج٣ ص٣٣٤ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص٤٠ .

(٢) سورة محمد ، من الآية : ١٥ .

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٧٨ .

(٤) بصائر ذوي التمييز ، للفيروزابادي ج٢ ص٣٣٩ .

(٥) سورة الأنعام ، من الآية : ١٤١ .

وقوله تعالى :

﴿ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾[1].

وفي قوله تعالى : ( لهم فيها من كل الثمرات ) إيماء بما يتمتع به كل فرد من أهل الجنة ؛ إذ لهم فيها صنف من كل ثمرة تثمر في الجنة ، فالجار والمجرور خبر مبتدأ مقدر تقديره[2] صنف أو أنواع من كل الثمرات ، وقدره بعض المفسرين زوجان اعتماداً على قوله تعالى :

---

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٢٦٦ .

(٢) انظر : تفسير البحر المحيط ج٨ ص٧٩ . تفسير أبي السعود ج٨ ص٩٥ . حاشية الشهاب ج٨ ص٤٦ .

فعطف رضوان الله عنهم على ما يتمتعون به من ألوان النعيم في الجنة .. إذ رضوان الله من أحسن وأكبر وأتم النعم التي يعيش في كنفها أهل الجنة .

وصياغة الآية الكريمة تدل على ذلك ، إذ جاء لفظ الثمرات معرفة مضافًا إليها لفظ كل ليفيد أن أهل الجنة لهم الحق في ملكية كل نوع من أنواع الثمار فيها . أما لفظ مغفرة فجاء نكرة منونة متعلق بصفتها الجار والمجرور ( من ربهم ) ليفيد أنهم ينعمون في مغفرة عظيمة لا يقدر قدرها ولا يعلم شأنها لأنها كائنة من ربهم .

وقد بيّن أبو السعود المغزي البلاغي المستفاد من صياغة الآية بقوله : « أي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها ، وقوله تعالى : ( من ربهم ) متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائنة من ربهم»[1] .

وكما ذكر الله ــ سبحانه ــ ملكية أهل الجنة لكل أصناف الثمار فيها ذكر سبحانه وتعالى كثرة هذه الأصناف من حيث عددها أيضًا ، وتمتع : أهل الجنة بأكلها والتلذذ بطعمها ، وذلك قوله سبحانه :

﴿ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[2] .

والفاكهة في الآية نكرة موصوفة بالكثرة ، وقد فسرت[3] الكثرة هنا بكثرة الأنواع والأصناف لا بحسب الأفراد فقط . وهذا يعني أن فاكهة الجنة كثيرة في أصنافها متعددة في أنواعها وألوانها بالإضافة إلى كونها كثيرة في عددها ، وفي هذا إيماءة إلى أن أهل الجنة لا يشعرون بالخوف من نفاذ ما بين أيديهم من ألوان النعم ، ولا يخشون انقطاع لذتهم من التمتع بطعم الفاكهة التي خصهم الله ــ سبحانه ــ بملكيتها في الجنة فكل ما فيها ملك خاص لهم ، وكل ما فيها دائم الوجود لا يخشون نفاذه أو انقطاعه بحسب الأزمان والأوقات ، كما هي حال أهل الدنيا . الذين في خوف من نفاذ ما بين أيديهم وخشية من زواله ، إذ لكل صنف من صنوف الفاكهة في الدنيا

---

(١) تفسير أبي السعود : ج٨ ص٩٥ .
(٢) سورة الزخرف ، آية : ٧٣ .
(٣) انظر تفسير أبي السعود ج٨ ص٥٤ ــ ٥٥ . تفسير روح المعاني ج٢٥ ص١٠١ .

وقت محدود ينتهي وجوده بانتهاء وقت حصاده .

في ختام الآية الكريمة ما يدل على كثرة الأنواع والأصناف والأعداد للفاكهة مع الانتفاع بكل هذه الكثرة ودوامها ، إذ يقول سبحان ( منها تأكلون ) .. فكثرة الفاكهة في الجنة مقترنة بالانتفاع بها والتلذذ بطعمها ، إذ ليس فيها ما يمنع من تذوقها والتمتع بطعمها كما هي الحال في الدنيا ، إذ قد يجد الإنسان أنواعاً كثيرة من الفاكهة ولكنه قد لا ينتفع بها كلها فقد يكون في شكلها أو لونها أو رائحتها أو طعمها ما ينفره من تناولها ، وقد يكون مريضاً بمرض يمنعه من التمتع بكل أصناف الفاكهة التي يمتلكها . أما شأن أهل الجنة في تمتعهم بما فيها من ألوان الفاكهة فإنهم لا يحرمون من التمتع بكل ما فيها من أنواع الفاكهة ، إذ هي فاكهة مشوقة في شكلها ولونها وطعمها ورائحتها ، ولا تسبب لهم ضرراً صحياً عند تناولها ، ولا يجدون مانعاً يمنعهم من تناولها والتمتع بطعمها ..

قد بيّن المفسرون (١) أن من في قوله تعالى : ( منها تأكلون ) : للتبعيض ويجوز أن تكون للابتداء ..

والتفسير الراجح أن تكون للتبعيض ، إذ به تدل على كثرة الفاكهة ، ودوام بقائها في أشجارها . فأهل الجنة من كثرتها ودوام بقائها لا يأكلون إلا بعضها ، وتبقي الأشجار في الجنة مزينة أبداً بالثمار فلا تجد شجرة عريت من ثمرها كما هي الحال في الدنيا .. وقد أشار الزمخشري إلى هذا المعني ، إذ قال : « من للتبعيض أي لا تأكلون إلا بعضها وأعقابها باقية في شجرها ، فهي مزينة بالثمار أبداً مورقة بها لا تري شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا »(٢).. ويؤكد هذا المعني في آية أخري تصف فاكهة الجنة في قوله تعالى :

﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ (٣)..

---

(١) انظر تفسير الكشاف ج٣ ص٤٢٦ . تفسير النسفي ج٣ ص٣٢١ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص٢٧ . تفسير أبي السعود ج٨ ص٥٥ . تفسير حاشية الشهاب ج٧ ص٤٥١ . تفسير روح المعاني ج٢٥ ص١٠١ .

(٢) الكشاف ج٣ ص٤٢٦ .

(٣) سورة الواقعة الآيتان : ٣٢ ـ ٣٣ .

وقد وصفت الآية فاكهة الجنة بالكثرة أي كثرة أنواعها وأجناسها [(١)] كما وصفتها بصفتين أخريين هما : عدم الانقطاع ، وعدم الامتناع .. وقد بين المفسرون[(٢)] معنى عدم الانقطاع وعد الامتناع فقالوا : أي لا تجيء في حين وتنقطع في حين ، ولا تمنع من أهلها كما يمنع أهل الجنان فواكههم . أو لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان . أو هي دائمة أبداً لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا ، أو أن هذا الوصف دليل على دوام حضورها . أو يجدونها متي شاءوا وأحبوا .. وهي تفسيرات متقاربة أرجحها قول ابن عباس [(٣)] : لا تنقطع إذا جنيت ولا تمتنع من أحد أراد أخذها ..

ومعناه أن فكهة الجنة لا تنقطع بالجني أبداً ، إذ ليس لها وقت حصاد معين كفاكهة الدنيا ، ولا تمنع من أهلها متي أحبوا تناولها بأي وجه كما هي الحال في فاكهة الدنيا ..

وقد بيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعض أنواع الفاكهة في الجنة ، فذكر منها ما هو في الرتبة العليا من الفواكه اختصاصاً لها وتشريفاً لنوعها ، وذلك بعد أن ذكر الفاكهة مجملة ، موصوفة بالكثرة والدوام ، وذلك نحو قوله تعالى :

﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾[(٤)] ..

فَذِكْرُ الفاكهة وعَطْفُ النخل والرمان عليها .. يدل على اختلاف النخل والرمان عن الفَاكهة ، ولهذا اختلفت أقوال المفسرين في السر البياني من العطف .. فقال بعضهم[(٥)] : إن العطف في الآية كقوله تعالى :

---

(١) انظر : تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٦ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩٣ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١٢٥ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٨٣ . الكشاف ج٤ ص٥٨ . التفسير الكبير ج٢٩ ص١٥٣ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٦ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩٣ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٤ . تفسير المراغي م٩ ج٢٧ ص١٩٣ .

(٣) انظر تفسير البغوي ج٤ ص٢٨٣ .

(٤) سورة الرحمن ، آية : ٦٨ .

(٥) انظر معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١١٩ . تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ص٨١ . معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ج٥ ص١٠٣ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٧٧ . تفسير الكشاف ج٤ ص٥٥ .

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾[1].

.. حيث أمر ـ سبحانه ـ بالمحافظة على كل الصلوات ، ثم أعاد العصر تشديداً لها .. وكذلك أعيد النخل والرمان ترغيباً لأهل الجنة أو لبيان فضلها وحسن موقعهما أو أعادهما للتخصيص والتفصيل كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران ..

وقال آخرون [2] : عطف النخل والرمان على الفاكهة لأنهما لم يخلصا للتفكه ، فالنخل ثمرة فاكهة وطعام ، والرمان فاكهة ودواء ..

وقال الفخر الرازى[3] : هو كقوله تعالى :

﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [4].

وذلك لأن الفاكهة أرضية نحو البطيخ وغيره من الأرضيات المزروعة وشجرية نحو النخل وغيره من الشجريات ، فقال ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾ [5] بأنواع الخضر التي منها الفواكه الأرضية وفيهما أيضًا الفواكه الشجرية وذكر منها نوعين وهما : الرمان والرطب لأنهما متقابلان فأحدهما حلو والآخر غير حلو ، وكذلك أحدهما حار والآخر بارد ، وأحدهما فاكهة وغذاء والآخر فاكهة ، وأحدهما من فواكه البلاد الحارة والآخر من فواكه البلاد الباردة ، وأحدهما أشجاره في غاية الطول والآخر أشجاره بالضد ، وأحدهما ما يؤكل منه بارز وما لا يؤكل كامن ، والآخر بالعكس فهما كالضدين» ..

والتفسير الأول هو الراجح ؛ إذ ورد في القرآن الكريم ما يشابهه مثل قوله تعالى :

---

(١) سورة البقرة ، من الآية ٢٣٨ .

(٢) انظر : تفسير الكشاف ج٤ ص٥٥ . البحر المحيط ج٨ ص١٩٨ .تفسير أبي السعود ج٨ ص١٨٦ . روح المعاني ج٢٧ ص١٢٢ .

(٣) التفسير الكبيرج٢٩ ص١٣٤ . وانظر روح المعاني ج٢٧ ص١٢٢ .

(٤) سورة الرحمن ، آية : ٥٢ .

(٥) سورة الرحمن ، آية : ٦٤ .

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾[1].

وقوله تعالى :

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾[2].

.. فقد ذكر الصلوات جملة وعطف عليها الصلاة الوسطى تخصيصاً لها . وذكر الملائكة جملة وأعاد ذكر جبريل وميكال منها تخصيصاً لهما .

وكذا الأمر في ذكر الفاكهة وإعادة ذكر النحل والرمان وهما منها تخصيصاً لهما وتفضيلاً . وقد بيّن ابن منظور[3] أن هذا الأسلوب من خصائص اللغة العربية ، إذ قال : « وقوله في التنزيل العزيز في صفة الجنان : ﴿ فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ دل بالواو على أن الرمان والنخل غير الفاكهة لأن الواو تعطف جملة على جملة . قال أبو منصور : هذا جهل بكلام العرب والواو دخلت للاختصاص ، وإن عطف بها ، والعرب تذكر الشيء جملة ثم تخص من الجملة شيئًا تفصيلاً له وتنبيهًا على ما به من الفضيلة .. » .

هذا يدل على علو شأن النخل والرمان وفضلهما على جميع الفواكه الأخري ، حيث لم يرد في القرآن اسم فاكهة أخري من فواكه الجنة غيرهما .

ولا يجد أهل الجنة عنتاً أو إرهاقًا أو تعباً في التمتع بفاكهتها ، بل هي مذللة لهم دانية منهم ، لا يتعبون في قطفها أو تناولها كما هي حال أهل الدنيا ، يدل على ذلك قوله تعالى في وصف فاكهة الجنة : ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾[4].

والتذليل في الآية يقصد به التسهيل والتقريب كما بينه المفسرون[5] إذ قالوا في

---

(١) سورة القرة ، آية : ٢٣٨ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٩٨ .

(٣) لسان العرب ج١٣ ص١٨٦ ، مادة رمن .

(٤) سورة الإنسان ، آية : ١٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٢١٧ . معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١٨٣ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٢٩ . التفسير الكبير ، ج٣٠ ص٢٤٨ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٢٩ . بصائر ذوي التمييز، ج٣ ص١٨ . روح المعاني ، ج٢٩ ص١٥٩ .

تفسيرها : أي يجتني أهل الجنة الثمرة قياماً وقعوداً وعلى كل حال لا كلفة فيها . أو سُخِّرت وقُرِّبت ، أو أدنيت منهم ، أو جعلت منقادة لا تمتنع على قطافها كيف شاءوا، أو سُهِّلت .

والتفسيرات كلها متقاربة المعاني ، إذ التذليل مشتق من الذّل بالكسر والضم وهو اللين ضد الصعوبة[1]. وهو يعني أن ثمار الجنة سهلة التناول يتمتع بها أهل الجنة على أي حال شاءوا قائمين أو قاعدين أو مضطجعين ، لا يجدون صعوبة في قطفها ، ولا مانعًا يحيل بينهم وبين تناولها وقد أشار الألوسي إلى هذا المعني بقوله : « أي سُخِّرت ثمارها لمتناولها وسهّل أخذها من الذل وهو ضد الصعوبة قال قتادة ومجاهد وسفيان : إن كان الإنسان قائمًا تناول الثمر دون كلفة وإن كان قاعداً أو مضطجعًا فكذلك فهذا تذليلها لا يرد اليد عنها بعد ولا شوك »[2] ..

ويؤكد هذه الصفة في فاكهة الجنة قوله تعالى في آية أخري :

﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[3] ..

والقُطوف : جمع قطْف ، يراد به في الآية ثمر الجنة ، وهو المقطوف منه لأن جمعه قُطُوف[4] ودنوها أي قربها من مريدها بحيث لا يمنعه من تناولها مانع ولا يحول وبينها حائل[5]..

وفي التعبير بقوله تعالى : ( دانية ) نكتة بلاغية تدل على مدي سهولة تناول فاكهة الجنة لمريدها ، فهي التي تدنوا منه على أي حال كان ، فإن كان قائمًا دنت منه لقطفها ، وإن كان جالسًا تناولها بفيه أو بيده ، وكيفما شاء وإن كان مضجعًا تمتع بها .. فلا يحتاج في تناولها إلى بذل مجهود أو القيام بحركة ، وإنما هي التي

---

(١) انظر : لسان العرب ، لابن منظور ج١١ص٢٥٧ ، مادة ذلل .

(٢) تفسير روح المعاني ج٢٩ ص١٥٩ .

(٣) سورة الحاقة ، الآيتان : ٢٣ ـ ٢٤ .

(٤) انظر: تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٨٤ .معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص٤٢٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ص٢١٧ . تفسير البغوي ج٤ ص٣٨٨ . الكشاف ج٤ ص١٣٥ . البحر المحيط ج٨ ص٣٢٥ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٢٥ . روح المعاني ج٢٩ ص٤٢ .

تقرب منه وقتما شاء وكيفما أراد . وفي تفسير الفخر الرازي زيادة توضيح لمعني : (دانية) ، إذ قال : « أي ثمارها قريبة التناول يأخذها الرجل كما يريد إن أحب أن يأخذها بيده انقادت له قائمًا كان أو جالسًا أو مضطجعًا . وإن أحب أن تدنو إلى فيه دنت »[1]. وفي هذا زيادة متعة لأهل الجنة وهم يتمتعون بتذوق فاكهة الجنة . يضاف إلى ذلك ترحيب الملائكة بهم واطمئنان نفوسهم حال تناول الفاكهة ، إذ يقال لهم :

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[2] ..

وهذا الترحيب من الملائكة فيه متعة روحية تزيد من لذة المتع الحسية التي يعيشها أهل الجنة ، فهم بهذا الترحيب يجدون لذة روحية عظيمة ، إذ يحسون أن متاعهم هذا في الآخرة إنما هو حصاد ما قدموه من أعمال صالحة في حياتهم الدنيا ، فلا يذكرون من تعب الدنيا شيئًا بل ينعمون بحصاد أعمالهم الدنيوية الصالحة ..

وقد بيّن المفسرون[3] أن المقصود بالأيام الخالية ، أيام الدنيا بما فيها من أعمال صالحة ، وإن خصها بعضهم بأيام الصيام ، لتكون متعة الطعام والشراب في الآخرة مثوبة لمن تمسك وحرمها من الطعام والشراب في الحياة الدنيا .. ولكن العموم للأعمال الصالحة في الدنيا أرجح .

**ثانيًا : طعام أهل الجنة ( اللحم ) :**

ذكر اللحم في القرآن طعامًا لأهل الجنة إلى جنب الفاكهة ولكنه لم يُذْكر إلا في آيتين فقط ، ولم تتعدد أنواعه . وإنما ذكر في آية على الإجمال مقرونًا مع الفاكهة ، وفي الآية الأخري بالتخصيص بلحم الطير مقرونًا مع الفاكهة أيضًا ، وهو في الآيتين يذكر بعد الفاكهة ، ولعل هذا الأسلوب القرآني يدعونا إلى التساؤل عن السر البلاغي ، وراء هذا الأسلوب ؟ ..

---

(١) التفسير الكبير ج٣٠ ص١١٢ .

(٢) سورة الحاقة ، آية : ٢٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ص٢١٧ . تفسير البغوي ج٤ ص٣٨٨ . الكشاف ج٤ ص١٣٥ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٣٠ ص١١٣ . البحر المحيط ج٨ ص٣٢٥ .

والجواب يمكن أن يكون سببه متعة أهل الجنة ؛ ذلك أن الإنسان يأكل اللحم أولاً ليشبع جوعه ، ويأكل الفاكهة بعد الشبع ليتمتع بطعمها اللذيذ وأهل الجنة لا يشعرون بالجوع ، وإنما يأكلون للتمتع بطعم الأكل فقط .. ولذا فإن ذكر الفاكهة كثيراً في طعام أهل الجنة تشويق إلى ما فيها من متعة الطعام .. أما اللحم فإنه لم يذكر كثيراً لأن الإنسان قليلاً ما يأكله للتمتع بطعمه فقط ، إنما هو يأكله غالبًا للإشباع وتقوية الجسم ، وقد يكون الإنسان لا يستسيغ أكل اللحم وإنما يأكله ليشبع جوعه ويقوي جسمه فقط ، وهذا الحال لا يكون مع الفاكهة .. بل إن الفاكهة تؤكل للتلذذ بطعمها .

وقد ذكر اللحم في طعام أهل الجنة مقروناً مع الفاكهة ، بل أتي ذكره بعد ذكر الفاكهة زيادة في ترغيب النفس البشرية وتشويقها إلى ما عند الله من نعيم الجنة ومتعتها ، أي قُدِّم لها ذكر الفاكهة التي تهفو إليها وتتلذذ بطعمها وتشتاق إلى التمتع بما فيه من لذة .. ثم ذكر اللحم وهو الذي يعيد بناء الأجسام ويقويها ، وذلك لأن الأجسام في الجنة لا تحتاج إلى تجديد أنسجتها كما هو الحال في الحياة الدنيا ..

واللحم في الجنة ورد ذكره مجملاً أو مخصصاً بلحم الطير .. فالمجمل كما في قوله تعالى :

﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (١) ..

ومعني ( أمددناهم ) كما بينه المفسرون(٢) هو : الزيادة في وقت بعد وقت ، أو زدناهم على كل ما كان لهم من مبادئ التنعم ..

والراجح هو التفسير الأول وهو الزيادة في وقت بعد وقت ، أي بمعني الزيادة المتواصلة غير المنقطعة أبداً .. وذلك لأن معني المدّ في اللغة : الجرّ (٣) .. وفي هذ

---

(١) سورة الطور ، آية : ٢٢ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٤ة ص٢٣ . تفسير الكشاف ج٤ ص٣٥ . التفسير الكبير ، للفخر الرازي ج٢٨ ص٢٥٣ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٤٩ . تفسير روح المعاني ج٢٧ ص٣٤ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٣٩٧ .

(٣) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ص٤٨٤ .

إيحاء بدوام متعتهم بما يشتهون من الفاكهة واللحم ، بحيث لا ينقطع أو يتأخر عنهم ما يخطر على قلبهم من الفاكهة أو اللحم .. هذا إلى ما يشير إليه لفظ ( أمددناهم ) من إيحاء بإدخال السرور والراحة على نفوس أهل الجنة ، ذلك أن الإمداد أكثر ما يجيء في المحبوب[1] .. فهم إنما ينالون ما يحبون ويشتهون ، ولا يعرض عليهم شيء ليس في رغبتهم أو لا يحبونه ..

والفاكهة واللحم لم تحدد أو تخصص بنوع أو لون معين ، وإنما جاءت نكرة لزيادة الإيحاء بكثرة الأنواع والأشكال والألوان التي يمد الله بها أهل الجنة مما يشتهون .. وفي ذكر الفاكهة مع اللحم تدليل على أن متعة أهل الجنة متعة خاصة لا ينالها كل أهل الدنيا ؛ ذلك أن اللحم والفاكهة أرقي أنواع الطعام ، ولا يناله إلا الخواص من أهل الدنيا الذين وسّع الله في رزقهم . أما أهل الجنة فكلهم حاصل على أرفع أنواع الطعام ، ولا يخطر على قلبه شيء من طعام أو شراب إلا رآه حاضراً أمامه ، وفي هذا زيادة ترغيب فيما عند الله من نعيم ، بل هم لا يحضر أمامهم إلا ما اشتهته أنفسهم ، فكل من يشتهي شيئًا حضر أمامه .. وهذه متعة خاصة لا تحصل في الحياة الدنيا دائمًا .. وقد أشار الفخر الرازى[2] إلى هذا المعني بقوله : « واختار من المأكول أرفع الأنواع وهو الفاكهة واللحم فإنهما طعام المتنعمين . وجمع أوصافًا حسنةً في قوله مما يشتهونِ لأنه ذكر نوعًا فربما يكون ذلك النوع غير مشتهي عند بعض الناس فقال كل أحد يعطي ما يشتهي . فإن قيل : الاشتهاء كالجوع وفيه نوع ألم ، نقول : ليس كذلك ، بل الاشتهاء به اللذة والله تعالى لا يتركه في الاشتهاء بدون المشتهي حتي يتألم ، بلل المشتهي حاصل مع الشهوة والإنسان في الدنيا لا يتألم إلا بأحد أمرين ، إما باشتهاء صادق وعجزه عن الوصول إلى المشتهي ، وإما بحصول أنواع الأطعمة والأشربة عنده وسقوط شهوته وكلاهما منتفٍ في الآخرة » ..

وفي الآية الثانية ورد اللحم ضمن طعام أهل الجنة مخصوصاً بلحم الطير كما في قوله سبحانه :

---

(١) انظر : معجم الألفاظ ، المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢) التفسير الكبير ج٢٨ ص٢٥٣ .

﴿ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ⓴ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [١].

وقد ورد ذكر اللحم في الآية بعد ذكر الفاكهة .. ولهذا الأسلوب نكتة بلاغية دقيقة .. ذلك أن أهل الجنة إنما يأكلون للمتعة لا لإشباع الجوع .. والنفس الإنسانية أكثر ميلاً إلى التمتع بالفاكهة لا باللحم ، إذ اللحم يحتاجه الإنسان عند الشعور بالجوع ولا جوع في الجنة .. وقد أشار الفخر الرازي إلى سر تقديم ذكر الفاكهة على اللحم في قوله : « .. ( وثالثها ) يخرج مما ذكرنا جواباً خلا عن لفظ التخيير والاشتهاء هو أنه تعالى لما بين أن الفاكهة دائمة الحضور والوجود .. واللحم يشتهي ويحضر عند الاشتهاء دل هذا على عدم الجوع لأن الجائع حاجته إلى اللحم أكثر من اختياره اللحم فقال ( وفاكهة ) لأن الحال في الجنة يشبه حال الشبعان في الدنيا . فيميل إلى الفاكهة أكثر فقدمها »[٢] ..

أما لماذا خص لحم الطير بالذكر في الآية ؟ فالجواب إما لأن لحوم الطيور أسرع في الهضم من اللحوم الأخري ، بل أكثر منها لذة في الطعم ، لذلك تهفو إليها النفس أكثر من بقية أنواع اللحوم ، وإما لأن الطعام لأهل الجنة يقدم لهم للمتعة واللذة لا لسد الجوع وحاجة الجسم إلى التقوية .. فيقدم اللحم الذي يكون أكثر متعة ولذة عندهم .. وفي الحالتين يكون تخصيص لحم الطير بلاذكر لزيادة الترغيب فيما عند الله من متاع في الجنة وذلك بوصفه بالصفات المحببة عند أهل الدنيا ، لتقريب وصفه لهم .. أما حقيقة متاع الجنة فإنه ليس له من متاع الدنيا إلا الأسماء . أما الهيئة والطعم والشكل فهو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ففي ذكر لحم الطير هنا تقريب لوصفه بما يعرفه الناس من حال أهل الدنيا .. أما هيئة لحم الطير كما يتمتع به أهل الجنة فقد ورد في الأثر من تفسير ابن عباس ما يوضحها « قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلاً بين يديه على ما

---

(١) سورة الواقعة ، الآيتان : ٢٠ ـ ٢١ .

(٢) التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٥٣ .

اشتهي ، ويقال إنه يقع على صفحة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير فيذهب»[1] ..

وسياق الآية الكريمة في قوله سبحانه : ( وفاكهة مما يتخيرون ) ( ولحم طير مما يشتهون ) يدل على عظيم منة الله ـ سبحانه ـ فيما أعده من نعيم أهل الجنة حيث خصص الله ـ سبحانه ـ التخيير في الفاكهة ، والاشتهاء باللحم .

وفي هذا الأسلوب نكتة بلاغية دقيقة تدل على كثرة فواكه الجنة وتنوعها ودوام حضورها ، مما يجعل المؤمن في الجنة يتخير بين هذه الأنواع وينتقي ما يرغب في أكله مما يدل على عدم حاجته الملحة إلى الفاكهة ، وإنما هو يتناولها تفكهًا بها وتمتعًا وتلذذًا بطعمها لا ليسد جوعه أو ليحفظ رمقه ، فهو غير محتاج إلى سد رمقه ... أما اللحم فإن حضوره عند المؤمن في الجنة إنما يكون عند الشهوة له ومِيل النفس إليه فهو غير محتاج إليه بالضرورة وإنما لو خطر على باله وتمنته نفسه مثل بين يديه في الصورة التي تمناها ، وعلى الهيئة التي خطرت في نفسه .. وفي هذا غاية التنعم وزيادة المتعة .. وقد بين الفخر الرازي سر هذا التعبير بقوله : « والتحقيق فيه من حيث اللفظ أن في الاختيار هو أخذ الخير من أمرين . والأمران اللذن يقع فيهما الاختيار في الظاهر لا يكون للمختار أولاً ميل إلى أحدهما ، ثم يتفكر ويتروي ، ويأخذ ما يغلبه نظره على الآخر .. فالتفكه هو ما يكون عند عدم الحاجة ، وأما إن اشتهي واحد فاكهة بعينها فاستحضرها وأكلها فهو ليس بمتفكه إنما هو دافع حاجة . وأما فواكه الجنة تكون أولاً عند أصحاب الجنة من غير سبق ميل منهم إليها ثم يتفكهون بها على حسب اختيارهم ، وأما اللحم فتميل أنفسهم إليه أدني ميل فيحضر عندهم ، وميل النفس إلى المأكول شهوة .. »[2] ..

وفي قوله سبحانه : ( مما يتخيرون ) مزيد إيحاء بنعيم أهل الجنة ومتعتهم ، فإن لفظ ( يتخيرون ) غير ( يختارون ) وإن كان المعني فيهما قريبًا ، ولكن الزيادة في

---

(١) انظر : تفسير البغوي ج٤ ص٢٨١ . تفسير روح المعاني ج٢٧ ص١٣٧ .

(٢) التفسير الكبير ج٢٩ ص١٥٣ .

المبني توحي بزيادة المعني ، ذلك أن الاختيار في اللغة و : الاصطفاء[1] ، وكذلك التخير .. ولكن لفظ تخير يدل على الإمعان في النظر قبل اختيار أحد الأمرين .. وفي هذا دلالة على كثرة الجيد وتنوعه فيما طلب الاختيار فيه . والتخير يعني التكلف في اختيار أحسن الحسن وأجود الجيد .. فإذا كان أهل الجنة يتخيرون الفاكهة فيها ، فهذا دليل على أن كل ما فيها من فاكهة لافت للنظر تميل إليه النفس ، وعلى أهل الجنة التخير فيما بين أيديهم من هذه الأنواع الكثيرة الجيدة المغرية من فواكه الجنة .. وقد أشار الفخر الرازي إلى لمحة بلاغية دقيقة في الآية ، بقوله : « ثم إن في اللفظ لطيفة ، وهي أنه تعالى قال ( مما يتخيرون ) ولم يقل مما يختارون . ومع قرب أحدهما إلى الآخر في المعني ، وهو أن التخير من باب التكلف فكأنهم يأخذون ما يكون في نهاية الكمال ، وهذا لا يوجد إلا ممن لا يكون له حاجة أو اضطرار »[2] ..

## شراب أهل الجنة :

وصف الله سبحانه في القرآن الكريم شراب أهل الجنة ، وفصّل أنواعه وبيّن مصادره ، وهيئة تقديمه ، وتناوله ، في الجنة . وفي هذا الوصف تقريب لنعيم الجنة ومتاعها تشويقًا للإنسان ، وتحبيبًا له فيما عند الله من متاع ليحرص الناس عليه ، ويتجنبوا كل ما يغضب الله ، ويحرمهم ما أعده لعباده المتقين من أنواع الملذات والمتع الخالدة الصافية من كل المنغصات والشوائب .

وقد بيّن ـ سبحانه وتعالى ـ أنواع الشراب المعدّ لأهل الجنة ، فذكر أهم المشروبات التي يعرفها الناس في حياتهم الدنيا ، ويحرصون على شربها والتلذذ بها وهي : الماء ـ الخمر ـ واللبن ـ والعسل . فذكرها مجملة في قوله سبحانه :

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ... ﴾[3] .

---

(١) لسان العرب ج٤ ص٢٦٦ ، مادة خير .

(٢) التفسير الكبير ج٢٩ ص١٥٣ .

(٣) سورة محمد ، من الآية ١٥ .

وقد وصف الله سبحانه كل نوع من الأنواع الأربعة من المشروبات بوصف خاص به ، يميزه عن النوع المعروف في الحياة الدنيا .

فوصف الماء بأنه : ( غير أسن ) . والآسن ، كما بينه المفسرون[1] هو : غير المتغير الطعم ، وغير الآجن ، وغير المتغير الريح والطعم لطول مكث ، وغير المنتن .

وهذه المعاني كلها متقاربة ، وتدل على عدم تغير الماء من حيث الطعم أو الريح لكونه دائم الجريان غير راكد . والمعنى اللغوي لكلمة أسن يدل على ذلك ، قال ابن منظور : « الآسن من الماء مثل الآجن ... التهذيب : أَسَنَ الماءُ يأسِنُ وأُسُونًا ، وهو الذي لا يشربه أحد من نتنه »[2] .

ووصف سبحانه اللبن في الجنة بقوله تعالى : ( لم يتغير طعمه ) .. وقد تقاربت أقوال المفسرين في بيان معنى قوله تعالى : ( لم يتغير طعمه ) إذ قالوا[3] : أي لم يخرج من ضروع الإبل ولا الغنم برغوته ، أو لم يتغير كألبان الدنيا فلا يعود قارصاً ولا حاذراً ولا ما يكره من الطعوم ، أو لم يحمض ولم يصير قارصاً ولا حاذراً ...

والمعنى : أن اللبن في الجنة لن يتغير طعمه ، بحيث يصبح حامضًا أو قارصًا أو مكروه الطعم كما يتغير طعم اللبن في الدنيا إذا طال مكثه وبقاؤه وذلك أن اللبن في الجنة غير راكد ، فهو نهر دائم الجريان مما يجعله متجدداً دائماً .

ووصف الله سبحانه وتعالى خمر الجنة بأنها : ( لذة للشاربين ) .

---

(١) انظر معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٦٠ . مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢١٥ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤١٠ . إعراب القرآن للنحاس ج٤ ص١٨٣ . معاني القرآن للنحاس ج٦ ص٤٧٣ . تفسير البغوي جـ٤ ص١٨١ . تفسير الكشاف ج٣ ص٤٥٦ . تفسير أبي السعود ج٨ ص٩٥ . حاشية الشهاب ج٨ ص٤٥ . تفسير روح المعاني ، للألوسي ج٢٦ ص٤٨ .

(٢) لسان العرب ، لابن منظور ج١٣ ص١٦ مادة أسن .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٦٠ . تفسير البغوي ج٤ ص١٨١ . تفسير الكشاف ج٣ ص٤٥٦ . تفسير أبي السعود ج٨ ص٩٥ . حاشية الشهاب ج٨ ص٤٥ . تفسير روح المعاني ج٢٦ ص٤٨ .

وقد بيّن المفسرون معني قوله تعالى : ( لذة للشاربين ) فقالوا[1] : أي لذيذة ، أو ذات لذة ، أو لم تدنسها الأرجل ولم تدنسها الأيدي ، أو ما هي إلا التلذذ الخالص ، ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ، ولا آفة من آفات الخمر ، أو لذيذة ليس فيها كراهية طعم وريح ولا غائلة سكر ولا خمار وإنما هي تلذذ محض ... ولذة فيها وجهان : إما تأنيث لذّ بمعني لذيذ ، وإما مصدر نعت به مبالغة لجعلها عين اللذة ...

والخلاصة من هذه المعاني هي : أن خمر الجنة تختلف تماماً عن خمر الدنيا ... إذ خمر الدنيا طعمها مكروه ، ورائحتها مكروهة ، وتُذْهِب العقل ، وتمرض الجسد ، وليس في شربها إلا نشوة كاذبة مؤقتة تورث الجسم عاهات عديدة ، أمّا خمر الجنة فهي مبرأة من كل الآفات ، وليس فيها إلا محض اللذة والمتعة لشاربيها ...

ووصف سبحانه عسل الجنة بقوله تعالى : ( من عسل مصفّي ) .

ومعني : ( مصفي ) كما بينه المفسرون[2] : أي ليس كعسل الدنيا فيه الشمع وغيره ، أو لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره ، أو مصفي مما يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها ...

والتفسيرات كلها تعطي معني واحداً هو : أن العسل في الجنة يختلف عن عسل الدنيا ، فهو تام النقاوة لم يخالطه أي شيء مما يخالط عسل الدنيا من مخلفات النحل أو غيرها ...

وهذه الصفات التي وصف الله سبحانه وتعالى بها مشروبات الجنة التي ذكرها في الآية .. جاءت لتكون احترازاً عن تشابه مشروبات الجنة بمشروبات الدنيا ... إذ ليس بين ما في الجنة وما في الدنيا من تشابه إلا في الأسماء فقط ... أما الطعم والشكل

---

(١) انظر : تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤١٠ . إعراب القرآن للنحاس ج٤ ص١٨٣ . معاني القرآن ، للنحاس ج٦ ص٤٧٣ . تفسير البغوي ج٤ ص١٨١ . تفسير الكشاف ج٣ ص٤٥٦ . تفسير أبي السعود ج٨ ص٩٥ . حاشية الشهاب ج٨ ص٤٥ . تفسير روح المعاني ج٢٦ ص٤٨ .

(٢) انظر : معاني القرآني ، للنحاس ، ج٦ ص٤٧٣ . تفسير الكشاف ج٣ ص٤٥٦ . تفسير البحر المحيط ج٨ ص٧٩ . تفسير أبي السعود ج٨ ص٩٥ . حاشية الشهاب ج٨ ص٤٥ . تفسير روح المعاني ج٢٦ ص٤٨ .

واللون والرائحة والهيئة العامة فهي مختلفة تماماً ... وذلك لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ بوصفه لما في الجنة من مشروبات إنما هو يوضح عيوب ونواقص ما في الحياة الدنيا من أنواع المشروبات التي يستطيبها ويستلذها أهل الدنيا ... أما مشروبات الجنة فهي مبرأة تمامًا وخالية من كل ما ينغصها أو يفسدها أو ينقص متعة التلذذ بها .. وقد أوضح أبو السعود هذا المعني بقوله : « وفي هذا تمثيل لما يجري مجري الأشربة في الجنة بأنواع ما يستطاب منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينغصها وينقصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها »[1] .

والسر البلاغي وراء ذكر هذه الأنواع الأربعة من مشروبات الجنة هو : أن ثلاثة منها مباحة في الدنيا يعرف الناس طعمها ويستلذونها . بل إن منها ما يقصد لضرورته في الحياة وعدم القدرة على الاستغناء عنه أبداً . ولذا فهي موضع اختيار الناس جميعًا، يقبلون عليها ويطلبونها دائمًا ... إلا الخمر فإنه مما حرّم الله ، والمتقون في الدنيا يجهلون طعمها وحقيقة لذتها . ولذا بيّن ـ سبحانه ـ في الآية أن أهل الجنة يتمتعون بأنواع الشراب المباحة لهم في الدنيا ويتلذذون أيضًا بخمر خاصة لها صفات تميزها عن خمر الدنيا التي حرّمها الله عليهم . فالآية الكريمة بذكر الأنواع الأربعة من شراب الجنة تشوق الإنسان وتحببه فيما عند الله من النعيم . فهي تبيّن أن عباد الله المتقين ينعمون في الجنة بأنواع الشراب المحببة إليهم في حياتهم الدنيا جزاء صبرهم على الطاعات وأعمالهم الصالحة . بل إن الله أعدّ لهم في الجنة خمراً خاصة فيها محض اللذة لا تخامر العقل ، ولا تمرض الجسم جزاء طاعتهم والتزامهم بشرعه، حيث لم يشربوا الخمر في الدنيا لأنها مما حرّم الله عليهم . وذلك لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فطر البشر ويعلم خفايا كل نفس ، ويعلم ما يصلح لمتعتهم وما تهفو إليه أنفسهم ، فمنهم من يتمتع بما أباحه الله من الطعام والشراب ، ولا يتطلع إلى ما حرّمه الله . ومنهم من تتشوق نفسه إلى ما حرّمه الله فيشتهيه . فإن هو حرم نفسه منه امتثالاً لأمره سبحانه وتعالى ، كان ثوابه التمتع به في الجنة ولكن في غير صفته الدنيوية .

---

(١) تفسير أبي السعود جـ٨ ص٩٥ ، وانظر حاشية الشهاب جـ٨ ص٤٥ . تفسير روح المعاني جـ٢٦ ص٤٨ .

وللإمام الفخر الرازي[1] تعليل آخر لذكر الأنواع الأربعة من مشروبات الجنة إذ يقول : « وذلك لأن المشروب إما أن يشرب لطعمه ، وإما أن يشرب لأمر غير عائد إلى الطعم . فإن كان للطعم ، فالطعوم تسعة : المر والمالح والحريف والحامض والعفص والقابض والتفه والحلو والدسم . ألذها الحلو والدسم ، لكن أحلي الأشياء العسل فذكره ، وأما أدسم الأشياء فالدهن ، لكن الدسومة إذا ما تمحضت لا تطيب للأكل ولا للشرب ، فإن الدهن لا يؤكل ولا يشرب كما هو في الغالب ، وأما اللبن ففيه الدسم الكائن في غيره وهو طيب للأكل ، وبه تغذية الحيوان أولاً فذكره الله تعالى ، وأما ما يشرب لا لأمر عائد إلى الطعام فالماء والخمر ، فإن الخمر فيها أمر يشربها الشارب لأجله ، وهي كريهة الطعم باتفاق من يشربها وحصول التواتر به » .

وتعليل الإمام الرازي السابق معقول ومقبول وإن كان التفسير الأول أرجح بدليل أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وصف كلاً من الماء واللبن والعسل المذكورة في الآية الكريمة بصفة خاصة ، تدل على خلوصه من العيوب التي تغير طعمه المعهود للإنسان في الدنيا .

أما الخمر فإنها وصفت بلذة طعمها في الجنة وتلذذ الشاربين بها مع خلوها من صفاتها الدنيوية التي كان التحريم بسببها ... والترتيب الذي ورد في ذكر أنواع الشراب في الجنة يقوم على أهميتها ومدي احتياج الناس إليها في الحياة الدنيا .. وذلك أن الماء ضروري للحياة فبدىء به إذ لا يستطيع الإنسان الاستغناء عنه ، ثم إن اللبن فيه الغذاء الكامل وهو أول ما يتغذي به الإنسان في حياته ، فذكر في المرتبة الثانية من شراب الجنة ... أما الخمر فإنه ليس له ضرورة في الطعام أو الشراب وإنما يشربها من يشربها لأجل النشوة المؤقتة التي تخدعه باللذة الكاذبة . لذا فو يأتي في المرتبة الثالثة بعد الطعام والشراب ... أما العسل ففيه الحلاوة وفيه الشفاء من الأمراض التي يسببها الطعام والشراب . لذا فهو يأتي في المرتبة الرابعة . وهذا الترتيب يأتي من تصور ما هو معروف من صفات هذه المشروبات في الحياة الدنيا ..

وقد أشار أبو حيان[2] إلى هذا الترتيب في ذكر مشروبات الجنة حيث قال :

---

(١) التفسير الكبير ، ج٢٨ ص٥٤ .

(٢) تفسير البحر المحيط ج٨ ص٧٩ . وانظر تفسير روح المعاني ج٢٦ ص٤٨ .

«وبدىء من هذه الأنهـار بالماء وهو الذي لا يستغني عنه في المشروبات ثم باللبن إذ كان يري مجري الطعوم في كثير من أقوات العرب وغيرهم ، ثم بالخمر لأنه إذا حصل الري والمطعوم تشوقت النفس إلى ما تلتذ به ، ثم بالعسل لأن فيه الشفاء في الدنيا مما يعرض من المشروب والمطعوم فهو متأخر في الهيئة » .

وفي استعمال لفظة ( أنهار ) للدلالة على أنواع المشروبات في الجنة سر بلاغي دقيق ؛ ذلك أن كلمة ( أنهار ) بصيغة الجمع تدل على سعة انتشار أنواع المشروبات ... فمن هذه الأنواع الأربعة من شراب أهل الجنة لا يوجد نهر واحد لكل نوع ، وإنما توجد أنهار كثيرة لكل نوع من أنواع هذه المشروبات .

وهذا التعبير يوحي بكثرة انتشار هذه المشروبات وغزارتها ودوامها وتجددها دائمًا ، حيث إن النهر دائم الجريان فما بالك بالأنهار من كل نوع ؟ كما يوحي هذا التعبير بسهولة التمتع بهذه المشروبات ... حيث إن انتشار هذه الأنهار في الجنة وتوزعها في جميع جهاتها لا يترك مجالاً للازدحام عليها للتمتع بها ...

وقد ألمح الشهاب[1] إلى دلالة كلمة ( أنهار ) في قوله : « وما يوجب غزارتها : أي كثرتها ، وهو جعلها جارية جري الأنهار من قوله أنهار » .

## الخمر في الجنة :

ذكر الله ـ سبحانه ـ وتعالى الخمر في الجنة ضمن أنواع المشروبات التي أعدها الله لعباده المتقين ... وقد ورد ذكر الخمر في الجنة كثيراً . بل وضّح الله سبحانه أنواعًا وأوصاف خمر الجنة في كثير من الآيات ، ولعلّ ذلك يرجع إلى أن الخمر في الدنيا محرّمة ، وقد حذر الله ـ تعالى ـ من شربها ، وبيّن أن مضارها أكثر من منافعها ... ولما كان الله ـ سبحانه ـ عالمًا بالنفوس التي فطرها ... عارفًا بتشوق النفس إلى ما حرِّم عليها ... فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ ... بيّن أن الخمر من بين ما أعده من ألوان النعيم في الجنة لعباده المتقين الملتزمين بشرعه ... فمن حرم نفسه منها في الدنيا طاعة

---

(١) حاشية الشهاب ج٨ ص٤٦ .

لله والتزاماً بأمره ، فإن جزاءه في الجنة التمتع بخمر خالية تماماً من مضارها ، وليس فيها إلا التلذذ والإرواء ... ولذا ورد ذكر الخمر كثيراً في مشروبات الجنة ، وتعددت أوصافها وأنيتها وبيّن الله ـ سبحانه ـ كيفية تناول أهل الجنة لها ، ومدي تمتعهم وتلذذهم في شربها ... وذلك تشويق لما عند الله من نعيم ، وترغيب في اجتناب ما حرّم الله في الدنيا .

ولما كان شراب أهل الدنيا ألذه ما مزج بشيء غيره يعطيه مزية أخري ، وكان أحسن ما يمزج به لدي المخاطبين الكافور والزنجبيل ـ شبه الله عز وجل خمر الآخرة بهذا الشراب الممزوج بالكافور والزنجبيل ، وهما أحب ما يمزج به عند العرب . وذلك لا يعني المزج بالمعهود في الدنيا منهما ، لأن كل ما يذكر في الجنة ليس فيه مما يعرفه أهل الدينا إلاّ الاسم ، أما حقيقته فهي أجل من ذلك وأعلى . لأن الجنة فيها كما قال عليه الصلاة والسلام : « ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»(١) لذلك فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقرب وصف خمر أهل الجنة في القرآن الكريم ، فيبين سبحانه أنها تمزج بالكافور كما في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ۝ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾(٢).

وقد اختلفت أقوال المفسرين في بيان معني قوله تعالى : ( كان مزاجها كافورا ) فقالوا (٣) : إنها عين في الجنة تسمي الكافور ، أو كان مزاجها كالكافور لطيب ريحه ، أو تمزج لهم بالكافور ، أو أن يكون فيها طعم الطيب والكافور ، أو أنها كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرده ، لأن الكافور لا يشرب .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج١٧ ص١٦٦ . كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها .

(٢) سورة لإنسان : الآيتان : ٥ ـ ٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٢١٥ ، جامع البيان ، للطبري ك١٤ ، ج٢٩ ص٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٢٥٨ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٤٧ . الكشاف ، ج٤ ص١٦٨ . التفسير الكبير . ج٣٠ ص٢٤٠ ـ ٢٤١ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٢٧ . البحر المحيط ج٨ ص٣٩٥ . تفسير أبي السعود ، ج٩ ص٧١ . حاشية الشهاب ج٨ ص٢٨٨ . تفسير روح المعاني ج٢٩ ص١٥٤ .

ويفهم من هذه المعاني أن الخمر في الجنة إما أن تشتمل على الكافور ذاته دون مضاره ، أو أنها تحمل صفات الكافور في بياضه وريحه وبرده .

ويستفاد من هذا الوصف للخمر : أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إنما مزج خمر الجنة بالكافور تقريبًا لأهل الدنيا ، وإشعاراً بما في هذه الخمر من ريح طيبة ومذاق لذيذ ولون جذاب ومتعة خالصة . ليفيد بأنها خمر تختلف تمامًا عن خمر الدنيا ذات الرائحة الكريهة والطعم السيء والمضار الكثيرة .

ويبيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ مصدر هذه الخمر التي وصفها بمزجها بالكافور كما في قوله تعالى :

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾[(١)] ...

وكلمة ( عيناً ) في الآية تفيد أن الخمر في الجنة الموصوفة بالكافور إنما تتفجر من عين في الجنة ، وتسيل حيثما شاء أهل الجنة وأحبوا ... بل هم الذين يتحكمون في سيرها وتوجيهها حسب إرادتهم وميولهم[(٢)] .. وذلك غاية السرور والراحة والمتعة ... وفي نظم الآية إيحاء بكثرة هذا النوع من الخمر في الجنة وانتشاره في كل اتجاهاتها ... واتجاهه ناحية كل فرد من عباد الله المتقين ؛ حيث أسند الفعل ( يفجرونها ) إلى الضمير العائد على ( عباد الله ) وهو ( الواو ) ، بحيث يدل على أن المتحكم في التوجيه والتسيير والانتفاع بهذا النوع من الخمر في الجنة هم عباد الله ، ويدل على هذا المعنى ما روي : « أن أحدهم إذا أراد أن يفجر له الماء شق ذلك الموضع بعود يجري فيه الماء »[(٣)] .

ويلحظ في الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قال : ( من كأس ) وقال :

---

(١) سورة الإنسان ، آية : ٦ .

(٢) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٢١٥ . جامع البيان ، للطبري ج٢٨ ص٢٠٧ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٢٥٨ . إعراب القرآن للنحاس ، ج٥ ص٩٧ ـ ٩٨ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٢٨ . الكشاف ج٤ ص١٦٨ . التفسير الكبير ، ج٣٠ ص٢٤١ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٢٧ . البحر المحيط ج٨ ص٣٩٥ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٧١ ـ ٧٢ . حاشية الشهاب ج٨ ص٢٨٨ . روح المعاني ج٢٩ ص١٥٤ .

(٣) إعراب القرآن ، للنحاس ج٥ ص٩٨ . وانظر روح المعانى ج٢٩ ص١٥٥ .

(يشرب بها) ، فبدأ بحرف الجر ( من ) ، وختم بحرف الجر ( الباء ) . وفي هذه الصياغة حكمة بلاغية دقيقة ، أشار إليها الزمخشري بقوله : « ( فإن قلت ) لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولاً وبحرف الإلصاق آخراً ؟ ( قلت ) لأن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته ، وأما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعني يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل »[1]. وهذا يدل على أن هذا النوع من خمر الجنة ، لا يشرب إلا ممتزجاً مع هذه العين المتفجرة في كل اتجاه في الجنة .

ويقرب الله ـ سبحانه وتعالى ـ وصف خمر الجنة فيبيّن أنها تمزج بالزنجبيل كما في قوله تعالى :

﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً ﴿١٧﴾ عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴾[2].

وقد ذكر المفسرون معني قوله تعالى : ( كان مزاجها زنجبيلا ) فقالوا[3] : إن الزنجبيل هو العين ، وأن الزنجبيل اسم لها . أو أنه يجمع طعم الزنجبيل . أو هو عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل .

والمعني المستفاد من أقوالهم : إن الزنجبيل اسم لعين في الجنة فيها طعم الزنجبيل تمزج بالخمر ، لأن للزنجبيل طعماً مستساغاً مرغوباً ... فقرب الله ـ سبحانه ـ وصف طعم الخمر في الجنة فمزجها بالزنجبيل الذي تقبل عليه النفس وتستطيب مذاقه ... وقد بين الفخر الرازي سر وصف الله سبحانه خمر الجنة بالزنجبيل بقوله[4] : «العرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل في المشروب ، لأنه يحدث فيه ضرباً من اللذع ، فلما كان كذلك وصف الله شراب أهل الجنة بذلك ، ولا بد أن تكون في الطيب على أقصي الوجوه . قال ابن عباس : وكل ما ذكره الله ـ تعالى ـ في القرآن مما في الجنة ،

---

(١) الكشاف ج٤ ص١٦٨ .

(٢) سورة الإنسان ، الآيتان : ١٧ ـ ١٨ .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٢١٧ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٥٠٣ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٢٦٠ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٣٠ . الكشاف ٤ ص١٧٠ . البحر المحيط ٨ ص٣٩٨ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٧٤ . حاشية الشهاب ج٨ ص٢٩٠ . روح المعاني ج٢٩ ص١٦٠ .

(٤) التفسير الكبير ج٣٠ ص٢٥٠ .

فليس منه في الدنيا إلا الاسم » .

وبين الله ـ سبحانه ـ أن هذه الخمر التي تمزج بالزنجبيل تنبع في الجنة من عين خاصة تسمي السلسبيل ، كما قال تعالى :

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾[1].

وقد ذكر المفسرون[2] معني ( سلسبيلا ) فقالوا : هو اسم للعين ، أو أنه صفة للماء لسلاسته وعذوبته . أو السلسبيل الشديدة الجرية ، أو السلسة اللينة . أو سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاءوا ، أو سميت سلسبيلا لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان . وقال الزمخشري : « وقد عزوا إلى على بن أبي طالب رضي الله عنه أن معناه : سل سبيلاً إليها ، وهذا غير مستقيم على ظاهره إلا أن يراد أن جملة قول القائل : سل سبيلا جعلت علماً للعين ... وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلاً بالعمل الصالح . وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع ، وعزوه إلى مثل على رضي الله عنه أبدع ! »[3].

والتفسير الأرجح من هذه المعاني : أن العين سميت بصفتها ، لأن السلسبيل صفة لما كان في غاية السلاسة . بمعني : أن الأبرار يسقون من كأس خمر بطعم الزنجبيل تنبع من عين سميت سلسبيلا لكونها سلسة الانحدار في الحلق ، خالية من اللذاع أو ما يغير طعمها .

وقد اختار الزجاج هذا المعني بقوله : « وسلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة ، فكأن العين ـ والله أعلم ـ سميت بصفتها »[4].

---

(١) سورة الإنسان ، آية ك ١٨ .

(٢) انظر معاني القرآن ، للفراء ، ج٣ ص٢١٧ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٥٠٣ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٣٠ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٣٠ . البحر المحيط ، ج٨ ص٣٩٨ . تفسير أبي السعود ، ج٩ ص٧٤ . حاشية الشهاب ج٨ ص٢٩٠ . روح المعاني ج٢٩ ص١٦٠ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٧٨٢ .

(٣) الكشاف ج٤ ص١٧٠ . وانظر روح المعاني ، ج٢٩ ص١٦١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ج٥ ص٢٦١ . وانظر البحر المحيط ج٨ ص٣٩٨ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٧٤ .

ويستفاد من الآيتين السابقتين في وصف الخمر في الجنة : أن الله سبحانه وتعالى بيّن أن الخمر في الآية الأولى تمزج بالكافور . وبيّن في الآية الثانية أنها تمزج بالزنجبيل . وذلك ـ والله أعلم ـ احتراز من مشابهتها لخمر الدنيا المحرّمة وما فيها من الرائحة الكريهة المنفّرة والطعم السيء الكريه ، وذلك لما فيه في الكافور من رائحة طيبة إذ هو في اللغة : « أخلاط تجمع من الطيب تركب من كافور الطلع » (١) . كما أن الزنجبيل نبات ينبت في بلاد العرب وهو مستطاب عندهم جداً يصفونه بالطيب(٢) ، وفيه لذع في اللسان . وقد بيّن الله ـ سبحانه ـ أن الخمر التي بطعم الزنجبيل تتميز بسلاستها وسهولة انحدارها في الحلق لبيان أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعة بل نقيض اللذع وهو السلاسة(٣) .

ويصف الله سبحانه وتعالى نوعًا آخر من أنواع الشراب في الجنة بصفة خاصة ، حيث قال سبحانه :

﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٤) .

وقد اختلف أقوال المفسرين في بيان معني قوله تعالى : ( شرابًا طهوراً ) فقالوا(٥) : أي ليس بنجس كما كان في الدنيا مذكوراً بالنجاسة ، أو شراب يرشح من أجسادهم عرقًا أطيب من ريح المسك الأذفر ، أو شراب طهور يشربونه بعد أكلهم وشربهم ما شاءوا فيطهر بطونهم ويكون ما أكلوا وشربوا رشحًا وريح مسك فتضمر لذلك بطونهم . أو أنه ليس بنجس كخمر الدنيا ، أو طاهراً من الأقذاء والأدناس والأوساخ أي : لم تدنسه الأيدي والأرجل كخمر الدنيا . أو إنه لا يصير بولاً نجسًا ، ولكنه يصير رشحًا

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ج٥ ص١٤٩ مادة كفر .
(٢) انظر اللسان ج١١ ص٣١٢ ـ ٣١٣ مادة زنجبيل .
(٣) انظر تفسير أبي السعود ج٩ ص٧٤ .
(٤) سورة الإنسان ، من الآية : ٢١ .
(٥) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٢١٩ . جامع البيان ، الطبري ج٢٩ ص٢٢٢ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٢٦٣ . إعراب القرآن ، للنحاس ، ج٥ ص١٠٦ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٣٠ . الكشاف ، ج٤ ص١٧١ . التفسير الكبير ، ج٣٠ ص٢٥٤ . البحر المحيط ج٨ ص٤٠١ . حاشية الشهاب ج٨ ص٢٩٢ ، روح المعاني ، ج٢٩ ص١٦٤ .

في أبدانهم كريح المسك . أو هو عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع ما كان في قلبه من غل وغش وحسد وما كان في جوفه من قذر وأذي . وذكر أبو السعود معني آخر هو : « ووصفه بالطهورية فإنه يطهر شاربه فيتجرد لمطالعة جماله ملتذاً بلقائه باقيًا ببقائه ، وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين ، ولذلك ختم بها مقاله ثواب الأبرار »[1] .

وهذه المعاني التي قالها المفسرون تحدد نوع الشراب المراد في الآية وسبب وصفه بالطهورية . فهو إما أن يكون شرابًا غير محدد مما يمكن شربه ، أو خمراً ، أو ماءاً عذبًا. أما وصفه بالطهورية فهو إما أن يكون طاهراً بذاته أو مطهراً لمن يشربه ، وقد لخص الفخر الرازى[2] جملة أقوال المفسرين بقوله : « الطهور فيه قولان ( الأول ) : المبالغة في كونه طاهراً ، ثم فيه على هذا التفسير احتمالات ( أحدها ) : أنه لا يكون نجسًا كخمر الدنيا ، ( وثانيها ) : المبالغة في البعد عن الأمور المستقذرة يعني ما مسته الأيدي الوضرة ، وما داسته الأقدام الدنسة . ( وثالثها ) : أنها لا تؤول إلى النجاسة ، لأنها ترشح عرقًا من أبدانهم له ريح كريح المسك . ( القول الثاني ) : في الطهور أنه المطهر .

وعلى هذا التفسير أيضًا في الآية احتمالان . ( أحدهما ) : قال مقاتل : هو عين على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد ، وما كان في جوفه من قذر وأذي . ( وثانيهما ) : قال أبو قلابة : يؤتون الطعام والشراب فإذا كان في آخر ذلك ، أتوا بالشراب الطهور ، فيشربون فتطهر بذلك بطونهم ، ويفيض عرق من جلودهم مثل ريح المسك ، وعلى هذين الوجهين ، يكون الطهور مطهراً لأنه يطهر باطنهم عن الأخلاق الذميمة والأشياء المؤذية » .

والذي يبدو من أقوال المفسرين : إنهم فسروا الشراب المذكور في الآية الكريمة بالخمر ، وأنها خمر مميزة عما سبق ذكره من أنواع الخمر بأنها توصف بالطهور ...

---

(١) تفسير أبي السعود ج٩ ص٧٤ .
(٢) التفسير الكبير ،ج٣٠ ص٢٥٤ .

والتفسير الأرجح للآية الكريمة هو : أنه لا داعي لحصر الشراب بنوع معين كالخمر مثلا أو الماء أو غيرهما ... وإنما التعميم في الآية أولي ليعم قوله تعالى : (شرابًا طهورا) أي نوع من أنواع الشراب المعدّ لأهل الجنة ، إذ ليس فيها نوع من أنواع المتاع الحسي أو الروحي فيه منقصة أو خلل أو دنس .

ونظم الآية الكريمة يدل على التعميم ، إذ ورد قوله تعالى : ( شرابًا ) نكره دون تعريف ليفيد التعميم فيشمل أي نوع من الشراب المقدم في الجنة .

إلا أن الشراب المذكور في الآية الكريمة له فضل تميز عن غيره ؛ إذ وصفه سبحانه بالطهور ، وأسند فعل السقي إلى ذاته العلية ، فقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾[1].

وقد أشار الفخر الرازى[2] إلى تميز هذا الشراب عن غيره ، إذ قال : « هذا نوع آخر يدل عليه وجوه : ( أحدها ) : دفع التكرار . ( وثانيهما ) : أنه تعالى أضاف هذا الشراب إلى نفسه فقال : ( وسقاهم ربهم ) ، وذلك يدل على فضل في هذا دون غيره . ( وثالثها ) : ما روينا أنه تقدم إليهم الأطعمة والأشربة ، فإذا فرغوا منها أتوا بالشراب الطهور فيشربون فيطهر ذلك بطونهم ، ويفيض عرقًا من جلودهم مثل ريح المسك ، وهذا يدل على أن هذا الشراب مغاير لتلك الأشربة ، ولأن هذا الشراب يهضم سائر الأشربة ، ثم له مع هذا الهضم تأثير عجيب ، وهو أنه يجعل سائر الأطعمة والأشربة عرقًا يفوح منه ريح كريح المسك ، وكل ذلك يدل على مغايرة » .

فهذا الشراب نوع متميز في مشروبات أهل الجنة إلا أنه غير معيّن بنوع من الأنواع التي ذكرها الله ــ سبحانه وتعالى ــ في أشربة أهل الجنة كالخمر مثلا أو الماء، أو اللبن أو العسل ...

ويصف الله ــ سبحانه وتعالى ــ نوعًا آخر من أنواع الشراب في الجنة وذلك قوله تعالى :

---

(١) سورة الإنسان ، من الآية : ٢١ .

(٢) التفسير الكبير ، ج٣٠ ص٢٥٤ ــ ٢٥٥ .

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ [1].

وقد بيّن المفسرون معني قوله تعالى : ( من معين ) فقالوا[2] : أي خمر تجري من العيون على وجه الأرض ، أو خمر جارية في الأنهار ظاهرة تراها العيون ، أو من شراب معين أو من نهر معين ، وهو الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون . والمعين مأخوذ من عين الماء إذا ظهر جارياً ، وسمي معيناً لأنه يجري من العين ، ويجوز أن يكون فعيلاً من المعين ، وهو الماء الشديد الجري ، أو المعين الماء الطاهر الجاري . أو من خمر تجري كما يجري الماء على وجه الأرض من العيون .

ويستفاد من تفسيرهم لقوله تعالى : ( من معين ) أن المعين : يراد به الماء الجاري من العيون أو الأنهار أي الظاهر للعيون ، أو الخمر الجاري مجري الماء من العيون أو الأنهار ...

والراجح أن المعين هو الخمر الجاري من العيون أو الأنهار كما يجري الماء من العيون أو الأنهار ، ذلك لأن الله ـ سبحانه ـ وصفه بصفات تميزه عن خمر الدنيا ...

وفي تسمية الخمر باسم الماء سر بلاغي ، يوحي بكثرة الخمر في الجنة ، واتساع انتشارها في كل اتجاهات الجنة ، وسهولة التمتع بها ... كما يوحي برقة هذه الخمر ولطافتها وصفائها ونقاوة لونها ... إذ هي تجري كالأنهار أو العيون في كل اتجاه ، وتكتسب رقة الماء وصفاءه ولطافته .

وقد أشار الزمخشري إلى مزية هذا الوصف للخمر ، بقوله : « وصف بما يوصف به الماء لأنه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء »[3] . كما أشار الألوسي إلى

---

(١) سورة الصافات ، الآيات : ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٧ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص١٦٩ . معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، ج٤ ص٣٠٣ . معاني القرآن ، للنحاس ، ج٦ ص٢٤ . إعراب القرآن ، للنحاس ، ج٣ ص٤١٩ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٧ . الكشاف ج٣ ص٣٠٠ . التفسير الكبير ج٢٦ ص١٣٧ . البحر المحيط ج٧ ص٣٥٩ . تفسير أبي السعود ج٧ ص١٩١ . روح المعاني ، ج٢٣ ص٨٧ .

(٣) الكشاف ، ج٣ ص٣٠٠ . وانظر تفسير أبي السعود ، ج٧ ص١٩١ .

مزية أخري في تشبيه الخمر بالماء في الآية الكريمة ، إذ قال : ووصف به خمر الجنة تشبيهاً لها به لكثرتها حتي تكون أنهاراً جارية في الجنان . ويؤذن ذلك برقتها ولطافتها وأنها لم تدس بالأقدام كخمر الدنيا »[1] .

وقد وصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذا النوع من خمر الجنة بصفات عدة تدل على أنها خمر تختلف تماماً عن خمر الدنيا المحرمة ... إذ قال سبحانه في صفتها : ﴿ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾ [2] ...

ومعني بيضاء ، أي لونها أبيض ، وهي صفة للكأس أو الخمر يدل على أنها مؤنثة ، وقد ورد عن الحسن والأخفش : خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن[3] .

أما قوله تعالى : ( لذة للشاربين ) ، فإنه يدلَ على اختلاف خمر الجنة عن خمر الدنيا ... إذ تكون الخمر في الجنة لمحض اللذة والمتعة : أي ليس فيها شيء من مضار خمر الدنيا ولا آثارها ... يدل على ذلك سياق الآية الكرية ، إذ قال سبحانه : ( لذة ) ومعناها كما بينه المفسرون[4] إما ذات لذة ، وإما أن توصف بالمصدر أي لذة على سبيل المبالغة وكأنها اللذة نفسها ، أو أنها تأنيث لذ بمعني لذيذة ...

والتفسير الأرجح أنها توصف باللذة وكأنها اللذة نفسها ، فعلى هذا المعني يجد كل من يشربها المتعة الخالصة واللذة التامة ، وكأنما هو يشرب اللذة نفسها ...

أما قوله تعالى : ( للشاربين ) ، فإن معناه : أن كل من شربها وجد اللذة المحضة دون أن يجد فيها منقصة أو مضرة ... ودون أن تخصص لأحد مخصوص دون أحد ... فكل من شربها كائنا من كان من أهل الجنة وجد هذا النوع من المتعة الخالصة .

وقد أشار الألوسي إلى هذا المعني بقوله : « وفي قوله تعالى : ( للشاربين ) دون

---

(١) روح المعاني ، ج٢٣ ص٨٧ .

(٢) سورة الصافات ، آية : ٤٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للنحاس ، جـ٦ ص ٢٤ . الكشاف ج٣ ص٣٠٠ . التفسير الكبير ج٢٦ ص١٣٧ . البحر المحيط ج٧ ص٣٥٩ . روح المعاني ج٢٣ ص٨٧ .

(٤) انظر : تفسير البغوي ج٤ ص٢٧ . الكشاف ج٣ ص٣٠٠ . التفسير الكبير ج٢٦ ص١٣٧ . البحر المحيط ج٧ ص٣٥٩ . روح المعاني ج٢٣ ص٨٧ .

لهم إشارة إلى أنها يلتذ بها الشارب كائناً من كان »[1].

ويصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذا النوع من خمر الجنة بصفة أخري في قوله تعالى : ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ [2]. وقد بيّن المفسرون معني قوله تعالى : ( لا فيها غول ) فقالوا[3] : أي ليس فيها غيلة وغائلة وغَوْل ، أي : لا تغتال عقولهم بالسكر فتذهب بها، والغَوْل : البعد ، أو لا يصيبهم منها صداع ، أو وجع بطن ، أو ليس فيها إثم ، أو لا يلحقها فساد في الخفاء كما في خمر الدنيا من أنواع الفساد كالسكر ، وذهاب العقل ، ووجع البطن والصداع والقيء والبول . وليس فيها إهلاك ، يقال غالة غولاً أي : أهلكه . أو ليس فيها أنواع الفساد الناشئة عن شرب الخمر من مغص وصداع وخمار وعربدة ولغو وتأثيم ونحو ذلك ، أو نفي أن يكون فيها ضرر أصلاً . أو ليس فيها نتن ولا كراهة كخمر الدنيا .

وأقوال المفسرين هذه بعضها يعمم نفي جميع أنواع الضرر الموجود في خمر الدنيا عن خمر الجنة . وبعضها يخصه بنفي نوع من أنواع الضرر الموجود في خمر الدنيا .

والتفسير الراجح أن قوله تعالى : ( لا فيها غول ) ، نفي لكل أنواع الضرر والفساد الذي في خمر الدنيا عن خمر الجنة .. أي لا يلحق الشارب لخمر الجنة هلاك أو فساد ، أو سكر أو عربدة ، أو صداع أو وجع بطن . أو قيء ، أو ذهاب عقل، أو بول . أو أمراض ... أو نحو ذلك . وقد بيّن أبو حيان أن الاسم يعم نفي كل أنواع الفساد عن خمر الجنة بقوله : « والاسم يشمل أنواع الفساد الناشئة عن شرب

---

(١) روح المعاني ج٢٣ ص٨٨ .

(٢) سورة الصافات ، من الآية : ٤٧ .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٢ ص٣٨٥ . مجاز القرآن ، لأبي عبيدة جـ٢ ص١٦٩ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٣٧٠ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٤ ص٣٠٣ . إعراب القرآن ، للنحا ج٣ ص٤١٩ . معاني القرآن ، للنحاس ج٦ ص٢٤ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٧ . الكشاف ج٣ ص٣٠٠ . التفسير الكبير ج٢٦ ص١٣٧ . البحر المحيط ج٧ ص٣٥٩ . تفسير أبي السعود ج٧ ص١٩١ . حاشية الشهاب ج٧ ص٢٧٠ . روح المعاني ج٢٣ ص٨٨ .

الخمر فينتفي جميعها من مغص وصداع وخمار وعربدة ولغو وتأثيم ونحو ذلك»[1].

وقد أشار الألوسي إلى اختيار التعميم على التخصيص في نفي أنواع الفساد الموجود في خمر الدنيا عن خمر الجنة بقوله : « واختير التعميم وأن التنصيص على مخصوص من باب التمثيل »[2].

وسياق الآية الكريمة في قوله تعالى : ( لا فيها غول ) بتقديم المسند الظرف على المسند إليه النكرة ، له مزية بلاغية دقيقة تفيد تخصيص خمر الجنة بالنفي المطلق لكل أنواع المفاسد والمضار الموجودة في خمر الدنيا ، إذ يصبح المعني : ليس في خمر الجنة أي نوع من أنواع الضرر والفساد الناتج من شرب خمر الدنيا ... وفي تنكير المسند إليه ( غول ) زيادة في تعميم أنواع المفاسد والمضار التي برأ الله ـ سبحانه وتعالى ـ منها خمر الجنة . وقد أشار الشهاب إلى مزية تقديم الظروف بقوله : « قدم فيه الظرف للتخصيص ، والمعني ليس فيها ما في خمور الدنيا من الخمار »[3]. ويوضح الدكتور محمد أبو موسي مزية تقديم الخبر الظرف في الآية الكريمة بقوله : « فقوله ( لا فيها غول ) يفيد التخصيص قطعًا ، والمراد قصر نفي الغول عليها بخلاف خمر الدنيا فإن غولاً ، ولو قال : لا غول فيها لأفاد نفي الغول عنها فقط من غير أن يتعرض لخمور الدنيا »[4].

ويصف الله سبحانه وتعالى ـ خمر الجنة بوصف آخر ، إذ يقول سبحانه : ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[5]، وتقرأ : ( ينْزِفون ). بالبناء للمفعول والبناء للمعلوم ، والمعني على القراءتين كما بينه المفسرون[6]، إما أن يكون من أنزف الرجل إذا فنيت

---

(١) البحر المحيط ج٧ ص٣٥٩ .

(٢) روح المعاني ج٢٣ ص٨٨ .

(٣) حاشية الشهاب ج٧ ص٢٧٠ .

(٤) خصائص التراكيب ص٢٥٠ .

(٥) سورة الصافات ، من الآية : ٤٧ .

(٦) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٢ ص٣٨٥ ، مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص١٦٩ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٣٧٠ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٤ ص٣٠٣ . إعراب القرآن ، للنحاس ج٣ ص٤١٩ . معاني القرآن ، للنحاس ج٦ ص٢٤ ـ ٢٥ . الكشاف ج٣ ص٣٠٠ . التفسير الكبير ، ج٢٦ ص١٣٧ . تفسير أبي السعود ج٧ ص١٩١ . روح المعاني ج٢٣ ص٨٨ ـ ٨٩ .

خمره ، أو أنزِف إذا ذهب عقله ، وإما أن يكون من نُزِف والمعني عقولهم . فيكون معني قوله ، ( ينزفون ) بالبناء للمعلوم أو المفعول : أي لا تذهب خمرهم وتنقطع ، ولا تذهب عقولهم بشربها . أو لا ينفد شرابهم فهو دائم أبداً ، أو ينزفون بمعني يسكرون أو لا يلحقهم نقصان بسكر ولا غيره . أو لا يقيئون عنها كما يقيء صاحب خمر الدنيا . وقد وضح البغوي المعني على القراءتين فقال : « قرأ حمزة والكسائي (يُنزِفون) بكسر الزاي ، وافقهما عاصم في الواقعة ، وقرأ الآخرون بفتح الزاي فيهما . فمَن فتح الزاي فمعناه : لا يغلبهم على عقولهم ولا يسكرون ، يقال : نزف الرجل فهو منزوف ونزيف إذا سكر . ومن كسر الزاي فمعناه : لا ينزف شرابهم ، يقال : أنزف الرجل فهو منزف إذا فنيت خمره »[(١)].

والمعني المستفاد من التفسير السابق لقوله تعالى : ( يُنزِفون ) بالقراءتين أن خمر أهل الجنة لا ينتج عنها السكر وما يصاحبه من ذهاب العقل والوقوع في الإثم ، ولا هي تنفذ أو تنقطع عن أهل الجنة مهما شربوا منها .. وعلى ذلك يكون المعني المراد ـ والله أعلم ـ أن كثرة شربهم منها لا تفقدهم عقولهم بالسكر ، ولا تقطع الخمر عنهم بالنفاذ .

ولما كانت أعظم مضار الخمر في الدنيا ذهاب العقل والسكر ، الذي يوقع صاحبه في الإثم ، ويجره إلى ارتكاب المعاصي والمحرّمات ....، ويؤدي به في النهاية إلى الهلاك التام ... بالغ سبحانه في نفي السكر عن خمر الجنة إحترازاً من توهم مشابهة خمر الجنة بخمر الدنيا .. وذلك أنه سبحانه وتعالى ، ذكر هذه الصفة الخاصة بخمر الجنة مفردة عن غيرها من الصفات التي وضحها من صفات هذه الخمر التي أعدها لعباده الصالحين ، وقد ألمح الزمخشري إلى إفراده هذه الصفة في خمر الجنة عن غيرها من الصفات التي سبقت ، بقوله : « ولا يسكرهم وهو أعظم مفاسدها ، فأفرزه وأفرده بالذكر »[(٢)].

ويوضح الألوسي علة إفراد هذه الصفة في خمر الجنة فيقول : « وأفرد هذا الفساد

---

(١) تفسير البغوي ، ج٤ ص٢٧ .

(٢) الكشاف ج٣ ص٣٠٠ . وانظر التفسير الكبير ج٢٦ ص١٣٧ . البحر المحيط ج٧ ص٣٦٠ .

بالنفي وعطف على ما يعمه لأنه من عظم فساده كأنه جنس برأسه وله سميت الخمر أم الخبائث »[1].

وسياق الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ ولا هم عنها يُنزفون ﴾ بعطف الجملة الاسمية مع النفي ، والمسند الجملة الفعلية يفيد دوام واستمرارية نفي السكر والنفاد عن خمر الجنة ، إذ يصبح المعنى : أن خمر الجنة دائمة الوجود ، متجددة الحدوث لا تنقطع أبداً ، ولا ينتج السكر عنها أبداً مهما شرب منها أهل الجنة فهي للمتعة الدائمة دون مضرة .

ويصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ خمر الجنة في آية أخرى ، إذ يقول سبحانه :

﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾[2].

وقد سبق بيان المراد[3] من قوله تعالى : ﴿ وكأس من معين ﴾[4]، ولذا فإنه يكفي ذكر التفسير الراجح من أقوال المفسرين هنا . وهو أن المعين : هي الخمر تخرج من العيون وتجري على سطح الأرض فتراها العيون ... وذلك لأن الله سبحانه ـ وصف هذا الشراب بصفات تدل على أنها خمر تختلف عن خمر الدنيا ... ولأن كون الخمر في الجنة يخرج من العيون ويجري على سطح الأرض أكثر متعة ، وأعجب منظراً لأهل الجنة . وقد اختار الفخر الرازي هذا المعنى وبيّن المزية في اختياره ، إذ قال : « ما معنى المعين ؟ قلنا : ذكرنا في سورة الصافات أنه فعيل أو مفعول ومضى خلاف ، فإن قلنا : فعيل فهو من معن الماء إذا جرى . وإن قلنا : مفعول فهو : من عانه إذا شخصه بعينه وميزه ، والأول أصح وأظهر ، لأن المعيون يوهم بأنه معيوب ، لأن قول

---

(١) روح المعاني ج٢٣ ص٨٨ .

(٢) سورة الواقعة ، الآيتان : ١٨ ـ ١٩ .

(٣) انظر صحيفة : ٢٣٧ .

(٤) انظر مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، ج٢ ص٢٤٨ . معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، ج٥ ص١١٠ ، إعراب القرآن ، للنحاس ج٤ ص٣٢٦ . تفسير البغوي ، ج٤ ص٢٨١ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٤ . البحر المحيط ج٨ ص٢٠٥ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩١ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٣ . روح المعاني ج٢٧ ص١٣٦ . تفسير المراغي م٩ ج٢٧ ص١٣٥ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٤٦٤ .

القائل : عانني فلان ، معناه : ضربني إذا أصابتني عينه ، ولأن الوصف بالمفعول لا فائدة فيه ، وأما الجريان في المشروب فهو إن كان في الماء فهو صفة مدح وإن كان في غيره فهو أمر عجيب لا يوجد في الدنيا فيكون كقوله تعالى : ﴿ وأنهار من خمر﴾[1].

ويوصف الله سبحان وتعالى هذا النوع من خمر الجنة بصفة تميزها عن خمر الدنيا ، إذ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ لا يُصَدَّعُونَ عَنهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ ﴾ [2].

وقد اختلفت أقوال المفسرين في بيان معني قوله تعالى : ﴿ لا يُصدَّعون ﴾ إذ قالوا[3] : من الصُّداع الذي يعتري شراب الخمر في الدنيا ، أو لا يُصدَّعون بمعني لا يتفرقون عنها من قولك : صدعته فانصدع ، أو لا ينالهم عن شربها ما ينال أهل الدنيا من الصداع . أو لا يفرقون عن قِلىً .

والتفسير المستفاد من أقوالهم : أن أهل الجنة لا يصيبهم الصداع لشربهم الخمر في الجنة ، كما يصيب أهل الدنيا الخمر إذا شربوها ... وذلك أن خمر الجنة مبرأة من العيوب والمضار الكثيرة الموجودة في خمر الدنيا المحرّمة . أو أنّ أهل الجنة لا يتفرقون عن خمر الجنة ولا يكرهونها . أو لا يكره بعضهم بعضاً ، ولا يتفرقون بسبب شربهم الخمر كما هو الحال في أهل الدنيا وما يصيبهم من تفرّق وكراهية بسبب شربهم الخمر .

---

(١) التفسير الكبير ج٢٩ ص١٥١ . وانظر حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٣ .

(٢) سورة الواقعة ، آية : ١٩ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٤٨ . تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٧ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١١٠ . إعراب القرآن ، للنحاس ج٤ ص٣٢٦ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٨١ ، الكشاف ج٤ ص٥٨ . التفسير الكبير ج٢٩ ص١٥١ ـ ١٥٢ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٤ . البحر المحيط ج٨ ص٢٠٥ ـ ٢٠٦ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩١ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٣ . روح المعاني ج٢٧ ص١٣٧ .تفسير المراغي م٩ ج٢٧ ص١٣٥ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٤٦٤ .

وقد رجّح أكثر المفسرين[1] التفسير الأول ويمثلهم قول ابن قتيبة[2] « كان بعضهم يذهب في قوله ( لا يُصَدَّعون ) إلى أن معناه : أي لا يتفرقون عنها من قولك: صدّعته فانصدع . ولا أراه إلا من ( الصُّدَاع ) الذي يعتري شراب الخمرِ في الدنيا ، لقول النبي ـ ﷺ ـ في وصف الجنة : « وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة[3]» .

والمعني الراجح لقوله تعالى : ( لا يُصَدَّعون عنها ) أنهم لا يصيبهم الصداع بشربهم لها .. وذلك لأنها خمر تختلف تمامًا عن خمر الدنيا ومبرأة من كل آفاتها ومضارها ، فلا يلحق أهل الجنة أذي مضرة أو سكر أو صداع من شربها كما هي حال الشاربين لخمر الدنيا . ولما كان الصداع والسكر من أعظم مفاسد الخمر في الدنيا ، فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ نفي هذه الآفات عن خمر الجنة وكرر وصفها بخلوها من هذه الآفات احترازاً من مشابهتها بخمر الدنيا التي حرّمها الله لما فيها من المضار والمفاسد وأعظمها السكر وما تتركه في الرأس من الصداع وذهاب العقل ...ولذا فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عطف على نفي الصداع عن خمر الجنة قوله تعالى : ( ولا يُنزِفون ) .

وقد وضح الفخر الرازي مزية هذا السياق في الآية الكريمة ، بقوله : « إن كان معني ( لا ينزفون ) لا يسكرون ، فنقول : إما أن نقول معني ( لا يصدعون ) : أنهم لا يصيبهم الصداع ، وإما أنهم لا يفقدون ، فإذا قلنا بالقول الأول فالترتيب في غاية الحسن لأنه على طريقة الارتقاء ، فإن قوله تعالى ( لا يصدعون ) معناه : لا يصيبهم الصداع ، لكن هذا لا ينفي السكر ، فقال بعده ولا يورث السكر ، كقول القائل ليس

---

(1) انظر مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٤٩ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١١٠ . إعراب القرآن للنحاس ، ج٤ ص٣٢٦ . تفسير البغوي ، ج٤ ص٢٨١ . التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٥١ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٤ . البحر المحيط ج٨ ص٢٠٥ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩١ ، حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٣ . روح المعاني ج٢٧ ص١٣٧ . تفسير المراغي م٩ ج٢٧ ص١٣٥ .

(2) تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٤٧ .

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، ج٤ ص١٤ .

فيه مفسدة كثيرة ، ثم يقول ولا قليلة تتميماً للبيان ، ولو عكست الترتيب لا يكون حسناً . وإن قلنا : ( لا ينزفون ) لا يفقدون ، فالترتيب أيضاً كذلك ، لأن قولنا ( لا يصدعون ) أي لا يفقدونه ، مع كثرته ودوام شربه لا يسكرون ، فإن عدم السكر لنفاذ الشراب ليس بعجب ، لكن عدم سكرهم مع أنهم مستديمون للشراب عجيب . وإن قلنا ( لا ينزفون ) بمعني : لا ينفذ شرابهم كما بينا هناك ، فنقول أيضاً : إن كان (لا يصدعون ) بمعني لا يصيبهم صداع فالترتيب في غاية الحسن ، وذلك لأن قوله: ( لا يصدعون ) مع أنهم لا يفقدون الشراب ولا ينزفون الشراب ، وإن كان بمعني لا ينزفون عنها فالترتيب حسن ، لأن معناه لا ينزفون عنها بعني : لا يخرجون عما هم فيه ، ولا يؤخذ منهم ما أعطوا من الشراب ، ثم إذا أفنوها بالشراب يعطون »[1] .

ونظم الآية الكريمة في وصف خمر الجنة يفيد دوام واستمرارية تجدد حدوث هاتين الصفتين في خمر الجنة إذ جاء تركيب الصفتين بالنفي مع العطف والفعل المضارع ليفيد دوام واستمرار تجدد نفي حدوث الصداع والسكر والنفاذ عن خمر الجنة ، فهي دائمة الوجود لا تنقطع ولا تسبب الصداع والسكر مهما شرب منها ... وفي هذا دوام للمتعة وراحة للنفس .

ويصف الله سبحانه وتعالى خمر الجنة بصفتين أخريين في قوله تعالى :

﴿ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾[2] .

وقد بيّن المفسرون معني قوله تعالى : ( يتنازعون فقالوا[3] : أي يتعاطون . أو يتداولون . أو يتجاذبون . أو يتعاورون . أو يتناولون . والمعاني كلها متقاربة تدل على تعاطي الخمر في الجنة في حال مسرة ومودة ، وذلك أن معني منازعة الكأس في

---

(١) التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٥٢ .

(٢) سورة الطور ، آية : ٢٣ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٣٢ . تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٢٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٦٣ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٣٩ . الكشاف ج٤ ص٣٥ . التفسير الكبير ج٨ ص٢٥٣ . البحر المحيط ج٨ ص١٤٩ . تفسير أبي السعود ، ج٨ ص١٤٩ . حاشية الشهاب ، ج٨ ص١٠٤ . روح المعاني ج٢٧ ص٣٤ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٣٩٧ .

اللغة: معاطاتها ، ويتنازعون : يتعاطون والأصل فيه يتجاذبون[1].

والتجاذب للكأس في الجنة ليس عن منازعة ، وإنما هو للمداعبة وإدخال السرور في النفس . وقد أشار الفخر الرازي إلى هذا المعني بقوله : « وحينئذ يكون تجاذبهم تجاذب ملاعبة لا تجاذب منازعة ، وفيه نوع لذة ، وهو بيان ما هو على حال الشراب في الدنيا فإنهم يتفاخرون بكثرة الشرب ، ولا يتفاخرون بكثرة الأكل »[2].

فكلمة ( يتنازعون ) في الآية الكريمة تبيّن كيفية استمتاع أهل الجنة حال شربهم الخمر ... وفي هذا ترغيب فيما عند الله من متاع الجنة ونعيمها .

أما صفة الخمر كما تبينها الآية الكريمة مفاسد خمر الدنيا ، وهي اللغو والإثم ... أما معني اللغو فهو كما بينه المفسرون[3] إذ قالوا : أي لا تذهب بعقولهم فيلغوا ، أو لا يجري بينهم ما يلغي ، أو لا يتكلمون في أثناء الشرب بسقط الحديث ، أو لا فضول فيها ولا سباب ولا تخاصم .

وأما قوله سبحانه : ( ولا تأثيمًا ) ، فقد بيّن المفسرون معناه إذ قالوا[4]: أي لا يرفثوا فيأثموا كما يكون الحال في خمر الدنيا . أو لا يجري بينهم باطل ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا لشربَه الخمر . أو لا يأثمون في شربها ، أو لا يفعلون ما يؤثم به فاعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش ، أو لا تسبب السكر . فيكون المعني : أن الله ـ سبحانه ـ يبين أن خمر الجنة مبرأة من المفاسد والمضار الموجودة في

---

(١) انظر : لسان العرب ج٨ ص٣٥١ مادة نزع .

(٢) التفسير الكبير ج١٨ ص٢٥٣ .

(٣) انظر : تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٢٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٦٣ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٣٩ . الكشاف ج٤ ص٣٥ . التفسير الكبير ج٢٨ ص٢٥٤ . البحر المحيط ج٨ ص١٤٩ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٤٩ .روح المعاني ج٢٧ ص٣٤ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٣٩٧ .

(٤) انظر : تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٢٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٦٣ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٤٠ . الكشاف ج٤ ص٣٥ . التفسير الكبير ج٢٨ ص٢٥٣ . البحر المحيط ج٨ ص١٤٩ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٤٩ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٠٤ . روح المعاني ج٢٧ ص٣٤ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٣٩٧ .

خمر الدنيا والتي حرّمت بسببها . ومن أعظم مضارها ذاب العقل والسكر اللذين يجران إلى اللغو والباطل ويوقعان في الإثم ... ولذا فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ينفي عن خمر الجنة هذه المضار والمفاسد ليبين ، أن الخمر في الجنة تشرب للتمتع والتلذذ، وإشاعة الراحة والسرور بين أهل الجنة ، دون أن ينتج عن شربها مفاسد أو مضرة للعقل أو الجسم ... كما لا توقع في المعاصي والآثام .

ويصف الله ـ عز وجل ـ خمر الجنة بصفة أخري تختلف عما سبق ، وذلك قوله تعالى :

﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ [(١)] ..

ويبدو في الآية الكريمة عدم ذكر لفظة الخمر وإنما سميت رحيق وقد بين المفسرون معني قوله تعالى : ( رحيق ) إذ قالوا [(٢)] : الرحيق الذي ليس فيه غش معرّق من مسك أو خمر . أو الشراب الذي لا غشّ فيه ، أو الخمر العتيقة ، أو الخمر البيضاء ، أو خمر صافية طيبة . أو هو أجود أنواع الخمر .

وهذه المعاني كلها تبين : أن المقصود بالرحيق هو الخمر الجيد الخالص ، المصفي من الشوائب والمفاسد . وتسمية الخمر بالرحيق في الآية الكريمة إيماء إلى فضل وتميز هذا النوع من الخمر المقدم لأهل الجنة ، وذلك أن معني الرحيق في اللغة : «من أسماء الخمر معروف ... وهو أعتقها وأفضلها ، وقيل : الرحيق : صفوة الخمر» [(٣)] .

ثم إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وصف هذا النوع من خمر الجنة بصفات أخري ، إذ قال تعالى :

---

(١) سورة المطففين ، الآيتان ٢٥ ـ ٢٥ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٨٩ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٥١٩ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٣٠٠ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٦١ . الكشاف ج٤ ص١٩٦ . التفسير الكبير ج٣١ ص٩٩ . تفسير أبي السعود ج٩ ص١٢٨ . حاشية الشهاب ، ج٨ ص٣٣٨ . روح المعاني ، ج٣٠ ص٧٥ . في ظلال القرآن ، ج٦ ص٣٨٥٩ .

(١) لسان العرب ، ج١٠ ص١١٤ ، مادة : رحق .

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[١].

والصفة الأولي هي قوله تعالى : ( مختوم ختامه مسك ) وقد بيّن المفسرون معني الآية إذ قالوا [٢]: أي له ختام عاقبة ريح ، أي آخر طعمه وعاقبته إذا شرب وفني الكأس انختم ذلك بطعم المسك ورائحته . أو ختم ومنع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه الأبرار . أو مختوم أي مطيّن . أو تختم أوانيه من الأكواب والأباريق مكان الطينة، أو ختم عليه تكريماً له بالصيانة . أو مختوم بمعني ممزوج ، لأنه لو لم يمتزج بالمسك لما حصل فيه ريح المسك .

وقرىء ختامه بفتح التاء وكسرها : أي ما يختم به ويقطع ، أو بمعني ذو نهاية نهايته وما يبقي شربه ويشرب في أوانيه مسك ، وليس كشراب الدنيا نهايته وما يرسب في إنائه طين أو نحوه .

والمعني المستفاد من هذه الأقوال هو : إما أن تكون أوانيه من الأكواب والأباريق مختومة بالمسك بدلاً من الطين للصيانة والتكريم وإما أن يكون آخر طعمه وعاقبة شربه طعم المسك وريحه .

والتفسير الراجح : أن كلا المعنيين مفهوم من الآية الكريمة ، وليس هناك ما يمنع من أن تكون أوانيه محكمة الغلق مختومة بالمسك بدلاً من الطين حفظًا له وصيانة وزيادة من علو منزلته . وأن يكون آخر طعمه وعاقبة شربه طعم المسك . بل إن سياق الآية الكريمة يدل على قصد المعنيين معاً ... إذ قال سبحانه : ( مختوم ) ، أي ختمت أوانيه بالمسك . وقال سبحانه عقب ذلك : ( ختامه مسك ) ، أي ما يختم به

---

(١) سورة المطففين ، الآيتان : ٢٥ ـ ٢٦ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٨٩ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٥٢٠ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٣٠٠ ـ ٣٠١ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٦١ . الكشاف ج٤ ص١٩٦ . التفسير الكبير ج٣١ ص٩٩ . البحر المحيط ج٨ ص٤٤٢ . تفسير أبي السعود ج٩ ص١٢٨ . حاشية الشهاب ج٨ ص٣٣٨ . روح المعاني ، ج٣٠ ص٧٥ . في ظلال القرآن ، ج٦ ص٣٨٥٩ .

طعمه هو طعم المسك ورائحته .

وقد ألمح الشهاب إلى اختيار هذا المعنى بقوله : (قوله أو الذي له ختام أي مقطع) أي آخر فإن الختم كما يكون بمعنى : جعل ما هو كالغطاء على الفم يكون بمعنى بلوغ الآخر ، والخاتمة ما يقابل الفاتحة وهي النهاية ، على معنى أن رائحته تظهر في الانتهاء كأنه للتلذذ وإلى الغاية إنما تدرك رائحته إذا انقطع الشرب وإلا فلا وجه للتخصيص »[1].

وفي وصف خمر الجنة بهذه الصفة ، وهي الختم لأوانيه بالمسك بدلاً من الطين مزية بلاغية ، تدل على علو شأن هذا النوع من خمر الجنة وتميزه عن الأنواع الأخرى ، التي تجري في الأنهار والعيون كما بيّن - سبحانه وتعالى - في الآيات الأخرى ... إذ الختم لهذا الخمر يعطيه نوعاً من التكريم والصيانة والحفظ ، ويرفع من شأنه .

وقد أشار الفخر الرازي إلى هذا المعنى المفهوم من الآية ، إذ قال : « يسقون من شراب مختوم قد ختم عليه تكريماً له بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم ما يكرم ويصان ، وهناك خمر آخر تجري منها أنهاراً كما قال :

﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴾[2].

إلا أن هذا المختوم أشرف في الجاري »[3].

كما أن كون الختم لأواني هذه الخمر بالمسك بدلاً من الطين يوحي بالنعيم التام والرفاهية الزائدة اللذين يعيش أهل الجنة في ظلهما .

وقد أشار الأستاذ سيد قطب إلى هذه اللمحة الدقيقة ، إذ قال : « كما أن جعل الختم من المسك فيه أناقة ورفاهية ! وهذه الصورة لا يدركها البشر إلا في حدود ما يعهدون في الأرض ، فإذا كانوا هنالك كانت لهم أذواق ومفاهيم تناسب تصورهم

---

(١) حاشية الشهاب ، ج٨ ص٣٣٨ .
(٢) سورة محمد ، من الآية : ١٥ .
(٣) التفسير الكبير ج٣١ ص٩٩ .

الطليق من جو الأرض المحدود »[1].

ومما يدل على تميز هذا النوع من خمر الجنة وعلو شأنه عن غيره من خمر الدنيا ختم الآية الكريمة بعده بقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[2].

ومعني الآية كما بينه المفسرون ، إذ قالوا[3] : أي فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عز وجل . أو فليتنازع المتنازعون . أو فليستبق المستبقون . أو فليعمل العاملون .

والمعني المستفاد من أقوالهم : أن هذا النوع من الخمر في الجنة ، وذلك التنعيم التام في شربه يستحق المنافسة عليه والرغبة فيه ... فهو مختلف عن خمر الدنيا التي حرّمها الله ، وله فضل تميز عن الأنواع الأخري من خمر الجنة . إذ التنافس أصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس[4] . وقد أشار الفخر الرازي إلى تميز هذا النوع من خمر الجنة المستفادة من الآية الكريمة بقوله: « واعلم أن مبالغة الله – تعالى – في الترغيب فيه تدل على علو شأنه ، وفيه إشارة إلى أن التنافس يجب أن يكون في مثل ذلك النعيم العظيم ، لا في النعيم الذي هو مكدر سريع الفناء »[5] .

ونظم الآية الكريمة بتقديم الظرف على متعلقه . والمجرور اسم الإشارة الدال على البعد ... يدل على تميز هذا النوع من خمر الجنة ، وعلو شأنه عن غيره من أنواع خمر الجنة ، وذلك أن تقديم الظرف على متعلقه يدل على حصر التنافس في هذا النوع من الخمر خاصة وليس في غيره ... ثم أن المجرور اسم الإشارة الدال على البعد يومىء إلى رفعة هذا النوع من الخمر ، وزيادة فضله ، وعلو شأنه عن غيره ... وقد

(١) في ظلال القرآن ج٦ ص٣٨٥٩ .
(٢) سورة المطففين من الآية : ٢٦ .
(٣) انظر : تفسير البغوي ج٤ ص٤٦١ . الكشاف ج٤ ص١٩٧ . التفسير الكبير ج٣١ ص١٠٠ . تفسير أبي السعود ج٩ ص١٢٨ .روح المعاني ج٣٠ ص٧٦ .
(٤) انظر تفسير البغوي ج٤ ص٤٦١ .
(٥) التفسير الكبير ج٣١ ص١٠٠ .

أشار أبو السعود إلى هذا المعني المستفاد من سياق الآية الكريمة ، إذ قال : « ( وفي ذلك ) إشارة إلى الرحيق وهو الأنسب لما بعده أو إلى ما ذكره من أحوالهم . وما فيه من معني البعد إما للإشعار بعلو مرتبته وبعد منزلته أو لكونه في الجنة أي في ذلك خاصة دون غيره »[1].

كما بين الشهاب مزية تقديم الظرف في إفادة الحصر إذ قال : « ( قوله وفي ذلك ) متعلق بقوله فليتنافس وقدم للحصر أي فيه لا في خمور الدنيا »[2].

والصفة الأخري لهذا النوع من خمر الجنة تبدو في قوله تعالى :

﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾[3].

فهذا النوع من الخمر المسمي الرحيق يمزج من عين في الجنة تسمي تسنيما . والتسنيم كما بيّن معناه المفسرون[4] هو : أرفع شراب في الجنة ، أو يمزج بماء ينزل من تسنيم أي من علو . أو تأتيهم من علو تتنسم عليهم من الغرف . أو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه . أو هو شراب اسمه تسنيم وهو أشرف الشراب . أو من تشريف . أو أنه أمر أخفاه الله ـ تعالى ـ لأهل الجنة فلا يعرف له اشتقاق وهو اسم معرفة .

وهذه المعاني كلها متقاربة تبين : أن لفظة ( تسنيم ) علم على عين ماء أو شراب في الجنة سميت تسنميًا ، مصدر سنمه بمعني رفعه ، إما لأنها أشرف وأرفع شراب في الجنة ، وإما لأنها تأتيهم من علو وتتسنم إلى غرف الجنة ومنازلها . وقد روي أنها

---

(١) تفسير أبي السعود ج٩ ص١٢٨ .

(٢) حاشية الشهاب ج٨ ص٣٣٨ .

(٣) سورة المطففين الآيتان : ٢٧ ـ ٢٨ .

(٤) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٢٤٨ . مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٨٩ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٥٢٠ . جامع البيان ، للطبري ، م١٥ ج٣٠ ص١٠٨ ـ ١٠٩ . معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، ج٥ ص٣٠١ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٦١ . الكشاف ، ج٤ ص١٩٧ . التفسير الكبير ج٣١ ص١٠٠ . البحر المحيط ج٨ ص٤٤٢ . تفسير أبي السعود ج٩ ص١٢٩ . روح المعاني ج٣٠ ص٧٦ .

تجري في الهواء متسنمة فتنصب في أوانيهم[1].

ولا مانع من كونها سميت تسنيماً لأنها أشرف شراب في الجنة ، ولكنها تنحدر من علو وتتسنم إلى منازل الجنة وغرفها ... إذ في هذا متعة روحية لأهل الجنة وهم يشاهدون مثل هذا المنظر العجيب ، ومتعة حسية بتذوقهم هذا النوع من الخمر الذي يمزج لهم بأشرف شراب في الجنة ... وهذا حسب تصور أهل الدنيا ... ولذا فإن التفسير الراجح لمعني قوله : ( من تسنيم ) هو ما روي عن « ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله ( من تسنيم ) قال : هذا مما قال الله تعالى :

﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[2][3].

ويبين الله ـ سبحانه ـ شرف وعلو شأن هذا النوع من خمر الجنة بعد وصفه بما وصفه من صفات سبقت ... أنه متميز أيضاً بمزية أخري هي أنه يمزج بعين التسنيم، وهي خاصة بالمقربين من أهل الجنة . وذلك قوله تعالى :

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾[4].

فعين التسنيم شراب المقرّبين من أهل الجنة خاصة ، والرحيق المختوم يمزج بها . يقول الطبري : « فتأويل الكلام : ومزاج الرحيق من عين تسنّم عليهم من فوقهم ، فتنصب عليهم ( يشرب بها المقربون ) من الله صرفاً ، وتمزج لأهل الجنة »[5].

ويصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ الخمر في الجنة وصفاً آخر في قوله عز وجل : ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ [6] . والكأس هو الإناء الممتلىء شراباً . والشراب هو الخمر كما وضح من الآيات السابقة في وصف الخمر ، وقد وصف الله ـ عز وجل ـ الكأس في

---

(١) انظر الكشاف ج٤ ص١٩٧ .
(٢) سورة السجدة ، آية : ١٧ .
(٣) تفسير البغوي ج٤ ص٤٦١ .
(٤) سورة المطففين ، آية : ٢٨ .
(٥) جامع البيان م١٥ ج٣٠ ص١٠٩ .
(٦) سورة النبأ ، آية : ٣٤ .

الآية الكريمة هذه بقوله تعالى : ( دهاقًا ) ، ومعناه كما بينه المفسرون[1] ، أي مترعة ملأى . أو صافية . أو متتابعة . أو ملأى متتابعة أو مفعمة .

والتفسير الراجح أنها ملأى متتابعة ، وذلك أن معنى الدهق : شدة الضغط ، ومتابعة الشدّ أيضاً[2] . وقد أخرج الطبري « عن ابن عباس في قوله تعالى : ( وكأسًا دهاقًا ) قال : الملأى المتتابعة »[3] .

وصفة كأس الخمر في الجنة بهذه الصفة فيها إيحاء بالنعيم التام الذي يعيش في ظله أهل الجنة ، فهم يشربون الخمر من كأس مترعة مملوءة تروي نفوسهم التي حرمت من تذوق الخمر في الدنيا امتثالا لأمر الله سبحانه . وهي مع ذلك متتابعة الورود عليهم لا ينقطع وجودها من بين أيديهم أبدًا . أي كلما فرغت كأسهم ملئت من جديد ... وفي هذا اللون من النعيم متعة حسية ، تكون في التمتع بطعم الخمر في الجنة . ومتعة روحية تكون في دوام واستمرار هذه المتعة الحسية . إذ لا يشعرون بالخوف من انقطاع متعتهم بتذوق هذه الخمر .

## الماء في الجنة :

بينت الآيات الكريمة التي تصف الجنة ما فيها من أنهار وعيون ... بحيث يكون وجود الماء في الجنة له متعة جمالية ، تعكس ما في الجنة من منظر بديع فيه الظل والبرودة والراحة والمتعة بالنظر إلى الماء يجري في الأرض . مكونًا أنهارًا وجداول تتحرك في كل اتجاه ، ويعطي صوت خريرها نغمًا عذبًا ترتاح له النفس ، وتتمتع به

---

(١) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٨٣ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٥١٠ . جامع البيان ، للطبري م١٥ ج٣٠ ص١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص٢٧٥ . معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ص١٧٥ . الكشاف ج٤ ص١٧٩ . التفسير الكبير ج٣١ ص٢٠ . تفسيرالنسفي ج٣ ص٤٦٢ . البحر المحيط ج٨ ص٤١٥ . بصائر ذوي التمييز ج٢ ص٦١٢ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٩٢ . حاشية الشهاب ، ج٨ ص٣٠٩ . روح المعاني ج٣٠ ص١٨ . تفسير المراغي م١٠ ج٣٠ ص١٥ .

(٢) انظر : لسان العرب ، ج١٠ ص١٠٦ مادة دهق .

(٣) جامع البيان م١٥ ج٣٠ ص٢٠ .

الأسماع ... كما يكون للماء متعة حسية وذلك بالشرب منه ... والتمتع ببرودته وطعمه العذب ... ولذلك ورد ذكر الماء كثيراً في الآيات التي وصفت الجنة ... بل إن ذكر الجنة مقترن دائمًا بذكر ما فيها من أنهار وعيون من الماء ، أو من أنواع الشراب .

فمن الآيات ما يبيّن أن في الجنة أنهاراً تجري من تحت مساكنها وأهليتها ... ومنها آيات تبين أن في الجنة أنهاراً تجري باللبن أو الخمر أو العسل أو الماء ... ومنها آيات تبيّن أن في الجنة عيوناً تسير في كل اتجاه بالخمر أو بالماء أو بالشراب الطهور وهكذا ...

فمن الآيات التي تصف الأنهار في الجنة قوله تعالى :

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾[1] .

فالآية الكريمة تصف مكان المؤمنين عند الله وهو جنات إقامة تجري الأنهار من تحت مساكنها ... وذلك لبيان المتعة الفائقة التي أعدت للمتقين ... إذ أجمل الأماكن الخصبة الملتفة الأشجار والتي تجري فيها مياه الأنهار أو العيون . وقد بين المفسرون المراد بقوله سبحانه : ( تجري فيها مياه الأنهار أو العيون . وقد بين المفسرون المراد بقوله سبحانه : ( تجري من تحتها الأنهار ) إذ قالوا[2] : أي ماء الأنهار ، أو تجري من تحتهم وهم في الغرفات أمنون .

والمعني المستفاد من أقوالهم هو أن الأنهار من الماء أو غيره من المشروبات تجري من تحت مساكنهم في الغرفات والقصور والخيم لتشيع البهجة والمتعة والراحة والجو اللطيف بين أهل الجنة ... كما أن الجنة بجريان الأنهار فيها في كل اتجاه تسهل الري والتمتع بأنواع الشراب لأهل الجنة ... فجريان الأنهار في الجنة فيه متعة روحية جمالية ، ومتعة حسية ... وقد بين الأستاذ سيد قطب مغزي هذه الصفة للجنة إذ قال:

---

(١) سورة الكهف ، من الآية : ٣١ . انظر المبحث الخاص بهذه الصفة للجنة ص٨٩ .

(٢) انظر : معاني القرآن ، للنحاس ج٤ ص٢٣٦ . التفسير الكبير ج٢١ ص١٢٢ . روح المعاني ج١٥ ص٢٧٠ . في ظلال القرآن ج٤ ص٢٢٦٩ .

« تجري من تحتهم الأنهار بالري وبهجة المنظر واعتدال النسيم »[1].

ومن الآيات التي تصف العيون من الماء أو أنواع المشروبات الأخرى ، قوله عز وجل : ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾[2].

فالآية الكريمة تصف عيون الجنة بالكثرة العظيمة ، وبالجريان السريع الدائم المستمر الذي لا ينقطع ... وقد بيّن المفسرون معنى الآية الكريمة إذ قالوا[3] : أي عيوناً في غاية الكثرة . أو عين شراب جارية على وجه الأرض في غير أخدود وتجري لهم كما أرادوا ، أو الينبوع المتدفق ، أو يجري ماؤها ولا ينقطع . أو عين اسم جنس أي عيون ، أو مخصوصة ذكرت تشريفاً .

والمعنى المستفاد من أقوالهم هو : أن التنكير في كلمة ( عين ) يفيد التكثير ؛ بحيث تدل الآية على عدد كثير جداً من العيون يجري ماؤها ، أو أنواع الشراب الأخرى في الجنة . في اتجاهات مختلفة من الجنة كيفما أراد أهل الجنة . وقد بيّن الشهاب مغزى وصف العين بالجريان ، إذ قال « فوصفها بالجريان يدل على المبالغة »[4].

ووصف الجنة بأن فيها عيوناً كثيرة تجري بالماء ، أو بأنواع المشروبات الأخرى يدل على ما في الجنة من نعيم حسي يبدو في تمتع أهلها بكل ما في الجنة من أنواع الشراب في سهولة ويسر دون عناء أو تكلف . كم يدل على ما فيها من نعيم روحي يبدو في تمتع أهلها بالمنظر البهيج عند رؤية هذه العيون الكثيرة ، وانتشارها في جميع اتجاهات الجنة . بالإضافة إلى سرعة تدفق هذه العيون ، واستمرار جريانها ، بحيث لا تنقطع أو تجف ، وقد أوضح الأستاذ سيد قطب إيحاء وصف الجنة بهذه الصفة ، إذ

---

(١) في ظلال القرآن ج٤ ص٢٢٦٩ .

(٢) سورة الغاشية ، آية : ١٢ .

(٣) انظر : الكشاف ج٤ ص٢٠٦ . التفسير الكبير ج٣١ ص١٥٥ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٨٣ . البحر المحيط ج٨ ص٤٦٣ . تفسير أبي السعود ج٩ ص١٥٠ . روح المعاني ج٣٠ ص١١٥ . في ظلال القرآن ، ج٦ ص٣٨٩٧ .

(٤) حاشية الشهاب ج٨ ص٣٥٣ ـ ٣٥٤ .

قال : « والعين الجارية : الينبوع المتدفق . وهو يجمع إلى الري الجمال . جمال الحركة والتدفق والجريان . والماء الجاري يجاوب الحس وبالروح التي تنتفض وتنبض . وهو متعة للنظر والنفس من هذا الجانب الخفي الذي يتسرب إلى أعماق الحس »(١).

ومن الآيات التي يصف سبحانه وتعالى فيها عيون الجنة قوله تعالى :

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ (٢).

والآية الكريمة في صفة الجنتين اللتين ذكرهما الله ـ سبحانه ـ أولاً في سورة الرحمن ... وقد اختلف المفسرون في بيان المراد بقوله تعالى : ( عينان تجريان ) إذ قالوا (٣) : عينا ماء تجريان خلالهما ، أو تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخري السلسبيل . أو إحداهما من ماء غير آسن والأخري من خمر لذة للشاربين . أو في كل جنة عين واحدة . أو عينان مثل الدنيا أضعافًا مضاعفة . أو تجريان بالزيادة والكرامة على أهل الجنة . أو تجريان في الأعالي والأسافل من جبل من مسك . أو عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله . أو تجريان حيث شاءوا في الأعالي والأسافل . أو عينان من الماء تجريان حيث شاء صاحبهما من الأعالي والأسافل من جبل من مسك .

والتفسير الراجح من أقوالهم : أنهما عينان تجريان بالماء خلال الجنتين اللتين ذكر الله تعالى صفتهما ... وذلك أن العين في اللغة : عين الماء والعين : ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض ويجرى(٤) ... وقد بيّن سبحانه وتعالى : أنهما عينان تجريان ... فالأولي أن يراد بهما المعني الظاهر في الآية . ثم إن الله ـ سبحانه ـ عند ذكر الخمر في الجنة قال :

---

(١) في ظلال القرآن ، ج٦ ص٣٨٩٧ .

(٢) سورة الرحمن ، آية : ٥٠ .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٧ ص١٤٨ .تفسيرالبغوي ، ج٤ ص٢٧٤ . الكشاف ، ج٤ ص٥٤ . التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٢٥ . تفسيرالنسفي ج٣ ص٤٥٩ . البحر المحيط ج٨ ص١٩٦ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٨٤ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٣٧ . روح المعاني ج٢٧ ص١١٧ .

(٤) انظر لسان العرب ، ج١٣ ص٣٠٣ مادة عين .

﴿ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾[1].

كما أن تحديد العينين بأن تكون إحداهما التسنيم ، والأخري السلسبيل ، لا دليل عليه ، إذ إطلاق ذكر العينين أعم ويوافق النص الظاهر للآية .

وفي صفة العينين بقوله تعالى : ( تجريان ) : إيماء بسرعة هاتين العينين ، ودوام جريهما بحيث لا تجف أو تنقطع ... وفي حركة المياه وجريانها منظراً بهيج فيه متعة الحس والنظر ... وفي هذا بيان أن أهل الجنة ينعمون بالري من هاتين العينين على الدوام بسهولة ويسر ، كما ينعمون برؤية جريانهما في مختلف الاتجاهات .

ويصف الله ـ سبحانه ـ جنتين آخريين دون الأولين في سورة الرحمن بقوله سبحانه :

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [2].

ففي الآية الكريمة صفة العينين في الجنتين الأخريين اللتين ذكرهما الله ـ سبحانه وتعالى ـ في صورة الرحمن . وهذه الصفة للعينين تبين الفرق في حركة الماء في هاتين العينين عن الأوليين ، اللتين سبق ذكرهما ... إذ وصف سبحانه الأوليين بأنهما : ( تجريان ) ، والأخريين بأنهما : ( نضاختان ) .

وقد اختلفت أقوال المفسرين في بيان معني قوله تعالى : ( نضاختان ) إذ قالوا[3] : أي فوّارتان ، أو تفران ، أو تفوران بالماء ، أو ممتلئتان لا تنقطعان ، أو نضاختان بألوان الفاكهة ، أو بالماء والفاكهة ، أو نضاختان بالخير ، أو فوّارتان بالماء لا تنقطعان، أو تنضخان بالمسك والكافور ، أو فائرتان ماؤهما متحرك إلى جهة فوق ، أو تنضخان بالمسك والعنبر على دور الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الجنة .

---

(١) سورة محمد ، من الآية : ١٥ .

(٢) سورة الرحمن ، آية ٦٦ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، ج٢ ص٢٤٥ . تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٣ . جامع البيان ، م١٣ ج٢٧ ص١٥٦ ـ ١٥٧ . تفسير البغوي ، ج٤ ص٢٧٦ . الكشاف ج٤ ص٥٤ . التفسير الكبير ج٢٩ ص١٣٤ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦١ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٣٩ . روح المعاني ج٢٧ ص١٢٢ .

والتفسير الراجح من أقوالهم : أنهما تفوران بالماء في جيشان من جهة السفل إلى العلو ، ولا تنقطعان ... وذلك أن معني النضخ في اللغة : « شدّة فوران الماء في جيشانه وانفجاره من ينبوعه . قال أبو علي : ما كان من سفل إلى علو فهو نضخ»[1] .

والذي يلحظ في الآيتين ، أن أولاهما وصفت العينين بقوله تعالى : ( تجريان ) ، وأخراهما وصفت العينين بقوله تعالى : ( نضاختان ) . وقد ذهب الزمخشري إلى تفضيل الجريان على النضخ ، إذ قال : « ونضاختان دون تجريان »[2]. والذي يبدو أن التفضيل بين صفتي العينين في الآيتين غير لازم . ذلك أن لكل صفة في كل آية مزيتها البلاغية ، التي تعطي اتجاهاً خاصاً لحركة الماء في العينين ... فيكون الجريان هو : جري الماء على الأرض في غير أخدود باتجاه المؤمنين من أهل الجنة . ويكون النضخ هو فوران الماء في جيشان قوي واتجاهه من الأسفل إلى الأعلى مكوناً ما يعرف بالنافورات . وفي كل من الحركتين في اتجاه الماء جمال وسحر تتمتع برؤيته الأبصار، وتنعم به النفس وترتاح ... وقد بيّن الفخر الرازي أن التفضيل بين الوصفين في الآيتين غير لازم ، إذ قال : « أي فائرتان ماؤهما متحرك إلى جهة فوق ، وأما العينان المتقدمتان فتجريان إلى صوب المؤمنين ، فكلاهما حركتهما إلى جهة مكان أهل الإيمان .

وأما قول صاحب الكشاف : النضخ دون الجري فغير لازم ، لجواز أن يكون الجري يسيراً والنضخ قوياً كثيراً ، بل المراد أن النضخ فيه الحركة إلى جهة العلو ، والعينان في مكان المؤمنين ، فحركة الماء تكون إلى جهتهم ، فالعينان الأوليان في مكانهم فتكون حركة مائهما إلى صوب المؤمنين جرياً »[3] .

ومن الآيات التي يصف فيها الله ـ عز وجل ـ ماء الجنة قوله تعالى : ﴿ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾[4]... فالآية الكريمة وصف لحركة الماء في الجنة ، وكيفية تمتع

---

(١) لسان العرب ، ج٣ ص٦١ ، مادة نضخ .
(٢) الكشاف ج٤ ص٥٤ .
(٣) التفسير الكبير ج٢٩ ص١٣٤ .
(٤) سورة الواقعة ، آية : ٣١ .

أهل الجنة بشربه وتناوله . وقد بيّن المفسرون [١] معني : ( مسكوب ) إذ قالوا : أي جارٍ غير منقطع . أو مصبوب سائل . أو أنهم لا يتعبون فيه ينسكب لهم كيف يحبون . أو يجري دائمًا في غير أخدود لا ينقطع . أو مصبوب على الأرض في غير أخدود . أو جارٍ بل حدّ ولا خد على الأرض في غير أخدود . أو أنه مصبوب بين أيديهم كما يريدون لا ينالهم تعب أو كلف في سقياه . أو أنه يجري دائماً لا ينقطع .

والتفسير الراجح : أنه يجري علي وجه الأرض في غيرِ أخدود فلا ينقطع أبداً . وذلك أن اللغويين قالوا : « ماء سَكْب ، وساَكب ، وسَكُوب ، وسيْكَب ، أو أسكوب : منْسَكِبٌ ، أو مسْكُوب يجري على وجه الأرض من غير حفرٍ » [٢] .

وهذا المعني لا يمنع أن يناله أهل الجنة في سقياهم من غير كلفة أو تعب ... إذ هو يجري في اتجاهات مختلفة ، غير محدودة بأخدود . فهو جارٍ بين أهل الجنة يرتوون منه كيف شاءوا ، ومتي أحبوا ...

وفي وصف الجنة بهذه الصفة تقريب لما أعدّ الله لأهلها من نعيم مقيم ، يعيشون في ظله مرتوين من الماء أو من الأنواع الأخري من الشراب في أحسن حال ، وأيسر طريقة ، وأروع منظر ... وقد أوضح الشهاب [٣] دلالة وصف الجنة بهذه الصفة ، إذ قال : « قوله ( إشعار بالتفاوت بين الحالين ) : أي حال السابقين ، وأصحاب الميمنة، كالتفاوت بين أهل المدن والبوادي لمشابهة أحوالهم لأحوالهم .

فإن نعيم الأولين أبلغ وأعظم كما نشاهده . وحال أهل المدن كونهم على سرر

---

(١) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١٢٥ . مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، ج٢ ص٢٥٠ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٤٨ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١١٢ . إعراب القرآن، للنحاس ، ج٤ ص٣٣١ . معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص٢٤٢ . تفسير البغوي ، ج٤ ص٢٨٢ . الكشاف ج٤ ص٥٨ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٥ . البحر المحيط ج٨ ص٢٠٧ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩٣ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٤ . تفسير المراغي م٩ ج٢٧ ص١٣٨ .

(٢) لسان العرب ، ج١ ص٤٦٩ . مادة سكب .

(٣) حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٤ .

تطوف خدامهم عليهم بأنواع الملاذ كما مر . وحال البوادي إذا تنعموا نزولهم أماكن مخصبة فيها مياه وأشجار » .

وهذا التعليل ـ وإن كان مقبولاً ـ فإن وصف الجنة بهذه الصفة تقريب لحالها للبشر جميعاً ، لأهل البوادي وأهل المدن على السواء ، إذ أن أهل المدن وأهل البوادي يعجبون وينعمون بالمكان الخصب الذي تكتنفه الأشجار ويجري فيه الماء ... فهو منظر يبعث الراحة والسكينة في النفس على العموم ، ولا فرق في هذه الحال بين أهل المدن وأهل البوادي . كما أن الجنة فيها نشأة أخري تزول فيها فوارق البيئة والأجناس المعروفة في الدنيا ، فالمتاع واحد .

# آنية الطعام والشراب في الجنة

لما كان تقديم الطعام الشراب في آنية جميلة جذابة مبعثًا للمتعة والراحة النفسية، وداعيًا للإقبال على ما يقدم من طعام وشراب ... لما كان هذا الحال معروفًا من أهل الحياة الدنيا ... فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وصف آنية الطعام والشراب في الجنة ... فبيّن أنها من الذهب والفضة، وبيّن أنواعها فذكر الصحاف والأباريق والقوارير، والكؤوس . والذي يلحظ على الآيات التي تذكر آنية الطعام والشراب التركيز على آنية الشراب، وبيان أنواعها وذكر أسمائها وذلك أن ذكر الشراب والخمر خاصة تكرر ذكره في آيات كثيرة .

وقد ورد ذكر آنية الطعام والشراب في الجنة في سياقات مختلفة، فأحيانًا تذكر آنية من الذهب والفضة، وأحيانًا أخري تذكر صحاف الذهب والأكواب . وفي آية أخري وردت الأكواب والأباريق والكؤوس . وفي آيات أخري يذكر الكأس من الشراب ... وهكذا . وأكثر ما ورد من آنية الشراب الكأس ...

فمن الآيات التي وصفت آنية الطعام والشراب قوله تعالى :

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ (1) .

فالآية الكريمة ذكرت الآنية من الفضة ... والآنية جمع إناء، وهو كما بيّن المفسرون (2): وعاء الماء، أو ما يوضع فيه الشيء .

والتفسير الراجح أنه ما يوضع فيه الشيء ... ليكون شاملاً لآنية الطعام والشراب ... وهو في الآية الكريمة خاص بآنية الطعام . كما يدل عليه سياق الآية الكريمة بعطف الأكواب على الآنية . والعطف يقتضي المغايرة ... ولا يتناسب مع بلاغة القرآن أن تعطف آنية الشراب على آنية شراب أيضًا بأن يعطف الشيء على نفسه ... إنما

---

(1) سورة الإنسان، الآيتان : ١٥ ـ ١٦ .

(2) انظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب ص٢٨ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٢٩ . البحر المحيط ج٨ ص٣٩٧ . روح المعاني ج٢٩ ص١٥٩ .

الأنسب أن تكون الآنية خاصة بالطعام والأكواب بالشراب ... فتكون الآية دالة على أن آنية الطعام ، وآنية الشراب في الجنة من الفضة ...

والأكواب بيّن المفسرون [(١)] معناها إذ قالوا : كيزان لا عُري لها واحدها كوب . أو الكوب قدح لا عُروة له وجمعه أكواب . أو إبريق لا عُروة له . أو الكوز العظيم الذي لا أذن له ولا عروة .

والمعني المستفاد من أقوال المفسرين هو : أن الأكواب هي الأقداح أو الكيزان العظيمة التي لا عُري لها والتي يُحمَل فيها الشراب ليصب في الكؤوس الصغيرة للتقديم ... وقد بيّن الفخر الرازى[(٢)] أن الأكواب يصبُّ منها الشراب إذ قال : « ما الفرق بين الآنية والأكواب ؟ ( الجواب ) قال أهل اللغة : الأكواب : الكيزان التي لا عُري لها فيحتمل أن يكون على معني أن الإناء يقع فيه الشرب كالقدح ، والكوب ما صبَّ منه في الإناء كالإبريق » كما أن سياق الآية الكريمة يدل على اختيار هذا المعنى؛ إذ وصف الله سبحانه وتعالى الأكواب بقوله :

﴿ ... وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ [(٣)] .

فالأكواب وصفت بأنها قوارير . والقارورُ في اللغة : ما قرّ فيه الشراب وغيره ... ولا يكون إلا من الزجاج خاصة[(٤)] . وعلى هذا المعني تكون الأكواب التي في الآية الكريمة على شكل القوارير ، وتعمل عملها أي يُحفظ فيها الشراب ، ويصبُّ منها في الآنية . ولكن القوارير في الآية الكريمة خلقت من الفضة وليس من الزجاج كما هو معروف في الحياة الدنيا ... وذلك إحتراز عن وصفها بما هو مألوف عند أهل الأرض ... فالأكواب التي يشرب منها الشراب في الجنة تجمع بين صفتي الزجاج والفضة ، ومعني هذا : أن فيها صفاء الزجاج وشفافيته وبياض الفضة وحسنه

---

(١) انظر : تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٥٠٣ . معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص٤٦٠ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٢٩ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٧٤ . روح المعاني ج٢٩ ص١٥٩ .

(٢) التفسير الكبير ج٣٠ ص٢٤٩ .

(٣) سورة الإنسان ، الآيتان : ١٥ ، ١٦ .

(٤) انظر لسان العرب ، لابن منظور ج٥ ص٨٧ مادة قرر .

ولينه[1] . وفي خلقة عجيبة لم يألفها أهل الجنة في حياتهم الدنيا ... ولكنها ليست غريبة على قدرة الله الذي يقول للشيء كن فيكون . وقد بيّن الزمخشري أن سياق الآية الكريمة يدل على فخامة هذه الخلقة العجيبة للأكواب ، إذ قال : « ( فإن قلت) ما معني ( كانت ) (قلت ) هو من يكون في قوله كن فيكون أي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيمًا لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين»[2] .

وقد وصف الله ــ عز وجل ــ هذه الأكواب التي على شكل قوارير من فضة بقوله سبحانه : ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾ [3] ومعني ( قدورها ) كما بينه المفسرون[4] : أي قدروا الكأس على رِي أحدهم لا فضل فيه ولا عجز عن ريه . أو جعلت بكون الإناء على قدر ما يحتاجون إليه . أو جعلت لهم على إرادتهم . أو قدرها لهم السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم . أو أنهم قدروها في أنفسهم على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا . أو قدروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها . أو جعلوا قادرين لها كما شاءوا من قدّر منقولا من قدرت الشيء . أو أن تلك الأواني تكون بمقدار ملء الكف لم تعظم فيثقل حملها .

والمعني المستفاد من أقوالهم هو : أن ضمير الرفع في قوله ( قدروها ) عائد على الملائكة ، أو على الطائفين بالآنية والأكواب ، أو على الذين يطاف عليهم من أهل الجنة ...

---

(1) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٢١٧ . معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، ج٥ ص٢٦٠ . تفسير البغوي جـ٤ ص٤٢٩ . تفسير الكشاف ج٤ ص١٧٠ . التفسير الكبير ج٣٠ ص٢٤٩ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٣٩ . البحر المحيط ج٨ ص٣٩٧ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٧٤ . حاشية الشهاب ج٨ ص٢٩٠ . روح المعاني ج٢٩ ص١٥٩ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٧٨٢ .

(2) الكشاف ج٤ ص١٧٠ .

(3) سورة الإنسان ، من الآية : ١٦ .

(4) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٢١٧ . معاني القرآن ، للزجاج ، ج٥ ص٢٦٠ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٢٩ . الكشاف ج٤ ص١٧٠ . التفسير الكبير ج٣٠ ص٢٥٠ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٣٠ . البحر المحيط ج٨ ص٣٩٧ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٧٤ . حاشية الشهاب ج٨ ص٢٩٠ . روح المعاني ج٢٩ ص١٥٩ ـ ١٦٠ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٧٨٢ .

والتفسير الراجح هو أن الضمير عائد على الذين يطاف عليهم من أهل الجنة ... ذلك أنهم أقرب مذكور في قوله تعالى : ( يطاف عليهم ) . كما أنه أهنأ لهم وألذ ، أن يكون ما يقدم لهم من شراب يكون وفق رغبتهم وعلى ما تمنوا ... إذ المعني يكون : يطاف عليهم بآنية من شراب يأتيهم حسب شهوتهم وعلى مقدار حاجتهم لا يزيد عن حاجتهم ولا يقل . وقد اختار الزمخشري هذا التفسير ، إذ قال : « ومعني تقديرهم لها أنهم قدروها في أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا » [1] . كما أن سياق الآية من أولها دليل على اختيار هذا التفسير ... ذلك أن الآيات تتحدث عن ألوان النعيم والمتاع الذي أعده الله لأهل الجنة ... فإن كان الشراب المقدم لهم حسب شهوتهم ، وموافقاً تماماً لحاجتهم ، فإن هذا من تمام المتعة لهم ، ومن زيادة التكريم والحفاوة بهم .

ويلحظ أن الآية جاءت على البناء للمفعول في قوله تعالى : ( ويطاف عليهم بآنية من فضة ... ) ثم ورد الفعل نفسه بالبناء للمعلوم في قوله تعالى : ( ويطوف عليهم ولدان ... ) . والفرق في بناء الفعلين مع دلالتهما على الطواف تابع لسياق كل آية والمعني المراد في كل منهما ... ففي الآية الأولي كان القصد بيان ما يطاف به من الآنية ، أي كان القصد بيان المفعول ... ولذا بني الفعل للمفعول لعدم الحاجة إلى معرفة الفاعل ... أما الآية الثانية فإن المراد بيان الفاعل ، فكانت الحاجة إلى ذكر الفاعل ... ولذا بني الفعل للمعلوم لبيان الفاعل ... وقد بيّن الخطيب الإسكافي الفرق في دلالة الفعلين ، إذ قال : « إن القصد في الأولي إلى وصف ما يطاف به من الأواني دون وصف الطائفين ، فلما كان المعتمد بالإفادة ذاك ، بني الفعل مقصوداً به ذكر المفعول لا الفاعل ، فقال الله تعالى : ( بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراً ، قوارير من فضة ) . أي آلات من فضة صفاؤها كصفاء القوارير لا تمنع أن يري ما وراءها ، وقد قدرت على صفة فجاءت على ما قدرت وفقًا لمنية المتمني ... وقيل قدرت تقدير ما يسع الري ، وقيل : قدرت على ما يريد الشاربَ أن يكون عليه لا زيادة ولا نقصان ، ثم قال تعالى : ( ويسقون فيها ) فوصف بعد الإناء الذي لم تسبق العين

(١) الكشاف ج٤ ص١٧٠ .

إليه ما يحويه من مشروب وطيبه ، فلذلك لم يسم فاعله ( ويطاف ) ، ولأنه جاء بعد قوله : ( وذللت قطوفها تذليلاً ) . وأما الموضع الثاني الذي سمي فيه الفاعل وهو قوله: ( ويطوف عليهم ولدان مخلدون ) فإن القصد فيه إلى وصف الفاعلين الذين يطوفون بهذه الآنية فوجب ذكرهم لتعلق الصفة بهم »[1].

ويصف الله سبحانه وتعالى آنية الجنة في قوله تعالى :

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ... ﴾[2].

فالآية تذكر الصحاف والأكواب ... والصحاف كما بيّن المفسرون[3]: جمع صفحة وهي القصعة الواسعة . أو إشارة إلى المطعوم . أو هي كالقصعة . أو آنية الأكل .

هذه الأقوال تبيّن أن الصحاف : هي آنية الطعام في الجنة وهي التي تشبه القصعة وليست هي القصعة ، ذلك أن الصفحة في اللغة هي : كالقصعة ، وهي تشبع الخمسة ونحوهم[4] ... أما القصعة فهي التي : تشبع العشرة[5] .

أما الأكواب فقد بيّن المفسرون[6] المراد بها ، وتفسيرها قد سبق بيانه في الآية السابقة[7]. ولكن الأكواب في هذه الآية الكريمة من الذهب بينما كانت في الآية السابقة من الفضة ... وفي هذا إشارة إلى ما أعده الله من متاع ونعيم لأهل الجنة ، إذ

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ص٥١٠ ـ ٥١١ .

(٢) سورة الزخرف ، من الآية : ٧١ .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٥ ص٩٦ . تفسير البغوي ج٤ ص١٤٥ . تفسير النسفي ج٤ ص٣٢٠ . تفسير أبي السعود ج٨ ص٥٤ . حاشية الشهاب ج٧ ص٤٥٠ . روح المعاني ج٢٥ ص٩٨ .

(٤) انظر لسان العرب ، لابن منظور ج٩ ص١٨٧ مادة صحف .

(٥) المصدر السابق ج٨ ص٢٧٤ مادة قصع .

(٦) انظر : جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٥ ص٩٦ ـ ٩٧ . تفسير البغوي ج٤ ص١٤٥ . الكشاف ج٣ ص٤٢٥ . التفسير الكبير ، ج٢٧ ص٢٢٥ . تفسير النسفي ج٣ ص٣٢١ . تفسير أبي السعود ج٨ ص٥٤ . حاشية الشهاب ج٧ ص٤٥٠ . روح المعاني ج٢٥ ص٩٨ .

(٧) انظر ص ٢٦٨ فيما سبق .

يسقون الشراب في آنية الذهب والفضة ... وهو ما حُرِّم عليهم في حياتهم الدنيا ... فمن التزم بطاعة الله واجتنب ما نهي الله عنه في الحياة الدنيا كان هذا نعيمه في الآخرة . وقد بيّن الفخر الرازي إمكانية الجمع بيّن الذهب والفضة في آنية الجنة ، إذ قال : « وإذا دلت هذه الآية على أن إناء شربهم يكون من الذهب ، فكيف ذكر ههنا أنه من الفضة ؟ ( والجواب ) أنه لا منافاة بين الأمرين فتارة يسقون بهذا وتارة بذاك[1] .

ويلحظ في الآية أنها جمعت بين ذكر آنية الطعام وهي الصحاف وآنية الشراب وهي الأكواب ... وفي هذا إشارة إلى ما يقدم في الجنة من الطعام والشراب ... وقد جاءت الصحاف جمع كثرة والأكواب جمع قلة ... وفي هذا السياق إيماء إلى كثرة آنية الطعام في الجنة بالنسبة لآنية الشراب فيها . وقد بيّن الشهاب السر البلاغي لهذا التعبير ، إذ قال : « ولما كانت أواني المأكول أكثر بالنسبة لأواني المشروب عادة جمع الأول جمع كثرة والثاني جمع قلة »[2] .

ويصف الله ـ عز وجل ـ آنية الشراب في الجنة في آية أخري كما في قول تعالى:

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾[3] .

فيرد في الآية الكريمة ذكر الأكواب والأباريق والكأس ... وهي أوان خاصة بالشراب ... فالأكواب كما بيّن المفسرون[4]، جمع كوب وهو ما لا أذن له ولا عروة

---

(١) التفسير الكبير ج٣٠ ص٢٤٩ .

(٢) حاشية الشهاب ج٧ ص٤٥٠ .

(٣) سورة الواقعة ، الآيتان : ١٧ ـ ١٨ .

(٤) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١٢٣ . مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٤٩ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٤٧ . جامع البيان للطبري م١٣ ج٢٧ ص١٧٤ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ص١١٠ . معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص٤٦٠ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٨١ . الكشاف ج٤ ص٥٧ . التفسير الكبير ج٢٩ ص١٥٠ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٤ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩١ . تفسير المراغي م٩ ج٢٧ ص١٣٥ .

وهو من الأباريق ما اتسع رأسه وليس له خرطوم والأباريق هي التي لها خراطيم وعري ...

والمعني المستفاد من أقوالهم هو : أن الأكواب والأباريق أوان كبيرة نوعًا ما ، يحمل فيها الشاب ليصب منها في الكؤوس الأصغر منها والفرق بين الأكواب والأباريق هو في وجود العري والخراطيم أو عدم وجودها ....

أما الكأس فإن المفسرين بينوا المراد به في الآية بقولهم : إنه الإناء فيه الشراب ، فإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس . أو الخمر ، لأن كل كأس في القرآن هي الخمر(١) .

والذي يلحظ في سياق الآية الكريمة أن الأكواب والأباريق جاءت بلفظ الجمع مع عدم ذكر ما فيها من الشراب ... أما الكأس فوردت بلفظ الإفراد مع بيان ما فيها من الشراب ... ولهذا السياق دلالة بلاغية ... تدل على كثرة الأواني المعدة لتقديم الشراب ... وإفراد كل واحد من أهل الجنة بكأس واحدة يشرب منها الخمر المقدم له ...

وقد وضح الفخر الرازي دلالة السياق الذي وردت عليه الآية الكريمة إذ قال : « ما الفرق بين الأكواب والأباريق والكأس ، حيث ذكر الأكواب والأباريق بلفظ الجميع ، والكأس بلفظ الواحد ، ولم يقل وكئوس ؟ نقول : هذا على عادة العرب في الشرب يكون عندهم أوانٍ كثيرة فيها الخمر معدة موضوعة عندهم . أما الكأس فهو القدح الذي يشرب به الخمر إذا كان فيه الخمر ، ولا يشرب واحد في زمان واحد إلا من كأس واحد . وأما أواني الخمر المملوءة منها في زمان فتوجد كثيراً ... »(٢) .

كما أن ذكر الأكواب والأباريق بلفظ الجمع والكأس بلفظ الإفراد فيه مراعاة التناسق اللفظي من غير إخلال بالمعني ... إذ يكون المعني : أن الأكواب والأباريق

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٧ ص١٧٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ص١١٠ . إعراب القرآن ، للنحاس ج٤ ص٣٢٦ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٨١ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٤ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩١ . روح المعاني ج٢٧ ١٣٦٢ . تفسير المراغي م٩ ج٢٧ ص١٣٥ .

(٢) التفسير الكبير ج٢٩ ص١٥٠ .

ممتلئة شراباً يُصبُّ منه لكل واحد من أهل الجنة كأس خاص به ويذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الكأس مراداً به الخمر في آية أخري هي قوله تعالى :

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾[1].

فالكأس في الآية الكريمة هو الخمر كما بيّن المفسرون[2] ... أن كل كأس في القرآن خمر ، أو هو الخمر نفسها على سبيل المجاز من إطلاق المحل على الحال ... وهو مجاز مشهور بمنزلة الحقيقة .

وتدل الآيات الكريمة التي وصفت الخمر في الجنة على إطلاق الكأس على الخمر ... سواء بذكر ما فيها من الخمر أم بذكر صفات ما فيها من خمر ، فالآيات التي يذكر ما في الكأس من خمر مثل الآيتين السابقتين[3] ... أما الآيات التي تذكر صفات ما في الكأس من شراب ... فهي كقوله تعالى :

﴿ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ ﴾[4].

فالآية الكريمة ذكر فيها الكأس ، وصفة الشراب فيه ... وهي صفات تدل على أن الشراب الذي في الكأس إنما هو الخمر ... إذ هو الشراب الذي يُفْقِد العقل . ويتسبب في وقوع شاربه في الإثم ... أما كأس الخمر في الجنة فهي مبرأة من هذه الصفة التي تقود إلى المعاصي والآثام[5].

---

(١) سورة الصافات ، آية : ٤٥ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص١٦٩ . معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٤ ص٣٠٣ . إعراب القرآن ، للنحاس ج٣ ص٤١٩ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٧ . الكشاف ج٣ ص٣٠٠ . التفسير الكبير ج٢٦ ص١٣٧ . البحر المحيط ج٧ ص٣٥٩ . تفسير أبي السعود ج٧ ص١٩١ . حاشية الشهاب ج٧ ص٢٦٩ . روح المعاني ج٢٣ ص٨٦ ـ ٨٧ .

(٣) انظر صحيفة ٢٣٢ .

(٤) سورة الطور ، آية : ٢٣ .

(٥) انظر : تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٢٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ص٦٣ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٣٩ ـ ٢٤٠ . الكشاف ج٤ ص٣٥ . التفسير الكبير ج٢٨ ص٢٥٣ ـ ٢٥٤ . البحر المحيط ج٨ ص١٤٩ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٤٩ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٠٤ . روح المعاني ج٢٧ ص٣٤ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٣٩٧ .

وفي آية أخري يصف ـ سبحانه وتعالى ـ ما في الكأس من شراب بأنه يمزج بالكافور ، كما في قوله تعالى :

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ [١].

فالكأس في الآية الكريمة هي الخمر كما بيَّن المفسرون ، وقد وصف الله ـ سبحانه الخمر التي في الكأس بأنها تمزج بالكافور ، لبرده وطيب رائحته ... ولأن العرب كانت تستطيب الخمر إذ مزج بما يطيب رائحته[٢] ...

وفي آية أخري يبين الله ـ سبحانه ـ أن ما في الكأس من خمر يمزج بالزنجبيل كما في قوله تعالى :

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً﴾[٣] .

وقد بيَّن المفسرون أن الكأس في الآية الكريمة هي الخمر ... وقد وصفها الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الآية بأنها ممزوجة بالزنجبيل لأن العرب تستطيب طعمه ، وتحب أن تمزج به في الحياة الدنيا [٤]...

ويصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ كأس الشراب في الجنة بأنا مترعة متتابعة الحضور بين يدي أهل الجنة وذلك في قوله تعالى :

﴿ وَكَأْساً دِهَاقًا ﴾ [٥].

---

(١) سورة الإنسان ، آية : ٥ .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري ج٢٨ ص٢٠٦ ـ ٢٠٧ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ص٢٥٨ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٢٧ . الكشاف ج٤ ص١٦٨ . التفسير الكبير ج٣٠ ص٢٤١ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٧١ . حاشية الشهاب ج٨ ص٢٨٨ . روح المعاني ج٢٩ ص١٥٤ .

(٣) سورة الإنسان ، آية : ١٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٢١٧ . معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٥ ص٢٦٠ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٣٠ . التفسير الكبير ج٣٠ ص٢٥٠ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٣٠ . البحر المحيط ج٨ ص٣٩٨ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٧٤ . حاشية الشهاب ج٨ ص٢٩٠ . روح المعاني ج٢٩ ص١٦٠ .

(٥) سورة النبأ ، آية : ٣٤ .

فالكأس في الآية الكريمة هي آنية الشراب ... وقد وصفها الله ـ سبحانه ـ بأنها ممتلئة مترعة بالشراب متتابعة التجديد [1] ... أي كلما فرغت ملئت مرة أخري ... وفي هذه الصفة للكأس إيماء إلى عدم الخوف من انقطاع خمر الجنة أو نفاذها ... بل هي دئمة الوجود مقدمة لأهل الجنة ... ويصف الله سبحانه وتعالى أكواب الجنة بصفة خاصة بها في قوله ـ سبحانه ـ :

﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ [2].

والأكواب هي : الكيزان التي لا عُري لها وهي دون الأباريق [3]. وقد وصفها الله ـ عز وجل ـ في الآية الكريمة بصفة خاصة وهي قوله سبحانه : ( موضوعة ) ... ومعني قوله تعالى : ( موضوعة ) كما بينه المفسرون [4] : أي موضوعة بين أيديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون إلى أن يدعوا بها . أو موضوعة على حافات العيون ، معدة للشراب ، أو موضوعة على حدّ الكبار أوساط بين الصغر والكبر كقوله تعالى :

﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ [5].

أو موضوعة بين أيديهم لاستحسانهم إياها بسبب كونها من ذهب أو فضة أو جوهر وتلذذهم بالشراب منها .

---

(١) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٨٣ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٥١٠ . جامع البيان ، للطبري م١٥ ج٣٠ ص١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ص٢٧٥ . معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص١٧٥ . الكشاف ج٤ ص١٧٩ . التفسير الكبير ج٣١ ص٢٠ . البحر المحيط ج٨ ص٤١٥ . بصائر ذوي التمييز ، الفيروزابادي ج٢ ص٦١٢ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٩٢ . حاشية الشهاب ج٨ ص٣٠٩ . روح المعاني ج٣٠ ص١٨ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٨٠٨ .

(٢) سورة الغاشية ، آية : ١٤ .

(٣) سبق بيان معناها في ص٢٦٨ . وانظر التفسير الكبير ج٣١ ص١٥٥ .

(٤) انظر : تفسير البغوي ج٤ ص٤٧٩ . الكشاف ج٤ ص٢٠٧ . التفسير الكبير ج٣١ ص١٥٥ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٧٤ . البحر المحيط ج٨ ص٤٦٣ . تفسير أبي السعود ج٩ ص١٥٠ . روح المعاني ج٣٠ ص١١٥ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٨٩٧ .

(٥) سورة الإنسان ، من الآية : ١٦ .

والتفسير الراجح من أقوالهم : أنها موضوعة على حافات العيون معدة ومهيأة بأن تكون مملوءة بأنواع الشراب الجاري في العيون ... وذلك لأن هذه الصورة عجيبة غير مألوفة عند أهل الدنيا ... والجنة فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ... ولأن هذا التفسير يتفق مع ما سبقِ من وصف آنية الشراب ، وذلك بيان أن لكل فرد من أهل الجنة كأسًا خاصة به ليصبّ له فيها ما أراد من أنواع الشراب ...

# المبحث الرابع
# وصف الملابس والحلي في الجنة

وصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيما وصف من متاع الجنة وما فيها من أنواع اللذة والنعـيم ، متـعـة أهل الجنة في الجنة بأنواع الملابس والحلي التي هي من مستلزمات النعيم والملك الكبير .

فقد بيّن القرآن الكريم ما أعده الله ـ سبحانه وتعالى ـ لأهل الجنة من أنواع وألوان وأصناف الملابس ... فبيّن أن ملابس أهل الجنة تكون من الحرير والسندس ، والإستبرق المخضّر ...

كما بيّن أنواع الحُلي التي أُعدّت ليتزين بها أهل الجنة فذكر الأساور من الذهب والفضة واللؤلؤ وفصل بعضها وأجمَل في الأخري .

وفي وصف القرآن ملابس أهل الجنة وأنواعها وألوانها ... وبيان الحُلي التي يتحلون بها دليلٍ على أن نعيم الجنة حسي وروحي ... إذ اللباس فيه الستر والجمال والوقاية ... والحلي فيها التزيين والتكريم .. فأهل الجنة يتمتعون فيها بمتعة اللباس والستر والتزيين والتكريم .. مما يثبتُ أن ما في الجنة من أنواع المتاع لا يقتصر على الحس .. بل يجمع بين الناحيتين ليمتع الحس والروح معاً ...

وعند استعراض الآيات التي تبين ملابس أهل الجنة نجد أن منها ما يبين نوع القماش الذي تكون منه مثل الحرير ... كما في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (١).

والآية تبين أن اللباس لأهل الجنة يكون حريراً .. بمعني أن كل ما يلبسه أهل الجنة مما يسرهم ويقيهم ويتزينون به من الحرير الخالص ، وذلك أن اللباس في الللغة هو : ما يلبس (٢) ...

---

(١) سورة فاطر ، من الآية : ٣٣ .

(٢) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص٤٦٧ .

وقد بيّن المفسرون [1] المراد في الآية : بأنه جميع ما يلبسون يكون حريراً خالصاً ... وفي تحديد نوع اللباس بأنه حرير خالص دلالة على ما ينعم به أهل الجنة من المتعة واللذة ، وذلك أن الحرير كما قال الراغب : « ما رقّ من الثياب » [2] ..

ويلحظ في الآية الكريمة تغيير نسق الكلام من الفعلية إلى الإسمية .. إذ قال سبحانه وتعالى : ( يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير .. ) فبين أن الحلي والزينة فيها تكون بالأساور بالفعل المبني للمفعول ... ثم تغير الأسلوب إلى الإسمية في اللباس فقال : ( ولباسهم فيها حرير ) حيث لم يقل ويلبسون فيها حريراً .. وفي تغيير نسق الكلام دلالة على أن المقصود بيان نوع ملبوسهم وأنه من الحرير فقط .. وليس إثبات أنهم يلبسون في الجنة اللباس ..

وقد بيّن الألوسي [3] السر البلاغي في تغيير نسق الآية الكريمة بقوله : « وتغيير الأسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريراً قيل للإيذان بأن ثبوت اللباس لهم أمر محقق غني عن البيان ، إذ لا يمكن عراؤهم ، وإنما المحتاج إلى البيان أن لباسهم ماذا بخلاف الأساور واللؤلؤ فإنها من اللوازم الضرورية .. » .

ويبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ نوع اللباس لأهل الجنة في آية أخري كما في قوله سبحانه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [4].

والآية تدل على أن ملبوس أهل الجنة كله من الحرير الخالص .. وفيه دلالة على تنعم أهل الجنة بما حرمه الله على الرجال في الحياة الدنيا وهو الحرير . وقد بيّن

---

(1) انظر : جامع البيان ، للطبري م١٢ ، ج٢٢ ص١٣٨ . تفسير النسفي ج٣ ص١٢٥ . روح المعاني ج٢٢ ص١٩٩ .

(2) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١١٠ .

(3) روح المعاني ج٢٢ ص١٩٩ .

(4) سورة الحج ، آية : ٢٣ .

المفسرون [١] معنى : ( حريرٍ ) في الآية فقالوا :أي ثيابهم التي تلي بشرتهم من الإبريسم وهو الحرير الذي حرم على الرجال لبسه في الدنيا .. وقد أخبر النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن اللباس في الجنة يكون حريراً لمن حرم نفسه منه من الرجال في الدنيا وذلك ما أخرج البغوى[٢] عن أبي سعيدٍ الخدري عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه الله إياه في الآخرة ، فإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو » ...

وفي تغيير نسق الكلام بين الجملتين المعطوفتين وهما :

﴿ يُحلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [٣].

من الفعلية إلى الإسمية في الجملتين نكتة بلاغية دقيقة بينها أبو السعود ، إذ قال: « ( ولباسهم فيها حرير ) غير الأسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريراً لكن لا للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة أو لمجرد المحافظة على هيئة الفواصل ، بل للإيذان بأن ثبوت اللباس لهم أمر محقق غني عن البيان إذ لا يمكن عراؤهم عنه وإنما المحتاج إلى البيان أن لباسهم ماذا بخلاف الأساور واللؤلؤ فإنها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصوداً بالذات . ولعل هذا هو الباعث إلى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس »[٤] ..

ويبدو أن الألوسي في تعليقه على الآية السابقة قد استفاد من كلام أبي السعود هذا ! ..

ومن الآيات التي وصف فيها ـ سبحانه وتعالى ـ لباس أهل الجنة قوله تعالى :

---

(١) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٤٨ . جامع البيان ، للطبري م١٠ ، ج١٧ ص١٣٦ . تفسير البغوي ج٣ ص٢٨١ . التفسير الكبير ج٢٣ ص٢٢ . تفسير النسفي ج٢ ص٤٣٣ . تفسير أبي السعود ج٦ ص١٠٢ . في ظلال القرآن ج٤ ص٢٤١٥ .

(٢) تفسير البغوي ج٣ ص٢٨١ .

(٣) سورة الحج ، من الآية : ٢٣ .

(٤) تفسير أبي السعود ج٦ ص١٠٢ . وانظر حاشية الشهاب ج٦ ص٢٩١ . روح المعاني ج١٧ ص١٣٦ .

﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [1].

حيث بينت الآية أنهم يلبسون من السندس والإستبرق ..

وقد بيّن المفسرون [2] المراد بالسندس والاستبرق فقالوا : السندس : ما رقّ من الديباج ، والاستبرق : ما غلظ منه .. أو السندس : الحرير ، والاستبرق : الديباج الصفيق ، أو السندس : ضرب من البزيون يتخذ من المرعزي .. أو السندس : ضرب من البرود . أو السندس : أصله سندي منسوب إلى السند الذي كان يجلب منه السندس . أو استبرق فعلاً ماضياً فيكون المعنى : يلبسون من سندس قد برق لصقالته ومزيد حسنه ..

ويفهم من أقوال المفسرون أن السندس هو الحرير الرقيق الناعم والاستبرق هو الحرير الغليظ الصقيل المتميز بالبريق واللمعان ..

ولم يختلف المفسرون في أنهما أعجميان جاز وقوعهما في القرآن الكريم بعد التعريب ، لأن معنى التعريب أن يجعل اللفظ عربياً يجري على أوجه الإعراب .

ويلحظ أن سياق الآية الكريمة يقصد إلى بيان نوع اللباس لأهل الجنة .. وأنه من السندس والاستبرق حيث قال سبحانه :

﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [3]..

ولم يذكر المفعول « لباسًا » لدلالة الكلام عليه .. ولأن بيان نوع الملابس التي يلبسها أهل الجنة وأنها من نوعين من الحرير الرقيق والصقيل فيه تشويق وترغيب فيما عند الله من متاع أُعدّ لأهل الجنة ، وليس هناك داعٍ لإثبات أن الله أعد لأهل الجنة

---

(١) سورة الدخان ، آية : ٥٣ .

(٢) انظر : تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٠٣ . جامع البيان ، للطبري م١٣ ، ج٢٥ ص١٣٥ ، ١٣٦ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٤ ص٤٢٨ . الكشاف ج٣ ص٤٣٥ . التفسير الكبير ج٢٧ ص٢٥٣ . تفسير النسفي ج٣ ص٣٣٤ . تفسير أبي السعود ج٨ ص٦٦ . روح المعاني ج٢٥ ص١٣٥ . في ظلال القرآن ج٥ ص٣٢١٧ .

(٣) سورة الدخان آية : ٥٣ .

لباساً فهو أمر متحقق الوقوع ..

وقد ألمح الطبري إلى هذا المعني بقوله : « وقيل ( يلبسون من سندس وإستبرق ) ولم يقل لباساً ، استغناء بدلالة الكلام على معناه » [1] ..

ويصف الله ـ سبحانه ـ لون اللباس الذي أعده سبحان وتعالى لأهل الجنة كما في قوله عز وجل :

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ [2].

والآية تبين الحُلي التي يتحلي بها أهل الجنة ، ولون الثياب التي يلبسونها .. ويلحظ أن فعل التحلية بني للمفعول فقال سبحانه : ( يحلون ) بينما أسند فعل اللبس إلى أهل الجنة فقال عز وجل : ( ويلبسون ) ..

كما يلحظ أن التحلية قدمت على اللباس .. وفي هذا السياق للآية الكريمة سر بلاغي يوحي بالتكريم والحفاوة التي يحظي بها أهل الجنة .. فهم تحليهم الملائكة بأساور الذهب دلالة على تكريمهم والاحتفاء بهم بدلا من فعل دلك بأنفسهم .. أما اللباس فلأن الستر فيه .. فإن فعل ذلك بأنفسهم مريح لهم لستر عوراتهم ..

أما تقديم ذكر التحلية على اللباس فإن فيه إشارة إلى ما أُعد لأهل الجنة من ألوان المتع والمسرات ، إذ يقدم لهم ما فيه الزينة والحلية وهي من الكماليات مع ما هو متحقق الوجود لهم وهو اللباس الساتر لعوارتهم .. فهم يحظون بما يستر أجسامهم ، وينالون معه ما يزينهم ويزيد من متعتهم .. وقد بيّن أبو حيان السر البلاغي الكامن وراء النظم القرآني للآية الكريمة ، وذلك إذ يقول : « وقدمت التحلية على اللباس لأن الحلي في النفس أعظم وإلى القلب أحب وفي القيمة أغلي وفي العين أحلي . وبناء فعله للمفعول الذي لم يسم فاعله إشعاراً بأنهم يكرمون بذلك ولا يتعاطون ذلك

---

(1) جامع البيان م١٣ ، ج٢٥ ص١٣٦ .

(2) سورة الكهف ، من الآية : ٣١ .

بأنفسهم .. وأسند اللباس إليهم لأن الإنسان يتعاطي ذلك بنفسه خصوصًا لو كان بادي العورة » [1] ..

ويلحظ في قوله تعالى :

﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ [2].

أن الآية الكريمة جُمِعَ فيها بين السندس والإستبرق .. وهما نوعان من الحرير الرقيق الناعم ، والصقيل المتميز بالبريق واللمعان كما بين المفسرون[3] ..

وللجمع بين نوعي الحرير في الجنة دلالة على أن الجنة فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين .. فيحصل كل من اشتهي نوعًا من الحرير على ما اشتهي .. وقد أشار أبو السعود إلى دلالة الجمع هذه ، إذ قال : « جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما تشتهي الأنفس » [4] ..

وفي الآية الكريمة ذكر المفعول به ووصفه ، إذ قال سبحانه : ( ويلبسون ثيابًا خضرًا ) .. وفي ذكر المفعول به ( ثيابًا ) تحديد لنوع اللباس المعدّ لأهل الجنة وهو الثياب .. أما تحديد لونها ( خضرًا ) فإن له دلالة على ليونة الثياب وطراوتها ورقتها .. وذلك أن الأخضر هو لون الزرع المتميز بالطراوة والرقة والنداوة .. وهو مبهج للنفس داع لمسرتها يرتاح النظر عند رؤيته ..

وقد بيّن أبو حيان مزية وصف الثياب بالخضرة ، إذ قال : « ووصف الثياب

---

(١) البحر المحيط ج٦ ص١٢٢ .

(٢) سورة الكهف . من الآية : ٣١ .

(٣) انظر : تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٢٦٧ . جامع البيان للطبري م٩ ، ج١٥ ص٢٤٣ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٣ ص٢٨٣ . معاني القرآن ، لأبي جعفر النحاس ، ج٤ ص٢٣٦ . تفسير البغوي ، ج٣ ص١٦١ . الكشاف ج٢ ص٣٨٩ . التفسير الكبير ج٢١ ص١٢٢ . البحر المحيط ج٦ ص١٢٢ .حاشية الشهاب ج٦ ص٩٩ . روح المعاني ج١٥ ص٢٧١ . في ظلال القرآن ج٤ ص ٢٢٦٩ .

(٤) تفسير أبي السعود ج٥ ص٢٢٠ .

بالخضرة لأنها أحسن الألوان والنفس تنبسط لها أكثر من غيرها ، وقد روي في ذلك أثر أنها تزيد في ضوء البصر »[1] ..

ويصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ ثياب أهل الجنة بلون الاخضرار في آية أخرى ، كما في قوله تعالى :

﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾[2] ..

وقد اختلف إعراب قوله تعالى : ( عاليهم ) بحسب قراءتها فمن قرأها بسكون الياء رفع ( ثياب سندس ) على الابتداء .. حيث يصبح المعنى : ثياب سندس عليهم .. ومن قرأها بفتح الياء نصب ( عاليهم ) على الحال إما من الأبرار فيكون المعنى يطوف الولدان على أبرار عالياً عليهم ثياب سندس أي فوقهم ثياب سندس .. وإما على أنها حال من الولدان فيكون المعنى يطوف على الأبرار ولدان فوقهم ثياب سندس[3] ..

والإعراب الراجح أن قوله تعالى : ( عاليهم ) منصوب على الحال من الأبرار ؛ وذلك أن الآيات الكريمة كلها في سياق واحد هو وصف النعيم الذي أعده الله ـ سبحانه ـ للأبرار من أهل الجنة .. والآية الكريمة تصف ما أعده الله ـ عز وجل ـ من ثياب الحرير الناعم الطري ، والغليظ الصقيل البراق للمتقين الأبرار الذين يصف ـ سبحانه ـ في الآيات الكريمة في هذه السورة حالهم وما أعده لهم من الأرائك والفواكه والشراب والآنية والثياب والحلي والولدان الذين يطوفون عليهم بألوان المتع التي تريحهم وتدخل البهجة والمسرة عليهم .

وقد بيّن ـ سبحانه ـ في الآية الكريمة :

---

(١) البحر المحيط ج٦ ص١٢٢ . وانظر حاشية الشهاب ج٦ ص٩٩ . روح المعاني ج١٥ ص٢٧١ .

(٢) سورة الإنسان ، من الآية : ٢١ .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري ج٢٩ ص٢٢٢ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ص٢٦١ ـ ٢٦٢ . تفسير البغوي جـ٤ ص٤٣٠ . الكشاف ج٤ ص١٧٠ ـ ١٧١ . التفسير الكبير ج٣٠ ص٢٥٢ ـ ٢٥٣ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٣٠ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٧٤ . روح المعاني ج٢٩ ص١٦٢ .

﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾[1].

نوع القماش المعدّ لثياب أهل الجنة وهو الحرير الرقيق الناعم والسميك اللماع ، وذلك أن الحرير أحسن أنواع الأقمشة التي يعرفها أهل الدنيا فذكره سبحانه بنوعيه تقريبًا لوصفه .. كما بيّن لون الثياب المعدة من هذا الحرير وهو الأخضر ، وذلك أن النفس الإنسانية تنشرح وتسعد برؤية هذا اللون غالبًا .. وما ذلك إلا تقريب لوصف حال أهل الجنة وما أُعدَّ لهم من ألوان النعيم .. أما حقيقة هذا النعيم فإنها مما لا يدركه البشر بحواسهم الدنيوية وإدراكهم الأرضي أبدًا ..

---

(١) سورة الإنسان ، من الآية : ٢١ .

# الحلي لأهل الجنة

يبيّن الله ـ سبحانه وتعالي ـ ما يتزين به أهل الجنة من الحُلي من الأساور من الذهب والفضة واللؤلؤ .. فذكر ـ سبحانه ـ الذهب مفرداً في آية والذهب مع اللؤلؤ في آية أخري .. وذكر الفضة مفردة في آية .. وبيّن أن الحلي التي يحلّون بها هي الأساور .. فلم يذكر السلاسل والخواتم وأنواع الحُلي الأخري ..

فقد ذكر الله ـ عز وجل ـ الحلي من الذهب لأهل الجنة في قوله سبحانه :

﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ (1).

وقد بُني فعلُ التحلية للمفعولِ للإيماء إللي ما يلقاه أهل الجنة من أنواع التكريم والحفاوة ، إذ أن لبس الإنسان الحلي بنفسه لا يدل على تكريمه والعناية به . أما إن أُلبس الحلي فإن هذا دليل العناية به .. فكيف إذا كان أهل الجنة تحليهم الملائكة بأنواع الحلي بأمر الله ـ عز وجل ـ .. كما يفيده حذف الفاعل من الآية الكريمة .. وقد ذكر المفسرون(2): أن ( من ) الأولي في قوله تعالي : ( من أساور ) إبتدائية ، و(من) الثانية في قوله تعالي : ( من ذهب ) للبيان وهي ومجرورها في محل صفة لأساور ..

والسِّوار والسُّوار : سوار المرأة والجمع أَسْورَة وأَساوِرُ ، والأساور جمع الجمع .. والسوار من الحلي معروف(3) .. وفي تنكير قوله تعالي : ( أساور ) دلالة على تعظيم شأن هذه الأساور وفخامة حسنها ، بحيث لا يصل العقل لإدراك كنهها ونوع الفخامة فيها ، فهي مما لا يمكن وصفه ولا تعرف ماهيته .. أما بيان أنها من الذهب فذلك لأن وصف أساور أهل الجنة ببيان أنها من الذهب ..

---

(1) سورة الكهف ، من الآية : ٣١ .

(2) انظر : الكشاف ج٢ ص٣٨٩ . البحر المحيط ج٦ ص١٢٢ . تفسير أبي السعود ج٥ ص٢٢٠ . حاشية الشهاب ج٦ ص٩٩ . روح المعاني ج١٥ ص٢٧٠ .

(3) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٣ ص٢٨٣ . معاني القرآن الكريم ، للنحاس ج٤ ص٢٣٦ . لسان العرب ج٤ ص٣٨٧ ـ ٣٨٨ . روح المعاني ج١٥ ص٢٧٠ .

وقد بيّن الزمخشري مزية التنكير في هذه الآية ، إذ قال : « وتنكير أساور لإبهام أمرها في الحسن »[1] ..

وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ من حُلي أهل الجنة أساور الذهب وأسور اللؤلؤ كما في قوله سبحانه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[2] .

ويلحظ أن فعل التحلية في الآية الكريمة قد بُني للمفعول ليصير المعنى : أي تليهم الملائكة بأمر الله تعالى .. وفي هذا السياق للآية الكريمة وهو البناء للمفعول كما في بقية الآيات المبينة لحلي أهل الجنة إيماء إلى التكريم والعناية والاهتمام الذي أُعد لأهل الجنة .. فهم لا يلبسن الحلي بأنفسهم إنما تحليهم بها الملائكة بأمر الله ـ سبحانه ـ .. وذلك أن الحلي من أنواع الزينة التكميلية وليست من الضروريات .. فإذا كان تقديم هذه الحُلي لأهل الجنة من قبل الملائكة بأمر الله ـ عز وجل ـ فإن هذه الحُلي ليست للتزيين وإضفاء الجمال فحسب ، وإنما هي دلالة تقدير وإعزاز تكريم من الله ـ سبحانه ـ لأهل الجنة ..

وقد بيّن المفسرون[3] أن ( من ) في قوله تعالى : ( من أساور للتبعيض أو لبيان الجنس أو للابتداء .. و ( من ) في قوله سبحانه : ( من ذهب ) لابتداء الغاية : أي أنشئت من ذهب .. أو أن ( من ) الأولي زائدة ، و ( من ) الثانية بيان للأساور .

والراجح أن ( من ) الأولي : ( من أساور ) للتبعيض أي يحلون بعض أساور .. إذ فيه إشارة إلى احتمال زيادة ما يحلون به من هذه الأساور المصنوعة من الذهب ..

---

(١) الكشاف ج٢ ص٣٨٩ . وانظر البحر المحيط ج٦ ص١٢٢ . تفسير أبي السعود ج٥ ص٢٢٠ . حاشية الشهاب ج٦ ص٩٩ . روح المعاني ج١٥ ص٢٧٠ .

(٢) سورة الحج ، من الآية : ٢٣ .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري م١٠ ، ج١٧ ص١٣٦ . البحر المحيط ج٦ ص٣٦١ . تفسير أبي السعود ج٦ ص١٠٢ . حاشية الشهاب ج٦ ص٢٩٠ . روح المعاني ج١٧ ص١٣٥ ـ ١٣٦ .

و(من) الثانية ( من ذهب ) للبيان .. فهي بيان لنوع المعدن الذي صنعت منه الأساور وهو الذهب .

واختلفت القراءات[1] في قوله تعالي : ( ولؤلؤاً ) فمنهم من قرأها : ( ولؤلؤاً ) بالنصب عطفاً على محل ( من أساور ) وهي منصوبة محلاً تقديره يحلون أساوراً .. أو أن قوله تعالي : ( ولؤلؤاً ) منصوب بفعل محذوف دلّ عليه ( يحلّون ) تقديره : ويؤتون لؤلؤاً .. ومنهم من قرأها : ( ولؤلؤٍ ) بالجر عطفاً على إعراب الأساور الظاهر .. وهي مجرورة لفظاً .. وبالقراءة الثانية يكون المعني أنهم يحلون بأساور من الذهب ومن اللؤلؤ .. أو يحلون بأساور مصنوعة من الذهب واللؤلؤ معًا .. والأولي كونهم يحلون بأساور من النوعين معاً من الذهب ومن اللؤلؤ ..

وذلك أن الله ـ عز وجل ـ قد ذكر أساور الذهب مفردة في آية ، وذكر في هذه الآية الكريمة أساور الذهب واللؤلؤ .. ولا مانع من الجمع بين أساور الذهب وأساور اللؤلؤ .. بل إن الجمع بينهما أجمل وأمتع للنظر ..

وقراءة ( ولؤلؤاً ) بالنصب هي الأولي فيما يبدو من ورودها في المصحف في آيتين[2] .. كما أن إطلاق قوله تعالي : ( ولؤلؤاً ) من غير ذكر حرف الجر .. أو عطفها على المجرور لفظاً قبلها توحي بإطلاق اللؤلؤ بحيث قد يكون اللؤلؤ في الأساور أو في العقود أو في التيجان أو في الخواتم أو في غيرها من أنواع الحلي الأخري .

وقد ورد الجمع بين الذهب واللؤلؤ في حلي أهل الجنة في آية أخري هي قوله عز وجل :

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ [3] ..

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري م١٠ ، ج١٧ ص١٣٦ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٣ ص٤١٩ ـ ٤٢٠ . إعراب القرآن ، للنحاس ج٣ ص٩٢ . تفسير البغوي ج٣ ص٢٨١ . الكشاف ج٣ ص٢٩ . حاشية الشهاب ج٦ ص٢٩٠ . روح المعاني ج١٧ ص١٣٦ .

(٢) في سورة الحج ، من الآية : ٢٣ ، وسورة فاطر ، من الآية : ٣٣ .

(٣) سورة فاطر ، من الآية : ٣٣ .

وهذه الآية الكريمة مثل السابقة لها .. وقد بيّن المفسرون (١) أن معناها وما تشير إليه هو ما أشارت إليه الآية السابقة في بيان حلي أهل لاجنة .. وللفخر الرازي لمحة لطيفة في ذكر الأساور فقط من حلي أهل الجنة .. وذاك إذ يقول : « ذكر الأساور من بين سائر الحلي في كثير من المواضع منها قوله تعالي :

﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ (٢).

وذلك لأن التحلي بمعنيين « أحدهما » إظهار كون المتحلي غير مبتذل في الأشغال لأن التحلي لا يكون حالة الطبخ والغسل . « وثانيهما » إظهار الاستغناء عن الأشياء وإظهار القدرة على الأشياء . وذلك لأن التحلي إما باللآلئ والجواهر ، وإما بالذهب والفضة .. والتحلي بالجواهر واللآلئ يدل على أن المتحلي لا يعجز عن الوصول إلى الأشياء الكبيرة عند الحاجة ، حيث يعجز عن الوصول إلى الأشياء القليلة الوجود لا لحاجة ، والتحلي بالذهب والفضة يدل على أنه غير محتاج حاجة أصلية وإلا لصرف الذهب والفضة إلى دفع الحاجة ، إذ عرفت هذا فنقول : الأساور محلها الأيدي وأكثر الأعمال باليد فإنها للبطش فإذا حليت بالأساور علم الفراغ . والذهب واللؤلؤ إشارة إلى النوعين اللذين منهما الحلي »(٣).

وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ الأساور من الفضة ضمن حُلي أهل الجنة ، إذ قال سبحانه :

﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾(٤)..

وقد بيّن المفسرون(٥) أنه لا تعارض بين قوله تعالي :

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري م١٢ ، ج٢٢ ص١٣٨ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٤ ص٢٧٠ . إعراب القرآن الكريم ، للنحاس ج٣ ص٣٧٢ ـ ٣٧٣ . تفسير النسفي ج٣ ص١٢٥ . تفسير أبي السعود ج٧ ص١٥٣ . حاشية الشهاب ج٧ ص٢٢٧ . روح المعاني ج٢٢ ص١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٢) سورة الإنسان من الآية : ٢١ .

(٣) التفسير الكبير ، ج١٢ ص٢٧ .

(٤) سورة الإنسان ، من الآية : ٢١ .

(٥) انظر : الكشاف ج٤ ص١٧١ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٣١ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٧٤ . حاشية الشهاب ج٨ ص٢٩١ . روح المعاني ج٢٩ ص١٦٣ .

﴿ يُحلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾[1] ..

وقوله عز من قائل : ( وحلوا أساور من فضة ) وذلك لإمكان الجمع بين أساور الذهب والفضة واللؤلؤ . أو إمكان التعاقب بينها .. أو للتبعيض بأن يحلي بعضهم بأساور الذهب وبعضهم بأساور الفضة حسب تفاوت أعمالهم ..

والأولي هو الجمع بين الأساور الثلاثة من الذهب والفضة واللؤلؤ . وذلك لأن في الجمع متعة أعظم ومنظراً أحلي .. كما هو الحال في نساء الدنيا حين تجمع بين عدة أنواع من الحلي في المعصم الواحد لتعطي منظراً أبهي وأحلي لهذه الحلي ..

وقد وضح الفخر الرازي كيف يمكن الجمع بين أساور الذهب وأساور الفضة في حلي أهل الجنة ، إذ قال : « والجواب من ثلاثة أوجه « أحدها » أنه لا منافاة بين الأمرين فلعلهم يسورون بالجنسين إما على المعاقبة أو على الجمع كما تفعل النساء في الدنيا .. « وثانيهما » أن الطباع مختلفة فرب إنسان يكون استحسانه لبياض الفضة فوق استحسانه لصفرة الذهب فالله تعالي يعطي كل أحد ما تكون رغبته فيه أتم ، وميله إليه أشد . « وثالثها » أن هذه الأسورة من الفضة إنما تكون الولدان الذين هم الخدم وأسورة الذهب للناس »[2] ..

والجمع بين أساور الذهب والفضة واللؤلؤ يؤكده ما أخرجه النسفي عن ابن المسيِّب قوله : « لا أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة واحدة من فضة وأخري من ذهب وأخري من لؤلؤ »[3] ..

---

(١) سورة فاطر ، من الآية : ٣٣ ، وسورة الحج ، من الآية : ٢٣ .
(٢) التفسير الكبيرج٣ ص٢٥٣ ، ٢٥٤ .
(٣) تفسير النسفي ج٣ ص٦٣١ .

# المبحث الخامس
# وصف النساء والغلمان في الجنة

لما وصف الله ـ عز وجل ـ أنواع وألوان النعيم في الجنة ، ذكر كل ما فيه متعة حسية أو روحية ، وبيّن أنه مما أعد عند الله لعباده المتقين في الجنة ... ولما كانت المتعة والأنس لا تتم إلا بمتعة الزوج في مصاحبة الأليف والزوج .. ذكر الله ـ سبحانه ـ أن مما أعده في دار الخلود الزوجات الصالحات الجميلات اللاتي تأنس بهن نفوس أهل الجنة ... فبيّن أن في الجنة لكل واحد من المتقين زوجة أو زوجات على قدر كبير من جمال الخَلْق والخُلق تؤانسه وتشاركه في أنواع المتع المعدة له ، لتزيد متعته متعة أخري هي مرافقة من يحب ، ومشاطرة من ترتاح إليها نفسه .. ولأن الزوجة في الحياة الدنيا مما لا يستغني عنه في الأعم الأغلب ، فإن الآيات التي وصفت زوجات أهل الجنة كثرت وتعددت فيها الصفات التي وضحها الله ـ سبحانه ـ عن نساء أهل الجنة ، حيث بيّن أن العلاقة التي تربط بين الزوجين هي علاقة استحقاق وملكية . فالزوجة حق خاص لكل واحد من أهل الجنة ... وهي ملك له وحده لا يشاركه أحد فيه .. كما أن الزوجات في الجنة يتمتعن بصفات خُلقية وخَلْقية تميزن عن نساء الدنيا .. فهي على قدر عالٍ من الكرامة والحياء والخُلق الطيب والتودد والملاطفة لأزواجهن ... كما أنهن على أروع وأبدع صورة من الجمال ، الذي يعجب الزوج ويمتعه بكل أنواع المتع الحسية والروحية ...

وعند دراسة الآيات التي وصفت نساء الجنة نراها قسمين رئيسيين هما : الآيات التي تبين صفة الزوجة والطهر في نساء الجنة .. والآيات الدالة على صفة الجمال في الخَلْقة والخُلق التي تتميز بها النساء في الجنة ...

## أولاً ـ صفة الزوجة والطهر :

فقد بيّن الله ـ عز وجل ـ أن أهل الجنة تصحبهم زوجاتهم وتشاركهم في أنواع النعيم المعد لهم ... وذلك قوله سبحانه :

﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ (١).

فالآية تبين أن أهل الجنة هم وأزواجهم ينعمون بما أعده الله ـ سبحانه ـ فيها من أنواع المتع ... وقد اختلف المفسرون(٢) في تأويل قوله تعالي : ( شغل ) فقالوا : أي افتضاض العذاري ، أو في شغل بما هم فيه من اللذات والنعيم ... أو في شغل عن الاهتمام بأهل النار وما هم فيه من الآلام ... أو في زيارة بعضهم بعضاً ، أو في ضيافة الله عز وجل ، أو في شغل لا يوصف . كما اختلف المفسرون (٣) أيضًا في تأويل قوله تعالي : ( فاكهون ) فقالوا : فرحون ، أو معجبون بأنواع النعيم ، أو ناعمون ، أو متنعمون متلذذون ...

والتفسير الراجح لقوله تعالي : ( في شغل ) : أي متنعمون التنعم التام ليعم كل أنواع النعيم الذي يجده أهل الجنة فيها ... بحيث يشغلهم هذا النعيم عن التفكير في غيره . يدل على العمـوم التام الإبهام والتنكير والتنوين في قوله عز من قائل ( في شغلٍ ) ... وقد أشار الزمخشري إلى هذا المعني بقوله : « ( في شغلٍ ) في أي شغلٍ وفي شغلٍ لا يوصف ! وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ، ووصل إلى نيل تلك الغبطة ، وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ... »(٤).

أما قوله تعالي :

﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ (٥)...

فإنه كما بين أبو السعود(٦) : استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم

---

(١) سورة يس ، الآيتان : ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) ، (٣) انظر : جامع البيان للطبري م١٢ ج٢٣ ص١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ . معاني القرآن الكريم ، للنحاس ج٥ ص٥٠٦ ـ ٥٠٧ ـ ٥٠٨ . إعراب القرآن الكريم ، للنحاس ج٣ ص٤٠١ . تفسير البغوي ج٤ ص١٦ ، الكشاف ج٣ ص٢٨٩ ـ ٢٩٠ . البحر المحيط ج٧ ص٣٤٢ . تفسير أبي السعود ج٧ ص١٧٣ ، روح المعاني ،ج٢٣ ص٣٦ .

(٤) الكشاف ج٣ ص٢٨٩ .

(٥) سورة يس ، آية : ٥٦ .

(٦) انظر تفسير أبي السعود ج٧ ص١٧٣ .

وتكميلهما بما يزيدهم بهجة وسروراً من شريكة أزواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة ... بحيث يكون ( هم ) مبتدأ ، وأزواجهم معطوف عليه ومتكئون خبر المبتدأ ... والجار صلتان له قدمتا عليه ...

وفي العطف على المبتدأ في قول تعالي : ( هم وأزواجهم ) ، إيماء بما أعده الله ـ سبحانه وتعالي ـ من النعمة التامة لأهل الجنة بحيث تكمل نعمتهم ويتم سرورهم بأنواع المتع والمتاحة لهم بوجود زوجاتهم معهم ، حيث لا يكون هناك داعٍ إلى تنغيص هذه النعم عليهم بافتقادهم زوجاتهم . وقد أشار الفخر الرازي إلى هذا المعني بقوله : « فبيّن أنهم على أتم حال ، ثم بيّن الكمال بقوله : ( هم وأزواجهم ) وذلك لأن من يكون في لذة قد تنتغص عليه بسبب تفكره في حال من يهمه أمره فقال : (هم وأزواجهم ) أيضاً فلا يبقي لهم تعلق قلب ... »[1] .

وقد بيّن المفسرون[٥] المراد بقوله سبحانه : ( وأزواجهم ) ، فقالوا : حلائلهم ، أي أزواجهم المؤمنات اللاتي كن لهم في الدنيا ، أو أزواجهم اللاتي زوجهم الله إياهن من الحور العين ، أو الأعم من الصنفين ومن المؤمنات اللاتي متن ولم يتزوجن في الدنيا ، أو الأعم من ذلك كله من المؤمنات اللاتي تزوجن في الدنيا بأزواج ماتوا كفاراً فأدخلوا النار مخلدين فيها ، وأدخلن الجنة كامرأة فرعون ..، . أو أن يكون المراد بأزواجهم أشكالهم في الإحسان وأمثالهم في الإيمان ، أو أخلاؤهم ...

والتفسير الراجح من هذه الأقوال أنهن أزواجهم من نساء الدنيا ومن الحور العين ، كما يدل عليه تفسير الآيات التي تصف نساء أهل الجنة ...

ويلحظ في الآية الكريمة :

﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾[٣].

---

(١) التفسير الكبير ، ج٢٦ ص٩٢ .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري م١٢ ج٢٣ ص٢٠ ، تفسير البغوي ج٤ ص١٦ ، روح المعاني ج٢٣ ص٣٦ ـ ٣٧ .

(٣) سورة يس ، الآيتان : ٥٥ ـ ٥٦ .

أن الإخبار عما سيكون عليه حال أهل الجنة هم وأزواجهم عند الله سبحانه في الجنة جاء بالجملة الإسمية بدلاً من الفعلية .. وفي هذا النظم إيحاء بسرعة تحقيق هذه الحال وثبوت وقوعها فعلا ... وقد أشار أبو السعود إلى فائدة هذا النظم ، إذ قال : « والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الإسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للإيذان لغاية سرعة تحققها ووقوعها »(١).

وقد أخبر الله ـ سبحانه وتعالي ـ عن استحقاق أهل الجنة لأزواجهم ... بحيث بين أن لكل واحد من أهل الجنة أحقية الزواج فيها لما في الحياة الزوجية من أهمية لا يمكن الاستغناء عنها .. وذلك قوله تعالي :

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٢).

فالآية الكريمة بدأت بقوله تعالي : ( وبشر ) والخطاب كما بين الزمخشرى(٣) للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ . ويجوز أن يكون لكل أحد يسمعه ، وهذا الوجه أجزل وأحسن لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمته وفخامة شأنه حقيق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة .

والأمر المبشر به في الآية الكريمة عظيم الشأن ، يستحق التبشير به فهو وعد من الله ـ سبحانه وتعالي ـ لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات لها مميزات وصفات خاصة ، ومن هذه المميزات أن لهم فيها أزواجاً مطهرة . يدل على هذا المعني إعراب قوله تعالي : ( لهم فيها أزواج ) ، حيث بين المفسرون(٤) أن ( أزواج ) مبتدأ

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج٧ ص١٧٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٥ .

(٣) الكشاف ج١ ص٥١ .

(٤) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج١ ص٣٤ . جامع البيان ، للطبري ،ج١ ص٣٩٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج١ ص١٠٢ . تفسير البغوي ج١ ص٥٧ . تفسير ابن عطية ج١ ص٢١٠ . تفسير النسفي ج١ ص٣٤ . البحر المحيط ج١ ص١٠٩ . روح المعاني ج١ ص٢٠٤ .

أخبر عنه بالضمير المجرور ( لهم ) ، أما الظرف (فيها ) فهو للاستقرار ...

والأزواج : جمع زوج ، وهو ما يدل على واحد معه آخر ، فالمرأة زوج الرجل ، والرجل زوج المرأة ، والأزواج جمع قلة استغني به عن جمع الكثرة توسعاً وتجوزاً ... والمراد بالأزواج في الآية الكريمة كما بين الألوسى[(1)] : النساء اللاتي تختص بالرجل لا يشركه فيها غيره . وهن نساء وجوار من نساء الدنيا أو من الحور العين ، وصفت كل واحدة منهن بالطهر وذلك لقوله تعالي : ( مطهرة ) .

وقد بيّن المفسرون[(2)] المراد بتطهيرهن فقالوا : أي أنهن لا يحتجن إلى ما يحتاج إليه نساء أهل الدنيا من الأكل والشرب ، ولا يحتجن إلى ما يتطهر منه ، وإما مطهرة من الأخلاق السيئة والطبائع الرديئة . وإما مطهرة من الفواحش والخنا والتطلع إلى غير أزواجهن ، وإما مطهرة من الأدناس الذاتية مثل الحيض والنفاس والجنابة والبول والغائط وغير ذلك من المقادير الحادثة عن الأعراض المنقلبة إلى فساد كالبخر والذفر والصنان والقيح والصديد ، أو إلى غير فساد كالدمع والعرق والبصاق والنخامة ، وإما مطهرة من الإثم والدنس والأذي ومساوئ الأخلاق .

وكل هذه الأقوال يمكن أن يدل عليها قوله تعالي : ( مطهرة ) إلا أنه لا يتعين شيء منها بالتحديد . بل إن قوله تعالي : ( مطهرة ) يشير إلى أنهن مطهرات الأجسام والأخلاق والطبائع من كل المفاسد والأدناس والرذائل ... بمعني أن اللفظ يعني التطهير العام لهن من كل ما يشين .

وقد أشار أبو حيان إلى هذا المعني ، إذ قال : « لكن ظاهر اللفظ يقتضي أنهن مطهرات من كل ما يشين لأن من طهره الله تعالي ووصفه بالتطهير كان في غاية النظافة والوضاءة »[(3)] . ويؤكد هذا المعني لقوله تعالي : ( مطهرة ) قول الراغب :

---

(١) انظر روح المعاني ج١ ص٢٠٤ .

(٢) انظر : تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٤ . جامع البيان ، للطبري ، ج١ ص٣٩٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج١ ص١٠٢ . تفسير البغوي ج١ ص٥٧ .تفسير ابن عطية ، ج١ ص٢١٠ . التفسير الكبير ، ج٢ ص١٣٠ .تفسير النسفي ج١ ص٣٤ . البحر المحيط ج١ ص١١٧ - ١١٨ . تفسير أبي السعود ج١ ص٧٠ . روح المعاني ج١ ص٢٠٤ .

(٣) البحر المحيط ج١ ص١١٨ .

«والطهارة ضربان طهارة جسم وطهارة نفسٍ وحُمِلَ عليهما عامة الآيات»[1].

ويدل اللفظ في قوله تعالي : ( مطهرة ) على كمال صفة الطهارة التي وصفت بها نساء الجنة ، وذلك أن لفظ مطهرة أبلغ في الكلام من طاهرة ، إذ هو دال على الكثرة ، ومشعر بأن مطهراً طهرهن ، وهو الله ـ سبحانه وتعالي ـ ... ولم يتطهرهن بأنفسهن ... وقد بيّن الزمخشري مزية هذا اللفظ بقوله : « ( فإن قلت ) هلا قيل طاهرة ( قلت ) في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة ، وهي الإشعار بأن مطهراً طهرهن ، وليس ذلك إلا الله ـ عز وجل ـ المريد بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية فيما أعد لهم »[2].

وفي بيان صفة الطهر التامة لنساء الجنة وتفخيمها على ما جاءت به الآية الكريمة دليل على تميز نساء الجنة اللاتي أعدهن الله ـ سبحانه وتعالي ـ لعباده المؤمنين المتقين عن نساء الدنيا ... ذلك أن المرأة في الدنيا لا تكون مطهرة من كل ما يشين أبداً . فهي إن كانت طاهرة في أخلاقها وطباعها فإنها لا تطهر من الأدناس الأخري كالحيض والنفاس والبول والبراز وغير ذلك مما هو من فطرة النساء من أهل الدنيا ...

ويؤكد الله ـ عز وجل ـ صفة الزوجية والطهر في نساء الجنة في آية أخري ، إذ يقول سبحانه :

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[3].

ويلحظ أن الآية الكريمة بدأت بالاستفهام الذي يلفت الانتباه ويدل على أهمية ما يأتي بعده وهو قوله تعالي : ( جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ... ) ، فقد بيّن المفسرون[4] أن قوله تعالي : ( جنات تجري ... ) كلام

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٣١٧ .
(٢) الكشاف ، ج١ ص٥٣ .
(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٥ .
(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري ج٣ ص٢٠٦ ـ ٢٠٧ . معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، ج١ ص٣٨٤ . تفسير ابن عطية ج٣ ص٤٨ . تفسير النسفي ج١ ص٢٠١ . تفسير أبي السعود ج٢ ص١٥ ـ ١٦ . روح المعاني ج٣ ص١٠١ .

مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم ، فجنات مبتدأ خبره ( للذين اتقوا ) ... وقوله تعالي ( وأزواج مطهرة ) معطوف على المبتدأ قبله وهو قوله تعالي ( جنات تجري ... ) . وفي هذا النظم للآية الكريمة دلالة على أهمية المبتدأ والخبر الأول وما عطف عليه . وقد ألمح ابن عطية إلى مغزي هذا النظم في الآية الكريمة ، إذ قال : «ثم جاء الإنباء بخبر من ذلك هازًا للنفوس وجامعًا لها لتسمع النبأ المستغرب النافع لمن عقل »[1].

أما ما يراد من قله تعالي : ( وازواج مطهرة ) فقد سبق بيانه في الآية التي سبقت[2] ...

ويلحظ في الآية الكريمة أن قوله تعالي : ( وأزواج مطرة ) ، وقد عطف عليه قوله تعالي : ( ورضوان من الله ) ... ويدل هذا السياق للآية الكريمة على زيادة المتعة المعدة لأهل الجنة ... فهم مع خلودهم في الجنات التي تجري من تحتها الأنهار بصحبة أزواجهم المطهرات من كل ما يعتري النساء في الدنيا من الأقذار والريب ... يتمتعون بما هو أعظم وأهم ألا وهو رضوان الله عنهم ، وهو أعلى منازل الكرامة لأهل الجنة ... فقد أخرج الطبري عن جابر بن عبد الله قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالي : أعطيكم أفضل من هذا فيقولون أي ربنا أي شيء أفضل من هذا ؟ ! قال رضواني »[3].

ويكرر الله ــ سبحانه وتعالي ــ صفة الزوجية والطهر في نساء أهل الجنة ، إذ يقول عز وجل :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾ [4].

---

(١) تفسير ابن عطية ج٣ ص٤٨ .

(٢) من الآية ٢٥ من سورة البقرة .

(٣) جامع البيان ج٣ ص٢٠٦ ـ ٢٠٧ . أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها ج١٧ ص١٦٨ . مع زيادة في اللفظ .

(٤) سورة النساء ، آية : ٥٧ .

والآية وعد مؤكد من الله ـ سبحانه وتعالي ـ لعباده المؤمنين ، الذين يعملون الصالحات بأنه أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، لهم فيها الخلود أبداً ، تصحبهم زوجات مطهرات من الأقذار والعيوب التي في نساء الدنيا يتمتعون في ظل كنين لا تنسخه الشمس وليس فيه حر ولا برد[1] ...

وقد تأكد وعد الله ـ سبحانه ـ بالجملة الإسمية الدالة على الثبوت والتي بدأت بها الآية الكريمة ، وبالسين الدالة على تقريب الخير وتبشير المؤمنين به ... وقد بين أبو حيان مزية السين في قوله تعالي : ( سندخلهم ) إذ قال : « وأتي فيها بالسين المشعرة بقصر مدة التنفيس على سبيل تقريب الخير من المؤمنين وتبشيره به »[2].

ويلحظ أن قوله عز وجل : ( لهم فيها أزواج مطهرة ) جاء جملة اسمية مستأنفة لتدل على التشويق والثبوت في هذا الوعد من الله سبحانه ... كما عطف عليه قوله تعالي : ( وندخلهم ظلاً ظليلاً ) ، ليدل على أن وجود أهل الجنة مع أزواجهم في مكان مريح معتدل الجو ليس فيه حر شديد ولا برد قارس . وقد وصف الظل بقوله تعالي : ( ظليلاً ) ، وهي صفة مشتقة من لفظ الظل مبالغة في تأكيده وتعظيمه . كما أن وصف الظل بالظليل يفيد امتداد الظل كما في قوله تعالي : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [3]، لأن ليس كل ظل ممدوداً[4].

وقد أخرج الطبرى[5] عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ ، قال : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، شجرة الخلد » .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ج٥ ص١٤٤ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٢ ص٦٦ . معاني القرآن الكريم ، للنحاس ، ج٢ ص١١٨ ـ ١١٩ . تفسير البغوي ج١ ص٤٤٣ . تفسير ابن عطية ج٤ ص١٠٧ . التفسير الكبير ، ج١٠ ص١٣٦ ـ ١٣٧ . تفسير النسفي ج١ ص٣٢٦ . حاشية الشهاب ج٣ ص١٤٧ . روح المعاني ج٥ ص٦٠ .

(٢) البحر المحيط ج٣ ص٢٧٥ . وانظر روح المعاني ج٥ ص٦٠ .

(٣) سورة الواقعة ، آية : ٣٠ .

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٢ ص٦٦ .

(٥) جامع البيان ، م٤ ج٥ ص١٤٤ . أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها . ج١٧ ص١٦٧ .

وقد بيّن الفخر الرازي مزية وصف الجنة بقوله تعالى : وندخلهم ظلاً ظليلاً ) وذلك قال : « واعلم أن بلاد العرب كانت في غاية الحرارة ، فكان الظل عندهم أعظم أسباب الراحة ، ولهذا المعني جعلوه كناية عن الراحة ... فإذا كان الظل كناية عن الراحة كان الظليل كناية عن المبالغة العظيمة في الراحة ... »(١) .

## ثانياً ـ صفة الجمال في الخِلْقة والخُلُق :

بيّن الله ـ عز وجل ـ صفة النساء اللاتي أعدهن ـ سبحانه ـ لعباده المتقين في الجنة ، فوضح صفاتهن الخِلقية وما فطرهن عليه من جمال في الجسد وفي الروح ... حيث وصف ـ سبحانه ـ مواطن الجمال التي ميزهن بها عن نساء الدنيا ... كما وصف أخلاقهن وما ميزهن به من طيب العشرة لأزواجهن والحياء وكرم الطباع والأدب الجم ... فبيّن عز وجل أن نساء الجنة خلقن على أجمل وأروع صورة وأحسن أخلاق ... وهذا يميزهن عن نساء أهل الدنيا اللاتي لا يجتمع فيهن ـ في الغالب ـ جمال الخَلْق والخُلُق ... وإن اجتمعا فإنهما لا يكملان أبداً ...

فمن الآيات التي توضح جمال نساء الجنة قوله سبحانه وتعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾(٢) .

والآية الكريمة تصف زوجات المتقين في الجنة بأنهن حور عين ... وذلك بعد أن وصف ـ عز وجل ـ ما أعده للمتقين من مكان آمن في جنات وعيون ، كما وصف لباسهم وهيئة جلوسهم في أنسهم ... وضح سبحانه أنه أعد لهم أيضاً زوجات على صفة فريدة في الجمال ليتم بصحبتهن ومشاركتهن أنسهم وسرورهم ... يدل على هذا المعني قوله سبحانه في أول الآية ( كذلك ) . وذلك أن الكاف في موضع رفع أي الأمر كذلك ... أو أنها في محل نصب على تقدير وأثبناهم مثل ذلك ... أي

---

(١) التفسير الكبير ، ج١٠ ص١٣٧ .
(٢) سورة الدخان ، آية : ٥٤ .

كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم[1] ...

وقد بيّن المفسرون[2] المعني المراد بقوله سبحانه : ( وزوجناهم ) ، فقالوا : أي جعلناهم أزواجاً كما تزوج النعل بالنعل ، أو جعلناهم اثنين اثنين جميعاً بجميع ، أو قرنّاهم بهن ليس من عقد التزويج لأنه لا يقال : زوجته بامرأة ، أو لأن الجنة ليس فيها تكليف فلا عقد ولا تزويج بالمعني المشهور ، أو أنكحناهم حوراً . ويقال إن تفسيره إن الحور العين في الجنة ملك يمين كالسراري في الدنيا فلا يحتاج الأمر إلى العقد عليهن ، على أنه يمكن أن يكون في الجنة عقد وإن لم يكن فيها تكليف ...

والتفسير الراجح لقوله تعالي : ( وزوجناهم ) : أي قرناهم بهن على وجه الاختصاص ، بحيث يكون لكل واحد منهم زوج تصحبه دائماً دون حاجة إلى عقد كما هو معروف في الدنيا ، لاختلاف الدواعي التي تقتضي الشروط والأحكام كما كان في الدنيا ؛ وذلك أن الآيات التي وصفت نساء الجنة تثبت أحقية كل واحد من أهل الجنة في ملكية زوج له ... كما أن القرآن الكريم لم يرد فيه زوجناهم حوراً ، وإنما عدي بالباء كما في الآية الكريمة هذه ... يدل على ذلك قول الراغب في قوله تعالي : ( وزوجناهم بحور عين ) ، أي قرنّاهم بهن ، ولم يجيء في القرآن زوجناهم حوراً ، كما يقال زوّجته امرأة ، تنبيهاً أن ذلك لا يكون على حسب المتعارف فيما بيننا من المناكحة »[3].

أما قوله عز وجل : ( بحور عين ) ، فهي صفة تبين ما فُطِرت عليه نساء الجنة من الجمال فهن : حور عين .

---

(1) انظر : إعراب القرآن ، للنحاس ج٤ ص١٣٧ . تفسير البغوي ج٤ ص١٥٥ . الكشاف ج٣ ص٤٣٥ . التفسير الكبير ، ج٢٧ ص٢٥٣ . روح المعاني ج٢٥ ص١٣٥ .

(2) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٠٩ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٠٤ . جامع البيان ، للطبري ، م١٣ ج٢٥ ص١٣٦ . تفسير البغوي ج٤ ص١٥٥ . التفسير الكبير ج٢٧ ص٢٥٣ . تفسير النسفي ج٣ ص٣٣٤ . تفسير أبي السعود ج٨ ص٦٦ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٣ . روح المعاني ج١٥ ص١٣٥.

(3) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٢٢١ مادة زوج.

وقد بين المفسرون[1] المراد بالحور وبالعين ، إذ قالوا : الحور هن النقيات البياض واحدتهن حوراء ، أو اللاتي يحار فيهن الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون ... أو هن شديدات بياض الأعين الشديدات سوادها واحدها حوراء ، والمرأة حوراء . أو هن على الإضافة بحور عينٍ والمعني بالحور من العين ، لأن العين إما أن تكون حوراً ، أو غير حور فهؤلاء من الحور العين ، لا من مثلهن مثلا ، أو الحوراء ذات الحَوَر وهو سواد المقلة كلها كما في الظباء فلا يكون في الإنسان إلا مجازاً ، أما العِين فهن جمع عيناء وهي الواسعة العينين في جمال .

والتفسير الراجح للحور أنهن شديدات بياض الأعين شديدات سواد سوادها ، مع بياض البشرة وصفائها ونقائها ... لأنه لا مانع من أن تجمع نساء الجنة الصفتين الدالتين على الحسن معًا ... كما أن جمال العين وسعتها لا يتعارض مع شدة بياض البشرة ونقائها ... ولا يتحدد وصف واحد بعينه من قوله تعالي : ( بحور ) ، بل إن قراءة ابن مسعود[2] : ( بعيس عين ) تدل على أن المراد من الحور في الآية البيض ، لأن العيس عند العرب هي البيضاء من الإبل وهي جمع مفردة عيساء ... كما أن معني الحَوْر البياض .

والعين الحوراء : هي التي اشتد بياض بياضها واشتد سواد سوادها ... وكلا التفسيرين راجح ولا مانع من اجتماعهما معًا في نساء الجنة . وقد ألمح الفخر الرازي إلى اجتماعهما معًا في قوله تعالي : ( بحور ) إذ قال : « ولا تسمي المرأة حوراء حتي يكون حَوَر عينيها بياضاً في لون الجسد »[3] .

واختلف في هؤلاء الحور العين هل هن نساء الدنيا ينشئهن الله خلقًا آخر ، أو

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٥ ص١٣٦ ـ ١٣٧ . إعراب القرآن ، للنحاس ج٤ ص١٣٦ . تفسير البغوي ج٤ ص١٥٥ . الكشاف ج٣ ص٤٣٥ . تفسير النسفي ج٣ ص٣٣٤ . البحر المحيط ج٨ ص٤٠ . تفسير أبي السعود ج٨ ص٦٦ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٣ . روح المعاني ج٢٥ ص١٣٥ .

(٢) انظر جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٥ ص١٣٦ ـ ١٣٧ .

(٣) التفسير الكبير ج٢٧ ص٢٥٣ .

أنهن لسن من نساء الدنيا[1] ...

والتفسير الأرجح أن الحور العين في الجنة من نساء الدنيا أنشأهن الله سبحانه خلقاً آخر ... ومن الحور العين اللاتي خلقهن الله عز وجل لأهل الجنة ... وذلك أن الجنة :

﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ﴾[2].

فقد يكون هوي أهل الجنة مع زوجاتهم من أهل الدنيا فيعطون ما اشتهته أنفسهم، وقد يكون هواهم مع الحور العين من نساء الجنة فيجدون ما خطر في أنفسهم ... ثم إن الآيات التي وصفت نساء الجنة لم تحدد من هن ... وإنما وصفت الخِلْقة المتميزة لنساء الجنة عن نساء الدنيا فحسب .

ويبين الله ـ سبحانه ـ أن الحور العين من بين أنواع المتع التي أعدها الله ـ سبحانه ـ لأهل الجنة ، وذلك قوله تعالي :

﴿ وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾[3].

فالآية الكريمة ذكرت الحور العين مع غيرهن من المتع الحسية كالشراب ، والفاكهة ، واللحم . وقد ذكر المفسرون[4] اختلافاً في إعراب قوله تعالي : ( وحور عين ) . إذ قالوا : إنها قرئت بالخفض ، إما بالعطف على بأكواب وأباريق ، وإما لأن المعني : ينعمون بحور عين . وقرئت بالرفع على معني : ولهم حور عين . وقرئت بالنصب على معني : ويعطون حوراً عيناً .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، ج٢٧ ص٢٥٣ . تفسير أبي السعود ج٨ ص٦٦ . روح المعاني ج٢٥ ص١٣٦ .

(٢) سورة الزخرف ، آية : ٧١ .

(٣) سورة الواقعة ، الآيتان : ٢٢ ـ ٢٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ، ج٣ ص١٢٣ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١١١ . إعراب القرآن ، للنحاس ، ج٤ ص٣٢٨ ـ ٣٢٩ . تفسير البغوي ، ج٤ ص٢٨١ . التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٥٤ . تفسير النسفي ، ج٣ ص٤٦٥ . البحر المحيط ، ج٨ ص٢٠٦ . افسير أبي السعود ج٨ ص١٩٢ . حاشية الشهاب ، ج٨ ص١٤٣ . روح المعاني ، ج٢٧ ص١٣٨ .

وأحسن القراءات قراءة الرفع ، إذ يكون المعنى عليها : لهم ما سبق ولهم حور عين ... يقول الزجاج[١] : « ومن قرأها بالرفع فهو أحسن الوجهين لأن معنى :

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴾[٢].

بهذه الأشياء ، بمعنى ما قد ثبت لهم فكأنه قال : ولهم حور عين » .

أما معنى قوله تعالى : ( وحور عين ) فهن : الشديدات بياض البشرة والواسعات الأعين في حسن وجمال[٣] ... وقد سبق بيان هذا المعنى في الآية التي سبقت[٤].

واجتماع هاتين الصفتين الدالتين على الحسن في نساء الجنة دلالة على أنهن يملكن صفات الجمال في المرأة ، إذ أحسن مميزات الجمال في المرأة سعة العينين وحسنهما ، مع بياض البشرة وصفائها . وقد أكد الله عز وجل وصفه البياض والنقاء والصفاء في نساء الجنة بقوله سبحانه :

﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾[٥].

حيث شبههن باللؤلؤ المصون في صَدَفِه ، الذي لم تمسه الأيدي ، ولم يغير لونه شمس ولا حرارة ولا هواء ، ولم يره أحد .

ويلحظ أن الآية الكريمة جمعت بين أداتي التشبيه « الكاف ـ مثل » وفي هذه الصياغة زيادة في تأكيد التشبيه وتحققه ، وذلك أن التشبيه معناه : أن صفاء هن وتلألؤهن كصفاء اللؤلؤ وتلألئه[٦] . وقد وضح الفخر الرازي مزية هذا النظم ، إذ قال : « المشهور أن كلمتي التشبيه يفيدان التأكيد والزيادة في التشبيه ، فإن قيل : ليس كذلك بل لا يفيدان ما يفيد أحدهما ، لأنك إن قلت مثلاً : هو كاللؤلؤة للمشبه ،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ، ج٥ ص١١١ .

(٢) سورة الواقعة ، آية : ١٧ .

(٣) انظر : إعراب القرآن ، للنحاس ج٤ ص٣٢٩ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٥ . تفسير المراغي م٩ ج٢٧ ص١٣٧ .

(٤) انظر: صحيفة ٣٠٩ ـ ٣١٠ مما سبق .

(٥) سورة الواقعة ، آية : ٢٣ .

(٦) انظر الجمان في تشبيهات القرآن ،لابن ناقيا البغدادي ص٢٩٦ .

دون المشبه به في الأمر الذي لأجله التشبيه ؟ نقول : التحقيق فيه ، هو أن الشيء إذا كان له مثل فهو مثله ، فإذا قلت : هو مثل القمر لا يكون في المبالغة مثل قولك : هو قمر ، وكذلك قولنا هو كالأسد ، وهو أسد ، فإذا قلت : كمثل اللؤلؤ . كأنك قلت: مثل اللؤلؤ ، وقولك : هو اللؤلؤ ، أبلغ من قولك : هو كاللؤلؤ »(١) .

أما وصف اللؤلؤ في الآية الكريمة بقوله سبحانه : ( المكنون ) ، فإنه دلالة على بلوغهن الغاية في الحفظ والصفاء والنقاء والبياض ... ذلك أن الكنّ : ما يحفظ فيه الشيء ، وخصّ : كننت بما يُستَر ببيت أو ثوبٍ وغير ذلك من الأجسام(٢) . ومعني المكنون : أي المصون المحفوظ في الصدف ، فلم تمسه الأيدي ، ولم يخدش ، ولم تغيره أحوال الزمان من هواء وشمس وحرارة وغيرها ...

وقد بيّن الألوسي مزية وصف اللؤلؤ بالمكنون ، إذ قال : « وقيد بالمكنون أي المستور بما يحفظه ، لأنه أصفي وأبعد من التغيير »(٣) .

وفي تشبيه نساء الجنة باللؤلؤ المكنون قيمة معنوية دقيقة ، توحي بما يجده أهل الجنة من راحة نفسية في تمتعهم بنسائهم اللاتي لم يرهن ، ولم يمسهن أحد قبلهم ... وذلك أكثر متعة وراحة لهم . يقول الأستاذ سيد قطب : « واللؤلؤ المكنون هو اللؤلؤ المصون ، الذي لم يتعرض للمس والنظر ، فلم تثقبه يد ، ولم تخدشه عين ! وفي هذا كناية عن معانٍ حسية ونفسية لطيفة في هؤلاء الحور الواسعات العيون »(٤) .

ويبين الله ـ سبحانه وتعالي ـ جمال الخِلْقة والخُلُق في نساء الجنة إذ يقول عز وجل :

﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾(٥) .

---

(١) التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٥٤ .

(٢) انظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص٤٥٩ مادة كن . وانظر : بصائر ذوي التمييز ، للفيروزابادي ، ج٤ ص٣٨٩ .

(٣) روح المعاني ج٢٧ ص١٣٨ .

(٤) في ظلال القرآن ، ج٦ ص٣٤٦٤ .

(٥) سورة الصافات : الآيتان : ٤٨ ـ ٤٩ .

ويلحظ أن الجملة الإسمية قدم فيها الخبر الظرف على المبتدأ ... وهذا التقديم للخبر الظرف يفيد الاستقرار ليدل على ملكية كل واحد من أهل الجنة في قاصرات الطرف اللائي أعدهن الله سبحانه .

وقد بين المفسرون[1] المعني المراد من قوله تعالي : ( قاصرات الطرف ) ، إذ قالوا : أصل القصر ( الحبس ) أي قصرن أبصارهن على الأزواج ولم يطمحن إلى غيرهم . أو لا ينظرن إلا إلى أزواجهن . أو لا يغَرْن على أزواجهن ، أو حبسن طرفهن على أزواجهن لا يمتد طرفهن إلى أجنبي حياءً وعفة . أو المراد لا يفتحن أعينهن دلالاً وغنجًا ، وهو فيما سبق متعد . وقد يكون لازمًا على أن المعني ذابلات الجفن مراضه والطرف في ذلك طرفهن أو يكون متعديًا والطرف طرف غيرهن ، والمعني قاصرات طرف غيرهن عن التجاوز إلي سواهن لغاية حسنهن فلا يتجاوزهن طرف الناظر إليهن ...

والتفسير الراجح هو أنهن قصرن طرفهن على أزواجهن حياء وعفة ومحبة ، حيث لا يمتد طرفهن إلى غيرهم أبدًا ... وفي هذا التفسير دليل على ما فطرهن عليه ـ سبحانه وتعالي ـ من الأدب والحياء والمحبة ، وذلك أن المرأة إذا قصرت نظرها على زوجها ولم تتطلع إلى أجنبي غيره . فإن هذا يدل على حشمتها وحيائها وحبها ووفائها لزوجها ... بحيث لا تجد متعة أو لذة إلا في النظر إليه وحده ...

وفي وصف الله ـ سبحانه ـ لنساء الجنة بهذه الصفة إيماء إلي ما يجمع بين الزوجين من أهل الجنة من الألفة والمحبة والشوق واللهفة ... فالزوجة من أزواج أهل الجنة لا تغض طرفها عن زوجها أبدًا مما يدل على تحببها إليه وألفتها معه ...

وقد أشار الشهاب إلى مغزي وصف نساء الجنة بهذه الصفة ، إذ قال : « هو إما

(١) انظر : تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٣٧٠ . جامع البيان ، للطبري م١٢ ج٢٣ ص٥٦ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٤ ص٣٠٣ . معاني القرآن الكريم ، للنحاس ج٦ ص٢٧ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٧ . الكشاف ج٣ ص٣٠٠ . التفسير الكبير ج٢٦ ص١٣٧ . البحر المحيط ج٧ ص٣٦٠ . تفسير أبي السعود ج٧ ص١٩١ . حاشية الشهاب ج٧ ص٢٧٠ . روح المعاني ج٢٣ ، ص٨٩ . في ظلال القرآن ، ج٥ ص٢٩٨٧ .

على ظاهره وكناية عن شدة الحسن المانع عن رؤية غيره أو عن إفراط المحبة »[1].

وفي هذه الآية الكريمة صفة أخري لنساء الجنة وهي قوله تعالي ( عين ) ، وهذه الصفة تتناسب مع الصفة التي قبلها : ( قاصرات الطرف ) وذلك أن معني قوله تعالى: ( عين ) أي واسعات الأعين في حسن وجمال ... إذ هي جمع عيناء[2] ... فإذا كانت نساء الجنة يقصرن طرفهن على أزواجهن تعبيراً عن فرط محبتهن وقناعتهن بهم فلا يمتد طرفهن إلى غيرهن أبداً ، وكانت أعينهن التي يقصرنها عليهم واسعة في حسن وجمال ، فإن هذا أدعي للسرور والمتعة والرضي لأهل الجنة ...

وتلي هذه الآية الكريمة صفة ثالثة لنساء الجنة ، هي قوله تعالي :

﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [3].

وفي هذه الآية الكريمة تشبيه نساء الجنة بالبيض المكنون ... وقد بيّن المفسرون[4] معني قوله تعالي : ( بيض مكنون ) ، إذ قالوا : أي مصون ، والعرب تشبه النساء ببيض النعام . أو شبههن في بياضهن وأنهن لم يمسّهن قبل أزواجهن إنس ولا جان ببياض البيض الذي هو داخل القشر . أو كأن ألوانهن ألوان بيض النعام . أو لم تمر به الأيدي . أو شبههن ببيض النعامة تكنها بالريش من الريح والغبار حين خروجها ، فلونها أبيض في صفرة أو الجوهر المصون ، أو هو تشبيه عام لجملة المرأة بجملة

---

(١) حاشية الشهاب ج٧ ص٢٧٠ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص١٦٩ . تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٣٧٠ . جامع البيان ، للطبري م١٢ ج٢٣ ص٥٦ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٤ ص٣٠٣ .معاني القرآن الكريم ، للنحاس ، ج٦ ص٢٧ . وانظر مراجع تفسير الآية التي سبقت هامش ٢ ص٣٠٩ .

(٣) سورة الصافات ، آية : ٤٩ .

(٤) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، ج٢ ص١٦٩ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص ٣٧٠ . جامع البيان ، للطبري ، م١٢ ج٢٣ ص٥٧ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٤ ص٣٠٣ . معاني القرآن الكريم ، للنحاس ، ج٦ ص٢٧ . تفسير البغوي ، ج٤ ص٢٧ . الكشاف ج٣ ص٣٠٠ . التفسير الكبير ، ج٢٦ ص١٣٧ . البحر المحيط ج٧ ص٢٧٠ . روح المعاني ج٢٣ ص٩٠ .

البيضة. أو شبههن ببيض النعام المكنون في الأداحي ، وبها تشبيه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور .

والتفسير الراجح هو التشبيه العام لجملة المرأة بجملة البيضة ... وذلك أن تشبيه نساء الجنة بالبيض المكنون فيه دلالة على رقتهن ونعومتهن وحسن بياضهن وتناسب أجسامهن . مع دلالته على حفظهن وحمايتهن وسترهن عن كل ما ينقص من شأنهن ، أو يلوث أبدانهن أو أخلاقهن .

وقد وضّح أبو حيان مزية تشبيه نساء الجنة بالبيض ، إذ قال : « أراد بذلك تناسب أجزاء المرأة وأن كل جزء منها نسبته في الجودة نسبة الآخر من أجزائها إلى نوعه - فنسبة شعرها إلى عينها مستوية إذ هما غاية في نوعها ، والبيضة أشد الأشياء تناسب أجزاء من حيث حسنها في النظر واحد »[1] ... كما بيّن الفخر الرازي مزية وصف المشبه به : ( البيض ) بأنه مكنون ، إذ قال : « ومعني هذا التشبيه أن ظاهر البيض بياض يشوبه قليل من الصفرة ، فإذا كان مكنوناً كان مصوناً عن الغبرة والقترة فكان هذا اللون في غاية الحسن »[2] .

وقد جاء تشبيه نساء الجنة بالبيض المكنون بعد وصفهن بقَصْرِ طرفهن على أزواجهن لتتأكد صفة المحبة والحياء والعفة فيهن . وقد بيّن ابن ناقيا البغدادي جمال وحسن هذا التشبيه في القرآن وموافقته لما سبقه من وصف النساء ، إذ قال : « وصف نساء أهل الجنة بأنهن قاصرات الطرف مع حسن العيون لا من شينٍ يمنعهن من طموح النظر ، وإنما ذلك للعفة والخفر . ثم شبههن بالبيض المكنون تأكيداً للصفة بالتشبيه ، فأخبر بذلك أنهن في ستر وكن عن التبرج ، وجعل وصف البيض دالاً على هذه الحال من وصفهن . وهذا الكلام غاية في مناسبة الوصف ومطابقته ، وبلاغة ومعني التشبيه وموافقته »[3] .

---

(١) البحر المحيط ، ج٧ ص٣٦٠ .

(٢) التفسير الكبير ، ج٢٦ ص ١٣٧ .

(٣) الجمان في تشبيهات القرآن ، تحقيق د/ مصطفي الجويني ص٢٣٤ .

ويصف الله ـ عز وجل ـ نساء الجنة بقَصْرِ الطرف في آية أخرى ، إذ يقول سبحانه :

﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾ [1].

ويلحظ أن الجملة الاسمية في الآية قدم فيها المسند الظرف ( عندهم ) على المسند إليه ( قاصرات الطرف ) ، وفي هذا السياق دلالة على ملكية أهل الجنة لنساء الجنة ... حيث يكون عندهم أو عند كل واحد منهم ( قاصرات الطرف ) ... وقد سبق بيان [2] معنى : ( قاصرات الطرف ) وهن اللاتي قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرون غيرهم أبداً .

أما الصفة الأخرى التي يصف الله ـ عز وجل ـ بها نساء الجنة فهي قوله تعالى : ( أتراب ) ... وقد بيّن المفسرون [3] المعنى المراد بقوله تعالى : ( أتراب ) فقالوا : في سن واحدة ، أو أمثال ، أو متواخيات لا يتباغضن ولا يتعادين ولا يتحاسدن . أو أسنانهن واحدة وهن في غاية الشباب والحسْن . أو مستويات الأسنان ، بنات ثلاث وثلاثين سنة ، أو لدات تنشأن معًا أو لأن التراب مسّهن في وقت واحد . أو أتراب لأزواجهن أسنانهنَ كأسنانهم .

والتفسير الراجح هو أنهن متساويات في السن متماثلات في الشكل وذلك أن التساوي في السن يجعلهن متحببات متواخيات ليس بينهن غيرة ولا تباغض ولا تحاسد، كما يجعلهن متماثلات في الحسن وجمال الصورة والجسم ...

وتماثلهن هذا أدعى لراحة الزوج وسروره ومتعته التامة التي لا ينغصها اختلاف

---

(١) سورة ص ، آية : ٥٢ .

(٢) انظر صحيفة ٣١٤ ـ ٣١٥ فيما سبق .

(٣) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص١٨٥ . جامع البيان ، للطبري م١٢ ج٢٣ ص١٧٤ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٤ ص٣٣٧ . معاني القرآن الكريم ، للنحاس ج٦ ص١٢٦ . مفردات ألفاظ القرآن ص٧٠ مادة ترب . تفسير البغوي ج٤ ص٦٦ . الكشاف ج٣ ص٣٣٢ . التفسير الكبير ج٢٦ ص٢١٩ . البحر المحيط ج٧ ص٤٠٥ . تفسير أبي السعود ج٧ ص٢٣١ . حاشية الشهاب ج٧ ص٣١٦ . روح المعاني ج٢٣ ص ٢١٣ . في ظلال القرآن ج٥ ص٣٠٢٣ .

الزوجات وتنافسهن كما هو الحال في نساء أهل الدنيا .

ويدل على رجحان هذا التفسير المعني اللغوي لقوله تعالي : ( أتراب ) ، إذ قال الراغب : « أي لدات تنشأن معًا تشبيهًا في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر »(١).

وقد بين الزمخشري فائدة التساوي في السن بينهن ، إذ قال : « وإنما جعلن على سن واحدة لأن التحاب بين الأقران أثبت »(٢). كما بيّن الفخر الرازي مزية التشابه بينهن في الصفة والسن ، إذ قال : « قال القفال : والسبب في اعتبار هذه الصفة ، أنهن لما تشابهن في الصفة والسن والحلية كان الميل إليهن على السوية ، وذلك يقتضي عدم الغيرة »(٣).

ويلحظ أن الآية الكريمة هذه تتشابه مع الآية التي سبقتها ، إذ قال سبحانه في التي سبقت :

﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾ (٤).

وقال عز وجل في هذه :

﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾ (٥).

إذ اختلفت الصفة في خاتمة الآيتين فقط ، فقال سبحانه في الأولي ( عين ) وقال في الثانية : ( أتراب ) ... وقد أرجع الخطيب الإسكافي سبب الاختلاف إلى مراعاة فواصل الآيات في السورتين ، إذ قال : « لأن فواصل الآيات التي من سورة الصافات مردفة أواخرها بالياء أو بالواو ، والقصد التوفقة بين الألفاظ مع صحة المعانى»(٦).

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص٧٠ مادة ترب .

(٢) الكشاف ، ج٣ ص٣٣٢ .

(٣) التفسير الكبير ، ج٢٦ ص٢١٩ .

(٤) سورة الصافات ، آية : ٤٨ .

(٥) سورة ص : آية : ٥٢ .

(٦) درة التنزيل وغرة التأويل ص٣٩٩ . وانظر أسرار التكرار في القرآن الكريم ، للكرماني ص١٨٤ . بصائر ذوي التمييز ، للفيروزابادي ج١ ص٤٠٢ .

وهذا التفسير من الخطيب صحيح ، إلا أن كل صفة من الصفتين اللتين ختمت بهما الآيتين له علاقة معنوية دقيقة بما سبقه من المعني وما تلاه أيضاً ... وقد بانت علاقة الصفة في قوله تعالى : ( عين ) بما قبلها وما بعدها من التشبيه[1] ... أما علاقة الصفة في قوله تعالى : ( أتراب ) فإنها تبين أن نساء الجنة مع ما خلقهن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليه من الحياء والعفة والتودد لأزواجهن فإنهن يتمتعن بسماحة الخلق وحلاوة الطبع وطيب المعاشرة فيما بينهن ... بحيث يتميزن بهذه الصفة عن نساء الدنيا اللاتي لا تكتمل المتعة بهن مجتمعات أبداً .

ويصف الله ـ عز وجل ـ نساء الجنة بقصرِ الطرف على أزواجهن في آية أخري هي قوله سبحانه :

﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[2] .

وقد بدأت الآية الكريمة بالجملة الاسمية التي قُدِّم فيها الخبر الظرف : (فيهن) ، وأُخر المبتدأ ( قاصرات الطرف ) ولهذا النسق دلالته ، إذ يدل على استقرار ووجود قاصرات الطرف في الفرش التي بطائنها من استبرق . أو مستقرة في الجنان الدال عليها قوله تعالى : ( جنتان ) ، إذ لكل فرد جنتان كما قال أبو حيان : « والضمير في : ( فيهن ) عائد على الجنان الدال عليهن ( جنتان ) إذ كل فرد فُرِدَ له جنتان فصح أنها جنان كثيرة »[3] .

وقد مر بيان قوله تعالى : ( قاصرات الطرف ) ، وهن النساء اللاتي قصرن طرفهن على أزواجهن فلا تطمح أبصارهن إلى غيرهم أبداً ، أو قصرن طرف أزواجهن لحسنهن فلا ينظرون إلى غيرهن أبداً[4] ..

---

(١) انظر صحيفة : ٣١٦ مما سبق .

(٢) سورة الرحمن ، الآيات : ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨ .

(٣) البحر المحيط ، ج٨ ص١٩٧ .

(٤) انظر : مجاز القرآن ، ج٢ ص٢٤٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١٠٢ . جامع البيان، م١٣ ج٢٧ ص١٥٠ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٧٤ . الكشاف ج٤ ص٥٤ . التفسير الكبير ج٢٩ ، ص١٢٩ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٠ . البحر المحيط ج٨ ص١٩٧ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٨٥ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٣٨ . روح المعاني ، ج٢٧ ص١١٨ ـ ١١٩ .

والراجح أنهن قصرن طرفهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم . وقد أخرج الطبـري عن ابن زيد مـا يدل على ذلك إذ قـال : « قـال ابن زيد : لا ينظرن إلا إلى أزواجهن ، تقول : وعزة ربي وجلاله وجماله ، إن أري في الجنة شيئًا أحسن منك ، فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجك »[(١)].

ويلحظ في المبتدأ : قاصرات الطرف ) أنه جاء باسم الفاعل ( قاصرات الطرف ) بإضافة اسم الفاعل إلى المفعول ... ولم يأت ( مقصورات ) باسم المفعول . وفي هذه الصياغة للكلمة دلالة على كرامتهن وعظمتهن وحيائهن وعفتهن على أزواجهن حبًا وكرامة وعفة وعظيمًا . أما إن كن مقصورات فقد يكون القصر على غير رغبتهن ، وإنما فعلن ذلك قصرًا وإجبارًا ممن قصرن ، وليس في هذا دليل عفة وحب وكرامة منهن .

وقد بيّن الفخر الرازي معني قصر الطرف ، إذ قال : ( قاصرات الطرف ) من القصر وهو المنع أي المانعات أعينهن من النظر إلى الغير ، أو من القصور ، وهو كون قاصرة لا طماح فيها للغير ، أقول : والظاهر أنه من القصر إذ القصر مدح ، والقصور ليس كذلك »[(٢)].

ويصف الله ـ عز وجل ـ نساء الجنة في الآية الكريمة هذه بصفة أخري هي قوله سبحانه :

﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُم وَلا جَانٌّ ﴾[(٣)].

ويلحظ أن جملة الصفة بدأت بأداة النفي ( لم ) لتفيد ثبوت هذه الصَفة في نساء الجنة واستمرارها ... وقد بيّن المفسرون[(٤)] المعني المراد بقوله تعالى : ( لم يطمثهن

---

(١) جامع البيان م١٣ ج٢٧ ص١٥٠ .

(٢) التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٢٩ .

(٣) سورة الرحمن ، آية : ٥٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١١٩ . مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٤٥ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٤٢ . جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٧ ص١٥٠ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٧٤ . الكشاف ج٤ ص٥٤ . التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٢٩ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٠ . البحر المحيط ج٨ ص١٩٨ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٨٥ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٣٨ . روح المعاني ج٢٧ ، ص١١٩ .

إنس قبلهم ولا جان ) إذ قالوا : أي لم يفتضضهن ، والطمث هو النكاح بالتدمية . أو يمسهن إنس ولا غيره أو لم يجامعهن ولم يفرغهن ، وأصله من الدم كأنه قال لم يدمهن أحد بالجماع أو لم يطمث الإنسيات أحد من الإنس ولا الجنيات أحد من الجن . أو لم يطأهن على أي وجه كان الوطء من افتضاض أو غيره .

والتفسير الراجح : أنهن لم يمسسهن إنس ولا جان قبل أهل الجنة وذلك أن نفي اللمس عنهن أبلغ في الدلالة على صيانتهن وحفظهن لأهل الجنة كما أن الله ـ سبحانه ـ كني عن الوطء بالمس في قوله تعالى :

﴿ ... إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ... ﴾[1].

وقد بيّن الفخر الرازي الوجوه التي يفسر بها الطمث ، إذ قال : « ( لم يطمثهن) فيه وجوه : ( أحدها ) : لم يفرعهن ( ثانيهما ) : لم يجامعهن ( ثالثهما ) : لم يمسسهن ، وهو أقرب إلى حالهن وأليق بوصف كمالهن ، لكن لفظ الطمث غير ظاهر فيه ولو كان المراد منه المس لذكر اللفظ الذي يستحسن ، كيف وقد قال تعالى : ( وإن طلقتم النساء من قبل أن تمسوهن ) »[2].

وإذا كان المراد بالطمث الجماع فهو لفظ أقرب إلى التصريح منه إلى الكناية ، في حين أن الله ـ سبحانه ـ كني عن الجماع في الدنيا باللمس إذ قال : ﴿ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾[3] وقال ﴿ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾[4] .. ولهذا التعبير ـ دلالته في القرآن الكريم يوضحها الفخر الرازي ، إذ يقول : « فالله تعالى ذكره في الدنيا مجازيًا مستورًا في غاية الخفاء بالكناية إشارة إلى قبحه ، وفي الآخرة ذكره بأقرب الألفاظ إلى التصريح أو بلفظ صريح لأن الطمث أدل من الجماع والوقاع لأنهما من

---

(١) سورة الأحزاب ، آية : ٤٩ .

(٢) التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٢٩ .

(٣) سورة النساء ، من الآية : ٤٣ .

(٤) سورة الأحزاي ، من الآية : ٤٩ .

الجمع والوقوع إشارة إلى خلوه عن وجوه القبح »[1].

وقد اختلف المفسرون[2] في بيان المراد من قوله تعالى : ( إنس قبلهم ولا جان ) ، إذ قالوا : أي لم يطمث الإنسيات أحد من الإنس ولا الجنيات أحد من الجن ، ويستدل بذلك على أن الجن يدخلون الجنة أو لأنهن خلقن في الجنة ، فعلى قوله هؤلاء من حور الجنة . أو هن من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن يعني لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان . أو أن قوله تعالى في قوة الاستثناء كأنه قال : لم يطمثهن إلا المؤمنون . أو أن هذا على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس . أو أن الجن قد تجامع نساء البشر مع أزواجهن إذا لم يذكر الزوج اسم الله تعالى ، فنفي هنا جميع المجامعين ، أو هو نفي الافتضاض عن البشريات والجنيات، أو أن التعبير به إشارة إلى أنها توجد بكراً كلما جومعت . أو ما يعطاه الإنسي من الحور لم يطمثهن إنس قبله ، وما يعطاه الجني منهم لم يطمثهن جني قبله ...

والتفسير الأرجح : أن في ذكر نفي طمث الإنس والجن عن نساء الجنة قبل أزواجهن ... مبالغة في نفي هذه الصفة عنهن ... ولهذه المبالغة في النفي دلالتها القوية على الحفظ والصون والحماية لنساء الجنة حتي تكون متعة الأزواج بهن متعة كاملة خالصة من شوائب التفكير في سلامة هؤلاء الحور وحمايتهن من كل ما يشينهن ، أو يصرفهن عن أزواجهن ... وعلى هذا يكون المعني : أن نساء الجنة في حفظ وصيانة تامين ، بحيث لا يمسسهن أحد قبل أزواجهن لا من الإنس ولا من الجن أبداً . وفي هذا المعني إشارة إلى أنهن يوجدن أبكاراً كلما جومعن . وقد عبر الفخر الرازي عن اختياره لهذا التفسير بقوله : « فكأن مواقعة الإنس إياهن كمواقعة الجن من حيث الإشارة إلى نفيها »[3].

---

(١) التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٣٠ .

(٢) انظر جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٧ ص١٥١ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٧٥ . الكشاف ج٤ ص٥٤ . التفسير الكبير ج٢٩ ص١٣٦ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٠ . البحر المحيط ج٨ ص١٩٨ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٨٥ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٣٨ . روح المعاني ج٢٧ ص١١٩ .

(٣) التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٣٠ .

ويلحظ أن للآية الكريمة نسقًا خاصًا له دلالته المهمة في المعني ، إذ أن قوله سبحانه : ( لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ) ، قُدِمَ فيه ذكر الإنس ، وأتي بعده الظرف : ( قبلهم ) بضمير الغائب العائد على من عاد عليه الضمير في : (متكئين)[1] . ثم أتي بعد الظرف ذكر الجان ... وفي تقديم ذكر الإنس على الجان تقديم لنفي ما يعقل حدوثه ، ولكن تنفر منه الطباع . على نفي ما لا يعقل حدوثه مبالغة في النفي ... يقول ابن القيم : « وأما تقديم الإنس على الجن في قوله : ( لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ) فلحكمة أخري سوي ما ذكره ، وهو أن النفي تابع لما تعقله القلوب من الإثبات ، فيرد النفي عليه . وعلم النفوس بطمث الإنس ونفرتها ممن طمثها الرجال هو المعروف ، فجاء النفي على مقتضي ذلك ، وكان تقديم الإنس في هذا النفي أهم »[2] .

وأما ذكر الظرف : ( قبلهم ) بين الإنس والجن فله دلالته المعنوية القوية ، إذ فيه إشارة قوية إلى حفظهن بحيث لا يمسسهن قبل أزواجهن المؤمنين أحد لا من الإنس ولا من الجن ... كما أن وجود الظرف : ( قبلهم ) له مزية أخري ذكرها الفخر الرازي ، إذ قال : « لو قال : لم يطمثهن إنس ولا جان يكون نفيًا لطمث المؤمن إياهن وليس كذلك »[3] .

ويؤكد الله ـ عز وجل ـ صفة الحفظ والصيانة والجمال لنساء الجنة في آية أخري بعد الآية السابقة إذ يقول سبحانه :

﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[4] .

إذ يشبه الله ـ عز وجل ـ نساء الجنة بالياقوت والمرجان ... وقد بيّن المفسرون[5]

---

(١) انظر البحر المحيط ج٨ ص١٩٨ .
(٢) بدائع الفوائد م١ ج١ ص٦٧ .
(٣) التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٣٠ .
(٤) سورة الرحمن ، آية : ٥٨ .
(٥) انظر تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ص٨١ ـ جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٧ ص١٥٢ ـ ١٥٣ . الكشاف ج٤ ص٥٤ . التفسير الكبير ج٢٩ ص١٣٠ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٠ . البحر المحيط ج٨ ص١٩٨ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٨٥ . روح المعاني ج٢٧ ص١٣٠ .

المراد من تشبيههن بالياقوت والمرجان ، إذ قالوا : أي لهن صفاء الياقوت ، وبياض المرجان ، أو في صفاء الياقوت وبياض المرجان . والمرجان صغار الدر وهو أنصع بياضاً من اللؤلؤ الكبار ... أو كأنهن على صفاء الياقوت وحمرة المرجان ، لو أدخلت في الياقوت سلكاً ثم نظرت إليه لرأيته من ورائه ، أو مشبهات بالياقوت في حمرة الوجنة والمرجان أي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها ... أو في صفاء الياقوت وحمرة المرجان ، بحمل المرجان على ما هو معروف .

والتفسير الراجح أنهن يشبهن الياقوت في حمرة الوجنة وصفاء البشرة ، ويشبهن المرجان في بياض البشرة وصفائها . وذلك أن الياقوت فيه الحمرة وفيه الصفاء ، وقد عرّفه الطبري بقوله : « أما الياقوت فإنه لو أدخلتَ فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيتة من ورائه »[1] ... أما المرجان فإنه كما عرّفه ابن منظور : « اللؤلؤ الصغار ، أو نحوه واحدته مرجانة »[2] .

وفي تشبيه الله ـ عز وجل ـ نساء الجنة بالمرجان دلالة على شدة بياض بشرتهن وصفاء لونهن ، وذلك لأن صغار اللؤلؤ أنصع بياضًا من كباره . وقد ألمح الزجاج إلى مزية تشبيه نساء الجنة به ، إذ قال : « هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان ، وهو أشد بياضاً »[3] .

وقد وضح الفخر الرازي مزية تشبيه نساء الجنة بالياقوت والمرجان عقب ما وصفهن به الله ـ عز وجل ـ في قوله تعالى :

﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾[4] ..

وذلك أن الآيات الكريمة جاءت في نسق متسلسل مترابط ، بحيث تترابط الصفات التي وصف الله ـ سبحانه ـ نساء الجنة بها في سياق واحد ، يعطي وصفاً

---

(١) جامع البيان م١٣ ج٢٧ ص١٥٢ .

(٢) لسان العرب ج٢ ص٣٦٦ مادة مرج .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج٥ ص١٠٢ . وانظر الكشاف ج٤ ص٥٤ .

(٤) سورة الرحمن ، آية : ٥٦ .

عامًا مجملاً بديعًا لنساء الجنة ... يقول الفخر الرازي : « وهذا التشبيه فيه وجهان : (أحدهما ) تشبيه بصفائهما ، وثانيهما ) بحسن بياض اللؤلؤ وحمرة الياقوت ، والمرجان : صغار اللؤلؤ ، وهي أشد بياضًا وضياءً من الكبار بكثير ، فإن قلنا : أن التشبيه لبيان صفائهن ، فنقول : فيه لطيفة هي أن قوله تعالى : ( قاصرات الطرف ) إشارة إلى خلوصهن عن القبائح ، وقوله :

﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [(١)].

إشارة إلى صفائهن في الجنة ، فأول ما بدأ بالعقليات ، وختم بالحسيات ، كما قلنا : إن التشبيه لبيان مشابهة جسمهن بالياقوت والمرجان في الحمرة والبياض ، فكذلك القول فيه ، حيث قدم بيان العفة على بيان الحسن ، ولا يبعد أن يقال : هو مؤكد لما مضي ، لأنهن لما كن قاصرات الطرف ، ممتنعات عن الاجتماع بالإنس والجن ، لم يطمثن ، فهن كالياقوت الذي يكون في معدنه ، والمرجان المصون في صدفه ، لا يكون قد مسه يد لامس »[(٢)].

وقد ذكر ابن ناقيا البغدادي رأيًا آخر مختلفًا في تشبيه نساء الجنة بالمرجان ، وذلك إذ قال : « وقال قوم : إن المرجان صغار اللؤلؤ ، ولا يصح ما قالوا ، لأن المرجان جنس آخر هو أحمر اللون ينشأ في قرار البحر متشجراً ، ويخرج بالكلاليب ، قال تعالى :

﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [(٣)].

ولو كان كما ذكروا لم يكن في هذا التكرير فائدة . والمعني : أنه شبههم بالمرجان ليدل ذلك على تشبيههم بالياقوت الأحمر وهو أحسن الياقوت »[(٤)].

وهذا القول لابن ناقيا اعتمد فيه على قول ضعيف في بيان معني المرجان كما

---

(١) سورة الرحمن آية : ٥٨ .
(٢) التفسير الكبير ، ج٢٩ ص١٣٠ .
(٣) سورة الرجمن ، آية : ٢٢ .
(٤) الجمان في تشبيهات القرآن ص٢٩٣ ـ ٢٩٤ .

بينه اللغويون ، إذ قال ابن منظور : « وقال بعضهم : المرجان : البُسَّدُ ، وهو جوهر أحمر ، قال ابن برّي : والذي عليه الجمهور أنه صغار اللؤلؤ »[١]. كما أن التشبيه القرآني في الآية الكريمة تذهب مزيته على هذا التفسير الذي قاله ابن ناقيا . إذ يصبح التشبيه بالياقوت المتميز بالإحمرار وبالمرجان الأحمر على رأيه لا فائدة له ... حيث تقل القيمة البلاغية المتمثلة في عطف المرجان وهو الدر الصغير الناصع البياض على الياقوت الأحمر ... لتدل على حمرة الوجنة مع شدة بياض البشرة وصفائها وضيائها ...

ويصف الله ـ عز وجل ـ نساء الجنة بصفة الحياء والعفة والكرامة والصينة ، إذ يقول سبحانه :

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ... لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [٢].

والآية تصف نساء الجنة بأنهن حور ، والحور جمع مفرده حوراء وهي الشديدة بياض البشرة ، والشديدة بياض العين ، الشديدة سواد سوادها ... وقد ظهر المعني المقصود من قوله تعالى ( حور ) في الآيات التي سبقت[٣]...

أما المراد من قوله تعالى : مقصورات في الخيام ) فقد اختلف المفسرون[٤] في بيان قوله : مقصورات ، إذ قالوا : أي حبسن فلا يردن غيرهم ، ولا يطمحن إلى سواهم ، والعرب تسمي الحَجَلة : المقصورة ، والقصورة ، ويسمون المقصورة من النساء: قصورة . أو محبوسات مخدرات أو قصرن على أزواجهن ، فلا يبغين بهم بدلاً، ولا يرفعن أطرافهن إلى غيرهم من الرجال ، أو قصرن أنفسهن وقلوبهن وأبصارهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم . أو أنهن محبوسات في الحجال . أو عذاري الجنة ، أو

---

(١) لسان العرب ، ج٢ ص٣٦٦ مادة مرج .

(٢) سورة الرحمن ، الآيتان : ٧٢ ، ٧٤ .

(٣) انظر ص٣٠٩ ـ ٣١٠ مما سبق .

(٤) انظر : معاني القرآن ج٣ ص١٢٠ . تفسير غريب القرآن . لابن قتيبة ص٤٤٣ . جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٧ ص١٥٩ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١٠٢ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٧٧ . الكشاف ج٤ ص٥٤ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦١ . البحر المحيط ج٨ ص١٩٩ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٨٧ . روح المعاني ج٢٧ ص١٢٣ .

محبوسات في الخيام لا يخرجن منها . أو لسن بطوافات في الطرق . أو مخدّرات قد قصرن على أزواجهن . أو قصرن في خدورهن ، يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة أي مخدّرة . أو قصرن في أماكنهن ، والنساء تمدح بذلك ، إذ ملازمتهن البيوت تدل على صيانتهن . أو مقصورات الطرف على أزواجهن .

والتفسير الراجح لقوله تعالى : ( مقصورات في الخيام ) هو : أنهن قصرن أنفسهن وقلوبهن وأبصارهن على أزواجهن ، فقصرن في خيامهن لم يخرجن منها ... وذلك ليعم قوله تعالى : ( مقصورات ) المعنيين معًا فهن قاصرات لأنفسهن مقصورات في خيامهن على أزواجهن لا يردن غيرهم أبداً ... وقد اختار الطبري التعميم على التخصيص في المعني ، وذلك لأن الآية الكريمة لم تحدد معني معيناً ... يقول ابن جرير الطبري : « والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله ـ تبارك وتعالى ـ وصفهن بأنهن مقصورات في الخيام ، والقصر : هو الحبس ، ولم يخصص وصفهن بأنهن محبوسات على معني من المعنيين اللذين ذكرنا دون الآخر ، بل عمّ وصفهن بذلك »[١] .

ويلحظ أن قوله تعالى : ( مقصورات في الخيام ) جاءت صفة نساء الجنة فيه باسم المفعول ، ولم تأت باسم الفاعل كما سبق في قوله تعالى :

﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾[٢] ...

ولهذه الصياغة باسم المفعول دلالة بلاغية دقيقة ، إذ فيها إشارة إلى حياء نساء الجنة ، وعفتهن وكرامتهن . فهن مخدرات في الخيام بإرخاء الستر عليهن من قبل خادر لهن لصيانتهن ، دون أن يفعلن ذلك بأنفسهن ، مما يدل على عظمتهن وعلو شأنهن ... وقد بيّن الفخر الرازي مزية مجيء الصفة باسم المفعول ، إذ قال : « والذي يدل على أن المقصورات يدل على العظمة أنهن يوصفن بالمخدرات لا بالمتخدرات ، إشارة إلى أنهن خدرهن خادر لهن غيرهن كالذي يضرب الخيام ويدلي الستر ،

---

(١) جامع البيان م١٣ ج٢٧ ص١٦٠ .
(٢) سورة الرحمن ، آية : ٥٦ .

بخلاف من تتخذه لنفسها وتغلق بابها بيدها »[(١)].

ويؤكد الله ـ عز وجل ـ صفة العفة والعظمة والصيانة في نساء الجنة بعد الآية التي سبقت بقوله سبحانه : ( لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ) فترتبط هذه الآية الكريمة بصلة معنوية قوية بما قبلها ... حيث وصفهن سبحانه بالصيانة التامة والحفظ من قبل أنفسهن ، ومن يلي أمرهن ليكن مقصورات في الخيام ينتظرن أزواجهن ، قاصرات أنفسهن وقلوبهن على أزواجهن ، لا يطمحن إلى غيرهم أبداً ... ثم يتلو ذلك بما يؤكد حفظهن ببيان أنهن سليمات شريفات ، لم يلمسهن لامس قبل أزواجهن لا من الإنس ولا من الجن ، مبالغة في الدلالة على حفظهن ... وذلك قوله سبحانه : ( لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ) ... وقد مر بيان المعني المراد في هذه الآية في الآية التي سبقت[(٢)].

ويصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ نساء الجنة بتمام الخِلْقة من الناحيتين الحسية والمعنوية ، وذلك إذ يقول عز وجل :

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ [(٣)].

فقد وصف الله سبحانه في هذه الآية الكريمة نساء الجنة من الناحيتين الخَلْقية والخُلُقية ، وقد بيّن المفسرون [(٤)] المعني المراد بقوله تعالى : ( خيرات حسان ) إذ قالوا : خيرات تخفيف خيّرات وهن خيرات الأخلاق حسان الوجوه ، أو الحور العين ، أو خيرات الأخلاق حسان الخلق ، أو المختارات لا رذل فيهن ، أو فاضلات الأخلاق حسان الخلق . أو في باطنهن الخير وفي ظاهرهن الحسن . أو حسان الخَلْق والخُلُق .

---

(١) التفسير الكبير ج٢٩ ص١٢٩ .

(٢) انظر صحيفة ٢٧٨ مما سبق .

(٣) سورة الرحمن ، آية :٧٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١٢٠ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٤٣ . جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٧ ص١٥٨ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١٠٢ . معجم مفردات ألفظ القرآن ، للراغب ، ص٤٢٠ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٧٧ . الكشاف ج٤ ص٥٤ . التفسير الكبير ج٢٩ ص١٣٤ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦١ . البحر المحيط ج٨ ص١٩٩ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٨٦ . روح المعاني ج٢٧ ص١٢٣ .

والمعاني لما قالوه متقاربة فهي دالة على عموم صفةالخير والحسن فيهن . وأقرب هذه التفسيرات : أنهن خيرات الأخلاق حسان الوجوه ، إذ فيه تعميم صفة الخير في أخلاقهن ، وتعميم صفة الحسن في خَلْقِهن ... وقد أخرج الطبري عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب عن أم سلمة قالت : « قلت : يا رسول الله أخبرني عن قوله (فيهن خيرات حسان) قال : خيرات الأخلاق حسان الوجوه »[1] ...

وفي وصف الله ـ سبحانه ـ نساء الجنة بالخيرات في خُلُقهنّ والحسان في خَلْقِهنّ إشارة إلى كمالهن وتميزهن عن نساء أهل الدنيا ... إذ لا يمكن أن يجتمع فيهن هذا الكمال من الناحيتين الحسية والروحية ..

ويصف الله ـ عز وجل ـ نساء الجنة بصفات مكملة للحسن كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾[2] .. فقد وصفهن الله ـ سبحانه ـ في هذه الآية بأنهن كواعب وأنهن أتراب ... وفي بيان معني الآية قال المفسرون[3] : أي نساء قد كعبت ثُديُهن ، أو نواهد في سن واحدة ، أو مستويات ، أو لدات تُنشأن معًا تشبيهًا في التساوي والتماثل بالترتيب التي هي ضلوع الصدر . أو لوقوعهن على الأرض ، أو لأنهن في حال الصبا يلعبن بالتراب معًا . أو جواري نواهد قد تكعبت ثديهن مستويات . أو اللواتي فلكت ثديهن وهن النواهد ... أو لدات مستويات في السن . أو جمع كاعب وهي المرأة التي تكعب ثدياها واستدارا مع ارتفاع يسير في سن البلوغ ولدات ينشأن معًا . أو حوراً كواعب لم تتدل ثديهن . أو الفتيات الناهدات اللواتي استدارت ثديهن والمتوافيات السن والجمال ...

وهذه التفسيرات كلها متقاربة تعطي وصفًا واحداً لنساء الجنة هو أنهن النساء

---

(١) جامع البيان ، م١٣ ج٢٧ ص١٥٨ .

(٢) سورة النبأ ، آية : ٣٣ .

(٣) انظر : تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٥١٠ . جامع البيان ، للطبري م١٥ ج٣٠ ص١٨ . معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص٧٠ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٣٩ . الكشاف ج٤ ص١٧٩ . التفسير الكبير ج٣١ ص٢٠ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٤٢ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٩٢ . حاشية الشهاب ج٨ ص٣٠٩ روح المعاني ج٣٠ ص١٨ . تفسير المراغي م١٠ ج٣٠ ص١٥ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٨٠٨ .

اللواتي تكعبت ثديهن واستدرت ولم تتدل ، أي أنهن في سن البلوغ وقت اكتمال أنوثتهن ، وأنهن متماثلات في الجمال مستويات في السن على صورة واحدة من الأنوثة والجمال ... وفي هذا الوصف لهن دلالة على تحابيهن معًا وعدم تغايرهن أو تباغضهن ، مما يعطي الزوج متعة خالصة بهن متساوية معهن ... إذ لا ينغض عليه في المتعة بهن شيء من المشاحنة أو التباغض بينهن ، ولا يجد فرقًا في لذته مع أي منهن ...

ويصف الله ـ عز وجل ـ نساء الجنة بصفة جمالية أخري مع وصفهن بأنهن أتراب في آية أخري ، إذ يقول سبحانه : ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ (1) .

وقد بين المفسرون(2) معني ( عُرُبًا ) ، إذ قالوا : واحدهن عروب وهي المتحببة إلى زوجها الغنجة ، أو الحسنة التبعل ، أو متحببات إلى أزواجهن بحسن التبعل ، أو عواشق ، أو المتوددات إلى أزواجهن ، أو الشكلة بلغة مكة ، والغنجة بلغة المدينة ، أو اللاتي يشتهين أزواجهن . أو متعشقات متحببات . أو حسنات الكلام .

والتفسير المختار : أنهن متحببات متوددات إلى أزواجهن ... ذلك لأن العُرُبْ في اللغة : جمع عَروبٍ ، وهي المرأة الحسناء المتحببةُ إلى زوجها (3) . وقد فسر الراغب قوله تعالى : ( عربًا ) بقوله : « وامرأة عروبة مُعرِبة بحالها عن عفتها ومحبة زوجها»(4) ..

وقد وصف الله ـ سبحانه ـ نساء الجنة بصفة أخري في هذه الآية وهي قوله

---

(1) سورة الواقعة ، آية : 37 .

(2) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج3 ص125 . مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، ج2 ص251 . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص449 . جامع البيان للطبري م13 ج27 ص186 ـ187 . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج5 ص112 . تفسير البغوي ج4 ص284 . الكشاف ج4 ص59 . تفسير النسفي ج3 ص466 . البحر المحيط ج8 ص207 . تفسير أبي السعود ج8 ص194 . حاشية الشهاب ج8 ص144 . تفسير المراغي م9 ج27 ص139 . في ظلال القرآن ج6 ص3464 .

(3) انظر لسان العرب ، ج1 ص591 مادة عرب .

(4) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص 340 مادة عرب .

تعالى : ( أتراباً ) : وهن اللاتي في سن واحدة نشأن معاً [1]... وفي هذه الصفة إشارة إلى توددهن إلى بعضهن ، وعدم تباغضهن أو تغايرهن ، إذ هن في سن واحدة تجعل التفاهم والتودد بينهن .

وفي اجتماع هاتين الصفتين معًا لنساء الجنة دلالة على ما يجده أهل الجنة من المتعة التامة الخالصة مع زوجاتهم ... إذ أعد الله لكل منهم زوجات محببات لهم .. كلهن في سن واحدة وأشكال متماثلة ، لا تختلف واحدة منهن في خلقها أو طبعها أو سنها أو شكلها ... وليس بينهن تنافس ولا تباغض ولا غيرة ... بل كلهن متحببات فيه متفقات فيما بينهن .

ومن الصفات التي بينها الله ـ عز وجل ـ عن نساء أهل الجنة قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ [2].

وفي هاتين الآيتين بيان لبدأ خلق الله ـ عز وجل ـ نساء الجنة ... فتبين أنهن خلق جديد أنشأهن الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الجنة فجعلهن أبكاراً ، وأعدهن لعباده المؤمنين المتقين .

وقد بين المفسرون[3] معني قوله تعالى : ( إنا أنشأناهن إنشاءً ) إذ قالوا : أي أنشأنا الصبية والعجوز فجعلناهن أتراباً أبناء ثلاث وثلاثين . أو خلقناهن خلقًا من الثيب والأبكار . أو منهن العجز الرجّف أنشأهن الله في هذا الخلق . أو من بني آدم نساؤكن في الدنيا ينشئهن الله أبكارًا عذاري . أو خلقهن من زعفران من غير ولادة .

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري ، م١٣ ج٢٧ ص١٨٨ ـ ١٨٩ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٨٤ . الكشاف ج٤ ص٥٩ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٦ . البحر المحيط ج٨ ص٢٠٧ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩٤ . تفسير المراغي م٩ ج٢٧ ص١٣٩ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٤٦٤ .

(٢) سورة الواقعة ، الآيتان : ٣٥ ـ ٣٦ .

(٣) انظر معاني القرآن ، للفراء ، ج٣ ص١٢٥ . جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٧ ص١٨٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١١٢ . إعراب القرآن ، لأبي جعفر النحاس ج٤ ص٣٣٢ . تفسير البغوي٤ ص٢٨٣ ـ ٢٨٤ . الكشاف ج٤ ص٥٩ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٦ . البحر المحيط ج٨ ص٢٠٧ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩٣ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٤ . تفسير المراغي م٩ ح٢٧ ص١٣٩ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٤٦٤ .

أو عجائز كن في الدنيا عمشاً رمضاً أنشأهن الله تعالى خلقاً جديداً . أو هن من الحور العين أنشأهن الله لم يقع عليهن ولادة . أو ابتدأنا خلقهن ابتداءاً جديداً من غير ولادة. أو أبدعناهن من غير ولادة إبداءً جديداً من غير ولادة . أو أبدعناهن من غير ولادة إبداءاً أو إعادة . أو أعددناهن نساءاً أبكاراً . أو إما ابتداءً وهو الحور ، وإما استئنافاً وهن الزوجات المبعوثات شواب .

وهذه التفسيرات متقاربة لا تختلف إلا في عود الضمير ( هن ) في قوله تعالى : ( إنا أنشأناهن ) . فهو إما أن يعود على الحور في قوله تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ [1] فيكون إنشاؤهن ابتداءً ، وإما أن يعود على نساء الدنيا فيكون إنشاؤهن إعادة خلقهن شباباً في الجنة ، وفي الحالتين يكون الإنشاء إبداعاً من غير ولادة ...

والتفسير الراجح : أن لا يعود الضمير على متعين منهما ، وإنما يراد به التعميم ، ليعم الحور العين ، ونساء الحياة الدنيا ... وذلك لأن الله ـ سبحانه ـ لم يحدد في الآيات التي وصفت نساء الجنة هل هن من الحور العين أم من نساء الدنيا ... ثم إن الحور العين ونساء الدنيا يكن في الجنة على خلق واحد متماثلات في الشكل ، مستويات في السن ، كما بينت الآيات السابقة في صفة نساء الجنة ... وقد ألمح ابن قتيبة إلى قصد عامة النساء في عود الضمير عليهن ، إذ قال : « ولم يذكر النساء قبل ذلك : لأن الفرش محل النساء ، فاكتفي بذكر الفرش »[2] ... كما أشار الزمخشري إلى إبداع الله ـ سبحانه ـ نساء الجنة من غير ولادة ، إذ قال : « المعني ابتدأنا خلقهن ابتداءاً جديداً من غير ولادة . فإما أن يراد اللاتي ابتدئ انشاؤهن أو اللاتي أعيد انشاؤهن »[3] .

أما قوله تعالى : ( فجعلناهن أبكاراً ) فقد بيّن المفسرون[4] معناه إذ قالوا : أي

---

(١) سورة الواقعة ، آية : ٢٢ .

(٢) تفسير غريب لقرآن ص٤٤٩ .

(٣) الكشاف ، ج٤ ص٥٨ .

(٤) انظر : تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٤٩ . جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٧ ص١٨٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج٥ ص١١٢ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٨٣ . الكشاف ج٤ ص٥٩ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٦ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩٣ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٤٦٤ .

شيئًا واحداً وسنًا واحداً . أو قصيرناهن أبكاراً عذاري . أو لم يطمثهن أو كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً . أو لم يمسسن .

وهذه المعاني كلها متقاربة تعطي معني واحداً وهو : أن نساء الجنة يكن عذاري لم يمسسهن أحد قبل أزواجهن ... وقد بيّن الله ـ سبحانه ـ هذه الصفة في نساء الجنة في عدة آيات سبقت دراستها[1] .

ويلحظ أن الصفتين اللتين وصف الله بهما نساء الجنة في الآيتين الكريمتين بينهما علاقة معنوية دقيقة بدت من تسلسل الصفتين : إذ وصف الله عز وجل نساء الجنة في الآية الأولي بصفة الإنشاء وهي خلقهن خلقًا جديداً ، ووصفهن في الآية التالية بأنهن عذاري لم يمسسهن أحد في هذا الخلق سواء كان هذا الخلق ابتداءً كما في الحور العين ، أم كان إعادة كما في نساء الدنيا ... وفي تتابع هاتين الصفتين لنساء الجنة دلالة على مساواتهن وعدم التفاوت بين الحور العين ، أو نساء الدنيا اللاتي يعاد خلقهن في الجنة كما أن فيه دلالة على أن متعة أهل الجنة مع زوجاتهم لا تتغير ، سواء كن من الحور العين أم ممن أعيد خلقهن من نساء الدنيا ... فهن بعد الإنشاء سواء .

وفي خاتمة البحث في صفات نساء الجنة التي بينها الله سبحان يلحظ أن الله ـ عز وجل ـ قد ذكر صفات عامة حسية ونفسية في نساء الجنة ، نحو بياض البشرة وصفائها ، وسعة العينين وحسنهما ... واكتمال الأنوثة والاستواء في السن ... والحياء والعفة والطهر والصيانة وحسن التبعل ... واقتصر الوصف القرآني على هذه الصفات العامة ... دون أن يصفهن وصفًا دقيقاً كبيان ملامح الجسم . أو صفات الوجه ، أو غير ذلك مما يكشف سمات المرأة ويعرض جمالها أمام الأعين ... وكأن وصف الله ـ سبحانه ـ لنساء الجنة توجيه رباني بعدم تعريض جمال النساء للأعين وكشفه أمام الأنظار .

ثم إن الوصف العام كبياض البشرة ونقائها ، وسعة الأعين وحسنها ... من

(١) انظر فيما سبق صحيفة ٣١٢ ـ ٣١٣ ـ ٣٢٣ .

أساسيات الجمال في النساء ، ومن الدواعي التي ترغب فيهن ... وكأن الله ـ سبحانه ـ في وصفه لنساء الجنة بهذه الصفات العامة يرغب عباده المؤمنين في الطيبات من الأعمال حتى يتمتعوا بما أعده لهم في الجنة من أنواع المتع ومن بينها النساء الجميلات الفاتنات في خلقهن وخلقهن .

ويلحظ أن الله ـ عز وجل ـ في ذكر نساء الجنة ، ذكرهن بأوصافهن فقط ، ولم يذكرهن باسم الجنس ، بل ذكر الحور العين ، وقاصرات الطرف ، والكواعب ، والأتراب ، وعربًا أترابًا ... وفي هذا الأسلوب القرآني إشارة إلى حفظهن وتسترهن وحمايتهن من الكشف والتعريض . وزيادة في الترغيب بهن وإعظامًا لشأنهن ... يقول الفخر الرازي : « فإنه تعالى لم يذكر النساء إلا بأوصافهن ، ولم يذكر اسم الجنس فيهن ، فقال تارة ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ [1] وتارة ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [2] وتارة ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ [3] ولم يذكر نساء كذا وكذا لوجهين : ( أحدهما ) الإشارة إلى تخدرهن وتسترهن ، فلم يذكرهن باسم الجنس لأن اسم الجنس يكشف من الحقيقة ما لا يكشفه الوصف ... ( وثانيهما ) إعظامًا لهن ليزداد حسنهن في أعين الموعودين بالجنة ، فإن بنات الملوك لا يذكرن إلا بالأوصاف »[4].

---

(١) سورة الواقعة ، آية : ٢٢ .

(٢) سورة الواقعة ، آية : ٣٧ .

(٣) سورة الرحمن ، آية : ٥٦ .

(٤) التفسير الكبير ج٢٩ ص١٢٩ .

# الغلمان في الجنة

ذكـر الله ـ عـز وجل ـ الغلمـان والولدان في الجنة . وبيّن أنهـم من بين ألوان النعيم والمتاع الحسِي الذي أعده سبحانه لعباده المؤمنين في الجنة . والغلمان والولدان هم الخدم الذين يعدون ويقدّمون الطعام والشراب لأهل الجنة .

وقد ذكر الله ـ تعالى ـ الغلمان والولدان في الجنة بأسماء الجنس مع وصف لهم في آية .. ووصفـهم باللؤلؤ المنثور في آية أخـري .. ووصفـهم باللؤلؤ المكنون في آية ثالثة ..

وفي ذكر الله تعالى لخدّام أهل الجنة ووصفهم بما وصفهم به بيان لمدي المتعة والرفاهية والنعيم الذي أُعدَّ للمؤمنين في الجنة ، ذلك أن وجود الخدم عند الإنسان في الدنيا ، وكثرتهم وانتشارهم في خدمته ، دليل على رفاهية ذلك الإنسان وراحته .. فكيف إذا كانوا في الجنة ، أعدهم الله ـ سبحانه ـ وهيأهم ووصفهم باللؤلؤ المكنون واللؤلؤ المنثور ..

ودراسة الآيات التي وصفت غلمان الجنة .. تبدأ بالآيات الكريمة التي ذكرهم الله ـ سبحانه ـ فيها من غير تشبيه . وهي قوله سبحانه :

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ (١).

والآية الكريمة بدأت بالمضـارع ( يطوف ) وتعلق به الجار والمجرور ( عليـهم ) ، والضمير المجرور ( عليهم ) عائد على المؤمنين من أهل الجنة وهم :

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾(٢).

.. وفي هذه الصياغة دلالة على استمـرار وجود وانتشار هؤلاء الولدان حول أهل الجنة لخدمتهم وتقديم ألوان المتع لهم .. فهـم لا يحتاجون إلى استدعائهم لتقديم الخدمة . بل إن هؤلاء الخدم في طواف دائم حول المؤمنين تطلبًا لخدمة يؤدونها لهم

---

(١) سورة الواقعة ، آية : ١٧ .

(٢) سورة الواقعة آية : ١٠ .

.. وفي هذا الوصف تمييز لخدم الجنة عن خدم الدنيا الذين لا يؤدن خدمة إلا بعد طلب المخدوم لها .. فالخادم في الدنيا يطلب لأداء الخدمة .. أما الخادم في الجنة فإنه يطوف حول المخدوم تطلباً لخدمة يؤديها ..

وقد بيّن المفسرون[1] المراد بقوله تعالى : ( ولدان مخلّدون ) إذ قالوا : أي على سن واحدة لا يتغيرون ، والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط : إنه لمخلّد ، وإذا لم تذهب أسنانه عند الكبر قيل أيضاً : إنه لمخلّد . أو مخلّدون أي أو لا يموتون . أو مبقون بحالتهم لا يعتريهم استحالة . أو مبقون أبداً على شكل الولدان وحدّ الوصافة لا يتحولون عنه .. أو يبقون صغاراً دائمًا لا يكبرون ولا يلتحون ، ولا يموتون ولا يفنون ..

والتفسير الراجح أنهم دائماً على شكل الولدان صغاراً لا يكبرون ولا يتغيرون ، ولا يموتون أبداً ، وذلك أن الخلود في الجنة يعني : بقاء الأشياء على الحالة التي هي عليها من غير اعتراض الكون والفساد عليها[2] .. وقد اختار الطبري هذا التفسير إذ قال: « والذي هو أولي بالصواب في ذلك قول من قال معناه : إنهم لا يتغيرون ، ولا يموتون ، لأن ذلك اظهر معنييه ، والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط : إنه لمخلّد»[3] ...

وقد اختلف المفسرون[4] في هؤلاء الولدان من يكونون ، إذ قالوا : هم أولاد أهل

---

(١) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١٢٢ ـ ١٢٣ . مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٤٩ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٤٦ ـ ٤٤٧ . جامع البيان ، للطبري م١٣ ، ج٢٧ ص١٧٣ ـ ١٧٤ . إعراب القرآن ، للنحاس ج٤ ص٣٢٥. معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص٥٥ ، مادة خلد . تفسير البغوي ج٤ ص٢٨١ . الكشاف ج٤ ص٥٧ . التفسير الكبير ج٢٩ ص١٤٩ ـ ١٥٠ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٧٤ . البحر المحيط ج٨ ص٢٠٥ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩١ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٣ . روح المعاني ج٢٧ ص١٣٦ . تفسير المراغي م٩ ، ج٢٧ ص١٣٦ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٦٤٦ .

(٢) انظر بصائر ذوي التمييز ، للفيروزابادي ج٢ ص٥٥٩ .

(٣) جامع البيان ، م١٣ ، ج٢٧ ص١٧٤ .

(٤) انظر : تفسير البغوي ج٤ ص٢٨١ . الكشاف ج٤ ص٥٧ . التفسير الكبير ج٢٩ ص١٤٩ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٤ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩١ . روح المعاني ج٢٧ ص١٣٦ .

الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ، ولا سيئات فيعاقبوا عليها ، لأن الجنة لا ولادة فيها فهم خدم أهل الجنة .. أو هم صغار المؤمنين ، أو هم صغار الكفار . أو هم على الاستعمال الذي لم يلحظ فيه الأصل وهو إرادة الصغار مع قطع النظر عن كونهم مولودين .

والتفسير الراجح أنهم الصغار في السن مع قطع النظر عن كونهم مولودين ، وذلك لأن أبناء المؤمنين أخبر الله أنه يلحقهم بآبائهم كما في قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (١).

وقد وضح الفخر الرازي السبب في عدم اختيار أنهم من أبناء المؤمنين بقوله(٢) : « في الولدان وجهان ( أحدهما ) أنه على الأصل وهم صغار المؤمنين وهو ضعيف ، لأن صغار المؤمنين أخبر الله ـ تعالى ـ عنهم أنه يلحقهم بآبائهم ، ومن الناس المؤمنين الصالحين من لا ولد له ، فلا يجوز أن يخدم ولد المؤمن مؤمناً غيره ، فيلزم إما أن يكون لهم اختصاص ببعض الصالحين ، وأن يخدم غير أبيه وفيه منقصة بالأب ، وعلى هذا الوجه قيل : هم صغار الكفار ، وهو أقرب من الأول ، إذ ليس فيه ما ذكرنا من المفسدة . ( والثاني ) أنه على الاستعمال الذي لم يلحظ فيه الأصل وهو إرادة الصغار مع قطع النظر عن كونهم مولودين وهو حينئذ كقوله تعالى :

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ ... ﴾ (٣)» ...

وفي وصف خدّام أهل الجنة بأنهم ( مخلّدون ) باسم المفعول بيان لبقائهم على ما هم عليه من حسن الصورة والطراوة والخدمة على الوجه الذي يرغب فيه أهل الجنة .. وكأن الخلود لهم هو الحفاظ على شكلهم وهيأتهم التي خصهم الله بها .. مما يدعو إلى راحة المخدومين ودوام مسرتهم بهم ..

---

(١) سورة الطور ، آية : ٢١ .

(٢) التفسير الكبير ج٢٩ ص١٤٩ .

(٣) سورة الطور ، من الآية : ٢٤

وقد أشار الفخر الرازي إلى هذه المزية البلاغية في الوصف ، إذ قال : « والأقرب أن المراد به دوام كونهم على تلك الصورة التي لا يراد في الخدم أبلغ منها ، وذلك يتضمن دوام حياتهم وحسنهم ومواظبتهم على الخدمة الحسنة الموافقة »[1].

ويصف الله ـ سبحانه ـ غلمان أهل الجنة باللؤلؤ المنثور كما في قوله تعالى :

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ﴾[2].

وقد بدأت الآية الكريمة بالفعل المضارع ( ويطوف ) ، والجار والمجرور ( عليهم المتعلق بالفعل ، والضمير المجرور ( هم ) العائد على ما يعود عليه الضمير في (متكئين) ، وهم المؤمنون من أهل الجنة ، لتدل هذه الصياغة في الآية الكريمة على دوام واستمرار انتشار الخدم حول أهل الجنة لخدمتم ، وتقديم ما أعد الله لهم من ألوان النعيم المختلفة في الجنة .. وفي هذه الآية الكريمة يصف الله سبحانه الولدان بأنهم ( مخلَّدون ) أي باقون على هيئتهم الحسنة ، وأشكالهم البديعة ، وطراوة شبابهم ، لا يتغيرون ، ولا يهرمون ، كما بيّن المفسرون[3] ، ووضح في الآية التي سبقت[4] ..

كما يشبه الله ـ عز وجل ـ الولدان في الآية الكريمة باللؤلؤ المنثور ، وهو تشبيه له قيمة بلاغية عظيمة بينها المفسرون ، إذ قالوا[5] : أي هم في حسن ألوانهم وصفائها كاللؤلؤ في بياضه وحسنه ، واللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظومًا .. أو إنما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة فلو كانوا صفاً لشبهوا بالمنظوم . أو شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأنه أحسن وأكثر ماءاً .. أو هذا من التشبيه

---

(١) التفسير الكبير ج٣٠ ص٢٥١ .

(٢) سورة الإنسان ، آية : ١٩ .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٢١٨ . معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٥ ص٢٦١ . التفسير الكبير ج٣٠ ص٢٥١ . تفسير النسفي ج٣ س٦٣٠ .

(٤) انظر ص ٣٤١ ـ ٣٤٢ فيما سبق .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ص٢٦١ . تفسير البغوي ، ج٤ ص٤٣٠ . الكشاف ج٤ ص١٧٠ . التفسير الكبير ج٣٠ ص٢٥١ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٣٠ . حاشية الشهاب ج٨ ص٢٩٠ .

العجيب لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقًا يكون أحسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون مخالفاً للمجتمع منه .

والتفسير الراجح : أنهم شبهوا في بياض ألوانهم وصفائهم باللؤلؤ ، وقيد التشبيه بالمنثور لبيان حسن انتشارهم وانبثاثهم في مجالسهم ، وهم يطوفون حول المؤمنين ، إذ هم كاللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأنه أحسن منظراً وأكثر رواءً . ويفيد التشبيه باللؤلؤ المنثور بيان كثرة عدد هؤلاء الخدم في انتشارهم لخدمة أهل الجنة .. إذ اللؤلؤ إذا تناثر عن عقده وانتشر على الأرض بان أكثر عدداً منه لو كان منظوماً ..

ويلحظ أن الآية الكريمة جاء التشبيه فيها مجرداً من أداته ، ومن وجه الشبه ، إذ قال سبحانه :

﴿ ... إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ [١].

.. وفي حذف الأداة مبالغة في تشبيههم باللؤلؤ المنثور .. إذ يصبح المعني : إن من رآهم في هيئتهم هذه وانتشارهم حول المؤمنين ظن أنهم لؤلؤ منثور .. وفي حذف وجه الشبه مبالغة في تشبيههم باللؤلؤ ، إذ يجمع التشبيه حينئذ بين لون اللؤلؤ في بياضه وصفائه وحسن منظره ، وشكل اللؤلؤ وهو متناثر من عقده على الأرض في كل الاتجاهات بحيث لا يأخذ شكلاً واحداً منتظماً بل يتفرق في عدة اتجاهات[٢] ..

ويشبه الله ـ جل ثناؤه ـ الغِلمان في آية أخري باللؤلؤ المكنون ، وهي قوله سبحانه :

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [٣]..

وفي هذه الآية الكريمة يبين الله ـ عز وجل ـ اختصاص الغلمان بخدمة أهل الجنة والطواف عليهم لتقديم ما اشتهته أنفسهم من الطعام والشراب ، وكافة أنواع المتع .. فهم كالملك لهم يتصرفون فيهم بالأمر والنهي يدل على هذا المعني نسق الآية

---

(١) سورة الإنسان ، من الآية : ١٩ .

(٢) انظر التصوير البياني ، د. محمد أبو موسي ص٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٣) سورة الطور ، آية : ٢٤ .

الكريمة .. حيث قال تعالى : ﴿ ويطوف عليهم غِلمان لهم ﴾ ..

وقد بيّن المفسرون [١] مغزي قوله تعالى : ﴿ غلمان لهم ﴾ فقالوا : أي مملوكون مخصوصون بهم ، أو متميزون عن خدم أهل الدنيا ، إذ هم في درجة الأولاد .. أو مماليك مخصوصون بهم .. وقد وضح الفخر الرازي فائدة الجار والمجرور ( لهم ) في قوله تعالى : ﴿ غلمان لهم ﴾ ، إذ قال : « وقوله ( لهم ) أي ملكهم إعلامًا لهم بقدرتهم على التصرف فيهم بالأمر والنهي والاستخدام ، وهذا هو المشهور . ويحتمل وجها آخر وهو أنه تعالى لما بيّن امتياز خمر الآخرة عن خمر الدنيا ، بيّن امتياز غلمان الآخرة عن غلمان الدنيا ، فإن الغلمان في الدنيا إذا طافوا على السادة الملوك يطوفون عليهم لحظ أنفسهم ، إما لتوقع النفع ، أو لتوفر الصفح ، وأما في الآخرة فطوافهم عليهم متمخض لهم ولنفعهم ولا حاجة لهم إليهم .. والغلام الذي هذا شأنه له مزية على غيره وربما يبلغ درجة الأولاد »[٢] ..

ويلحظ في الآية الكريمة : ﴿ غلمان لهم ﴾ أن الضمير ( هم ) العائد على المؤمنين أهل الجنة جاء مجروراً باللام ، ولم يأت مجروراً بالإضافة غلمانهم .. وللجر باللام مزية بلاغية دقيقة فهي تدل على اختصاص هؤلاء الغلمان بأهل الجنة فهم مختصون بخدمتهم والطواف عليهم .. وللام لطيفة أخري بينهاَ الألوسى[٣]، إذ قال : « أي مماليك مختصون بهم كما يؤذن به اللام . ولم يقل غلمانهم بالإضافة لئلا يتوهم أنهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا ، فيشفق كل من خدم أحداً في الدنيا أن يكون خادماً في الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعاً » ..

وقد وصف الله ـ سبحانه ـ الغلمان في الآية الكريمة هذه باللؤلؤ المكنون إذ قال تعالى : ﴿ كأنهم لؤلؤ مكنون ﴾ .. وتشبيه الغلمان باللؤلؤ المكنون له ايحاءات عديدة يدل عليها حذف وجه الشبه من التشبيه ، فهم كاللؤلؤ المكنون في شدة بياضه ،

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري م١٣ ، ج٢٧ ص٢٩ . الكشاف ج٤ ص٣٥ . التفسير الكبير ج٢٨ ص٢٥٤ . البحر المحيط ج٨ ص١٤٩ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٤٩ . روح المعاني ج٢٧ ص٣٤.

(٢) التفسير الكبير ج٢٨ ص٢٥٤ .

(٣) روح المعاني ج٢٧ ص٣٤ .

وصفاء لونه ونقائه ، وطراوته ، وحفظه مصوناً من عوامل التغيير المتعددة كالهواء والشمس والحرارة .. لم تمسه الأيدي ولم يخدش .. فيهم صباحة وحلاوة اللؤلؤ داخل صدفه .. وقد بيّن الفخر الرازي فائدة وصف اللؤلؤ بالمكنون ، إذ قال : «و(مكنون) ليفيد زيادة في صفاء ألوانهم ، أو لبيان أنهم كالمخدرات لا بروز لهم ولا خروج من عندهم فهم في أكنافهم»[1] ..

وفي وصف خدّام أهل الجنة بهذا الوصف الدال على حسن منظرهم ، وصفاء ألوانهم ، وشدة بياضهم دلالة على أن أهل الجنة أعلى شأناً وأحسن حالاً منهم . فقد أخرج الطبري عن قتادة أن رجلا قال : « يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم ؟ قال: والذي نفس محمد بيده ، إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب »[2] ..

---

(١) التفسير الكبير ج٢٨ ص٢٥٤ .
(٢) جامع البيان م١٣ ، ج٢٧ ص٢٩ .

# المبحث السادس

# الخضرة والشجر والظل والمناخ

تبين الآيات الكريمة في القرآن البيئة وأحوال الجو والمناخ في الجنة فقد بين الله ـ سبحانه أن ـ الجنة تتمتع ببيئة جميلة معتدلة المناخ لا حر فيها ولا برد تتميز بالخضرة والظل .. فقد بينت الآيات الكريمة أن الجنة التي أعدها الله عز وجل لعباده المؤمنين المتقين تتكون من حدائق غنّاء تتميز بشدة الاخضرار وامتداد الظل فيها واعتدال المناخ بحيث لا يزعج أهلها برد قارس ولا حرٌ حارق .. ولا شمس قوية . وإنما هم دائمًا وأبداً في الظل الممتد الممتع .. والجو المعتدل الجميل .. وفي هذا الوصف الرائع لبيئة الجنة ومناخها تقريب لبيئة الجنة بما يعرفه الناس من أحوال الجو والطقس والبيئة في الحياة الدنيا ، فيعرفون فرق البيئة والمناخ بين الجنة والحياة الدنيا ..

أما حقيقة البيئة والمناخ والطبيعة في الجنة فإنها مما لا يدركه العقل ولا يصل إلى كنه وصفه الخيال .. ذلك أن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ..

وعند دراسة الآيات الكريمة التي تبين وصف البيئة والمناخ في الجنة ، تبين أن الآيات الكريمة تصف البيئة العامة في الجنة من حيث أنها حدائق ورياض تتميز بشدة الاخضرار وكثافة الأشجار .. وآيات تبين امتداد الظل ودوامه .. وآيات أخري تبين اعتدال الجو ..

## أولاً : الحدائق والرياض النضرة :

الآيات الكريمة في وصف الجنة تبين أن في الجنة روضة يسعد فيها أهلها كما في قوله عز وجل :

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [1].

---

(١) سورة الروم ، آية : ١٥ .

وقد بين المفسرون [1] المراد من قوله تعالى : ( في روضة ) حيث قالوا أي بستان، وهي الجنة ، أو الأرض ذات النبات والماء ، أو الأرض ذات النبات والماء والرونق والنضارة والمراد بها الجنة ، أو الأرض ذات الأزهار والأنهار .

وأقوال المفسرين تتقارب في تفسير الروضة بأنها الأرض ذات النبات والأنهار والأزهار .. ويراد بها الجنة ، وذلك أن الروض في اللغة هو : مستنقع الماء والخضرة[2] .. وقد أطلق القرآن اسم الروضة على الجنة باعتبار وصفها الذي بينته الآيات الكريمة .

وتدل صياغة الآية الكريمة على فخامة شأن الجنة وعظم أمرها .. بحيث وردت كلمة : ( روضة ) نكرة منونة ، والتنكير يدل على إبهام أمر هذه الروضة وعدم إدراك كنهها وحقيقة شأنها وفخامتها .. وقد أشار الزمخشري إلى مزية التنكير ، حيث قال : « والتنكير لإبهام أمرها وتفخيمه »[3] .

أما قوله تعالى : ( يحبرون ) فإن فيه تأكيداً على فخامة أمر الجنة وعلو شأنها وعظمتها .. ذلك أن قوله تعالى : ( يحبرون ) يدل على سعادة المؤمنين الصالحين فيها وتجدد المسرات وتواليها عليهم .. فقد بين المفسرون[4] المراد من قوله تعالى : (يحبرون) حيث قالوا : أي ينعمون وحقيقته أنهم تتبين عليهم أثر النعمة ، أو يكرمون، أو يسرون سروراً بتهلل له وجههم ، أو يحلون ويحسنون على رؤوسهم التيجان أو هو السماع في الجنة ..

واختلاف أقوال المفسرين في تأويل : ( يحبرون ) لاحتماله جميع ألوان المسرات .. فلا مانع من أن يجمع قوله تعالى : ( يحبرون ) جميع أقوال المفسرين له .. ذلك

---

(١) انظر : الكشاف ج٣ ص١٩٩ . تفسير النسفي ج٣ ص٥ . البحر المحيط ج٧ ص١٦٥ . تفسير أبي السعود ج٧ ص٥٣ . حاشية الشهاب ج٧ ص١١٦ . روح المعاني ج٢١ ص٢٦ .

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص٢١٢ ، مادة روض .

(٣) الكشاف ج٣ ص١٩٩ . وانظر روح المعاني ج٢١ ص٢٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن ، للنحاس ج٥ ص٢٤٨ . تفسير البغوي ج٣ ص٤٧٩ . الكشاف ج٣ ص١٩٩، ٢٠٠ . تفسير النسفي ج٣ ص٥ . البحر المحيط ج٧ ص١٦٥ . تفسير أبي السعود ج٧ ص٥٣ ، ٥٤ . حاشية الشهاب ج٧ ص١١٦ . روح المعاني ج٢١ ص٢٦ .

أن المفعول لم يذكر وبُني الفعل للمجهول إيذاناً بكثرة أنواع المسرات في الجنة .. وقد أومأ الزمخشري إلى اختيار هذا المعنى حيث قال : « ثم اختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار »(١) .

أما المضارعة في قوله تعالى : ( يحبرون ) فإن فيها دلالة على استمرار تجدد أنواع ما يُسرُّ به أهل الجنة وينعمون .. بحيث لا يثبتون على نوع واحد من المسرات ، ولا تنقطع عنهم هذه الأنواع المتعددة التي يسعدون بها .. بل إنهم يتوالي عليهم في كل ساعة أمر جديد ينعمون به .. وقد نبه الفخر الرازي إلى مزية الإتيان بالفعل المضارع ، حيث قال : « قال في الأول ( يحبرون ) بصيغة الفعل ولم يقل محبورون .. لأن الفعل ينبئ عن التجدد والاسم لا يدل عليه فقوله : ( يحبرون ) يعني يأتيهم كل ساعة أمر يسرون به »(٢) .

وفي تسمية القرآن الكريم للجنة باسم الروضة دلالة على أنها كثيرة الأشجار والنباتات التي تضفي عليها الخضرة والجمال .. ويزيد من المتعة بهذا الجمال جريان المياه فيها أنهاراً وجداول وينابيع وعيوناً متعددة تجري على سطحها في غير أخدود .. مما يوحي بروعة الطبيعة وسحرها في الجنة التي أعدت للمتقين من عباد الله .

وقد بين الله ـ عز وجل ـ أن في الجنات روضات كثيرة كما في قوله تعالى :

﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾(٣) .

وقد بيّن الله ـ عز وجل ـ أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أُعدت لهم عند ربهم أماكن خاصة في الجنة هي الروضات ، وهي من أطيب بقاع الجنة وأنزهها وأعلاها كما بيّن المفسرون(٤) .. مما يدل على أن المؤمنين الذين يعملون الصالحات يستقرون

---

(١) الكشاف ج٣ ص٢٠٠ .
(٢) التفسير الكبير ج٢٥ ص١٠٣ . وانظر البحر المحيط ج٧ ص١٦٥ . روح المعاني ج٢١ ص٢٦ .
(٣) سورة الشوري ، آية : ٢٢ .
(٤) انظر : إعراب القرآن ، للنحاس ج٤ ص٨٧ . الكشاف ج٣ ص٤٠٢ . التفسير الكبير ج٢٧ ص١٣٦ . تفسير النسفي ج٣ ص٢٩١ . البحر المحيط ج٧ ص٥١٥ . تفسير أبي السعود ج٨ ص٣٠ . حاشية الشهاب ج٧ ص٤١٨ . روح المعاني ج٢٥ ص٢٩ .

في أعلى الدرجات عند ربهم في جنات النعيم .. وقد أشار الفخر الرازي إلى تميز المؤمنين الذين يعملون الصالحات عن غيرهم حيث قال [1] : « وفي الآية تنبيه على أن الفساق من أهل الصلاة كلهم في الجنة إلا أنه خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بروضات الجنات وهي البقاع الشريفة من الجنة ، فالبقاع التي دون تلك الروضات لابد وأن تكون مخصوصة بمن كان دون أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

ويلحظ أن نسق الآية الكريمة يدل على أن ( روضات الجنات ) هي أفخم وأعظم وأعلى درجات الجنة .. وذلك أن الروضة هي المكان الحسن المونق النضر من الأرض ، وهي المكان الذي يجري فيه الماء ويكثر نبته[2] ، وقد وردت في الآية الكريمة بلفظ الجمع ( روضات ) مضافًا إلى ( الجنات ) ليدل على المبالغة في وصف هذه الروضات وتميزها وتشريفها عن غيرها . وقد أشار الآلوسي إلى مزية النسق القرآني للآية الكريمة ، حيث قال : « لأن روضة الجنة أنزه موضع منها لا سيما والإضافة في هذا المقام تنبئ عن تميزها بالشرف والطيب »[3] ..

ويصف الله ـ عز وجل ـ الجنة بأنها حدائق غناء مخضرة حيث يقول تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾ [4] .

والآيتان الكريمتان تبينان أن للمتقين عند ربهم نجاةً ، وخلاصًا من النار وفوزاً عظيماً بحدائق الجنة ومنتزهاتها .. وقد بيّن المفسرون[5] المراد من قوله تعالى : (حدائق وأعنابًا) حيث قالوا : أي بساتين نخل ، أو جمع حديقة ، وهي : البساتين من النخل

---

(١) التفسير الكبير ج٢٧ ص١٦٣ .

(٢) انظر لسان العرب ج٧ ص١٦٢ ، مادة روض .

(٣) روح المعاني ج٢٥ ص٢٩ .

(٤) سورة النبأ ، الآيتان : ٣١ ـ ٣٢ .

(٥) انظر : تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٥١٠ . جامع البيان ، للطبري م١٥ ج٣٠ ص١٨ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٣٩ . الكشاف ج٤ ص١٧٩ . التفسير الكبير ج٣١ ص٢٠ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٤٢ . البحر المحيط ج٨ ص٤١٥ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٩٢ . حاشية الشهاب ج٨ ص٣٠٩ . روح المعاني ج٣٠ ص١٨ . تفسير المراغي م١٠ ج٣٠ ص١٦ .

والأعناب ، والأشجار المحوّط عليها الحيطان المحدقة ، فإن لم تكن الحيطان محدقة بها لم يُقل لها حديقة ، أو أشجار الجنة وثمارها أو البساتين فيها أنواع الشجر المثمر ، أو قطعة من الأرض ذات ماء وشجر ..

ويمكن الجمع بين أقوال المفسرين بأن الحدائق هي بساتين من النخيل والأشجار المثمرة ذات ماء ويحوطها أسوار .. وذلك أن الحديقة في اللغة : « كل أرض ذات شجر مثمر ونخل »[(١)].

وفي إطلاق اسم الحديقة على الجنة دلالة على ما تتميز به الجنة من الاتساع ، وانتشار الأشجار ، والنخيل المثمرة : لتدل على أن أهل الجنة يتمتعون بما فيها من جمال الطبيعة واعتدال الجو وامتداد الظل ، كما ينعمون فيها بتذوق أنواع الثمار برؤية أشكالها الجميلة وهي معلقة في الأشجار ..

ويلحظ على نسق الآية الكريمة : ( حدائق وأعنابا) أن قوله تعالى ( وأعنابا ) معطوف على قوله تعالى : ( حدائق ) مع أن الأعناب جزء من الحدائق ، وفي هذا العطف دلالة على اختصاص الأعناب بالذكر للاهتمام بها وبيان أنها مما يستحق الإفراد بالذكر والعناية[(٢)] .. كما يلحظ التنكير في قوله تعالى : ( حدائق وأعنابا ) ليدل هذا التنكير على عظمة وفخامة الحدائق والأعناب كما يدل على كثرة كل منهما ..

ويصف الله ـ عز وجل ـ الجنة بكثرة الأشجار ذات الفروع والثمار كما في قوله تعالى :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ [(٣)] .

حيث بيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنه أعد لمن خافه من عباده المتقين جنتين

---

(١) لسان العرب ج١٠ ص٣٩ ، مادة حدق .

(٢) انظر : روح المعاني ج٣٠ ص١٨ . تفسير المراغي م١٠ ج٣٠ ص١٦ . في ظلال القرآن ، ج٦ ص٣٨٠٨ .

(٣) سورة الرحمن ، الآيات : ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ .

تتميزان بأنهما ( ذواتا أفنان ) ، وقد بيّن المفسرون [1] المراد من قوله تعالى : ( ذواتنا أفنان ) ، حيث قالوا : الأفنان : الأغصان ، واحدها فنن ، أو الأفنان : الألوان ، جمع فن ، أي له فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من كل فن ، أو ذواتا ظلال ، أو ذواتا فضل وسعة على ما سواهما .

ولا مانع من الجمع بين أقوال المفسرين في تأويل معني ( أفنان ) بحيث يكون المعني : أن في الجنة أشجاراً ذوات أغصان وفروع مستقيمة تمتد لتكون ظلالاً ، وهي محملة بألوان الفواكه والثمار والأزهار ، ذلك أن الأفنان في اللغة جمع الفن إذا أريد بها الألوان ، وجمع الفنن إذا أريد بها الأغصان[2] ..

ثم إن صياغة الآية الكريمة : ( ذواتا أفنان ) بالتنكير في قوله تعالى : ( أفنان ) تدل على كثرة الأفنان وتنوعها وإبهام أمرها .. وقد أشار الفخر الرازي إلى مزية التنكير هذه حيث قال : « إن التنكير للأفنان للتكثير أو للتعجب » [3] ..

وفي تخصيص الأفنان بالذكر في الآية الكريمة إشارة إلى أن أغصان الأشجار في الجنة متفرعة ممتدة محملة بأنواع الفواكه والثمار والأزهار .. بحيث تعطي ظلالاً وارفة وأنواعاً مشوقة من المتع .. يقول الزمخشري : « خص الأفنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة لأنها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتني الثمار »[4] ..

وقد فصّل الشهاب في مزية التخصيص بالأفنان حيث قال : « أي الأفنان مع أنها ذوات قضب وأوراق وثمار إلى غير ذلك مما في الأشجار لأن في ذكرها ذكراً للأوراق

---

(١) انظر :مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٤٥ . جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٧ ص١٥٦ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ص١٠٢ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٧٤ . الكشاف ج٤ ص٥٤ . التفسير الكبير ج٢٩ ص١٢٤ . البحر المحيط ج٨ ص١٩٦ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٨٤ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٣٧ . روح المعاني ج٢٧ ص١١٧ .

(٢) انظر لسان العرب ج٣ ص٣٢٨ ، مادة فنن .

(٣) التفسير الكبير ج٢٩ ص١٢٤ .

(٤) الكشاف ج٤ ص٥٤ .

والثمار والظلال المقصودة بالذات على طريق أخضر وأبلغ لأنه كناية »[1] ..

ويصف الله ـ عز وجل ـ الجنة بشدة الاخضرار وكثافة الأشجار كما في قوله سبحانه :

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَّتَانِ ﴾[2] ..

حيث بيّن الله ـ سبحانه ـ أن الجنتين اللتين دون الأولين تتميزان بأنهما ( مد هامتان ) .. قال المفسرون[3] : أي خضراوان إلى السواد من الري ، أو سودوان من شدة الخضر والرّي ، أو ناعمتان ، أو مدهامتان من شدة النعمة ..

وأقوال المفسرين كلها متقاربة ، إذ المعني : أن الجنتين خضروان خضرة تميل إلى السواد من كثرة الري والنعمة .

وفي وصف الله ـ عز وجل ـ الجنتين بقوله تعالى : مدهامتان ) دلالة على ما فيها من كثة النبات الأخضر الذي كثر ريه والعناية به .. وفي هذا متعة زائدة وراحة تامة لأهل الجنة ؛ لما فيه من امتداد الظل ورطوبة الجو وجمال الطبيعة التي تبهج النفس وتبعث المتعة والسرور في القلب ..

ويلحظ أن الله ـ عز وجل ـ قد وصف الجنتين الأوليين بأنهما ( ذواتا أفنان ) ووصف الجنتين اللتين دونهما بقوله تعالى : ( مدهامتان ) .. وقد بيّن الآلوسي الفرق بين وصف الجنتين الأوليين والآخريين ، ودلالة وصف كل منهما في بيان درجة كل منهما ، حيث قال : « إن في وصف هاتين الجنتين بما ذكر إشعاراً بأن الغالب عليهما النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض كما أن في وصف السابقتين بذواتا أفنان إشعاراً بأن الغالب عليهما الأشجار، فإن الأشجار توصف بأنها ذوات أفنان، والنبات يوصف بالخضرة الشديدة ، فالاقتصار في كل منهما على أحد الأمرين مشعر

---

(١) حاشية الشهاب ج٨ ص١٣٧ .

(٢) سورة الرحمن ، الآيات : ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١١٩ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٤٢ . جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٧ ص١٥٤ ـ ١٥٥ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٧٦ . التفسير الكبير ج٢٩ ص١٣٤ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٠ . البحر المحيط ج٨ ص١٩٨ . روح المعاني ج٢٧ ص١٢١ .

بما ذكر ، وبني على هذا كون هاتين الجنتين دون الأوليين في المنزلة والقدر كيف لا والجنة الكثيرة الظلال والثمار أعلى وأغلي من الجنة القليلة الظلال والثمار »[1] .

ويصف الله ـ عز وجل ـ ما يوجد في الجنة من الروح والريحان كما في قوله سبحانه :

﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ [2] ..

وقد اختلفت أقوال المفسرين[3] في تأويل قوله تعالى : ( فروح ) حسب اختلاف القراءات في ، فمن قرأه بفتح الراء ( فَروح ) قال : إن معناه فله روح وهو الراحة ، أو مغفرة ورحمة ، أو الفرح والسعة ، ومن قرأه بضم الراء ( فُروح ) فإن معناه : تخرج روحه في الريحان ، أو فله حياة وبقاء ، أوله الرحمة .

أما قوله تعالى : ( ريحان ) فإن معناه كما بينه المفسرون[4] : هو الاستراحة أو الرزق ، أو دخول دار القرار . أو الريحان : الشجر المعروف في الدنيا .

والتفسير الراجح عندي في معني الروح والريحان : أن الروح هو الفرح والمغفرة والرحمة .. والريحان هو : النبات المعروف في الدنيا بطيب الرائحة .. فيكون المعني : أن المقربين من عباد الله الصالحين يجدون في الجنة الفرح والمسرة لما هم فيه من الراحة والرحمة والمغفرة ، بحيث يحيون فيها في أجواء ناعمة خضراء تعبق برائحة الريحان العطرة التي تبهج النفس وتريحها .

وقد اختار الطبري هذا المعني في تفسير قوله تعالى : ( فروح وريحان ) حيث قال: « وأولي الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال : « عني بالروح : الفرح

---

(١) روح المعاني ج٢٧ ص١٢١ .

(٢) سورة الواقعة ، الآيتان : ٨٨ ـ ٨٩ .

(٣) ، (٤) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١٣١ . مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٥٣ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٥٢ . جامع البيان م١٣ ج٢٧ ص٢١١ . معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ج٥ ص١١٧ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٩١ . الكشاف ج٤ ص٦٣ . التفسير الكبير ج٢٩ ص٢٠١ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٧٣ . البحر المحيط ج٨ ص٢١٥ . تفسير أبي السعود ج٨ ص٢٠١ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٥١ . روح المعاني ج٢٧ ص١٥٩ ـ ١٦٠ .

والرحمة والمغفرة ، وأصله من قولهم : وجدت روحًا ، إذا وجد نسيماً يستروح إليه من كرب الحر ، وأما الريحان ، فإنه عندي الريحان الذي يتلقي به عند الموت كما قال أبو العالية والحسن ، ومن قال في ذلك نحو قولهما ، لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه » [1] ..

وقد ورد من حديث رسول الله ـ ﷺ ما فيه بشري للمؤمن الصالح بالروح والريحان في الجنة ، كما أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: « إن الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح قالوا : أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أدخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها حتي ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل » [2] ..

أما قوله تعالى : ( وجنة نعيم ) فإن فيه دلالة على أن المقربين يتمتعون بالروح والريحان في الجنة التي أُعدت لهم .. بمعني أن الآية الكريمة تبشر عباد الله المتقين بالروح والريحان الذي يتنعمون به في جنات النعيم ..

ويلحظ في نسق قوله تعالى : ( وجنة نعيم ) أنه جاء معطوفًا بالواو عي قوله تعالى: ( فروح وريحان ) والعطف يقتضي المغايرة ، مما يدل على أن المقربين لهم روح وريحان ، ولهم جنة نعيم ..

ثم إن في إضافة الجنة إلى النعيم ـ وهي من إضافة المكان إلى المكان ـ دلالة على أن الجنة التي أعدت للمتقين في الآخرة لا تكون إلا للتنعيم فقط ... وقد أشار الفخر الرازي إلى مزية هذا النسق القرآني للآية حيث قال : « إضافة الجنة إلى النعيم من أي الأنواع قد تكون إضافة المكان في المكان ، يقال دار الضيافة ، ودار الدعوة ، ودار العدل ، فكذلك جنة النعيم ، وفائدتها أن الجنة في الدنيا قد تكون للنعيم ، وقد تكون للاشتغال والتعيش بأثمان ثمارها بخلاف الجنة في الآخرة ، فإنها للنعيم لا غير» [3] .

---

(١) جامع البيان م١٣ ج٢٧ ص٢١١ .
(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٢ ص٣٦٤ .
(٣) التفسير الكبير ج٢٩ ص١٤٧ .

ويلحظ في نسق الآية الكريمة : ( فروح وريحان وجنة نعيم ) أن ألفاظ الآية الكريمة بينها تناسق وتناسب ، بحيث توحي كلها بالجو الناعم الندي الرقيق الذي يغمر المقربين من عباد الله في الجنة .. وقد أشار الأستاذ سيد قطب إلى ما تومئ إليه ألفاظ الآية الكريمة ، حيث قال : « والألفاظ ذاتها تقطر رقة ونداوة ، وتلقي ظلال الراحة الحلوة ، والنعيم اللين والأنس الكريم »[1] ..

## ثانياً : الشجر والظل :

ويصف الله ـ عز وجل ـ أنواعاً من الشجر الموجود في الجنة كما في قوله تعالى:

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾[2].

فالآيات الكريمة تبين أن الجنة فيها من أنواع الأشجار ، السدر والطلح .. وقد بين المفسرون[3]: أن المراد من قوله تعالى : ( في سدر مخضود ) : أي لا شوك فيه كأنه خُضِدَ شوكه أي قُطع . أو في ثمر سدر موقر قد ذهب شوكه ، أو أنه الموقر حملاً . أو ثمرها أعظم من القلال ، أو هو مخلوق كذا . أو هو الذي لا يعقر الأيدي ، أو هو الذي لا أذى فيه . أو هو شجر النبق الموقر الذي تثني أغصانه كثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب .

ولا مانع من الجمع بين أقوال المفسرين في تأويل قوله تعالى : ( في سدر مخضود ) ، بحيث يكون المعنى ، أن الله ـ عز وجل ـ قد خضد شوكه ، فجعل

---

(١) في ظلال القرآن ج٦ ص٣٤٧٢ .

(٢) سورة الواقعة ، الآيات : ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩ .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١٢٤ ، مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٤٨ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٤٦ . جامع البيان للطبري م١٣ ج٢٧ ص١٧٩ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ص١١٢ . إعراب القرآن ، للنحاس ج٤ ص٣٣١ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٨٢ . تفسير الكشاف ج٤ ص٥٨ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٥ . البحر المحيط ج٨ ص٢٠٦ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩٢ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٣ . روح المعاني ج٢٧ ص١٤٠ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٤٦٤ .

مكان كل شوكة ثمرة أعظم من القلال ، فتثني الأغصان من كثرة الثمار وعظمها .. وفي وصف سدر الجنة بأنه مخضود دلالة على امتداد الظلِ فيها .. وذلك أن السِدر كما عرفه الراغب : « شجر قليل الغناء عند الأكل ، وقد يخضد ويستظل به فَجعِل ذلك مثلاً لظل الجنة ونعيمها .. لكثرة غنائه في الاستظلال »[(١)].

أما قوله تعالى : ( وطلح منضود ) فقد قيل[(٢)]: إنه الموز ، أو هو الطلح المعروف ، وهو شجر عظيم كثير الشوك ، أو هو الموز وقد نضدَ بعضه على بعض وجمع بعضه على بعض . أو هو الموز الذي نضِدَ بالحمل من أوله إلى آخره ، أو بالورق والحمل فليست له سوق بارزة . أو هو الطَلح متراكم لأنهم يعجبون بوجّ وظلاله من طلحه وسدره . والطلح هو شجر أم غيلان له نور طيب الرائحة جداً . أو هو شجر لها ظل بارد طيب .. أو هو شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلي من العسل . أو هو شجر من شجر الحجاز من نوع العضاة فيه شوك ولكنه هنا منضود معد للتناول بلا كد ولا مشقة.

والتفسير الراجح عندي : أن الطلح شبيه بطلح الدنيا وثمره أحلي من العسل .. وذلك أن وصف شجرة الطلح كما بين ابن منظور نقلاً عن أبي حنيفة ـ الدنيوري ـ أعظم العضاه وأكثر ورقًا وأشد خضرة ، وله شِوك ضخام طوال وشوكه من أقل الشوك أذىً ، ولَيس لشوكته حرارة في الرِّجل وله برَمة طيبة ، وليس في العضاه أكثر صمغًا منه ولا أضخم ، ولا ينبت الطلح إلا بأرض غليظة شديدة خصبة[(٣)] ..

ويدل النسق القرآني للآيات الكريمة على اختيار هذا التفسير ، بحيث ذكر سبحانه

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٣٣ ، مادة سدر .

(٢) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١٣٤ . مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٤٨ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٤٨ . جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٧ ص١٨١ ، ١٨٢ . إعراب القرآن ، للنحاس ج٤ ص٣٣١ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٨٢ . الكشاف ج٤ ص٥٨ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٥ . البحر المحيط ج٨ ص٢٠٦ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩٢ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٣ . روح المعاني ج٢٧ ص١٤٠ . تفسير المراغي م٩ ج٢٧ ص١٣٩ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٤٦٤ .

(٣) لسان العرب ج٢ ص٥٣٢ ، مادة طلح .

السدر المخضود وعطف عليه الطلح المنضود ، ثم عطف على الآيتين قوله تعالى : (وظل ممدود) .. مما يدل على أن السدر والطلح ، مسبب عنهما كثرة الظل في الجنة وامتداده .

وقد بين المفسرون[1] المراد من قوله تعالى : ( وظل ممدود ) : أي لا شمس فيه كظل ما بين طلوع الفجر إلى أن تطلع الشمس ، أو لا تنسخه الشمس دائم ، أو تام دائم ، أو ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس . أو لا يتقلص بل منبسط لا ينسخه شيء .

وأقوال المفسرين متقاربة في بيان معني الظل الممدود ، وقد نقل أبو حيان عن مجاهد قوله : « هذا الظل من سدرها وظلها »[2] .. مما يدل على أن امتداد الظل في الجنة ناتج من كثافة أشجارها وكبر حجمها .. وقد أخرج البخاري عن سهل بن سعد عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها »[3] ..

وهذا الحديث يدل على أن امتداد الظل في الجنة ناتج من كثافة الأشجار وضخامتها فيها .. وهذه الكثافة والضخامة تظهر واضحة في أشجار السدر والطلح .

ويبين الله ـ عز وجل ـ أن ظلال الجنة ناتجة عن دنو أشجارها وكثافتها كما في قوله سبحانه :

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾ [4] .

---

(١) انظر: معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١٢٥ . مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص٢٥٠ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص٤٤٨ . جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٧ ص١٨٢ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ص١١٢ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٨٢ . الكشاف ج٤ ص٥٨ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٦٥ . البحر المحيط ج٨ ص٢٠٦ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩٣ . حاشية الشهاب ج٨ ص١٤٤ . روح المعاني ج٢٧ ص١٤٠ .

(٢) البحر المحيط ، ج٨ ص٢٠٧ .

(٣) صحيح البخاري ، ج٨ ص١٤٢ ، باب الرقاق .

(٤) سورة الإنسان ، آية : ١٤ .

وفي الآية وصف لظلال الجنة بأنها قريبة من أهل الجنة لدنو الأشجار منهم ، وقطوفها مذللة لهم قريبة منهم يقطفونها كيف شاءوا .. وقد بين المفسرون[١] المراد من قوله تعالى : ( ودانية عليهم ظلالها ) حيث قالوا : أي قريبة منهم ظلال أشجارها أو تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها .

وأقوال المفسرين متقاربة تبين أن ظلال أشجار الجنة قريبة من الأبرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم .. بحيث لو كانت هناك شمس مؤذية ظلت الأشجار عليهم مع أنه لا شمس في الجنة تؤذي ولا برد قارس .

ثم إن قوله تعالى : ( وذللت قطوفها تذليلا ) فيه زيادة في تأكيد وجود الظل وتحقيقه ، حيث أن القطوف المذللة لهم إلى دنو الأغصان من أهل الجنة وقربها منهم وتظليلها عليهم .. وقد بين صاحب الظلال مزية وصف الجنة بدنو الظلال وتذليل القطوف فيها ، حيث قال : « وإذا دنت الظلال ودنت القطوف فهي الراحة والاسترواح على ما يمتد إليه الخيال »[٢] ..

ويصف القرآن الكريم ظل الجنة بأنه ظليل .. كما في قوله تعالى :

﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾[٣] .

قال المفسرون[٤] : أي ندخلهم ظلاً كنيناً ، أو يظل من الريح والحر وليس كل ظل كذلك ، أي أن ظل الجنة لا حر معه ولا برد ، أو كنيناً لا تنسخه الشمس ولا

---

(١) انظر : تفسير البغوي ج٤ ص٤٢٩ . الكشاف ج٤ ص١٦٩ . التفسير الكبير ج٣٠ ص٢٤٨ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٢٨ ـ ٦٢٩ . البحر المحيط ج٨ ص٣٩٦ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٧٣ . روح المعاني ج٢٩ ص١٥٩ .

(٢) في ظلال القرآن ج٦ ص٣٧٨٢ .

(٣) سورة النساء ، من الآية : ٥٧ .

(٤) انظر : جامع البيان ، للطبري م٤ ص١٤٤ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٢ ص٦٦ . معاني القرآن ، للنحاس ج٢ ص١١٩ . تفسير البغوي ج١ ص٤٤٣ . الكشاف ج١ ص٢٧٥ . تفسير ابن عطية ج٤ ص١٠٧ . التفسير الكبير ج١٠ ص١٣٧ . تفسير النسفي ج١ ص٣٢٦ . البحر المحيط ، ج٣ ص٢٧٥ . تفسير أبي السعود ، ج٢ ص١٩٢ . حاشية الشهاب ، ج٣ ص١٤٧ . روح المعاني ، ج٥ ص٦٠ .

يؤذيهم حر ولا برد . أو ظليلاً صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه وهو ما كان إليه التفيؤ تحت ذلك الظل . أو أنه ظل لا يستحيل ولا ينتقل كما يفعل ظل الدنيا وأكد سبحانه بقوله : ( ظليلا ) لذلك ، ويصح أن وصفه بالظليل لامتداده ، أو أنه مبالغة في نعت الظل مثل قولهم ليل أليل ، أو هو ما كان طويلاً فيناناً لا جُوَب فيه ، ودائمًا لا تنسخه الشمس ، وسجسجًا لا حرّ فيه ولا برد وليس ذلك إلا ظل الجنة . أو أن الظليل هو القوي المتمكن ، أو هو فينان أي متصل منبسط ، كأنه كثير الأفنان .

وأقوال المفسرون تبين أن وصف الظل بقوله تعالى : ( ظليلا ) فيه مبالغة وتأكيد لامتداد الظل ودوامه .. وقد بين الفخر الرازي مزية هذا الوصف والفائدة منه ، حيث قال : الظليل ليس ينبئ عن الفعل حتي يقال : إنه بمعني فاعل أو مفعول ، بل هو مبالغة في نعت الظل مثل قولهم : ليل أليل .

واعلم أن بلاد العرب كانت في غاية الحرارة ، فكان الظل عندهم أعظم أسباب الراحة ، ولهذا المعني جعلوه كناية عن الراحة .. فإذا كان الظل عبارة عن الراحة كان الظليل كناية عن المبالغة العظيمة في الراحة »[1] ..

وفي وصف ظل الجنة بالظليل مبالغة في الظل دلالة على ما ينعم به أهل الجنة فيها من الجو اللطيف المريح ، حيث لا يزعجهم حر شديد ، ولا برد قارس ، ولا شمس حارقة .. بل هم دائمًا في جو ناعم لطيف ساحر يمنح الصحة والراحة لأجسامهم ، ويدخل البهجة والمتعة في نفوسهم .. إضافة إلى ما هم فيه من ألوان النعيم .. مما يدل على اجتماع ألوان المسرات في الجنة ..

ويصف الله ـ عز وجل ـ ظل الجنة بالدوام ، كما في قوله تعالى :

﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [2].

فالآية الكريمة تبين دوام الأكل والظل في الجنة .. ودوام الظل في الجنة كما

---

(١) التفسير الكبير ج١٠ ص١٣٧ .

(٢) سورة الرعد ، من الآية : ٣٥ .

بين المفسرون [1] يعني : أن ظلها دائم لا يزول لأنها لا شمس فيها تنسخه ، أو يعني أنها ليس فيها حر ولا برد ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة ، أو أنه دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس ، أو دائم البقاء والراحة لا تنسخه شمس ولا يميل لبرد كما في الدنيا .. أو لأن الشمس فيها لا أثر لها ، أو يراد بالظل العزة أو الرفاهية ويكون الكلام كناية عن الراحة ..

والتفسير الراجح عندي : أن دوام الظل في الجنة يعني أن الجنة معتدلة الجو فلا حر فيها ولا برد ، ولا شمس تحرق ، ولا ظلمة . إنما هو الضياء المشرق المؤنس الجو اللطيف الحاني .. وذلك نظير قوله تعالى :

﴿ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً ﴾ [2] ..

وفي وصف الله ـ عز وجل ـ الجنة بأنه دائم دلالة على ما تتميز به متع الجنة عما في الحياة الدنيا .. وذلك أن الظل في الدنيا لا يمكن أن يدوم بل تنسخه الشمس بطلوعها دائما .. أما الظل في الجنة فإنه دائم الوجود لا يحول ولا يزول فلا شمس فيها تنسخه أبداً .. وفي هذا إشارة إلى ما يتمتع به أهل الجنة من الاطمئنان والأمان ، إذ يحيون فيها هانئين ناعمين فرحين لا ينغص عليهم متعتهم خوف من انقطاع هذه المسرات أو فنائها .كما هو حال أهل الدنيا الذين يكونون في قلق دائم وخوف مستمر من زوال متعتهم أو انقطاعها .

ويبين الله ـ عز وجل ـ أن أهل الجنة ينعمون فيها بالظل فلا يجلسون إلا في الظل ، كما يقول سبحانه :

﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ [3].

فالآية الكريمة تبين أن أهل الجنة يجلسون في الظلال متكئين على الأرائك هم

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري م٨ ج١٣ ص١٦٣ . الكشاف ج٢ ص٢٩٠ . تفسير البغوي ج٣ ص٢١ . التفسير الكبير ج١٩ ص٩٥ . تفسير النسفي ج١٢ ص١٥٢ . البحر المحيط ج٥ ص٣٩٦ . تفسير أبي السعود ج٥ ص٢٥ . روح المعاني ج١٣ ص١٦٤ .

(٢) سورة الإنسان ، من الآية : ١٣ .

(٣) سورة يس ، آية : ٥٦ .

وأزواجهم .. مما يدل على ما ينعم به أهل الجنة من العزة والرفاهية والمتعة .. حيث يكون جلوسهم على الأرائك اتكاءً تحت الظلال .. وهناك قراءة ( في ظُلَل )[1] وهي جمع ظُلَّة ، بمعنى الكِنّ ، أما الظلال فهي جمع « الظِّل » ، وهو نقيض الضح وأعم من الفيء .. لأن الظلَ يقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس بعد ، ولا يكون إلا في الجنة ، أما الفيء فلا يقال إلا لما زالت عنه الشمس[2] ..

والتفسير الراجح في قوله تعالى : ( في ظِلال ) أنه جمع الظل ، إذ الجنة لا شمس فيها ، إنما هو الظل الدائم ، وهواؤها سَجسج كوقت الإسفار قبل طلوع الفجر ..

ويلحظ في صياغة الآية الكريمة أن ( الظل ) وردت جمعًا .. مع أن الله ـ عز وجل ـ قد ذكر ظل الجنة مفرداً في الآيات التي سبقت[3] .. والجمع في هذه الآية الكريمة فيه دلالة على عظم الشأن في ظل الجنة وامتداده ودوامه يقول الآلوسي في مزية الجمع : « والجمع باعتبار ما لكل واحد منهم من ذلك أو هو متعدد للشخص الواحد باعتبار تعدد ما منه الوقاية . ويحتمل أنه جمع باعتبار كونه عظيم الشأن جليل القدر »[4] ..

كما يلحظ أنَّ الله ـ عز وجل ـ عندما ذكر الظل بصيغة الإفراد ذكر وصفا له ، كالظل الظليل ، والظل الدائم ، والظل الممدود .. وهي كلها صفات تبين امتداد الظل والمبالغة فيه ودوامه .. أما الظلال بصيغة الجمع فإنها ذكرت من غير وصف ، لما يدل عليه الجمع من عظم شأن الظل وكثرته ودوامه ..

**ثالثًا : اعتدال الجو في الجنة :**

ويصف الله ـ عز وجل ـ حال الجو في الجنة ، إذ لا حر شديد فيها ، ولا برد

---

(١) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٢ ص٣٨٠ . مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص١٦٤ . جامع البيان، للطبري م١٢ ج٢٣ ص٢٠ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٤ ص٢٩١ . معاني القرآن ، للنحاس ج٥ ص٥٠٨ . تفسير البغوي ج٤ ص١٦ . التفسير الكبير ج٢٦ ص٩٢ . البحر المحيط ج٧ ص٣٤٢ . تفسير أبي السعود ج٧ ص١٧٣ . روح المعاني ج٢٣ ص٣٥ .

(٢) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص٣٢٤ . لسان العرب ج١١ ص٤١٥ ، مادة ظلل .

(٣) انظر سورة الواقعة ، آية : ٣٠ . سورة النساء ، من الآية : ٥٧ . سورة الرعد ، من الآية : ٣٥ .

(٤) روح المعاني ج٢٣ ص٣٥ .

قارس ، إنما هو الهواء اللطيف ، والنسيم العليل ، الذي لا شمس فيه ، ولا رياح .. كما في قوله تعالى :

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً ﴾ (١) .

فالآية الكريمة تبين أن أهل الجنة متكئون في جو معتدل ناعم لطيف لا شمس فيه تحرق ، ولا برد قارس يؤذي .. فهي تنفي أن يكون في الجنة شمس ولا زمهرير .. وقد بين المفسرون معني الزمهرير في الآية الكريمة .. حيث قالوا(٢) : أي البرد الشديد ، أو القمر في لغة طيء ..

والتفسير الراجح لقوله تعالى : ( ولا زمهريرا ) : أن الزمهرير : هو البرد الشديد المؤذي ، وذلك أن الزمهرير في اللغة شدة البرد(٣) ، وبهذا التفسير يكون معني الآية الكريمة : أن الجنة معتدلة المناخ ، لا يزعج أهلها الحر الشديد الصادر عن شدة حرارة الشمس ، ولا يؤذيهم البرد الشديد القاسي .. ذلك لأن الجنة لا شمس فيها تصدر عنها الحرارة الشديدة .. ولا برد شديد فيها .. إنما جوها النسيم العليل ، والضياء المشرق .. والظل الظليل .. مما يدل على اختلاف مناخ الجنة وتميزه عن المناخ في الحياة الدنيا التي فيها الشمس التي تمد الأرض بالحرارة ، وفيها البرد القارس الشديد .. وفيها الظل الذي تنسخه الشمس ..

وقد صور الأستاذ سيد قطب ـ يرحمه الله ـ طبيعة المناخ في الجنة أحسن تصوير حيث قال : « فهم في جلسة مريحة مطمئنة ، والجو حولهم رخاء ناعم دافىء في غير حر ، وندىً فـي غير برد . فلا شمس تلهب النسائم ، ولا زمهرير وهو البرد القارس !

ولنا أن نقول : إنه عالم آخر ليست فيه شمسنا هذه ولا شموس أخري من نظائرها .. وكفي ! »(٤) ..

---

(١) سورة الإنسان ، آية : ١٣ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ج٤ ص٤٢٩ . الكشاف ج٤ ص١٦٩ . التفسير الكبير ج٣٠ ص٢٤٨ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٢٩ . البحر المحيط ج٨ ص٣٩٦ . تفسير أبي السعود ج٩ ص٧٣ . حاشية الشهاب ج٨ ص٢٨٩ . روح المعاني ج٢٩ ص١٥٨ .

(٣) انظر لسان العرب ج٤ ص٣٣٠ ، مادة زمهر .

(٤) في ظلال القرآن ج٦ ص٣٧٨٢ .

# الباب الثاني

الفصل الأول : عوامل وعناصر النعيم الروحي في الجنة .

الفصل الثاني : أثر النعيم والراحة على أهل الجنة .

## النعيم الروحي في الجنة:

خلق الله الإنسان من جسد وروح ، وهو عالم ـ سبحانه ـ بفطرته التي فطر الناس عليها .. وهي أنهم يتلذذون بالمتاع الحسي والروحي معًا .. فكما يحتاجون إلى ما يقيمون به أجسادهم ويمتعها .. يحتاجون إلى ما يبهج أرواحهم ويسرها .. وذلك أن فطرة الإنسان لا تكتفي براحة الجسم فقط . بل تطلب دائمًا معها راحة النفس .. حيث لو وجد الإنسان في عيشه كل أنواع المتطلبات الجسمية دون راحة نفسية واطمئنانها وهدوئها .. فإنه لا يجد لذة لكل أنواع المتع الحسية .. وكذلك لو لم يجد ما يريح جسده ويقضي حاجاته الجسمية فإن نفسه لن تهدأ ، ولن يصلح باله .. وفي سنة الرسول ـ ﷺ ـ ما يقرر هذه الفطرة البشرية ويراعيها .. فقد أخرج البخاريِ عنِ مُسَدَّدٍ عن هشام عن أبيه قال : سمعت عائشة عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : « إذا وضِع العَشَاءُ وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعَشَاء »[1] .. وذلك فإن الله ـ عز وجل ـ عندما وصف نعيم الجنة .. وقرّب ما فيها من ألوان المتاع بين ـ سبحانه ـ أن هذا النعيم المعدّ لعباده المتقين في الجنة نعيم يمتع الروح ويسعد الجسد معًا .. ففي الآيات القرآنية الكريمة التي وصفت أنواع الملذات في الجنة يقرن ـ سبحانه ـ دائمًا بين أنواع النعيم الذي يلبي حاجات الجسد والروح معاً .. إذ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[2].

فكما وصف الله ـ عز وجل ـ طعام أهل الجنة وشرابهم ولباسهم وحليهم ونساءهم .. وصف أيضاً أنواع التكريم لهم والحفاوة بهم .. من ترحيب الملائكة بهم، والسلام من الله ومن الملائكة عليهم ، وسلامهم بعضهم على بعض .. وحوارهم مع الملائكة ، ومع إخوانهم المؤمنين وتعبيرهم عن راحتهم النفسية لما هم فيه من التكريم

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص١٧١ ، باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة .
(٢) سورة فاطر ، الآيات : ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٥ .

والنعيم . وظهور علامات هذه الراحة والنعمة على قسمات وجوههم .. وسرورهم العظيم برضاء الله عنهم ..

وقد بين الله ـ عز وجل ـ أن نعيم الروح في الجنة أكبر من كل مسرات الجسد، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1] .

فبعد أن ذكر الله ـ تعالى ـ الجنات وما فيها من أنهار ومساكن .. بين أنه أعد للمؤمنين ما هو أكبر من ذلك كله ألا وهو رضوان الله .. وليس بعد رضوان الله نعمة أو لذة أجل أو أكبر .. وقد استدل الفخر الرازي بهذه الآية على أن نعيم الروح أعظم وأهم من نعيم الجسد ، وذلك إذ قال : « والمعني : أن رضوان الله أكبر من كل ما سلف ذكره ، واعلم أن هذا هو البرهان القاطع على أن السعادات الروحانية أشرف وأعلى من السعادات الجسمانية ، وذلك لأنه إما أن يكون الابتهاج بكون مولاه راضياً عنه ، وأن يتوسل بذلك الرضا إلى شيء من اللذات الجسمانية ، أو ليس الأمر كذلك ، بل علمه بكونه راضيًا عنه يوجب الابتهاج والسعادة لذاته من غير أن يتوسل به إلى مطلوب آخر ، والأول باطل ؛ لأن ما كان وسيلة إلى الشيء لا يكون أعلى حالاً من ذلك المقصود ، فلو كان المقصود من رضوان الله أن يتوسل به إلى اللذات التي أعدها الله في الجنة من الأكل والشرب لكان الابتهاج بالرضوان ابتهاجًا بحصول الوسيلة ، ولكان الابتهاج بتلك اللذات ابتهاجًا بالمقصود . وقد ذكرنا أن الابتهاج بالوسيلة لابد أن يكون أقل حالاً من الابتهاج بالمقصود . فوجب أن يكون رضوان الله أقل حالاً وأدون مرتبة من الفوز بالجنات والمساكن الطيبة . ولكن الأمر ليس كذلك لأنه تعالى نص على أن الفوز بالرضوان أعلى وأعظم وأجلّ .. وذلك دليل قاطع على أن السعادات الروحانية أكمل وأشرف من السعادت الجسمانية ، واعلم أن المذهب الصحيح الحق وجوب الإقرار بهما معًا كما جمع الله بينهما في هذه الآية »[2] .

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٧٢ .

(٢) التفسير الكبير ج١٦ ص١٣٣

وقول الفخر الرازي يوضح منهج الإسلام الصحيح الذي راعي فطرة الإنسان ، وما خلقه الله عليه من تعلق بحاجات الروح والجسد معًا ، بحيث لا يستغني بإحداهما عن الأخري .. مما يبين الحكمة في وصف نعيم الجنة من ذكر اللذات الحسية الجسمية ، وأنواع الملذات الروحية النفسية ..

وقد ردّ ابن القيّم شبهة من يزعم أن نعيم الجنة يقتصر على اللذات الجسمية فقط .. وذلك إذ قال : « كمال النعيم في الدار الآخرة أيضًا به سبحانه : برؤيته وسماع كلامه وقربه ورضوانه ، لا كما يزعم من يزعم أنه لا لذة في الآخرة إلا بالمخلوق من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح ، بل اللذة والنعيم التام في حظهم من الخالق تعالى أعظم مما يخطر بالبال أو يدور في الخيال ، وفي دعاء النبي ـ ﷺ ـ الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وابن حبان والحاكم في صحيحهما : « أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ، في غير ضرّاء مضرّة ولا فتنة مضلّة »[(١)] .. ولهذا قال تعالى في حق الكفار :

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾[(٢)] ..

فعذاب الحجاب من أعظم أنواع العذاب الذي يعذب به أعداءه . ولذة النظر إلى وجه الله الكريم أعظم أنواع اللذات التي ينعم بها أولياؤه ، ولا تقوم حظوظهم من سائر المخلوقات مقام حظهم من رؤيته وسماع كلامه والدنو منه وقربه »[(٣)] ..

وعند دراسة الآيات التي وصف فيها الله ـ سبحانه وتعالى ـ النعيم الروحي المعدّ لأهل الجنة .. نجد أن الآيات القرآنية الكريمة وضحت دلالات النعيم الروحي على أهل الجنة من نضرة الوجوه وإشراقها ونعومتها وضحكها واستبشارها .. وهدوء نفس أهل الجنة واطمئنانهم وراحتهم عند رؤية النعيم الذي أعدّه لهم في الجنة .. ثم حديثهم مع بعضهم بعض وتساؤلهم عن حالهم في الدنيا . وحمدهم لله وشكرهم له على ما أنعم عليهم في الجنة .. كما نجد أن الآيات الكريمة توضح بعض أسباب وعناصر النعيم الروحي لأهل الجنة ، وأعظم هذه العناصر رؤيتهم لله ـ سبحانه وتعالى ـ ، ورضاء الله ـ سبحانه ـ عنهم ومن ثم رضاؤهم التام عن هذا النعيم المعدّ

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٥ ص١٩١ وفيه : « ولذة نظر إلي وجهك وشوقًا إلي لقائك » .
(٢) سورة المطففين ، الآيتان : ١٥ ـ ١٦ .
(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لابن القيم ص٥٩ . دار الكتب العلمية ـ بيروت .

لهم .. ومن هذه العناصر البشري لهم من الملائكة بدخول الجنة والخلود فيها ، والاطمئنان والأمان فيها من الخوف والحزن والفزع .. وترحيب الملائكة بهم والإشادة بأعمالهم الصالحة التي استحقوا بها الفوز العظيم بالجنة وما فيها .. وهناك عوامل أخري لهذا النعيم الروحي لا يمكن لأحد أن يعلمها أو أن تخطر على باله .. إذ قال سبحانه عن هذا النعيم :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

فالقرآن الكريم بيّن بعض عناصر النعيم الروحي في الجنة ، ودلالات هذا النعيم على أهل الجنة ، وليس كما بيّن أحد الدارسين المعاصرين إذ قال : « وقد أشار القرآن إلى بعض دلالات هذا النعيم النفسي ، ولكنه لم يكشف عن مادته وعناصره »(٢) ..

فهناك نضرة النعيم التي تسفر بها وجوه أهل الجنة :

﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ (٣).

.. كما تفيض وجوههم بالرضا :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ (٤).

فالنظر إلى وجه الله ـ سبحانه ـ ، والشعور بالأمن من الخوف والفزع والرضا بما وجدوه من النعيم التام في الجنة عوامل عديدة لهذا النعيم الروحي في الجنة ، وهو الذي تبدو دلالته على أهل الجنة في نضرة وجوههم ونعومتها وإشراقها ..

ودراسة الآيات القرآنية الكريمة التي وصف فيها الله ـ سبحانه وتعالى ـ النعيم الروحي لأهل الجنة ينبغي أن تقسم إلى قسمين أساسيين هما : عوامل وعناصر النعيم الروحي ، وأثر هذا النعيم على أهل الجنة الذي يبدو على قسمات وجوههم ، وفي حوارهم مع الملائكة ، ومع بعضهم بعض ، ثم حوارهم مع أهل النار .

---

(١) سورة السجدة ، آية : ١٧ .

(٢) الدار القرار في البيان القرآني ، دراسة موضوعية ، د. حامد صادق قنيبي ص١١٨ ، الطبعة الأولي ، دار الإصلاح .

(٣) سورة المطففين ، آية : ٢٤ .

(٤) سورة الغاشية ، الآيتان : ٨ ـ ٩ .

# الفصل الأول
# عوامل وعناصر النعيم الروحي
# في الجنة

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : التبشير بالجنة .

المبحث الثاني : الترحيب بأهل الجنة والسلام عليهم .

المبحث الثالث : تحية أهل الجنة ودعاؤهم .

المبحث الرابع : رضوان الله عن أهل الجنة ورضاؤهم عنه .

# المبحث الأول

# التبشير بالجنة

بشر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عباده المتقين بالجنة في آيات عديدة ، جاء فيها التبشير بالجنة من الله ـ سبحانه ـ ، ومن ملائكته ومن رسوله ، وجاء بالأمر بدخولها في بعضها الآخر ..

فالآية التي يبشر سبحانه فيها عباده المتقين بالجنة هي قوله تعالى :

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [1].

وقد بيّن الزجاج معني قوله تعالى : ( يبشرهم ربهم ) بقوله : « أي يعلمهم في الدنيا ما لهم في الآخرة »[2] .. وفي إسناد التبشير إلى ربهم ـ سبحانه ـ بيان لتكريم الله سبحانه لعباده المتقين ، وإعلاء شأنهم ، فالبشارة تأتيهم من ربهم المستحق وحده للعبادة ، يقول أبو حيان[3] : « وأسند التبشير إلى قوله ( ربهم ) لما في ذلك من الإحسان إليهم بأن مالك أمرهم والناظر في مصالحهم هو الذي يبشرهم فذلك على تحقيق عبوديتهم لربهم » ..

وفي تنكير المبشر به في الآية الكريمة دلالة على فخامته وعظمته وكونه فوق تقدير العقل ، وفوق تصور الخيال .. بمعني أن ما بشر به الله ـ سبحانه وتعالى ـ عباده المتقين يفوق كل تصوراتهم ، ويعلو كل تقديراتهم ، لا يدرك كنهه ولا حقيقته وصف .. وقد أشار الزمخشري إلى مزية هذا التنكير بقوله : « وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرّف »[4] ..

وفي النسق القرآني للآية الكريمة ترتيب للمبشر به من الأشرف إلى الأدون

---

(١) سورة التوبة ، آيتان : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٢ ص٤٣٩ . وانظر معاني القرآن الكريم ، للنحاس ج٣ ص١٣١ .

(٣) البحر المحيط ج٥ ص٢١ .

(٤) الكشاف ج٢ ص١٤٤ .

بالترتيب التنازلي[1] .. حيث بدأ ـ سبحانه ـ تبشير عباده المتقين بالرحمة التي هي الوصف الأعم الناشيء عنه تيسير الإيمان لهم ودخولهم الجنة .. ثم ثني ـ عز وجل ـ بالرضوان الذي هو الغاية في الإحسان إليهم ، وهو النعمة التامة التي تفوق كل أنواع النعم .. ثم ذكر ثالثًا الجنات وهي محل تنعمهم وتلذذهم بما أعد لهم من أنواع النعم .. وقدم الرضوان على الجنات إذ هو النعمة التي تفوق كل ما في الجنات من أنواع الملذات والمسرات .. فقد أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري قوله : « قال النبي ـ ﷺ ـ إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضي يا ربِّ وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من خلقك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : وأيُّ شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أُحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً »[2] ..

وقد وصف الله ـ تعالى ـ الجنات بقوله :

﴿ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾[3] .

.. ووصف الجنات بقوله تعالى : ( فيها نعيم مقيم ) بتقديم الخبر الجار والمجرور على المبتدأ النكرة ، مع وصف المبتدأ بصيغة المبالغة ، وفيه دلالة على المبالغة في وصف الجنات بالنعيم العظيم الذي لا ينقطع ولا يفني ، بحيث لا يتخلل نعيم هذه الجنات خوف من فنائه واندثاره . كما هو الحال في متاع الحياة الدنيا الذي ينتقص المتعة به العلم بفنائه وانقطاعه وأنه لا يدوم ... وقد بيّن الفخر الرازي مغزي هذا الوصف بقوله : « وقوله ( فيها نعيم ) إشارة إلى كون المنافع خالصة من المكدورات ، لأن النعيم مبالغة في النعمة ، ولا معني للمبالغة في النعمة إلا خلوها عن ممازجة الكدورات ، وقوله ( مقيم ) عبارة عن كونها دائمة غير منقطعة »[4] .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ج١٦ ص١٥ . حاشية الشهاب ج٤ ص٣١٢ . البحر المحيط ج٥ ص٢١ .

(٢) صحيح البخاري ج٩ ص١٨٤ ، ١٨٥ ، باب كلام الرب مع أهل الجنة .

(٣) سورة التوبة ، الآيتان : ٢١ ـ ٢٢ .

(٤) التفسير الكبير ج١٦ ص١٥ .

ثم إنه ـ سبحانه وتعالى ـ أكد خلود أهل الجنة في هذا النعيم الدائم بقوله عز وجل : ( خالدين فيها أبداً ) ، حيث بيّن ـ سبحانه ـ أن أهل الجنة كتب لهم الخلود فيها وفي نعيمها ، وأكد هذا الخلود بقوله ( أبداً ) لبيان أبدية الخلود في الجنات ولدفع احتمال أن يراد به طول المكث فيها(١) ..

ويبشر القرآن الكريم عباد الله المخلصين بالجنة عن طريق الملائكة وذلك قوله ـ سبحانه ـ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(٢).

فالمؤمنون الذين آمنوا بواحدانية الله ، ثم تمسكوا بالاستقامة على طريق الحق والإخلاص تأتيهم البشارة من ربهم عن طريق الملائكة بدخول الجنة ، بعد أن تشعرهم بالأمان والاطمئنان والنجاة من كل غم وحزن .. وقد بيّن المفسرون(٣) أن الملائكة تهبط على المؤمنين وتحفهم برحمة الله ، وهي تبلغهم بشارة الله لهم عند الموت ، أو في مواقف ثلاثة : عند الموت ، وفي القبر ، وعند البعث .. وذلك لتبعث الأمن في نفوسهم وتطمئن قلوبهم ، فلا تخيفهم أهوال الموت والبعث ، ولا يحزنهم فراق الدنيا وما فيها .

وفي التعبير القرآني : ( تتنزل عليهم الملائكة ) إيماء باللطف والرحمة التي يحف الله ـ عز وجل ـ بها عباده المؤمنين ، إذ الملائكة تتوالى في النزول عليهم بلطف

---

(١) انظر تفسير أبي السعود ج٤ ص٥٣ . حاشية الشهاب ج٤ ص٣١٢ . روح المعاني ج١٠ ص٦٩ ـ ٧٠ .

(٢) سورة فصلت ، آية : ٣٠ .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١٨ . جامع البيان ، للطبري م١٢ ج٢٤ ص١١٦ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٤ ص٣٨٥ . معاني القرآن للنحاس ج٦ ص٢٦٦ ـ ٢٦٧ . إعراب القرآن، للنحاس ج٤ ص٦٠ . تفسير البغوي ج٤ ص١١٤ . الكشاف ج٣ ص٣٩١ . التفسر الكبير ج٢٧ ص١٢٣ . تفسير النسفي ج٣ ص٢٧٤ . البحر المحيط ج٧ ٤٩٦ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٣ . روح المعاني ج٢٤ ص١٢١ .

لتبلغهم بشارة ربهم .. وذلك أن التنزل في اللغة : هو النزول في مهلة[1] ..

وقد ذكر المفسرون[2] أن المراد من قوله تعالى : ( ألا تخافوا ولا تحزنوا ) تبليغ المؤمنين بأن الله قد كتب لهم الأمن من كل هم وغم .. وذلك لأن الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ، والمعني : لا تخافوا مما سوف تقدمون عليه . الحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار ، والمعني ولا تحزنوا على ما فاتكم من أحوال الدنيا ..

ويلحظ أن الآية الكريمة جاء التبشير بالجنة فيها بعد بثَ الأمن والاطمئنان في نفوس المؤمنين المتقين ، وفي هذه الصياغة القرآنية للآية إيماء بأن النعيم الروحي المعدّ لأهل الجنة أجلّ وأعظم من النعيم الحسي .. وذلك أن النعمة التامة تكون في راحة النفس وطمأنتها ، وصرف ما يسبب لها الكدر والغم أولاً .. ثم براحة الجسد وتنعمه بأنواع المنافع الحسية ثانيًا .. وقد وضح الفخر الرازي دلالة الصياغة الفنية للآية الكريمة ، إذ قال : « إنه ـ تعالى ـ أخبر عن الملائكة أنهم في أول الأمر يخبرون بأنه لا خوف عليكم بسبب ما تستقبلونه من أحوال القيامة ، ثم يخبرون بأنه لا حزن عليكم بسبب ما فاتكم من أحوال الدنيا ، وعند حصول هذين الأمرين فقد زالت المضار والمتاعب بالكلية ، ثم بعد الفراغ منه يبشرون بحصول المنافع وهو قوله تعالى (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) »[3] .

والتبشير بدخول الجنة للمؤمنين يأتي عن طريق الملائكة أيضاً في قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[4] .

---

(١) انظر لسان العرب ج١١ ص٢٥٧ ، مادة نزل .
(٢) انظر : الكشاف ج٣ ص٣٩١ . التفسير الكبير ج٢٧ ص١٢٣ . تفسير النسفي ج٣ ص٢٧٤ . البحر المحيط ج٧ ص٤٩٦ . تفسير أبي السعود ج٨ ص١٣ . حاشية الشهاب ج٧ ص٣٩٩ . روح المعاني ج٢٤ ص١٢١ .
(٣) التفسير الكبير ج٢٧ ص١٢٣ .
(٤) سورة الحديد ، آية : ١٢ .

والآية الكريمة تصف حال المؤمنين يوم الهول الأكبر وهم يسيرون على الصراط مستضيئين بنورهم الذي خصهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ به .. وفي نصب قوله تعالى : ( يوم تري ) قال الزمخشرى[1] : « إما أنه ظرف لقوله : ( وله أجر كريم ) وإما أنه منصوب بإضمار ( اذكر ) تعظيماً لذلك اليوم .. والراجح أنه منصوب بإضمار (اذكر) إذ فيه دلالة على تعظيم هذا اليوم العظيم ...

وقد تقاربت أقوال المفسرين[2] في تأويل قوله تعالى : ( يسعي نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ) ، إذ قالوا : أي يضىء بين أيديهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، أو يسعي وهداهم من بين أيديهم وبأيمانهم كتبهم . أو نور كتبهم وهم يعطون كتبهم بأيمانهم من بين أيديهم . أو أن المؤمنين يعطوا نوراً على قدر أعمالهم ، ومعني بين أيديهم أي من جميع جوانبهم .. أو هو نور التوحيد والطاعات .

والقول الراجح في تفسير الآية الكريمة هو قول أبي حيان : « والظاهر أن النور يتقدم لهم بين أيديهم ويكون أيضًا بأيمانهم ، فيظهر أنهما نوران : نور ساع بين أيديهم ونور بأيمانهم ، فذلك يضىء الجهة التي يؤمونها وهذا يضىء ما حواليهم من الجهات »[3] .. يؤيد هذا التفسير ما أخرجه ابن حنبل في مسنده عن أبي ذر وأبي الدرداء أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « إني لأعرف أمتي يوم القيامة من بين الأمم ، قالوا : يا رسول الله وكيف تعرف أمتك ؟ قال : أعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود وأعرفهم بنورهم يسعي بين أيديهم»[4] ..

(١) انظر الكشاف ج٤ ص٦٥ .
(٢) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص١٣٢ . جامع البيان ، للطبري م١٣ ج٢٧ ص٢٢٢ ـ ٢٢٣ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ص١٢٤ . إعراب القرآن ، للنحاس ج٤ ص٣٥٥ ـ ٣٥٦ . تفسير البغوي ج٤ ص٢٩٥ . الكشاف ج٤ ص٦٥ . التفسير الكبير ج٢٩ ص٢٢٢ . تفسير النسفي ج٣ ص٤٧٩ . تفسير أبي السعود ج٨ ص٢٠٧ . روح المعاني ج٢٧ ص١٧٤ ـ ١٧٥ .
(٣) البحر المحيط ج٨ ص٢٢٠ .
(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٥ ص١٩٩ .

وفي النسق القرآني للآية الكريمة : ( يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ) إشارة إلى لطف الله ـ سبحانه ـ ورحمته بعباده المؤمنين . فهم في أمن وطمأنينة يوم الفزع الأكبر .. حيث يعم الخوف والفزع والقلق جميع الخلائق إلا المؤمنين فإنهم تحوطهم عناية الله ، ويحف بهم نورهم ، فيسلمون من الهول الذي يصيب الخلائق كلها .. ويزيد في الدلالة على لطف الله ورحمته بعباده المؤمنين قوله تعالى في هذه الآية : ( بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ) ، وهي جملة معمولة لقول محذوف تقديره[1] : تقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم : ( بشراكم اليوم .. ) ..

فالمؤمنون كما تدل الآية الكريمة يسيرون يوم الفزع الأكبر في أمن وسكينة يحف بهم النور ، وتستقبلهم الملائكة مرحبين بهم ومبشرين لهم بدخول الجنة . وهذه النعمة أجل النعم التي يفوز بها المؤمنون يوم الحشر الأكبر ، ولذا عقب ـ سبحانه ـ في خاتمة الآية بقوله تعالى : ( ذلك هو الفوز العظيم ) ، وقد تأكدت الآية الكريمة بالابتداء والتعريف ، لتدل على تحقق حصول هذا الفوز للمؤمنين وأنه الفوز الذي لا غاية وراءه أبداً ..

ومن الآيات التي بشر فيها سبحانه عباده المتقين بالجنة بالأمر بدخولها ، قوله تعالى :

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [2] ..

والآيات الكريمة تبدأ بنداء فيه تلطف وتقرب بعباد الله المؤمنين بوحدانيته المطمئنين لصدق وعده .. وهذا النداء إما أن يكون من كلام الله ـ سبحانه ـ لعبده المؤمن إكراماً له ، وإما أن يكون على لسان ملائكته[3] ..

---

(١) انظر البحر المحيط ج٨ ص٢٢١ .
(٢) سورة الفجر : ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ .
(٣) انظر الكشاف ج٤ ص٢١٢ .

وقد بيّن المفسرون[1] المعني المراد من وصف النفس بقوله تعالى : ( المطمئنة ) إذ قالوا : أي المطمئنة بالإيمان والمصدقة بالثواب والبعث . أو المصدّقة الموقنة بأن الله ربها، المسلمة لأمره فيما هو فاعل بها ، أو الآمنة من عذاب الله . أو المطمئنة بذكر الله ، أو الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن . أو المطمئنة إلى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك .

ويمكن حصر أقوال المفسرين في معني قوله تعالى : ( المطمئنة ) في معنيين : النفس الموقنة بالحق التي لا يخالجها شك فيه ، أو الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ..

ولا مانع من الجمع بين المعنيين ، إذ النفس المؤمنة بالله الموقنة بالحق بحيث لا يخالجها شك في قدرة الله وصدقه بما وعد به عباده المؤمنين ، تكون يوم البعث وفي مواقف وأهوال يوم القيامة آمنة مطمئنة إلى صدق وعد الله ، لا يستفزها خوف ولا حزن ، ولا يفزعها الهول الأكبر ، كما أخبر ـ سبحانه ـ عن حال المؤمنين يوم البعث والحساب .

وبعد هذا النداء المتميز باللطف واللين والإيناس للنفس المؤمنة .. يأتي أمر الله ـ عز وجل ـ لهذه النفس التي تلذذت باللطف والقرب من بارئها وذلك إذ يقول ـ سبحانه ـ : ( ارجعي إلى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ) . وقد نقل الفخر الرازي عن القفال قوله : « هذا وإن كان أمراً في الظاهر لكن خبر في المعني ، والتقدير أن النفس إذا كانت مطمئنة رجعت إلى الله . وقال الله لها ( فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ) »[2].

---

(١) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٢٦٢ . جامع البيان ، للطبري م١٥ ، ج٣٠ ص١٩ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ص٣٢٤ . إعراب القرآن ، للنحاس ج٥ ص٢٢٥ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٨٦ . الكشاف ج٤ ص٢١٢ . التفسير الكبير ج٣١ ص١٧٦ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٩١ . البحر المحيط ج٨ ص٤٧٢ . تفسير أبي السعود ج٩ ص١٥٨ . حاشية الشهاب ج٨ ص٣٦١ . روح المعاني ج٣٠ ص١٣٠ .

(٢) التفسير الكبير ج٣١ ص١٧٦ .

وهذا الأمر الذي هو في معني الخبر فيه كثير من الرفق والتلطف بالنفس المؤمنة ، إذ هو أمر بالرجوع إلى خالقها وبارئها ، والدخول في زمرة عباده المصطفين المخلصين والدخول في جناته جنات النعيم [1] .. فهو تبشير بدخول الجنة والتلذذ بنعيمها جاء في صورة الأمر ..

ويلحظ أن قوله تعالى : ( ارجعي إلى ربك ) فيه لطف كبير وتشريف عظيم للنفس المؤمنة ، إذ قال سبحانه : ( ارجعي إلى ربك ) ولم يقل إلى الله أو إليَّ .. وفي هذا التعبير ربط للنفس المؤمنة بخالقها الذي برأها ورباها .. وقد بيّن الآلوسي مزية هذا التعبير بقوله : « ولا يخفي ما في قوله سبحانه ( إلى ربك ) على الوجهين من مزيد اللطف بها ، ولذا لم يقل ارجعي إلى الله أو إليَّ »[2] ..

أما قوله تعالى : ( راضيةً مرضية ) فإن فيه إشارة إلى تمام وكمال المتعة النفسية لأهل الجنة في تنعمهم بما فيها ؛ إذ كون النفس المؤمنة راضية بما نالته من النعيم يدل على أن متعتها به تامة ، لا يكدرها أي شعور بنقص هذه المتعة ، فهي لا تتطلع إلى أكثر منها . أم قوله تعالى : ( مرضية ) فإن فيه زيادة على الرضا بهذا النعيم ، فالنفس المؤمنة مع ما هي فيه من النعيم الذي لا غاية وراءه يزيدها بهجة ومسرة علمها بأن خالقها الذي أنعم عليها بكل هذا النعيم راضٍ عنها أيضًا .. وليس أجل من الشعور برضا الخالق عن المخلوق ..

وفي قوله تعالى : ( فادخلي في عبادي . وادخلي جنتي ) نظم قرآني عميق الدلالة ؛ إذ فيه بشري للنفس المؤمنة بدخول الجنة ، والتمتع بما فيها من أنواع المنافع الحسية ، بعد أن شرّفها خالقها ، وأعلى شأنها ، إذ جعلها تنتظم في سلك الصفوة من

---

(١) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٣ ص٢٦٣ . جامع البيان ، للطبري م١٥ ج٣٠ ص١٩١ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٥ ص٣٢٥ . إعراب القرآن ، للنحاس ج٥ ص٢٢٦ . تفسير البغوي ج٤ ص٤٨٦ . الكشاف ج٤ ص٢١٢ . التفسير الكبير ج٣١ ص١٧٨ . تفسير النسفي ج٣ ص٦٩١ . البحر ج٨ ص٤٧٢ . تفسير أبي السعود ج٩ ص١٥٩ . حاشية الشهاب ج٨ ص٣٦١ . روح المعاني ج٣٠ ص١٣٠ ، ١٣١ . في ظلال القرآن ج٦ ص٣٩٠٧ .

(٢) روح المعاني ، ج٣٠ ص١٣١ .

عباده المختارين الذين اختصهم ـ سبحانه ـ بنسبتهم إليه : ( فادخلي في عبادي ) : أي في جملة عبادي المصطفين .. كما أعظم شأن هذه النفس المؤمنة بأن بشرها بدخول الجنة التي شرّفها ـ سبحانه وتعالى ـ بنسبتها إليه . ( وادخلي جنتي ) : أي مع عبادي المقربين المختارين .

ففي هذا النظم القرآني بشّر ـ سبحانه وتعالى ـ عباده المؤمنين المطمئنين بأجل وأشرف أنواع المتع الروحية في الجنة .. كما بشرهم بأعظم وأحسن أنواع المسرات الحسية في الجنة ..

ولما كان النعيم الروحي أجلّ وأشرف من النعيم الحسي في الجنة .. ولما كان تبشير ـ سبحانه وتعالى ـ عباده المتقين بهذا النعيم الروحي يأتي عند الموت ، عطف ـ سبحان ـ هذا النعيم بالفاء في قوله تعالى : ( فادخلي في عبادي ) . ولما كان النعيم الحسي في الجنة يفوز به المتقون بعد القيامة الكبري ، وهو أدون رتبة من النعيم الروحي ، جاء في الآية الكريمة معطوفًا بالواو .. في قوله تعالى : (وادخلي جنتى) ..

وقد أشار الفخر الرازي إلى مزية هذا النظم في الآيتين إذ قال : « ولما كانت الجنة الروحانية غير متراخية عن الموت في حق السعداء لا جرم قال : (فادخلي في عبادى) فذكر بفاء التعقيب . ولما كانت الجنة الجسمانية لا يحصل الفوز بها إلا بعد قيام القيامة الكبري لا جرم قال : ( وادخلي جنتي ) فذكره بالواو لا بالفاء »[1] ..

ومن الآيات التي بشر فيها ـ سبحانه وتعالى ـ بالجنة بأمر الدخول قوله تعالى :

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾[2].

وقد بيّن المفسرون[3] المعني المراد من هذا الأمر في قوله تعالى : ( قيل ادخل

---

(١) التفسير الكبير ج٣١ ص١٧٨ .

(٢) سورة يس ، الآيتان : ٢٦ ـ ٢٧ .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للنحاس ج٥ ص٤٨٨ . الكشاف ج٣ ص٢٨٤ . التفسير الكبير ج٢٦ ص٦٠ تفسير النسفي ج٣ ص١٣٧ البحر المحيط ج٧ ص٣٢٩ . تفسير أبي السعود ج٧ ص١٦٤ حاشية الشهاب ج٧ ص٢٣٧ روح المعاني ج٢٢ ص٢٢٨

الجنة ) ، إذ قالوا : أي وجبت لك الجنة ، أو معناه : البشري بدخول الجنة وأنه من أهلها . أو أن ظاهره أمر حقيقي . أو أنهم لما هموا بقتله رفعه الله ـ تعالى ـ إلى الجنة وذلك قول الملائكة له .

وحاصل أقوال المفسرين أن الأمر بدخول الجنة ، إما أن يكون أمراً على الحقيقة فهو إذن له بدخول الجنة . أو أن الأمر خبر في معناه فهو بشري له بدخول الجنة يدخلها المومنون ..

والراجح أن الأمر في هذه الآية خبر في معناه فهو بشري له بدخول الجنة وأنه من أهلها ، أما متي كانت بشري الملائكة له ، فإما أن يكون بعد مقتله قيل له : ادخل الجنة ، وإما أن الرسل بشرته بدخول الجنة قبل موته فصدق البشري وأيقن بها .. وعلى الأول يكون قول : ( يا ليت قومي يعلمون ) بعد موته ودخوله الجنة وإحساسه بعظم النعمة فيها .. وعلى الثاني يكون قوله بعد أن صدّق البشري وعلمها علم اليقين فتمني علم قومه بما علم لينالوا من الشرف العظيم الذي أيقن حصوله عليه بعد موته ..

ويلحظ أن الآية الكريمة : ( قيل ادخل الجنة ) ، جاءت على الاستئناف البياني ، وكأن سائلا سأل : كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه ؟ فقيل : قيل ادخل الجنة .. ولأن الغرض بيان المقول وليس المقول له لأنه معلوم ، قال تعالى : ( قيل ادخل الجنة ) ولم يقل : قيل له . ولهذه الصياغة نكتة بلاغية دقيقة تفيد المبالغة في سرعة بيان الخبر لأهميته ، يقول أبو السعود في بيان مزية هذه الصياغة : «وإنما لم يقل له لأن الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة إلى بيانه »[1] ..

أما قوله تعالى :

﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾[2] ..

---

(١) تفسير أبي السعود ج٧ ص١٦٤ .

(٢) سورة يس ، من الآيتين : ٢٦ ـ ٢٧ .

فإن معناه : أنه تمني علم قومه بالأسباب التي نال بها هذه الكرامات والنعيم ، ليعملوا بها ويفوزوا بما فاز به[1] ..

وفي هذه الآية إيماء بعظم المنة التي وجدها المؤمن في الجنة بعد أن رأي أنواع المسرات والملذات فيها ؛ إذ شعر بالراحة النفسية العظيمة ، وعلم أن فضل الله عليه عظيم بأن هداه إلى الإيمان والطاعة وغفر له حتي وصل إلى هذه المنزلة التي لا غاية وراءها ولا مطلب بعدها . وقد أشار الأستاذ سيد قطب إلى هذا المعني بقوله : « ونري الرجل المؤمن ، وقد اطلع على ما آتاه الله في الجنة من المغفرة والكرامة يذكر قومه طيب القلب رضي النفس يتمني لو يراه قومه ويرون ما أتاه ربه من الرضا والكرامة ليعرفوا الحق معرفة اليقين »[2] ..

---

(١) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج٢ ص٣٧٤ . جامع البيان ، للطبري م١٢ ج٢٢ ص١٦١ ـ ١٦٢ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج٤ ص٢٨٣ . تفسير البغوي ج٤ ص١٠ .الكشاف ج٣ ص٢٨٤ . التفسير الكبير ج٢٦ ص٦٠ ـ ٦١ . تفسير النسفي ج٣ ص١٣٨ . البحر المحيط ج٧ ص٣٢٩ ـ ٣٣٠ . تفسير أبي السعود ج٧ ص١٦٤ ـ ١٦٥ . روح المعاني ج٢٢ ص٢٢٩ .

(٢) في ظلال القرآن ج٥ ص٢٩٦٤ .

## المبحث الثاني
## الترحيب بأهل الجنة والسلام عليهم

إن من أنواع المتع الروحية في الجنة أن وكّل الله ـ سبحانه وتعالى ـ ملائكته للترحيب بأهل الجنة ، والتسليم عليهم ، والإشادة بعملهم الذي استحقوا به هذه المنزلة الكريمة عند الخالق عز وجل . وفي هذا الترحيب نعمة عظيمة لأهل الجنة ، فهم يلقون تكريمًا وإعزازاً وحفاوة تشرح صدورهم وتهنئ أرواحهم ، وتزيد من بهجتهم ومسرتهم بما يجدون من أنواع الملذات الحسية . وذلك أن الضيف ـ مثلا ـ لو هيأ له المضيف كل ما يحتاج أو يتمني من الضروريات الجسمية دون أن يجد منه تكريماً أو ترحيباً .. شعر بغصة في نفسه تمنعه لذة المتعة بما يقدم له من احتياجات . وعلي العكس من ذلك . لوجد البشر والبشاشة والترحيب من المضيف شعر بلذة أعظم وأشرف من كل ما قدم له من المنافع الحسية .

والترحيب بأهل الجنة كما بيّن سبحانه وتعالى يكون عند الموت وفي البعث والحشر، وساعة دخول الجنة ، وهم داخلها ينعمون بما فيها من الملذات والكرامات .. ويكون ترحيب الملائكة بهم بالسلام عليهم . ومدح أعمالهم التي أوصلتهم إلى رحمة الله ورضوانه .. ووصف حالهم ومنزلتهم التي أسعدوا بنيلها ..

فمن الآيات التي ترحب فيها الملائكة بأهل الجنة عند الموت قول تعالى

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١).

والآية الكريمة تصف حال المؤمنين المتقين عند الموت ، وكيف أن الملائكة تبشرهم بالجنة حين موتهم .. وفي قوله تعالى : ( الذين تتوفاهم الملائكة طيببين ) وصف للمؤمنين بصفة عامة شاملة هي قوله تعالى : (طيبين ) ..

---

(١) سورة النحل ، آية ٣٢ .

وقد بيّن المفسرون [1] المعني المراد من وصفهم بـ « طيبين » إذ قالوا أي طيبين بتطييب الله إياهم بنظافة الإيمان وطهر الإسلام في حال حياتهم وحال مماتهم .. أو مؤمنين مجتنبين للمعاصي . أو مؤمنين طاهرين من الشرك ، أو زاكية أفعالهم وأقوالهم، أو معناه أن وفاتهم تقع طيبة سهلة . أو طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي ، أو طاب لهم قبض الأرواح ، أو صالحوا الأحوال مستعدون للموت . أو طيبة نفوسهم بالرجوع إلى الله تعالى . أو فرحين طيبي النفوس ببشارة الملائكة إياهم بالجنة . أو منقين موعودين بالجنة أو المراد بالطيب طيب النفس وعو عبارة عن القبول مع انشراح الصدر .

ويمكن إجمال أقوال المفسرين في المراد بوصف المؤمنين بـ ( طيبين ) بأنهم طاهرون من دنس الكفر صالحة أقوالهم وأفعالهم .. وذلك لأن طهر النفس من دنس الكفر يجمع داخله صالح الأعمال والأخلاق ..

وقد اختار الفخر الرازي هذا المعني لقوله تعالى ( طيبين ) إذ قال : « وقوله : ( طيبين ) كلمة مختصرة جامعة للمعاني الكثيرة ، وذلك لأنه يدخل فيه إتيانهم بكل ما أمروا به واجتنابهم عن كل ما نهوا عنه ، ويدخل فيه كونهم موصوفين بالأخلاق الفاضلة مبرئين عن الأخلاق المذمومة ، ويدخل فيه كونهم مبرئين عن العلائق الجسمانية متوجهين إلى حضرة القدس والطهارة ، ويدخل فيه أنه طاب لهم قبض الأرواح ، وأنها لم تقبض إلا مع البشارة بالجنة حتي صاروا كأنهم مشاهدون لها ومن هذا حاله لا يتألم بالموت »[2] .. ويؤيد ما ذهب إلى الفخر الرازي تفسير الراغب[3] لكلمة ( طيبين ) إذ قال : « والطيِّب من الإنسان من تعرِّي من نجاسة الجهل والفسْق وقبائح الأعمال وتحلِّي بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال وإياهم قَصَدَ بقوله : ( الَذين تتوفاهم الملائكة طيبين ) » ..

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري م ٨ ، ج ١٤ ص ١٠١ . إعراب القرآن للنحاس ج ص ٣٩٥ . تفسير البغوي ج ٨ ص ٦٧ ، الكشاف ج ٢ ص ٣٢٧ . تفسير النسفي ج ص ٢٠٣ . البحر المحيط ج ٥ ص ٤٨٨ . تفسير أبي السعود ج ٧ ص ١١٠ . حاشية الشهاب ج ٥ ص ٣٢٩ . روح المعاني ج ١٤ ص ١٣٣ .

(٢) التفسير الكبير ، ج ص ٢٥ .

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٢٢ ، مادة طيب

وفي قوله سبحانه : ( يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ) في تسليم الملائكة على المؤمنين وقت موتهم دلالة على تشريفهم وطيب مآلهم .. وحسن منزلتهم عند الله سبحانه . وفيه أيضاً دلالة على طمأنتهم على حالهم لإزالة وحشة الموت وخوف المصير من نفوسهم .. وفي هذا الموقف للمؤمن نعمة روحية عظيمة ، إذ تُقبض روحه وهو مستقر النفس هادئ الروح لعلمه برضا الله ـ سبحانه ـ عنه .. ثم في قوله تعالى : ( ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ) بشارة عاجلة لهم بدخول الجنة والفوز بما فيها من عظيم النعم ..

وفي نسق هذه الآية بتقديم التحية من الملائكة للمؤمنين على البشارة بدخول الجنة إشارة إلى عظمة النعيم الروحي وشرفه ، وتقديمه على المتع الحسية المعدة لأهل الجنة . وفي الأمر بقوله تعالى : ( ادخلوا ) في وقت الموت ، مع أن الدخول الفعلي في الجنة لا يكون إلا بعد القيامة الكبري ، دلالة على أحقية المؤمنين بالجنة وكونها خاصة بهم دون غيرهم .. يقول الفخر الرازي في بيان سر الأمر القرآني : « إن الملائكة لما بشروهم بالجنة صارت كأنها دارهم وكأنهم فيها ، فيكون المراد بقولهم ( ادخلوا الجنة ) أي هي خاصة لكم كأنكم فيها »[1] ..

وفي قوله تعالى في خاتمة الآية الكريمة : ( بما كنتم تعملون ) إشادة من الملائكة بعظم عملهم الذي استحقوا به هذه المنزلة الرفيعة عند الله ـ سبحانه ـ ، والفوز بالجنة والتمتع بما فيها من أنواع المسرات ..

ومن ترحيب الملائكة بأهل الجنة والثناء عليهم قوله تعالى :

﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [2].

ثم قال :

﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3] ..

---

(١) التفسير الكبير ج ٢ ص ٢٥ .
(٢) سورة الزخرف ، آية : ٧٠ .
(٣) سورة الزخرف ، آية ٧٢ .

والآية تبدأ بالأمر الذي هو خبر في معناه ، إذ معنى : ( ادخلوا الجنة ) أي البشارة بدخول المؤمنين الجنة في الوقت المحدد لدخولهم .. وهو بعد القيامة الكبري . وفي الآية الكريمة تأكيد لهذه البشارة بأنها خاصة بالمؤمنين ، إذ قال سبحانه : ( ادخلوا الجنة أنتم .. ) حيث تأكد الضمير المتصل ( الواو ) وهو الفاعل ، بالضمير المنفصل ( أنتم ) وهو مبتدأ عطف عليه قوله تعالى ( وأزواجكم ) بالواو ، ثم جاء الحال (تحبرون) ..

وفي هذه الصياغة تأكيد للفاعل ، الذي تكرر بالضمير المنفصل .. ثم عطف عليه ( وأزواجكم ) بالواو ليدل على مشاركة المعطوف للمعطوف عليه في حصول الخبر .. ولهذا النسق القرآني دلالته في أحقية المؤمنين وأزواجهم بدخول الجنة ، والفوز بما فيها من أنواع المسرات التي تنعكس آثارها على وجوههم فرحًا وغبطةً ومسرةً . ثم في عطف الأزواج على الضمير ( أنتم ) دلالة على زيادة متعة المؤمنين وبهجتهم بمشاركة أزواجهم لم في دخول الجنة والسرور بما فيها من أنواع الملذات .. إذ لا تكتمل متعة الإنسان إلا بمشاركة أهله ومن يحب في هذه المتعة ..

وفي قوله تعالى : ( تحبرون ) خبر المبتدأ ( أنتم ) إشارة إلى أن دخول الجنة ومشاركة الزوجات لهم فيها تدل على أن النعمة العظمي ، والكرامة التامة أعدت للمؤمنين ، فإنهم بعد دخول الجنة ، ورؤية ما كتب لهم فيها من أنواع الملذات يسرون سرورًا عظيمًا تنعكس آثاره على قسمات وجوههم ، فتبدو مشرقة زاهية تدل دلالة بالغة على عظم النعمة التي يعيشون فيها ، وذلك أن معنى : ( تحبرون ) كما بيّن المفسرون[1] : أي تسرون ، أو تكرمون إكرامًا يبالغ فيه ، أو مغبطون بكرامة الله ، مسروررون بما أعطاكم ، أو تنعمون أو تسرون سرورًا يظهر حباره أي أثره على

---

(١) انظر مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج٢ ص ٢٠٥ ، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٠٠ . جامع البيان ، للطبري م ١٣ ، ج ٢٥ص ٩٥ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٤ ص ٤١٩ . معاني القرآن ، للنحاس ج ٦ ص ٣٨٤. تفسير البغوي ج ٤ ص ١٤٥ . الكشاف ج ٣ ص ٤٥ ، التفسير الكبير ج ٧ ص ٢٢٥ ، تفسير النسفي ج ٣ ص ٣٢٠. البحر المحيط ج ٨ ص ٢٦. تفسير أبي السعود ج ٨ ص ٥٤. حاشية الشهاب ج ٧ ص ٤٥٠ . روح المعاني ج ٥ ص ٩٨. في ظلال القرآن ج ٥ ص ٣٢٠٢.

وجوهكم، أو تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة ..

وهذه المعاني متقاربة في تفسير قوله تعالى : ( تحبرون ) ؛ ذلك أن النعمة والإكرام المبالغ فيه يؤديان إلى السرور الذي تظهر آثاره على الوجوه حسنا ونضارة . والحيرة في اللغة هي : النعمة التامة[1]، والنعمة التامة هي التي تنعكس آثارها على الوجوه نضرة لقوله تعالى :

﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾[2] ..

وقد فسر الراغب قوله تعالى : ( يحبرون ) بقوله : أي يفرحون حتي يظهر عليهم حبار نعيمهم[3]. وفي اختيار كلمة ( تحبرون ) بدلاً من تسرون وتنعمون دلالة على المبالغة في وصف نعيم الجنة وما فيها من المسرات ، وذلك أن الحبرة : هي المبالغة فيما وصف بجميل[4]..

أما قوله تعالى : ( وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ) ففيه إشارة بالبعد للدلالة على شرف الجنة وعلو شأنها وعظم ما فيها . ثم إن قوله ( التي أورثتموها ) صفة للجنة ، فيه دلالة على أحقية المؤمنين في تملك الجنة والتصرف بما فيها من أنواع المتع حسب إرادتهم ، كما تدل على بقاء الجنة ودوامها لأهلها .. ذلك أن قوله تعالى : ( أورثتموها ) فيه تشبيه للجنة بالإرث الذي هو ملك باق للورثة. وقد ألمح الزمخشري إلى مزية هذا التشبيه للجنة ، إذ قال : « وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة »[5] .. وقد فصّل الشهاب[6] في هذا التشبيه ، وبيّن أنه استعارة تبعية أو تمثيلية ، إذ قال : « قوله شبه جزاء العمل بالميراث ، ففيه استعارة ، إذ شبه ما استحقوه بأعمالهم الحسنة من الجنة ونعيمها الباقي لهم بما يخلفه المرء

---

(١) انظر لسان العرب ج ٤ ص ١٥٨ ، مادة جبر .

(٢) سورة المطففين ، آية : ٢٤ .

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١٠٤ ، مادة جبر

(٤) انظر لسان العرب ج ٤ ص ١٥٨ ، مادة جبر .

(٥) الكشاف ج ٣ ص ٤٢٥ .

(٦) حاشية الشهاب ج ٧ ص ٤٥٠ .

لوارثه من الأملاك والأرزاق ، ويلزمه تشبيه العمل نفسه بالمورث بصيغة اسم الفاعل فهو استعارة تبعية أو تمثيلية ، ويجوز أن تكون مكنية ، ويجوز كونه مجازاً مرسلاً لنيله وأخذه » ..

أما قوله تعالى : ( بما كنتم تعملون ) فإن فيه إشارة بأعمال المؤمنين الصالحة التي استحقوا بها هذا النعيم المقيم عند الله ـ سبحانه ـ .. وفي هذه الإشادة بأعمالهم الصالحة متعة روحية عظيمة لأهل الجنة تجعلهم يستعذبون ما بذلوا من جهاد النفس والمال والجسم في حياتهم الدنيا ، لعلمهم أن ما بذلوا من جهد لم يضع عند خالقهم .. بل إنه ـ سبحانه ـ كافأهم وأجزل المثوبة لهم حتي فازوا برضوانه ورحمته في جنات النعيم ..

ومن الآيات الدالة على ترحيب الملائكة بأهل الجنة قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[١] .

والآية الكريمة تصور حال المؤمنين الذين يعملون الصالحات يوم القيامة ، وهو اليوم الذي يفزع فيه الخلق أجمعون .. وهذه الآيات مليئة بوصف النعيم الروحي لأهل الجنة .. إذ فيها وصف للمؤمنين الذين يستحقون هذه الكرامة عند الله سبحانه وتعالى بأنهم سبقت لهم الحسني عند الله فهم في غاية البعد عن النار لدرجة أنهم لا يسمعون الصوت الخفي لزفيرها وهيجانها ..

وفي الإشارة بالبعد للمؤمنين ( أولئك ) دلالة على بعد منزلتهم وعلو شأنهم ومكانتهم عند الله عز وجل .. يقول أبو السعود في مغزي استخدام اسم الإشارة الدال على البعد : « ( أولئك ) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة ، وما فيه من معني البعد للإيذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضل ، أي أولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل »[٢] ..

---

(١) سورة الأنبياء ، الآيات ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٢) تفسير أبي السعود ج ٦ ص ٨٧ .

ثم إن قوله تعالى : ( أولئك عنها مبعدون ) فيه المبتدأ اسم الإشارة والخبر (مبعدون) وقدم على متعلقه ( عنها ) لإفادة القصر والاهتمام بذكر المتعلق قبل الخبر .. لإفادة أن القصد أولاً بيان المبعَد عنه لا ذكر المبعدين .. وقد تأكد هذا الإبعاد عن النار للمؤمنين أبلغ تأكيد في قوله تعالى : ( لا يسمعون حسيسها ) .. والحسيس كما بيّن المفسرون[1] : هو الصوت الخفي ، أو الصوت الذي يحس من حركة تلهبها ..

وفي النفي لسماع حسيس النار وحركة تلهبها عن أهل الجنة .. مبالغة[2] في الدلالة على شدة بعدهم عن النار ، حتى لا يجدوا أي داع للفزع ، أو الشعور بالخوف والحزن ، فهم لا يسمعون أدق أصوات النار الخفية .. وقد بين الأستاذ سيد قطب مزية هذا اللفظ القرآني ، إذ قال : « ولفظة حسيسها من الألفاظ المصورة بجرسها لمعناها فهي تنقل صوت النار وهي تسري وتحرق وتحدث ذلك الصوت المفزع، وإنه لصوت يتفزع له الجلد ، ويقشعر ، ولذلك نجي الذين سبقت لهم الحسنى من سماعه . فضلاً عن معاناته »[3] ..

وفي هذه المبالغة في بيان شدة بعد أهل الجنة عن النار دلالة عظيمة على ما هم ينعمون فيه من أنواع المتع الروحية ، ذلك أنهم كما تبين الآيات الكريمة في بعد تام عن النار بحيث لا يسمعون الحسيس الدقيق لحركتها .. وهذا البعد وحده يغدق عليهم مشاعر الرضا والراحة والاطمئنان في الجنة وهذه نعمة روحية عظيمة ..

ثم إن قوله تعالى : ( وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون ) يبين أن أهل الجنة ينعمون فيها أبداً بكل ما تشتهيه أنفسهم من أنواع الملذات الحسية ، ذلك أن معنى الشهوة كما بين المفسرون[4] : هو طلب النفس اللذة .. أي أنهم بعد خلاصهم من

---

(١) انظر : تفسير البغوي ج ٣ ص ٢٧٠ ، الكشاف ج ٣ ص ٢ . التفسير الكبير ج ٢٢ ص ٢٧ ، تفسير النسفي ج٢ ص ٤١ . البحر المحيط ج ٦ ص ٣٤٢. روح المعاني ج ١٧ ص ٩٨ .

(٢) انظر : التفسير الكبير ج ٢٢ ص ٢٢٧. تفسير النسفي ج ٢ ص ٤٢١. حاشية الشهاب ج ٦ ص ٢٧٦ .

(٣) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٣٩٩.

(٤) انظر : الكشاف ج ٣ ص ٢٢ . التفسير الكبير ج ٢٢ ص ٢٢٧. البحر المحيط ج ٦ ص ٣٤٢ .

المهالك وراحتهم يتنعمون بأنواع المتع الحسية على الدوام ، يقول أبو السعود في هذه الآية : « بيان لفوزهم بالمطالب إثر بيان خلاصهم من المهالك والمعاطب أي دائمون في غاية التنعيم »[١] ..

وفي نسق هذه الآية الكريمة قُدِّم الظرف ( في ما اشتهت ) للقصر الاهتمام به . أي : لقصر خلودهم في ما تشتهيه أنفسهم .. ولأن فوزهم بما تشتهيه أنفسهم مهم لهم قُدِّم الظرف على الخبر .. وقد بين أبو السعود مزية تقديم الظرف في الآية ، إذ قال : « وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به »[٢] ..

ويأتي بعد الآية السابقة قوله تعالى :

﴿ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[٣] .

والآية بيان لنجاة أهل الجنة من أهوال القيامة بعد بيان نجاتهم من النار ، كما هي بيان لحالهم السعيد وقت دخولهم الجنة ، إذ يجدون الترحيب التام من الملائكة ..

وقد اختلفت أقوال المفسرين[٤] في تحديد الفزع الأكبر ، إذ قالوا : هو النفخة الأخيرة ، أو حين يذبح الموت وينادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، أو الانصراف إلى النار ، أو حين إطباق النار على أهلها . أو الفزع من النار عند مشاهدتها ، أو الفزع الأكبر عام في كل هول يكون في يوم القيامة . أو هو النفخة الأولي .

والتفسير الراجح أن الفزع الأكبر عام في كل أهوال القيامة ، فيكون يوم القيامة نفسه هو الفزع الأكبر .. وقد اختار أبو حيان هذا التفسير ، إذ قال : « والفزع الأكبر

---

(١) تفسير أبي السعود ج ٦ ص ٨٧ . وانظر روح المعاني ج ١٧ ص ٩٨ .
(٢) تفسير أبي السعود ج ٦ ص ٨٧ .
(٣) سورة الأنبياء ، آية ١٠٣ .
(٤) انظر : تفسير البغوي ج ٣ ص ٢٧٠ . الكشاف ج ٣ ص ٢٢ . التفسير الكبير ج ٢ ص ٢٢٧ . تفسير النسفي ج ٢ ص ٤٢١ . تفسير أبي السعود ج ٦ ص ٨٧ روح المعاني ج ١٧ ص ٩٨ .

عام في كل هول يكون في يوم القيامة . فكان يوم القيامة بجملته هو الفزع الأكبر ، وإن خصص بشيء فيجب أن يقصد لأعظم هوله »[1].

واختار العموم في تفسير الفزع الأكبر له حكمة بلاغية دقيقة ، إذ فيه بيان أن المؤمنين أهل الجنة ، لا يفزعهم يوم القيامة بكل أهوال ولا يصيبهم خوف أو رهبة في كل مواقفهم .. بل هم في أمن وسكينة واطمئنان من أول موقف في يوم القيامة إلى آخر موقف . ويدل على هذا الأمن المعد للمؤمنين قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾[2].

وعدم الفزع من كل أهوال يوم القيامة نعمة روحية عظمي يعيش فيها المؤمنون قبل دخول الجنة .. فإذا جاء وقت تحقيق وعد الله ـ سبحانه ـ بدخول المؤمنين الجنة .. فإنهم يدخلوها في تعزيز وتكريم بالغين ، إذ يقول سبحانه : ( وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ) أي تستقبلهم الملائكة مهنئين في حفاوة وترحيب بالغين قائلة لهم : انعموا بيومكم الذي كنتم به توعدون ..

وفي قوله تعالى : ( وتتلقاهم الملائكة ) إشارة إلى توالي واستمرار مصاحبة الملائكة لهم مرحبة مهنئة بيوم الفوز العظيم .. وقد ألمح إلى هذا المعني الأستاذ سيد قطب ، إذ قال : « وتتولي الملائكة استقبالهم بالترحيب ومصاحبتهم لتطمئن قلوبهم في جو الفزع المرهوب »[3].

ومن أنواع الترحيب بأهل الجنة تسليم الملائكة عليهم كما في قوله تعالى :

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[4].

(١) البحر المحيط ج ٦ ص ٣٤٢ . وانظر حاشية الشهاب ج ٦ ص ٢٧٦ .
(٢) سورة فصلت ، من الآية : ٣٠ .
(٣) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٣٩٩ .
(٤) سورة الزمر ، آية : ٧٣ .

والآية بيان لكيفية دخول المؤمنين الجنة ، وترحيب الملائكة بهم ، وتسليمهم عليهم .. حيث بينت الآية الكريمة أن المؤمنين يساقون إلى الجنة في جماعات متتالية ..

وقد بيّن المفسرون[1] المقصود بسوق أهل الجنة إليها ، إذ قالوا : المراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم ، وحثها إسراعاً بهم إلى دار الكرامة والرضوان ، أو سوقهم مساق إعزاز وتشريف للإسراع بهم إلى دار الكرامة ..

ولا مانع من الجمع بين التفسيرين ، بحيث يكون المراد بالسوق للمؤمنين هو سوق مراكبهم مساق إعزاز وتشريف لهم ، للإسراع إلى دار الكرامة .. وقد أوضح الزمخشري المراد من سوق المؤمنين ، إذ قال : « فإن قلت : كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعًا بلفظ السوق ؟ ( قلت ) : المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأساري والخارجين على السلطان ، إذ سيقوا إلى حبس أو قتل . والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين ، وحثها إسراعاً بهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بما يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين »[2] ..

وفي قوله تعالى : ( حتي إذا جاءوها وفتّحت أبوابها ) فيه دلالة على الحفاوة بأهل الجنة والتكريم لهم .. إذ أن فتح الأبواب استعداداً لاستقبال الضيوف فيه تكريم لهم واحترام أفضل من فتحها وقت حضورهم .. ولذا فإن جملة ( وفتّحت أبوابها ) سبقت بالواو الدالة على الحال .. بحيث يكون تقدير الكلام : حتي إذا جاءوا وقد فتحت أبوابها .. وقد بين أبو حيان[3] مزية هذه الصياغة للآية ، إذ قال : « وجعل قوله وفتحت جملة حالية أي وقد فتحت أبوابها لقوله :

---

(١) انظر : الكشاف ج ٣ ص ٣٥٨ ، التفسير الكبير ج ٧ ص ٢٢. تفسير النسفي ج ٣ ص ٢٣٥. البحر المحيط ج ٧ ص ٤٤٣. تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٦٤ . حاشية الشهاب ج ٧ ص ٣٥٤ . روح المعاني ج ٢٤ ص ٣٣ .
(٢) الكشاف ج ٣ ص ٣٥٨ .
(٣) البحر المحيط ج ٧ ص ٤٤٣.

﴿ جنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ ﴾[1].

وناسب كونها حالاً أن أبواب الأفراح تكون مفتحة لانتظار من تجيء إليها بخلاف أبواب السجون » ..

وقد ورد في بيان حال أهل النار قول تعالى : ( حتي إذا جاءوها فتحت أبوابها ) حيث لم يسبق قوله تعالى : ( فتحت أبوابها ) بالواو ، كما هو الشأن في بيان حال أهل الجنة .. وقد بيّن الخطيب الإسكافي الفرق بين المعنيين في بيان الحالين حيث قال : « فإن قال : وهل يختلف المعنيان إذا حذفت الواو وإذا أثبتت ؟ قلت : يختلفان بأن الفتح يقع عند مجيء أهل النار لأن قوله ( فتحت ) جزاء للشرط ، وحقه إذا كان فعلاً أن لا يدخله واو ولا فاء ، ويكون عقيب الشرط . إذا حذف الجزاء وعطف فعل على فقيل : ( حتي إذا جاءوها وفتحت ) ، والتقدير : حتي إذا جاءوها وأبوابها مفتحة، وهذا حكم اللفظ ، فأما حكم المعني : فإن جهنم لما كانت أشد المحابس . ومن عادة المحابس إذا شددوا أمرها أن لا يفتحوا أبوابها إلا لداخل وخارج ، وكانت جهنم أهولها أمراً وأبلغها عقاباً أخبر عنها الإخبار عما شوهد من أحوال الحبوس التي تضيق على محبوسها ، فوقع الفتح عقيب مجيئهم ليتطابق لذلك اللفظ والمعني ، ولم يكن هناك حذف . وأما الجنة فلأن من فيها يتشوقون للقاء أهلها ، ومن رسم المنازل إذا بشر من فيها بإتيان أربابها أن تفتح أبوابها استبشاراً بهم وتطلعاً إليهم ، ويكون ذلك قبل مجيئهم ، فأخبر عن المؤمنين وحالهم على ما جرت به عادة الدنيا في أمثالهم ، فيكون حذف الجزاء وإدخال الواو على الفعل المعطوف عليه لذلك فأعرفه »[2] ..

وقد بيّن ابن القيم أن في فتح أبواب الجنة استعداداً لاستقبال أهلها تشريفًا لهم وزيادة في التكريم ، إذ قال : « وهذا بخلاف أهل الجنة فإنهم أهل الجنة فإنهم لما كانوا مساقين إلى دار الكرامة ، وكان من تمام إكرام المدعو الزائر أن يفتح له باب الدار فيجيء فيلقاه مفتوحًا فلا يلحقه ألم الانتظار فقال في أهل الجنة : ( حتي إذا

---

(١) سورة ص ، آية : ٥٠ .

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل ص ٤١٠ .

جاءوها وفتحت أبوابها ) وحذف الجواب تفخيماً لأمره وتعظيماً لشأنه »[1] ..

ثم يقول ـ عز وجل ـ في ختام الآية الكريمة :

﴿ ... وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[2] ..

فيأتي ختام الآية وفق تسلسل دقيق لمعاني الآية من بدايتها .. إذ يكون المعني : تساق مراكب أهل الجنة مساق إعزاز وتكريم في جماعات متتالية ، حتي إذا وصلوها وجدوا أبوابها مفتحة لهم مهيئة لاستقبالهم ، ووجدوا الملائكة في استقبالهم مسلمين عليهم ومرحبين بهم ومثنين عليهم الثناء الحسن الذي يرفع من شأنهم ويبشرهم بدخول الجنة والخلود فيها ..

وفي هذه الآية الكريمة يبشر خزنة الجنة المؤمنين بثلاث بشارات أولها : ( سلام عليكم ) : أي يبشرونهم بالسلامة من كل الآلام والآفات ، وثانيها : ( طبتم ) أي طهرتم من جميع المعاصي والأدناس والآثام ، وثاليها : ( فادخلوها خالدين ) : أي فادخلوا الجنة مقدرين الخلود فيها وفي نعيمها المقيم[3] .. وفي هذه الشارات الثلاث دلالة على فوز المؤمنين عند ربهم بما لا يعد ولا يحصي من الحفاوة والتكريم والتشريف ، يقول الألوسي : « كان ما كان مما يقصر عنه البيان ، أو فازوا بما لا يعد ولا يحصي من التكريم والتعظيم »[4] ..

ومن ترحيب الملائكة بأهل الجنة قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾ [5] .

والآية تبين المكانة العالية المعدة للمؤمنين المتقين عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ حيث بينت أن المؤمنين المتقين مستقرون عند ربهم : ( في جنات وعيون ) . وقد بيّن

---

(١) بدائع الفوائد ، لابن قيم الجوزية م ١ ، ج ٢ ص ١٧٥ .

(٢) سورة الزمر ، من الآية : ٧٣ .

(٣) انظر التفسير الكبير ج ٧ ص ٢٢ ، ٢٣ . تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٢٦٤ . روح المعاني ج ٢٤ ص ٣٤ .

(٤) روح المعاني ج ٢٤ ص ٣٤ .

(٥) سورة الحجر ، الآيتان : ٤٥ ـ ٤٦ .

المفسرون[1] المراد من قوله تعالى : ( في جنات وعيون ) ، حيث قالوا : أي في بساتين وأنهار ، أو أن المراد من العيون الينابيع للأنهار ، أو مستقرون فيها خالدين ، لكل واحد منهم جنة وعين منهما أو لكل عدة منهما . أو لكل واحد اثنان منهما إلا أن يني على إطلاق الجمع على اثنين .

والتفسير الراجح للآية أن لكل منهم جنات وعيونا كثيرة لا يعلم كنهها أو عددها أحد .. بدليل تنكير الجنات والعيون .. لتدل على الكثرة الكاثرة .. إذ المهم الإخبار : أنهم ينعمون عند خالقهم بعدد لا يحصي من الجنات والعيون ..

أما قوله تعالى : ( ادخلوها ) فإنه قد يكون من قول الله سبحانه للمتقين تشريفاً وتكريماً لهم .. وقد يكون من قول الملائكة لهم ترحيبًا وحفاوة بهم .. وأما الأمر القرآني ( ادخلوها ) فإنه على معني الخبر ، أي البشري لعباد الله المتقين في الحياة الدنيا بدخول الجنات التي أعدها الله ـ سبحانه ـ في الآخرة .. وقد أشار أبو حيان[2] إلى هذا المعني ، إذ قال : « ولما كان حال المؤمنين معتنًي به أخبر أنهم في جنات وعيون جعل ما يستقرون فيه في الآخرة كأنهم مستقرون فيه في الدنيا . ولذلك جاء (ادخلوها) على قراءة الأمر لأن من استقر في الشيء لا يقال له ادخل فيه » ..

أما قول تعالى : ( بسلام آمنين ) فإن المراد منه بين المفسرون [3] ، إذ قالوا : أي ادخلوا الجنة مع السلامة من كل الآفات في الحال ، ومع القطع ببقاء هذه السلامة والأمن من زوالها .. أو مسلماً عليكم تسليم الملائكة ..

ويمكن الجمع بين المعنيين بمعني أن الملائكة تستقبلهم عند دخول الجنة مسلمة عليهم مبشرة إياهم بالسلام من الآفات والأمن من الزوال .. ويبدو في تحية

---

(١) انظر : تفسير البغوي ج ٣ ص ٥١ . التفسير الكبير ج ١٩ ص ١٩٢ . تفسير أبي السعود ج ٥ ص ٧٩ . حاشية الشهاب ج٥ ص ٢٩٧ . روح المعاني ج ١٤ ص ٥٧ .

(٢) البحر المحيط ج ٥ ص ٤٥٦ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ج ٣ ص ٥٢ . الكشاف ج٢ ص ٣١٤ . تفسير ابن عطية ج ٨ ص ٣١٨ . التفسير الكبير ج ١٩ ص ١٩٢ . البحر المحيط ج ٥ ص ٤٥٦ . تفسير أبي السعود ج ٥ ص ٨٠ . حاشية الشهاب ج ٥ ص ٢٩٧ . روح المعاني ج ١٤ ص ٥٨ .

الملائكة لهم والبشري التي يبشرونهم بها عند دخول الجنة ، أن ما أُعدَّ للمتقين في الجنة شيء كثير جامع بين المتع الحسية التي يتلذذ الجسم بها .. والمَتع الروحية التي تتلذذ الروح بها .. إذ هم في نعمة وراحة ومتعة آمنين من زوالها مغتبطين بالترحاب والتكريم الذي تستقبلهم به الملائكة ..

ومن مظاهر التكريم والترحيب والتشريف لأهل الجنة قوله تعالى :

﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾[1].

وفي الآيات الكريمة تكريم عظيم لأهل الجنة ، وفيها تسلسل دقيق في ترتيب المعاني .. حيث بينت الآيات أن من مظاهر تكريم أهل الجنة أن الجنة تقرَّب لهم .. ولم يقربوا هم منها .. بل إن الجنة وما فيها من أنواع المتع والملاذ تقرب منهم لتكون دانية منهم بما فيها من أنواع الملاذ .. ثم يقال لهم : إن هذه الجنة وما فيها ملك خاص لكم ، كنتم قد وعدتم بتملكه لتكون أجراً لأعمالكم الصالحة التي استحققتم بها هذا الثواب العظيم .. ثم يؤذن لأهل الجنة بالدخول فيها والتمتع بما فيها .. حيث يقال لهم : ادخلوا الجنة سالمين من الآفات ، مقرونين بالسلام ، أو ادخلوا الجنة مسلمًا عليكم من الله سبحانه أو من ملائكته . أو ادخلوا الجنة مسلمين على بعضكم بعض .. ثم لبث الاطمئنان والأمان في نفوس أهل الجنة بدوام هذا النعيم وعدم نفاذه قيل لهم : لا تخافوا انقطاع هذا النعيم أو نفاذه ، بل إنكم قدر لكم الخلود فيه وخلوده لكم .. أي انعموا بهذا النعيم مقدرين الخلود فيه[2] ..

ومن مظاهر الترحيب بأهل الجنة دخول الملائكة عليهم من أبوابها مسلمين عليهم ، كما في قوله تعالى :

---

(١) سورة ق ، الآيات : ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤ .
(٢) انظر التفسير الكبير ج ٢٨ ص ١٨٠ .

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[(١)].

فالآية الكريمة تصف ما أعد الله ـ عز وجل ـ لعباده المؤمنين من متع نفسية بعد دخولهم الجنات ورؤية ما فيها من أنواع المتع الحسية ، إذ بينت الآية الكريمة أن المؤمنين بعد دخولهم جنات عدن ، يجتمعون مع من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم لتكتمل بهجتهم ويتم سرورهم باجتماعهم مع أحبائهم .. وقد بين المفسرون[(٢)] المراد من قوله تعالى : ( ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ) إذ قالوا : إن الله ـ عز وجل ـ بيّن أن الأنساب وحدها لا تكفي بغير أعمال صالحة ، أو من كان صالحًا لا يدخلونها بالأنساب ، أو أنه سبحانه يريد من صدّق بما صدقوا به وإن لم يعمل مثل أعمالهم ، أو أنه يلحق بهم من صلح من أهليهم وإن لم يبلغ فضلهم تبعاً لهم وتعظيماً لشأنهم ..

والتفسير الذي تميل إلى الدراسة : أن نسب أهليهم وحده لا يكفي لدخول الجنة، بل لا بد من الإيمان كما نص على قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾[(٣)].

ولا بد من العمل الصالح كما نص عليه قوله تعالى :

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ ... ﴾[(٤)]..

فإذا كانت الأعمال الصالحة لأهلية أهل الجنة لا تبلغ مبلغ من ارتفع شأنه وعلت درجته عند الله سبحانه ، فإن رحمة الله بأهل الجنة تجمع بينهم وبين أهليهم لتكتمل

---

(١) سورة الرعد ، الآيتان : ٢٣ ـ ٢٤ .

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه ، ج ٣ ص ١٤٧ . التفسير الكبير ، ج ١٩ ص ٤٤ . حاشية الشهاب ، ج ٥ ص ٢٣٦ . روح المعاني ، ج ١٣ ص ١٤٣ .

(٣) سورة الطور ، من الآية : ٢١ .

(٤) سورة الرعد ، من الآية : ٢٣ .

مسرتهم باجتماع من أحبوا من أهليهم ..

وفي هذه البشري متعة نفسية عظيمة لأهل الجنة ، لأن المؤمن إذا علم بأن من أحب من أهله وذريته مجتمع معه في الجنة شعر بأن متعته اكتملت وأن هذا النعيم الذي هو في لم ينتقص ، يقول الإمام الفخر الرازي : « لأن المقصود بشرة المطيع بكل ما يزيده سروراً وبهجة ، فإذا بشر الله المكلف بأنه إذا دخل الجنة فإنه يحضر معه آباؤه وأزواجه وأولاده فلا شك أنه يعظم سرور المكلف بذلك وتقوي بهجته به . ويقال : إن من أعظم موجبات سرورهم أن يجتمعوا فيتذاكروا أحوالهم في الدنيا ، ثم يشكرون الله على الخلاص منها ، والفوز بالجنة »[1] ..

أما قوله تعالى :

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾[2] ..

فإن فيه دلالة على عظم المنة في تشريف أهل الجنة . إذ وهم مجتمعون مع من أحبوا من أهليهم ، تتوافد عليهم طوائف الملائكة من كل باب من أبواب الجنة لتحيتهم بتحية الإسلام ( سلام عليكم ) وتشيد بحسن أعمالهم التي أوصلتهم إلى ما هم فيه من رضوان الله ونعمته ..

وقد بيّن المفسرون[3] أن قوله تعالى : ( سلام عليكم ) مبني على إضمار : يقولون سلام عليكم ، وحذف القول للدلالة عليه .. أما المعني المراد من ( سلام عليكم ) فقالوا : أي يحيونهم بالسلام ، أو يقولون : سلمكم الله من الآفات التي تخافون منها ، أو بشارة بدوام السلامة ..

ويمكن الجمع بين المعنيين ، فهم يحيونهم بالسلام مبشرين لهم بدوام السلامة من كل الآفات ..

---

(١) التفسير الكبير ج ١٩ ص ٤٤ ـ ٤٥ .

(٢) سورة الرعد ، من الأيتين : ٢٣ ـ ٢٤ .

(٣) انظر معاني القرآن ، للفراء ج ٢ ص ٦٢ ، جامع البيان ، للطبري م ٨ ، ج ١٣ ص ١٤١ . معاني القرآن وإعرابه . للزجاج ج ٣ ص ١٤٧ . معاني القرآن ، للنحاس ج ٣ ص ٤٩٢ . تفسير البغوي ج ٣ ص ١٦ . التفسير الكبير ج ١٩ ص ٤٥ . روح المعاني ج ١٣ ص ١٤٤ .

وفي قوله تعالى : ( من كل باب ) فيه دلالة على كثرة دخول الملائكة على أهل الجنة . وكثرة الترحيب بهم والتشريف لهم .. يقول الفخر الرازي في دلالة هذه الآية على التشريف لأهل الجنة : « واعلم أن دخول الملائكة إن حملناه على الوجه الأول فهو مرتبة عظيمة ، وذلك لأن الله ـ تعالى ـ أخبر عن هؤلاء المطيعين أنهم يدخلون جنة الخلد ويجتمعون بآبائهم ، وأزواجهم ، وذرياتهم على أحسن وجه ، ثم إن الملائكة مع جلالة مراتبهم يدخلون عليهم لأجل التحية والإكرام عند الدخول عليهم يكرمونهم بالتحية والسلام ويبشرونهم .. »[1] وقد صور الأستاذ سيد قطب مزية هذا النسق القرآني للآية الكريمة ، إذ قال : « وفي جو التجمع والتلاقي يشترك الملائكة في التأهيل والتكريم في حركة رائحة غادية ( يدخلون عليهم من كل باب ) ويدعنا السياق نري المشهد حاضراً وكأنما نشهد ونسمع الملائكة أطوافًا ( سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار ) فهو مهرجان حافل باللقاء والسلام والحركة الدائبة والإكرام»[2] ..

أما قوله تعالى : ( بما صبرتم فنعم عقبي الدار ) فإنه فيه مديح لهم وثناء على أعمالهم التي أوصلتهم إلى الفوز بهذه المنزلة عند خالقهم مما يزيد من مسرة أهل الجنة وغبطتهم لعلمهم بقبول عملهم .

ومن الترحيب بأهل الجنة تحية الملائكة لهم وتسليمهم عليهم في قوله تعالى :

﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾[3] ..

فالملائكة يحيون أهل الجنة ويسلمون عليهم .. وقد بين المفسرون[4] المراد بالتحية في الآية الكريمة ، إذ قالوا : أي ملكاً ، أو بقاء دائماً .. أو دعاء بالتعمير والسلام ، أو يعطون التبقية والتخليد ، أو يحيون بالتحف جمعًا لهم بين المنافع والتعظيم .. أما

---

(١) التفسير الكبير ج ١٩ ص ٤٥ .

(٢) في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٠٥٨ .

(٣) سورة الفرقان ، من الآية : ٧٥ .

(١) انظر : تفسير البغوي ج ٣ ص ٣٧٩ . الكشاف ج ٣ ص ١٠٦ . التفسير الكبير ج ٢٤ ص ١١٦ . تفسير النسفي ج ص ٥٥٧ . البحر المحيط ج ٦ ص ٥١٧ . تفسير أبي السعود ج ٦ ص ٢٣٢ . حاشية الشهاب ج ٦ ص ٤٣٨ . روح المعاني ج ١٩ ص ٥٤ .

السلام ، فهو إما دعاء بالسلامة ، أو يحيونهم ويسلمون عليهم ، أو يحيى بعضهم بعضاً ويسلم عليه .

ومعاني التحية والسلام بيّنها المفسرون متقاربة يمكن الجمع بينها لتصور حال أهل الجنة الذين ينعمون بجو مفعم بالترحيب والتأهيل والسلام والدعاء بدوام الحياة في هذا النعيم مع السلامة من فنائه وكل ما ينتقص المتعة به . ولا يقصد الدعاء لذاته، وإنما هو التكريم .. يقول الألوسي في الغرض من إلقاء التحية والسلام بين أهل الجنة: « والمراد من الدعاء به والتكريم وإلقاء السرور والمؤانسة ، وإلا فهو متحقق لهم ويعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة فليس هناك دعاء أصلاً »[1] ..

(١) روح المعاني ج ١٩ ص ٥٤ .

# المبحث الثالث

## تحية أهل الجنة ودعاؤهم

أفضل ما يجد أهل الجنة من التكريم والترحيب بهم هو تحية الله ـ سبحانه وتعالى ـ لهم .. حيث بينت الآيات الكريمة أن أهل الجنة ينعمون بسلام الله ـ عز وجل ـ عليهم ، كما في قوله تعالى :

﴿ سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[1].

وقد بيّن المفسرون[2] إعراب قوله تعالى : ( سلامٌ قولاً ) حيث قالوا : إن (سلامٌ) مرفوع على أنه خبر ( ولهم ما يدعون ) أي : ولهم ما يدعون مسلّم خالص ، وعلي هذا ينصب ( قولاً ) على التوكيد ، أي : ولهم ما يدعون خالص حقًا ، أو أن ( سلام ) مرفوع على المدح ، أي : هو سلامٌ لهم قولاً من الله . أو بنصب قوله تعالى: ( سلام ) على التوكيد بمعني مسلماً قولاً .

وقد بين الطبرى[3] الإعراب الراجح المناسب لمعني الآية الكريمة ، إذ قال : «والذي هو أولي بالصواب على ما جاء به الخبر عن محمد بن كعب القرطبي أن يكون ( سلام ) خبراً لقوله ( ولهم ما يدعون ) فيكون معني ذلك : ولهم ما يدّعون ، وذلك هو سلام من الله عليهم ، بمعني : تسليم من الله ويكون سلام ترجمة عمّا يدّعون ، ويكون القول خارجًا من قوله : ( سلام ) » . فعلي هذا الإعراب ، يكون سلام الله على أهل الجنة أعظم أمانيهم وأجل نعمة ـ سبحانه ـ على أهل الجنة .. وفي حديث رسول الله ـ ﷺ ـ ما يثبت أن رؤية الله في الجنة وسلام على أهلها أجل

---

(١) سورة يس ، آية : ٥٨ .

(٢) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج ٢ ص ٣٨٠ . مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج ٢ ص ١٦٤ . جامع البيان ، للطبري م ١٢ ، ج ٢٣/ ص ٢١ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٤ ص ٢٩٢ . إعراب القرآن ، للنحاس ج ٣ ص ٤٠١ . معاني القرآن ، للنحاس ج ٥ ص ٥١٠. البحر المحيط ج ٧ ص ٣٤٣ . تفسير أبي السعود ج ٧ ص ١٧٤ . روح المعاني ج ٢٣ ص ٣٨ .

(٣) جامع البيان م ١٢ ، ج ٢٣ ص ٢١ .

نعمة ينعمها سبحانه عليهم .. فقد أخرج ابن ماجة عن محمد بن عبد الملك عن جابر بن عبد الله أنه قال : « قال رسول الله ﷺ بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رءوسهم ، فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة ! قال : وذلك قول الله : ( سلام قولاً من رب رحيم ) قال : فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتي يحتجب عنهم ويبقي نوره وبركته عليهم في ديارهم »[1] ..

وفي معني قوله تعالى : ( سلامٌ قولاً من رب رحيم ) بين المفسرون[2] أن سلام الله يأتي أهل الجنة إما عن طريقه مباشرة تشريفًا وتعظيمًا لهم ، وإما عن طريق الملائكة الذين يدخلون عليهم من كل باب يلقون عليهم السلام من ربهم ... والأولي الذي يثبته الحديث السابق أن السلام يأتيهم من الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما نصت عليه الآية السابقة . وفي سلام الله عليهم مباشرة تشريف وتكريم وتعظيم لأهل الجنة لا يجدون متعة أحب إليهم منها ..

ويبين الله ـ عز وجل ـ التحية العامة بين أهل الجنة كما في قوله تعالى :

﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ ﴾[3] .

فقد بينت الآية الكريمة أن التحية السائدة بين أهل الجنة هي السلام بمعني أن تحية الله لهم هي السلام ، أو تحية الملائكة لهم هي السلام وتحية بعضهم لبعض هي السلام أيضاً[4] .. فلا وجود لتحية أخري في الجنة غير تحية الإسلام ألا وهي : السلام

---

(١) سنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٥ ـ ٦٦ . المقدمة ١٣ حديث ١٨٤ .

(٢) انظر تفسير البغوي ج ٤ ص ١٦ . الكشاف ج ٣ ص ٢٩٠ . تفسير أبي السعود ج ٧ ص ١٧٤ . روح المعاني ج ٢٣ ص ٣٨ .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٣ .

(٤) انظر : جامع البيان . للطبري ، م ٨ ، ج ١٣ ص ٢٠٣ . تفسير البغوي ج ٣ ص ٣٢ . تفسير ابن عطية ج ٨ ص ٢٣١ . التفسير الكبير ، ج ١٩ ص ١١٥ ـ ١١٦ . تفسير النسفي ج ٢ ص ١٦٦ . تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٤٣ . حاشية الشهاب ج ٥ ص ٢٦٤ . روح المعاني ج ١٣ ص ٢١٢

عليكم .. وقد أخرج ابن حنبل عن معاذ بن جبل عن النبي - ﷺ - أنه قال : « ... إن الله أبدلنا خيراً من ذلك : السلام تحية أهل الجنة »[1] ..

وفي بيان الله - عز وجل - أن تحية أهل الجنة هي السلام إشارة إلى أن الجنة هي دار السلامة من كل الآفات والمهالك والمنغصات التي تنتقص من لذة المتعة بما فيها من أنواع الملذات .. وقد بين الفخر الرازي دلالة لفظ السلام في الآية الكريمة ، إذ قال : « واعلم أن السلام مشتق من السلامة وإلا ظهر أن المراد أنهم سلموا من آفات الدنيا وحسراتها ، أو فنون آلامها وأسقامها . وأنواع غمومها وهمومها . وما أصدق ما قالوا : فإن السلامة من محن عالم الأجسام الكائنة الفاسدة من أعظم النعم لا سيما إذا حصل بعد الخلاص منها الفوز بالبهجة الروحانية والسعادة الملكية »[2] .

ويدل نسق الآية الكريمة أن الله - عز وجل - أعد للمؤمنين في جنات المتع الحسية والراحة النفسية معًا .. حيث بدأت الآية الكريمة بالإخبار عن إدخال المؤمنين بإذن ربهم وتقديره جنات تجري من تحتها الأنهار ، كما تعلق الفعل ( أدخل ) بالجار والمجرور ( بإذن ربهم ) وأضيف وصف الربوبية إلى ضميرهم .. وهذا النسق يدل على أن دخول الجنة وفوزهم بما فيها والخلود فيه مقدر بقدر ربهم وأمره ، مما يشعرهم بلطف خالقهم وعنايته بهم ؛ إذ يعلموا أن خالقهم وبارئهم قد تلطف بهم وأمتعهم ، أوثابهم على جهدهم فوزاً عظيماً ..

وقد أشار أبو السعود إلى مزية هذا النسق للآية الكريمة : « أي بأمره أو بتوفيقه وهدايته ، وفي التعريض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم إظهار مزيد اللطف بهم»[3] ..

يبين الله - عز وجل - دعاء أهل الجنة وتسبيحهم شكراً لخالقهم عند رؤية ما أعد لهم في الجنة من المسرات واللطائف .. يقول سبحانه وتعالى :

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٨١ .
(٢) التفسير الكبير ، ج ١٩ ص ١١٦ .
(٣) تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٤٣

﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

وقد اختلفت أقوال المفسرين[2] في بيان المراد من قوله سبحانه : ( دعواهم فيها سبحانك اللهم ) إذ قالوا : أي دعاؤهم أي قولهم وكلامهم .. أو أن دعاء أهل الجنة تنزيه الله وتعظيمه . أو أن هذه الكلمة : ( سبحانك اللهم ) علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام ، فإذا أردوا الطعام قالوا : سبحانك اللهم فأتوهم في الوقت بما يشتهون على الموائد . أو يراد من الدعوي الدعاء بدلالة قولهم : اللهم وهو نداء لله سبحانه أو يراد من الدعاء العبادة فيكون المعني لا عبادة لهم إلا أن يسبحوا الله . أو أن يراد من الدعوي نفس الدعوي التي تكون للخصم على الخصم ، والمعني أن أهل الجنة يدعون في الدنيا والآخرة تنزيه الله ـ تعالى ـ عن كل المعايب . أو المراد من (دعواهم) أي طريقتهم في تمجيد الله تعالى وتقديسه . أو أن المراد من ( دعواهم ) تمنيهم تسبيح الله وتنزيهه وتقديسه . أي لا أمنية لهم إلا تسبيح الله ..

والتفسير الراجح في هذه الدراسة : أن المراد من قوله تعالى ( دعواهم فيها سبحانك اللهم ) هو الدعاء والعبادة معاً .. وأن قول أهل الجنة والدعاء هو العبادة كما ثبت من قول النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، فقد أخرج الترمذي عن النعمان بن بشير أن النبي ـ ﷺ ـ قال « الدعاء هو العبادة »[3]. وقد ألمح الزمخشري إلى إرادة هذا المعني من الآية الكريمة ، إذ قال : « لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة إنما يلهمونه فينطقون به تلذذاً بلا كلفة »[4]..

---

(١) سورة يس ، آية : ١٠ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، ج ١ ص ٢٧٥ . جامع البيان للطبري م ٧ ، ج ١١ ص ٨٩ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٣ ص ٨ . معاني القرآن ، للنحاس ج ٣ ص ٧٩ . تفسير البغوي ج ٢ ص ٣٤٥ ، تفسير ابن عطية ج ٧ ص ١١٠ . التفسير الكبير ج ١٧ ص ٤٣ . تفسير النسفي ج ٢ ص ٤ . البحر المحيط ج ٥ ص ١٢٧ . تفسير أبي السعود ج ٤ ص ١٢٤ . حاشية الشهاب ج ٥ ص ٩ . روح المعاني ج ١١ ص ٧٥ .

(٣) سنن الترمذي ج ٥ ص ٤٥٦ ، كتاب الدعاء ١ ، وقال بعده : قال : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) الكشاف ج ٢ ص ١٨٢ .

كمـا وضّح الفـخـر الرازي هذا المعني المراد من الآية الكريمة ، إذ قـال « المراد اشتغال أهل الجنة بتقديس الله سبحانه وتمجيده والثناء عليه لأجل أن سعادتهم في هذا الذكر وابتهـاجهـهم به وسرورهم به ، وكـمـال حالهم لا يحصل إلا منه ، وهذا القول هو الصحيح الذي لا محيد عنه »[1] ..

ويلحظ أن جملة : ( دعواهم فيها سبحانك اللهم ) جملة اسمية ، المبتدأ فيها قوله سبحانه : ( دعواهم ) والجار والمجرور ( فيها ) متعلق به ، والخبر قوله عز وجل : ( سبحانك اللهم ) ، وفي اسمية الجملة دلالة على دوامهم واستمرارهم في تسبيح الله وتعظيمه وتقديسه ..

أما قوله تعالى : ( وتحيتهم فيها سلام ) فإنه جملة اسمية أيضًا ، تدل على دوام واستمرار التحابب والتواصل بينهم والتكريم والتعظيم لشأنهم . وذلك أن المراد من قوله تعالى : ( وتحيتهم فيها سلام ) كما بيّن المفسرون[2] هو : أن التحية بين بعضهم هي قولهم : السلام عليكم ، أو أن تحية الملائكة لهم هي السلام عليكم ، أو أن تحية الله لهم تكريمًا لشأنهم وتعظيمًا هي : السلام عليكم . وقد بيّن ابن عطية أن التحية من الدعاء بقوله : « والتحية مأخوذة من تمني الحياة للإنسان والدعاء بها ، يقال : حيّاه يُحيّيه »[3] .. كـمـا بيّن الفـخـر الرازي أن السـلام مـشـتق من السـلامـة من الآفـات والمخافات، إذ قال : « وعندي فيه وجه آخر : وهو أن مواظبتهم على ذكر هذه الكلمة مشعرة بأنهم كانوا في الدنيا في منزلة الآفات وفي معرض المخافات ، فإذا خرجوا من الدنيا ووصلوا إلى كرامة الله ـ تعالى ـ ، فقد صاروا سالمين من الآفـات أمنين من المخافات والنقصانات »[4] ..

---

(١) التفسير الكبير ، ج ١٧ ص ٤٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٣ ص ٨ . معاني القرآن للنحاس ج ٣ ص ٢٧٩ . تفسير البغوي ج ٢ ص ٣٤٥ . التفسير الكبير ج ١٧ ص ٤٥ ـ ٤٦ . تفسير ابن عطية ج ٧ ص ١١١ ـ ١١٢ . تفسير النسفي ج ٢ ص ٥ . البحر المحيط ج ٥ ص ١٢٧ . تفسير أبي السعود ج ٤ ص ١٢٤ . حاشية الشهاب ج ٥ ص ٩ . روح المعاني ج ١١ ص ٧٥ ـ ٧٦ .

(٣) تفسير ابن عطية ة ٧ ص ١١ ـ ١١٢ .

(٤) التفسير الكبير ج ١٧ ص ٤٥ ـ ٤٦ .

وبهذا الربط بين الدعاء والتحية والسلام يتبين أن معني قوله تعالى ( وتحيتهم فيها سلام ) هو : أن تسليمهم أو تسليم الملائكة عليهم ، أو سلام الله عليهم .. دعاء لهم بدوام الحياة في سلامة من الآفات والمنغصات .. ليعيشوا في الجنة حياة دائمة سالمين من كل الآفات آمنين من كل المخاوف ..

أما قوله تعالى : ( وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين ) فإنه مرتبط بما قبله في أنه دعاء أيضاً ، بمعني أنهم يبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه عن كل سوء ويختمون بحمده وتمجيده .. وقد ألمح الزجاج إلى هذا المعني بقوله : « اعلم الله أنهم يبتدئون بتعظيم الله رب العالمين »[1] .. وللفخر الرازي وجه آخر في بيان تسلسل المعني للآيات، إذ قال : « عندي في هذا الباب وجوه آخر : فأحدها أن أهل الجنة لما استسعدوا بذكر ـ سبحانك اللهم وبحمدك ، وعاينوا ما هم فيه من السلامة عن الآفات والمخافات علموا أن كل هذه الأحوال السنية والمقامات القدسية إنما تيسرت بإحسان الحق سبحانه وإفضاله وإنعامه ، فلا جرم اشتغلوا بالحمد والثناء فقالوا : (الحمد لله رب العالمين) وإنما وقع الختم على هذا الكلام لأن اشتغالهم بتسبيح الله تعالى وتمجيده من أعظم نعم الله تعالى عليهم ، والاشتغال بشكر النعمة متأخر عن رؤية تلك النعمة فلهذا السبب وقع الختم على هذه الكلمة »[2] ..

وهناك رابط آخر دقيق يربط بين هذه الآيات الثلاث .. وهو الدعاء حيث ظهر أن تنزيه أهل الجنة وتعظيمهم لله ـ عز وجل ـ يكون دعاء وتحيتهم فيما بينهم وبين الملائكة أو فيما بينهم ، أو تحية الله لهم هي الدعاء بالسلامة من الآفات ، وآخر كلامهم وهو الحمد والثناء على الله ـ عز وجل ـ دعاء أيضاً ، فيكون تسبيحهم لله . وسلامهم فيما بينهم ، وحمدهم وثناؤهم على الله عز وجل . كل ذلك يكون دعاءً والدعاء هو الخشوع والتذلل لله ـ سبحانه ـ الذي منّ عليهم بالفوز العظيم وهم يتلذذون ويتمتعون بهذا الدعاء الذي هو أعظم النعم التي أنعمها الله عليهم في الجنة .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٣ ص ٨ .
(٢) التفسير الكبير ، ج ١٧ ص ٤٦ .

# المبحث الرابع

## رضوان الله عن أهل الجنة ورضاؤهم عنه

من أهم أنواع النعيم الروحي الذي يتمتع به أهل الجنة علمهم برضوان الله ـ عز وجل ـ عنهم .. وبالتالي شعورهم بالرضا التام الكامل عن الله سبحانه وتعالى لما وجدوا من أنواع اللطائف والمسرات التي أعدت لهم في الجنة لتكون جزاءً وثواباً على مابذلوا في طاعة الله ورضائه .

وقد بيّن الخالق ـ سبحانه ـ في الآيات الكريمة التي تبين ما أُعد من نعيم أهل الجنة أن رضوان الله ـ سبحانه ـ أكبر من كل أنواع النعيم الذي أعدّه لعباده المتقين[1] .. كما بيّن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذلك في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : « قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ! فيقولون : لبيك ربّنا وسعديك والخير في يديك ! فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لانرضي يارب وقد أعطيتنا ما لم تُعْط أحداً من خلقك ؟ فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون : ياربِّ ، وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك ؟ فيقول : أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخطُ عليكم بعده أبداً »[2] ..

وعند دراسة الآيات التي بيّن فيها ـ سبحانه وتعالى ـ رضوان الله عن أهل الجنة يتبين أن الله ـ عز وجل ـ يقرن دائماً بين أنواع المتع الحسية التي أُعدت في الجنة ورضوان الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن أهل الجنة ، مبيناً ـ سبحانه ـ أن رضوانه أكبر من كل هذا النعيم الحسي .. كما يلحظ أن الخالق ـ سبحانه ـ يقرن بين رضائه ـ عز وجل ـ عن أهل الجنة ورضاء أهل الجنة عنه ـ سبحانه وتعالى ـ ..

---

(١) انظر الآيات التي ستدرس في الصفحات القادمة .

(٢) صحيح البخاري ، ج ٩ ص ١٨٤ ـ ١٨٥ . باب كلام الرب من أهل الجنة .

فمن الآيات التي قرن فيها ـ سبحانه وتعالى ـ بين النعيم الحسي ورضوانه قوله تعالى :

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١) ..

حيث ذكر ـ سبحانه ـ أنواع النعم التي أعدّها للمتقين فبدأ بالجنات وبيّن أنها تجري من تحتها الأنهار ، ثم ذكر الأزواج وبيّن أنهن يختلفن عن نساء الدنيا في أنهن مطهرات من كل الأدناس التي تلحق نساء الدنيا .. ثم قرن من هذا النعيم الحسي الجسمي متعة روحية أهم وأعظم من كل ما سبق ألا وهي رضوان الله عن أهل الجنة ، يقول ابن جرير الطبري في تفسير الآية الكريمة : «وإنما ذكر الله ـ جل ثناؤه ـ فيما ذكر للذين اتقوا عنده من الخير : رضوانه ، لأن رضوانه أعلي منازل كرامة أهل الجنة» (٢) ...

وقد بيّن أبوحيان سرّ الترتيب في ذكر الآية الكريمة لأنواع المسرات التي أُعدت للمتقين في الجنة ، وذلك في قوله : «بدأ أولاً بذكر المقر وهو الجنات التي قال فيها: وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ثم انتقل من ذكرها إلى ذكر ما يحصل به الأنس التامّ من الأزواج المطهرة . ثم انتقل من ذلك إلى ماهو أعظم الأشياء وهو رضا الله عنهم، فحصل بمجموع ذلك اللذة الجسمانية والفرح الروحاني حيث علم برضا الله عنه» (٣) ...

ويلحظ أن نظم الآية الكريمة يدل على أن رضوان الله أكبر من جميع أنواع المتع الحسية في الجنة ، وذلك أن قوله سبحانه : (ورضوانٌ من الله) قد جاء لفظ الرضوان فيه نكرة منونًا ، ليدل على عموم معني لفظ رضوان وتفخيمه ، كما أن الجار والمجرور : (من الله) تعلق بمحذوف تقديره (كائن) .. وقد وضح أبوالسعود

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٥ .

(٢) جامع البيان ج ٣ ص ٢٠٦ .

(٣) البحر المحيط ج٢ ص ٣٩٩ وانظر روح المعاني ج ٣ ص ١٠١ .

مزية هذا النظم للآية الكريمة ، إذ قال : « (ورضوان) التنوين للتفخيم وقوله تعالى : (من الله) متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة أي رضوان وأي رضوان لايقادر قدره كائن من الله ـ عز وجل » [(١)] ..

وفي استعمال كلمة : (رضوان) بدلاً من رضا الله دلالة على عظمة هذا الرضا، وذلك أن الرضوان هو : الرِّضا الكثير ، يقول الراغب : «والرِّضوان : الرِّضا الكثير ، ولما كان أعظم الرِّضا رضا الله ـ تعالى ـ خصَّ لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله عز وجل» [(٢)] ... وقد أشار الشهاب إلى مزية استخدام هذا اللفظ ، إذ قال : « والرضوان لما فيه من المبالغة لم يستعمل في القرآن إلا في رضا الله» [(٣)] .

وينص القرآن الكريم على مزية رضا الله ـ سبحانه ـ على أهل الجنة ، وأن رضوانه ـ سبحانه وتعالى ـ أكبر من كل ما في الجنة من أنواع النعيم ، كما في قوله ـ عز وجل ـ :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [(٤)] ..

وفي ذكر رضوان الله ـ عز وجل ـ ضمن ما وَعَدَ الله به عباده المؤمنين من أنواع النعيم الحسي من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار والمساكن الطيبة في جنات عدنٍ، ولكن رضوان الله تميز عن أنواع النعم الأخري بإسمية الجملة وابتداء الكلام بها لتفضيله وأهميته عند عباد الله المؤمنين .. وذلك أن المؤمن إذا علم برضا الله عنه زادت متعته ، وشعر بعظم منة الله ـ سبحانه ـ عليه .. وقد أشار الفراء إلى مغزي هذا النسق القرآني للآية الكريمة ، إذا قال : « (رضوان من الله أكبر) رفع بالأكبر ، وعدل عن أن ينسق على ماقبله ، وهو مما قد وعدهم الله ـ تبارك وتعالى ـ،

---

(١) تفسير أبي السعود ج ٢ ص ١٦ .
(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٠٢ ، مادة رضي .
(٣) حاشية الشهاب ج ٤ ص ٣٤٥ . وانظر روح المعاني ج١٠ ص ١٣٧ .
(٤) سورة التوبة ، آية : ٧٢ .

ولكنه أوثر بالرفع لتفضيله »[1]..

وقد بيّن المفسرون [2] المراد من قوله تعالى : (ورضوان من الله أكبر) إذا قالوا : أي وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله . أو أن رضوان الله أكبر من كل ما سلف ذكره . أو وشيء يسير من رضوانه ـ تعالى ـ أكبر ، أو وقدر يسير من رضوان الله أكبر .

وأقوال المفسرين هذه تتفق على أن المراد من الآية : أن قدراً يسيراً من رضوان الله أكبر من كل ما في الجنة من أنواع النعيم التي وعد الله ـ سبحانه ـ بها عباده المؤمنين. وهذا البيان بأن القليل من رضوانه ـ عز وجل ـ أعظم من كل أنواع النعم الأخرى فيه دلالة على عظمة هذا الرضوان وأهميته وجلال شأنه عند أهل الجنة.. وقد بيّن الزمخشري السر في تفضيل رضوان الله على كل النعم ، إذ قال : «لأن رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ، ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته. والكرامة أكبر أصناف الثواب ، ولأن العبد إذا علم أن مولاه راضٍ عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم ، وإنما تتهنأ له برضاه ، كما إذا علم بسخطته تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وإن عظمت »[3]..

وقد بيّن الدكتور محمد أبوموسي أن تنكير قوله تعالى : (ورضوان) أفاد التقليل، وذلك إذ قال : «فالتنكير في (رضوان) يفيد التقليل ، لأن المعني : وقليل من رضوان الله أكبر من كل نعيم ، وهذا يلحظ في معني هذا التنكير ، لأن القليل من الله كثير وكثير »[4]..

ويدل على عظمة الله رضوان الله عند أهل الجنة على كل ما عداه من أنواع

---

(١) معاني القرآن ج ١ ص ٤٤٦ . وانظر إعراب القرآن ، للنحاس ج ٢ ص ٢٢٨ .

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٢ ص ٤٦١ . إعراب القرآن ، للنحاس ج ٢ ص ٢٢٨ . الكشاف ج ٢ ص ١٦٢ . التفسير الكبير ج ١٦ص ١٣٣ تفسير النسفي ج ١ ص ٦٦٥ . البحر المحيط ج ٥ ص ٧٢ . تفسير أبي السعود ج ٤ ص ٨٣ . روح المعاني ح ١٠ ص ١٣٧. في ظلال القرآن ج٣ / ص ١٦٧٦.

(٣) الكشاف ص ١٦٢ .

(٤) خصائص التراكيب ص ١٦٦ .

النعيم : أن الآية الكريمة ختمت بعد الوعد بالرضوان من الله بقوله سبحانه : ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ : أي ذلك الرضوان من الله ـ سبحانه ـ هو الفوز العظيم وحده دون كل ما يعده الناس فوزاً ..

وأما الآيات التي يقرن فيها ـ سبحانه وتعالى ـ بين رضائه عن أهل الجنة ورضائهم عنه سبحانه فمنها قوله تعالى :

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [1] ..

وقد بيّن المفسرون[2] المراد من قوله تعالى : (رضي الله عنهم ورضوا عنه) ، وذلك إذا قالوا : أي رضي الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا في الوفاء له بما وعدوه من العمل بطاعته واجتناب معاصيه ، ورضوا هم عن الله ـ تعالى ـ في وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إياه فيما أمرهم ونهاهم من جزيل ثوابه . أو رضي الله عنهم : بالسعي المشكور ، ورضوا عنه : بالجزاء الموفور . أو رضي الله عنهم : بقبول حسناتهم ، ورضوا عنه بما آتاهم من الكرامة ..

وأقوال المفسرين في تفسير : (رضي الله عنهم ورضوا عنه) تتقارب في بيان رضا الخالق ـ سبحانه ـ عن عباده المؤمنين لطاعتهم لربهم ولسعيهم المشكور ، حتي ينالوا الأجر والمثوبة من الخالق سبحانه .. وبالتالي رضاهم التام عن ربهم للمثوبة والأجر التي أعدها لهم ـ سبحانه ـ في جنات النعيم ..

ورضوان الله ـ عز وجل ـ عن عباده المتقين في جنات النعيم هو الغاية القصوي التي يطلبها المتقون في الجنة ، ولذا كان التعبير عن رضاهم عن الله ـ عز وجل ـ .. يقول أبوالسعود في تفسير الآية الكريمة : « (رضي الله عنهم ) استئناف أخر لبيان أنه عز وجل أفاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لاقدر لها عنده وهو رضوانه الذي

---

(١) سورة المائدة ، آية : ١١٩ .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري م ٥ ، ج ٧ ص ١٤٢ . البحر المحيط ج ٤ ص ٦٤ تفسير النسفي ج ١ ص ٤٥٢ .

لاغاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى : (ورضوا عنه ) إذ لا شئ أعز منه حتي يمتد إليه أعناق الهمم »[1] ..

والتعبير عن رضا أهل الجنة عن ربهم فيه إشارة إلى تمام وكمال النعم التي أعدها الله ـ سبحانه ـ لعباده المؤمنين في الجنة .. إذ شعور المرء بالرضا عما أُعطي له دليل على كمال وتمام ما أعطي لهذا العبد بحيث يفرح به ويرضي ولايمتد أمله إلى غاية أخري وراءه أبداً ..

والرضا عما أُعطي لأهل الجنة يعني أن ما أُعطي لهم قد بلغ الغاية في التمام والكمال بحيث لاتطمح نفوسهم إلى شئ غيره .. فالشعور بالرضا هو الدليل على تمام النعمة ..

ويلحظ أن نسق الآية الكريمة بالتعبير عن رضا الله عن عباده ورضاهم عنه ـ سبحانه وتعالى ـ يومئ إلى ما يشيع في الجنة من الجو الهادئ الراضي السمح بين أهل الجنة .. وقد صور الأستاذ سيد قطب ما يشيعه هذا التعبير القرآني من معان ، إذ قال : «ولكن التعبير بالرضا هنا وهناك يشيع جو الرضا الشامل الغامر المتبادل الوافر ، الوارد الصادر بين الله ـ سبحانه ـ وهذه الصفوة المختارة من عباده ، ويرفع من شأن هذه الصفوة من البشر حتـي ليبادلون ربهم الرضا ، وهو ربهم الأعلي ، وهم عبيده المخلوقون »[2] ..

وفي ختم الآية الكريمة بقوله ـ عز وجل ـ : (ذلك الفوز العظيم ) إشارة إلى عظمة رضوان الله ـ سبحانه ـ عن أهل الجنة .. وإلي روعة هذا الجو الفسيح الهادئ الذي يعيشه أهل الجنة في كنف الله ـ سبحانه ـ متمتعين برضوانه وآلائه العظمي .. وما في اسم الإشارة (ذلك) من البعد إيماء إلى علو هذه الدرجة وشرف هذه المنزلة التي حظي بها عباد الله المتقون[3] ..

---

(١) تفسير أبي السعود ج ٣ ص ١٠٣ . وانظر روح المعاني ج ٧ ص ٧٢ .
(٢) في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٧٠٥ .
(٣) انظر تفسير أبوالسعود ج ٤ ص ٩٧ .

وقد وردت في القرآن الكريم آيات أخري تبين رضا الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن عباده المتقين ، ورضاهم عنه ـ عز وجل ـ .. من مثل قوله تعالى :

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

وقد بيّن المفسرون (٢) المعني المراد من قوله سبحانه : (رضي الله عنهم ورضوا عنه) ، وهو كما سبق بيانه في الآية السابقة .. إلا أن التعبير القرآني عن رضا الله عنهم ورضائهم عنه ـ سبحانه ـ في هذه الآية الكريمة سبق بيان ما أعد الله ـ سبحانه ـ لعباده المؤمنين في الآخرة .. وقد بيّن الأستاذ سيد قطب ـ يرحمه الله ـ مزية هذا النسق في الآية الكريمة ، إذ قال : « ذلك حالهم الدائم مع ربهم : (رضي الله عنهم ورضوا عنه) وهناك تنتظرهم علامة هذا الرضا (وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) وأي فوز بعد هذا وذلك عظيم؟؟(٣) ..

وقد ورد بيان الرضا في الجنة في آية أخري هي قوله ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة التوبة ، آية : ١٠٠ .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري م ٧ ، ج ١١ ص ٩ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٢ ص ٤٦٦ . معاني القرآن ، للنحاس ج ٣ ص ٢٤٨ . الكشاف ج ٢ ص ١٦٩ . تفسير ابن عطية ج ٧ ص ١٣ . تفسير النسفي ج ١ ص ٦٧٧ . تسفسير أبوالسعود ج ٤ ص ٩٧ . حاشية الشهاب ج ٤ ص ٣٥٨ . روح المعاني ج ١١ ص ٨ . في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٧٠٥ .

(٣) في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٧٠٦ .

(٤) سورة المجادلة ، آية : ٢٢ .

وتفسير قوله تعالى : (رضي الله عنهم ورضوا عنه) مثل تفسيره [(١)] في الآية التي سبقت .. ولكن هذه الآية الكريمة ختمت بوصف شريف لعباد الله المؤمنين ، وهو قوله تعالى : (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) . وفي هذا الوصف الذي تلا قوله تعالى : (رضي الله عنهم ورضوا عنه) بيان لعلو منزلة عباد الله المتقين وشرف مقامهم عند الله ـ سبحانه ـ ، إذ رضي عنهم وقبل أعمالهم وطاعتهم فرضوا بالتالي عن ربهم لكرامة المثوبة التي أجزلها لهم جزاء طاعتهم وصبرهم ... ثم بين ـ سبحانه ـ أن هؤلاء الذين رضي عنهم هم حزبه وخاصته الذين نالوا شرف الانتساب إليه جل جلاله .. يقول أبوالسعود في تفسير خاتمة هذه الآية الكريمة : «تشريف لهم ببيان اختصاصهم به ـ عز وجل ـ وقوله تعالى : (ألا إن حزب الله هم المفلحون) بيان لاختصاصهم بسعادة الدارين والفوز بسعادة النشأتين» [(٢)] ...

وآخر الآيات التي بين فيها ـ عز وجل ـ تبادل الرضا بين الخالق سبحانه وعباده المؤمنين الصالحين قوله تعالى :

﴿ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [(٣)] .

وقد سبق بيان[(٤)] أقوال المفسرين في قوله تعالى : ( رضي الله عنهم ورضوا عنه ) .. ويلحظ أن هذه الآية الكريمة قد ختمت بعد بيان رضا الله عن المؤمنين ورضائهم عنه ـ سبحانه ـ ، بقوله عز وجل : (ذلك لمن خشي ربه ) .. والإشارة

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري م ١٤ ، ج ٢٨ ص ٢٧ . إعراب القرآن ، للنحاس ج ٤ ص ٣٨٣. تفسير النسفي ج ٣ ص ٤٩٧ . تفسير أبي السعود ج ٨ ص ٢٢٤ . روح المعاني ج ٢٨ ص ٣٦. في ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٥١٥ .

(٢) تفسير أبي السعود ج ٨ / ص ٢٢٤ .

(٣) سورة البينة : اية : ٨

(٤) انظر صحيفة ٤٢٦ ، وانظر : جامع البيان ، للطبري م ١٥ ، ج ٣٠ ص ٢٦٥ . التفسير الكبير ج ٣٢ ص ٥٦ . تفسير النسفي ج ٣ ص ٧١٤ . تفسير أبي السعود ج ٩ ص ١٨٧ . روح المعاني ج ٣٠ ص ٢٠٦ . في ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٢٩٥ .

بالعبد (ذلك) عائدة على رضوان الله عنهم . والإشارة بالبعد دالة على علو شأن المشار إلى وفضيلته ، إذ الفوز برضوان الله أعظم وأشرف من كل أنواع المسرات الحسية في الجنة ... وفي قوله تعالى : (لمن خشي ربه) فيه بيان أن ذلك الرضوان لايستحقه إلا من خشي ربه في أقواله وأعماله .. إذ الخشية من الله هي الدافع للإنسان لفعل الأوامر وتجنب المعاصي والنواهي .. وفي ذلك إشارة إلى أن الإيمان والعمل الصالح وحده لايوصل إلى المراتب العلية عند الله ـ سبحانه ـ بل لابد من خشية الله في كل الأقوال والأفعال ..

ويلحظ أن الآيات التي بين فيها ـ سبحانه وتعالى ـ تمتع أهل الجنة برضوانه ـ عز وجل ـ قد ختمت ثلاث آيات فيها بقوله تعالى : (ذلك الفوز العظيم ) .. وقد بين الكرماني توجيه تكرار هذه الآية الكريمة في القرآن ، حيث قال : «هذه الكلمات تقع على وجهين ، أحدهما : (ذلك الفوز) بغير (هو) وهو في القرآن في ستة مواضع في براءة موضعان ، وفي يونس ، والمؤمنين ، والدخان ، والحديد . ومافي براءة أحدهما بزيادة الواو ، وهو قوله :

﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [(١)]..

وكذلك ما في المؤمنين بزيادة الواو .

والجملة إذا جاءت بعد جملة من غير تراخٍ بنزول جاءت مربوطة بما قبلها إما بواو العطف ، وإما بكناية تعود من الثانية إلى الأولي ، وإما بإشارة فيها إليها ، وربما يجمع بين الإثنين منها والثلاثة للدلالة على مبالغة فيها . في براءة : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ﴾ [(٢)]. ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ﴾ [(٣)].

وفيها أيضاً :

---

(١) سورة التوبة ، آية : ١١١ .

(٢) سورة التوبة ، من الآية : ٨٩ .

(٣) سورة التوبة من الآية : ١٠٠ .

﴿ ورِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١).

فجمع بين إثنين ، وبعدها :

﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢).

فجمع بين الثلاثة تنبيهاً على أن الاستبشار من الله يتضمن رضوانه ، والرضوان يتضمن الخلود في البيان» (٣)..

---

(١) سورة التوبة : من الآية : ٧٢ .

(٢) سورة التوبة : آية ١١١ .

(٣) البرهان في توجيه متشابه القرآن . محمود بن نصر الكرمان ص ٩٠ تحقيق عبدالقادر عطا .

# الفصل الثانى

## أثر النعيم والراحة على أهل الجنة

وهو في ثلاثة مباحث

المبحث الأول : التعبير الظاهر على وجوه أهل الجنة .

المبحث الثاني : تعبير أهل الجنة عن راحتهم ورضاهم .

المبحث الثالث : حوار أهل الجنة ، وحوارهم مع أهل النار .

يبدو أثر النعيم على أهل الجنة ، في تعبيرات وجوههم ، وفي حوارهم مع الملائكة ، ومع بعضهم بعض ، ثم في حوارهم مع أهل النار .

## المبحث الأول

## التعبير الظاهر على وجوه أهل الجنة

لما كان الوجه مرآة للإنسان ، بحيث تنعكس عليه آثار التفاعلات النفسية .. بحيث نجد أن الإنسان المستريح جسمياً ونفسياً ، المستشعر للسعادة والتوفيق .. ينعكس على وجهه آثار ذلك السرور والراحة إشراقاً وبهجة ونضرة وابتساماً .. وعلي العكس من ذلك الإنسان الذي تراكمت الهموم والأحزان في نفسه ، وانشغل فكره وقلبه بالتفكير في أموره ، ولقي شظفاً من العيش وفقراً ، نجد ذلك الإنسان وقد انعكست على وجهه آثار ما علق بنفسه وقلبه كآبة وشحوباً وجهماً وألماً ..

لما كان هذا المعهود من حال الناس في الحياة الدنيا .. فإن الله ـ عز وجل ـ قرّب لنا وصف حال أهل الجنة ، وما انعكس على وجوههم من تعبيرات تنم عن النعيم والسعادة والراحة النفسية التي يعيشون في كنفها في الجنة ... حيث بينت الآيات الكريمة : أن النضرة والنعيم والسرور والاستبشار والإشراق كلها تعبيرات تبدو واضحة جلية في وجوه أهل الجنة نتيجة لما وجدوه من أنواع النعيم والمسرات والمتع الجسمية والنفسية عند خالقهم في جنات النعيم ..

وفي الآيات التي تبين آثار النعيم والراحة في تعبيرات وجوه أهل الجنة وصف الخالق ـ عز وجل ـ وجوه أهل الجنة بأنها ناعمة ونضرة وضاحكة ومشرقة مستبشرة لا يظهر عليها القتر ولا الذلة التي تظهر على وجوه أهل النار ...

فالآية التي تصف وجوه أهل الجنة بأنها لايرهقها قتر ولا ذلة قوله تعالى :

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [1]...

وفي الآية الكريمة وعد من الله ـ عز وجل ـ لعباده المؤمنين بالحسني والزيادة ، وقد بيّن المفسرون [2] المعني المراد من قوله تعالى : (الحسني وزيادة) إذ قالوا : الحسني : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله عز وجل ، أو الحسني : الحسنة ، والزيادة : تضعيف الحسنات إلى سبعمائة ضعف ، أو الحسني : تعم جميع ماقيل ، والزيادة : زيادة في جميعها . أو الزيادة : غرفة من لؤلؤة واحدة . أو الحسني : المثوبة الحسني . أو الحسني : نضرة الوجوه ، والزيادة : النظر إلى الله عز وجل . أو تحمل الحسني والزيادة على قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [3].

.. أو الزيادة : المحبة في قلوب العباد . أو الزيادة : مغفرة من الله ورضوان . أو الحسني : هي النضرة والزيادة هي التفضل ويدل عليه قوله تعالى :

﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ [4].

.. أو الزيادة : أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول : ما تريدون أن أمطركم ؟ فلا يريدون شيئاً إلا أمطرتهم ..

---

(١) سورة يونس : آية ٢٦ .

(٢) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج ١ ص ٤٦١ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص ١٩٥ ـ ١٩٦. جامع البيان ، للطبري م ٧ ، ج ١١ ص ١٠٤ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٣ ص ١٥ . اعراب القرآن ، للنحاس ج ٢ ص ٢٥١ . معاني القرآن ، للنحاس ج ٣ ص ٢٨٩ . تفسير البغوي ج ٢ ص ٣٥١ . الكشاف ج ٢ ص ١٨٨ . تفسير ابن عطية ج ٧ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ . تفسير النسفي ج ٢ ص ١٤ . البحر المحيط ج ٥ ص ١٤٦ . تفسير أبي السعود ج ٤ ص ١٣٨. حاشية الشهاب ج ٥ ص ٢٢ . في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٧٧٩ .

(٣) سورة الإنسان ، آية : ٢٠ .

(٤) سورة النساء ، من الآية : ١٧٣ .

والتفسير الراجح أن الحسنى : هي الجنة بما فيها من أنواع الملذات ، والزيادة هي: رؤية الله سبحانه والتمتع برضوانه .. وذلك أن الجنة تعم كل ما فيها من أنواع الكرامات واللطائف .. والزيادة تكون برؤية أهل الجنة لخالقهم والتمتع بالنظر إلى وجهه ، بحيث لايعدل هذه الرؤية شيء من متاع الجنة ..

وقد دلل الفخر الرازي على صحة هذا التفسير لقوله تعالى : (الحسنى وزيادة) إذ قال : «وأما العقل : فهو أن الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف . فانصرف إلى المعهود السابق ، وهو دار السلام ، والمعروف من المسلمين والمتقرر بين أهل الإسلام من هذه اللفظة هو الجنة ، وما فيها من المنافع والتعظيم . وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمراً مغايراً لكل ما في الجنة من المنافع والتعظيم. وإلا لزم التكرار . وكل من قال بذلك قال : إنما هي رؤية الله تعالى ، فدل ذلك على أن المراد من هذه الزيادة : الرؤية» [1] ..

وأما قوله سبحانه وتعالى : (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) ، فإنه نفي أن يلحق عباد الله المؤمنين في الجنة شيء من الضرر أو الهوان الذي يلقاه أهل النار ..

وقد بيّن المفسرون [2] المراد من قوله تعالى : (قتر ولا ذلة) إذ قالوا : إن القتر : غبرة فيها سواد ، وهو مجاز يدل على أنهم لا يغشي وجوههم كآبة ولا كسوف ولا حزن ، يدل عليه تفسير القتر بأنه شبه دخان يغشي الوجه من الكذب [3] .. أما الذلة : فإنها الهوان .. أي لايغشي وجوه أهل الجنة شيء مما يغشي وجوه أهل النار من الانكسار والكآبة والحزن والهوان ..

---

(١) التفسير الكبير ج ١٧ ص ٧٧ .

(٢) انظر مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ج ١ ص ٢٧٧ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص ١٩٦ . جامع البيان ، للطبري م ٧ ، ج ١١ ص ١٠٨ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٣ ص ١٥ . معاني القرآن . للنحاس ج ٣ ص ٢٩٠ . تفسير البغوي ج ٢ ص ٣٥١ . الكشاف ج ٢ ص ١٨٨ . تفسير ابن عطية ج ٧ ص ١٣٨ . تفسير النسفي ج ٢ ص ١٤ . البحر المحيط ج ٥ ص ١٤٦ . تفسير أبوالسعود ج ٤ ص ١٣٨ . حاشية الشهاب ج ٥ ص ٢٢ . في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٧٧٩

(٣) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص ٤٠٧ ، مادة قتر .

وقد أشار الزمخشري إلى مزية هذا الوصف لأهل الجنة بقوله : « لا يغشاها (قتر) : غبرة فيها سواد (ولا ذلة) : ولا أثر هوان وكسوف بال . والمعنى : ولا يرهقهم ما يرهق أهل النار إذكاراً بما ينقذهم منه برحمته» [١]..

ويلحظ أن الآية الكريمة قد ذكر فيها (قتر ولا ذلة) نكرة لتدل على التحقير ، أي لايلحقهم أي أثر من الهوان أو كسوف البال .. وقد أشار أبوالسعود إلى مزية التنكير في اللفظين ، اذ قال : «والتنكير للتحقير ، أي شيء منهما» [٢].. ويلحظ أن قوله تعالى : (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ) : جملة مستأنفة قُدِّم فيها المفعول على الفاعل .. ولهذا النسق القرآني دلالة معنوية دقيقة ، إذ الاستئناف لبيان أمن أهل الجنة من المكاره التي يتعرض لها أهل النار بعد الإخبار بنجاتهم من النار ودخولهم الجنة ، وتقديم المفعول وهو (وجوههم) على الفاعل (قتر ولا ذلة) . للاهتمام به وتشريفه .. إذ الوجه أشرف أعضاء جسم الإنسان ، فإذا كان مصوناً من الذلة والانكسار كانت بقية الأعضاء في صيانة .. ثم إن الوجه مرآة النفس ، فإذا كان سليماً بعيداً عن آثار الإهانة والبلاء كانت بقية الأعضاء بالتالي سليمة .. وقد أشار أبوالسعود إلى مزية هذا النسق القرآني للآية الكريمة ، إذ قال : «وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان أن المصون من الرهق أشرف أعضائهم ، وللتشويق إلى المؤخر ، فإن ما حقه التقديم إذا أُخِّر تبقي النفس مترقبة لوروده ، فعند وروده عليها يتمكن عندها فضل تمكن ولأن في الفاعل ضرب تفصيل » [٣]..

وفي وصف الله ـ سبحانه ـ وجوه أهل الجنة بهذا الوصف بيان مزيد فضل الله ونعمته على أهل الجنة ، وإيماء إلى شدة موقف الحشر والحساب وهوله ، حيث أن هول الموقف يطبع آثاره على وجوه الناس كآبة وهواناً وحزناً إلا عباد الله المؤمنين ، فإن الله منجيهم من هذا الموقف ، بحيث لاينطبع على وجوههم آثاره وملامحه . وقد بيّن الأستاذ سيد قطب ما يوحي به هذا الوصف لوجوه المؤمنين ، إذ قال : «والتعبير يوحي

---

(١) الكشاف ج ٢ ص ١٨٨ .

(٢) تفسير أبي السعود ج ٤ / ص ١٣٨ .

(٣) المصدر السابق ، نفسه ، والجزء والصفحة .

بأن في الموقف من الزحام والهول والكرب والخوف والمهانة ما يخلع آثاره على الوجوه، فالنجاة من هذا كله غنيمة وفضل من الله يضاف إلى الجزاء المزيد فيه »[1] ...

وقد ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى :

﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[2].

.. وفيها يبين ـ سبحانه وتعالى ـ من هم الذين سبقت صفتهم بأن وجوههم مشرقة وضيئة لا تظهر عليها آثار الهموم والكآبة ، وذلك بأنهم المستحقون للجنة والملاك لها ، وهم المطمئنون إلى الخلود فيها والآمنون من زوالها[3] ...

وفي استعمال إسم الإشارة الدال على البعد إشارة إلى علو درجة هؤلاء الموصوفين بالصفات التي سبقت . يقول أبو السعود في دلالة اسم الإشارة : «وما في اسم الإشارة من معني البعد للإيذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم . أي أولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجميلة الفائزون بالمثوبات الناجون عن المكاره»[4] ..

وفي التعبير بقوله تعالى : (أصحاب الجنة) للتعريف بأهل الجنة ، باستعمال كلمة (أصحاب) فيه إشعار بالتلطف والاستحباب والتقرب بين الجنة وأهلها .. يوحي بأنهم المالكون لها والمتصرفون فيها حق التصرف والملازمون لها ملازمة الصاحب لصاحبه .. كما يدل عليه المعني اللغوي لكلمة الصاحب كما بينه الراغب ، إذ قال : « ولايقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته ، ويقال للمالك للشئ هو صاحبه ، وكذلك لمن يملك التصرف فيه»[5].

وقد ألمح ابن عطيه إلى إرادة هذا المعني ، اذا قال : «أولئك مستحقوها وأصحابها

---

(١) في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٧٧٩ .

(٢) سورة يونس ، من الآية : ٢٦ .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري م ٧ ، ج ١١ ص ١٠٩ . تفسير ابن عطية ج ٧ ص ١٣٨ . تفسير أبي السعود ج ٤ ص ١٣٨ . في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٧٧٩ .

(٤) تفسير أبي السعود ج ٤ ص ١٣٨ .

(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٨٢ ، مادة صحب .

حقاً وباستحباب »[1] ..

ومن الآية التي تصف وجوه أهل الجنة قوله تعالى :

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾[2] ..

فالآيتان تبينان حال أهل الجنة عند معاينتهم ما أعد الله لهم فيها من أنواع المسرات .. فتبين الآية الأولي أن وجوههم مشرقة مضيئة متهللة .. ثم تبين الآية الأخري أنهم مستبشرون بمآلهم ضاحكون من نعمائهم .. أي أن عباد الله المؤمنين يوم الحساب يفرحون فرحاً تتهلل له وجوههم وتشرق أساريرهم ، مستبشرين بمآلهم السعيد عند خالقهم .. وقد بين المفسرون[3] المعني المراد من قوله تعالى : (وجوه يومئذٍ مسفرة) إذ قالوا : أي مشرقة مضيئة .. أو متهللة من قيام الليل أو من آثار الوضوء .. أو من طول ما أغبرت في سبيل الله ، أو بسبب الخلاص من علائق الدنيا والاتصال بعالم القدس ومنازل الرضوان والرحمة ..

والتفسيرات كلها متقاربة تدل على إشراق وجه المؤمنين أهل الجنة ووضاءته وتهلله ، بسبب ما انعكس على وجوههم من آثار فرحهم وغبطتهم وسرورهم بما وجدوه من ألوان المتع الحسية والروحية في الجنة .. ويلحظ أن الآية الكريمة قد جاءت جملة اسمية ، المبتدأ فيه (وجوه) وهو نكرة سوغ الابتداء بها كونها واقعة في حيز التنويع كما ذكر أبو السعود[4] .. وخبرها ( مسفرة ) ، والظرف (يومئذ) متعلق

---

(١) تفسير ابن عطية ج ٤ ص ١٣٨ .

(٢) سورة عبس ، الآيتان ٣٨ ـ ٣٩ .

(٣) انظر معاني القرآن ، للفراء ج ٣ ص ٢٣٩ ، جامع البيان ، للطبري م ١٥ ، ج ٣ ص ٦٢ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج ٥ ص ٢٨٧ . تفسير البغوي ج ٤ ص ٤٥٠ . الكشاف ج ٤ ص ١٨٧ ، التفسير الكبير ج ٣١ ص ٦٤ ، تفسير النسفي ج ٣ ص ٦٥٤ . البحر المحيط ج ٨ ص ٤٣٠ . تفسير أبي السعود ج ٩ ص ١١٣ . حاشية الشهاب ج ٤ ص ٣٢٥ . روح المعاني ج ٣٠ ص ٤٩ . في ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٨٣٤ .

(٤) تفسير أبي السعود ج ٩ ص ١١٣ .

بالخبر .. وفي هذا النسق القرآني للآية الكريمة دلالة على الثبوت والدوام في إشراق وجوه أهل الجنة وتهللها .. بمعني أنها مشرقة على الدوام ، أي لايطرأ عليها أي طارئ ينغص عليها سرورها وإشراقها ، مما يومئ بثبوت نعيم أهل الجنة وخلوده .

أما قوله تعالى : (ضاحكة مستبشرة) فإن فيه عطف بيان لصفة وجوه أهل الجنة بأنها مشرقة مضيئة ضاحكة مستبشرة .. فهي تضحك مسرورة بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ..

ومن الآيات التي يصف فيها ـ سبحانه ـ وجوه أهل الجنة قوله تعالى :

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [1] ..

وفي الآية وصف وجوه أهل الجنة بالنعومة .. بمعني أنها ذات حسن وبهجة ونعومة لكثرة ما أغدق عليهم من أنواع النعيم في الجنة .. وقد بيّن المفسرون [2] معني قوله تعالى : (ناعمة) إذ قالوا : أي في نعمة وكرامة ، أو ذات بهجة وحسن ، أو متنعمة في لين العيش ، أو ناعمة لحسنها ونضارتها ..

وهي أقوال متقاربة في بيان المراد بنعومة وجوه أهل الجنة ، فهي ناعمة إما من النعومة كناية عن البهجة وحسن المنظر ، وإما ناعمة من كثرة النعيم الذي هي فيه أي متنعمة .. والراجح الجمع بين المعنيين ، إذ الراجح أن وجوه أهل الجنة تكون من كثرة تنعمهم بأنواع النعيم فيها ذات حسن وبهجة ونضرة ونعومة .. لأن النعيم إذا أغدق على الإنسان فعاش متلذذاً بأنواعه مرتاحاً لما هو فيه انعكس أثر هذا النعيم رونقاً وبهجة وحسن منظر على وجهه حيث يبدو ناعماً مشرقاً نضراً .. وبهذا تكون الآية الكريمة تصف حسن ظاهر أهل الجنة ، وجمال منظرها بسبب ما هم فيه من النعيم والراحة ..

---

(١) سورة الغاشية ، الآيتان : ٨ ـ ٩ .

(٢) انظر تفسير البغوي ج ٤ ص ٤٧٩ . الكشاف ج ٤ ص ٢٠٦ . التفسير الكبير ج ٣١ ص ١٥٣ . تفسير النسفي ج ٣ ص ٦٨٣ . البحر المحيط ج ٨ ص ٤٦٣ . تفسير أبي السعود ج ٩ ص ١٥٠ . حاشية الشهاب ج ٨ ص ٣٥٣ . روح المعاني ج ٣٠ ص ١١٤ .

ثم يبين ـ سبحانه وتعالى ـ ما ينعم به أهل الجنة من الراحة النفسية بعد وصف ما هم فيه من المتع الحسية ، وذلك قوله تعالى : (لسعيها راضية) ..

وقد بيّن المفسرون[1] المراد من قوله تعالى : (راضية)إذ قالوا : أي في الآخرة حين أعطيت الجنة بعملها ، أو رضيت بعملها لما رأت ما أدّاهم إليه من الكرامة والثواب . أو لثواب سعيها في الدنيا إذا شاهدوا ذلك الثواب ..

ولامانع من الجمع بين المعنيين في تفسير قوله تعالى : (لسعيها راضية) حيث يصبح المعني : أن أهل الجنة لما شاهدوا ما أعد لهم من أنواع النعيم في الجنة رضوا عن هذا الثواب الجزيل الذي أعطاهم ربهم جزاء أعمالهم الدنيوية ، وبالتالي فإنهم رضوا عن عملهم في الدنيا الذي أعطاهم هذا الفوز العظيم ..

وفي تقديم المعمول واقترانه باللام التي ليست للتعليل ، وإنما هي في مقام الباء .. للتقديم فائدة تدل على الأعتناء به والاهتمام بذكره ، مع مراعاة الفاصلة . وقد أشار الآلوسي إلى مزية التقديم في الآية ، إذ قال : «والتقديم للاعتناء مع رعاية الفاصلة . واللام ليست للتعليل بل مثلها في رضيت بكذا»[2] ..

وفي التعبير بقوله تعالى : (لسعيها راضية) إيماء إلى تمام النعمة التي أنعمها الله عليهم وكمالها بحيث قنعت نفوسهم بها ، ولم يتطلعوا إلى أكثر منها . ثم إن الرضا بالنعمة من أكبر النعم ، إذ لايشوب المتعة بها أي شعور بنقصانها أو التطلع إلى ما هو أحسن منها ...

وقد بين الأستاذ سيد قطب ما توحيه الآيتان من المعني ، إذ قال : «فهنا وجوه يبدو فيها النعيم ويفيض منها الرضا . وجوه تنعم بما تجد ، وتحمد ما عملت . فوجدت عقباه خيراً ، وتستمتع بهذا الشعور الروحي الرفيع . شعور الرضا عن عملهم

---

(١) انظر : تفسير البغوي ج ٤ ص ٤٧٩ . الكشاف ج ٤ ص ٢٠٦ . التفسير الكبير ج ٣١ ص ١٥٤ . تفسير النسفي ج ٣ ص ٦٨٣ . البحر المحيط ج ٨ ص ٤٦٣ . تفسير أبي السعود ج ٩ ص ١٥٠ . حاشية الشهاب ج ٨ ص ٣٥٣ . روح المعاني ج ٣٠ ص ١١٤ .

(٢) روح المعاني ج ٣٠ ص ١١٤ .

حين تري رضا الله عنها . وليس أروح للقلب من أن يطمئن إلى الخير ، ويرضي عاقبته ، ثم يراها ممثلة في رضا الله الكريم وفي النعيم »[1] ..

ومن الآيات الكريمة التي يصف فيها سبحانه وتعالى وجوه أهل الجنة قوله تعالى :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[2] ...

فقد وصف ـ سبحانه ـ في الآية الكريمة وجوه أهل الجنة بأنها ناضرة ، والنضرة في اللغة هي : النعمة والعيش والغني ، والحسن والرونق[3] .. ولهذا اختلفت أقوال المفسرون[4] في بيان قوله تعالى : (ناضرة) إذ قالوا : أي مشرقة بالنعيم ، أو حسنة جميلة من النعيم ، أو نضرت بنعيم الجنة والنظر إلى ربها . أو مسرورة . أو ناعمة . أو بيض يعلوها النور . أو مضيئة .

وأقوال المفسرين هذه مختلفة في اللفظ ولكنها ترجع إلى معني واحد هو : أن وجوه أهل الجنة ينعكس عليها ما هم فيه من النعيم والبهجة فتكون حسنة الرونق جميلة ناعمة مشرقة .. ويدل على صحة هذا التفسير أن الله عز وجل قد وصف وجوه أهل الجنة بعدة أوصاف هي أنها مسفرة ، ضاحكة ، مستبشرة ، ناعمة ، نضرة، ناضرة .. وكل هذه الأوصاف تبين أن وجوههم ينعكس عليها ما هم فيه من النعيم والمسرات .. وقد أشار الفخر الرازي الي تقارب أقوال المفسرين في تفسير قوله

---

(١) في ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٨٩٧ .

(٢) سورة القيامة ، الآيتان : ٢٢ ـ ٢٣ .

(٣) انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص ٥١٦ ، مادة نضر ، لسان العرب ج ٥ ص ٢١٢ مادة نضر .

(٤) انظر : معاني القرآن . للفراء ج ٣ ص ٢١٢ . تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ص ٥٠٠ . جامع البيان ، للطبري م ١٤ ، ج ٢٩ ص ٩٠ ـ ٩١ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٥ ص ٢٥٣. تفسير البغوي ج ٤ ص ٤٢٤ . الكشاف ج ٤ ص ١٦٥ . التفسير الكبير ج ٣٠ ص ٢٢٦ . تفسير النسفي ج ٣ ص ٦٢٤ . تفسير أبي السعود ج ٩ ص ٦٧ . حاشية الشهاب ج ٨ ص ٢٨٣ . روح المعاني ج ٢٩ ص ١٤٤

تعالى : (ناضرة) ، إذ قال : «وألفاظ المفسرين مختلفة في تفسير الناضر ، ومعناها واحد» [1]..

وفي قوله تعالى : (وجوه بالجمع الدال على الكثرة دلالة علي أن الموصوفين بهذا الوصف كثيرون وهم المؤمنون المخلصون من عباد الله .. ثم في ذكر الوجه دالاً به على الجملة دلالة على أن أشرف أعضائهم هي الموصوفة بهذا الوصف . ويلحظ أن الجملة في قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة) جملة اسمية المبتدأ فيها (وجوه) وهو نكرة سوغ الابتداء بها كونها في موضع التفصيل ، وقوله تعالى : (ناضرة) خبر المبتدأ، والظرف (يومئذٍ) متعلق بـ (ناضرة) [2].. وإسمية الجملة تدل على ثبوت هذه الصفة في وجوه أهل الجنة ودوام استقرارها فيهم ..

أما قوله عز وجل : (إلي ربها ناظرة) فإنه مرتبط بما قبله بالمعني ، إذ المعني : أن وجوه أهل الجنة ناضرة لأنها تنظر إلى ربها ، كما بينه أكثر المفسرين [3]. أما من فسره بأنها تنتظر مثوبة ربها وكرمه [4]، فإن نسق الآية الكريمة لايؤيده ، فقد بين النحاس أن العربية هي التي تبين الصواب في معني الآية ، إذ قال : «أما قول من قال : معناه منتظرة فخطأ . سمعت على ابن سليمان يقول : نظرت إليه بمعني انتظرته ، وإنما يقال : نظرته ، وهو قول إبراهيم بن محمد بن عرفة وغيره ممن يوثق بعلمه . وأما قول من قال : إن المعني إلى ثواب ربها ، فخطأ أيضاً على قول النحويين الرؤساء ، لأنه لا يجوز عندهم ولا عند أحد علمته نظرت زيداً أي نظرت ثوابه» [5]...

---

(١) التفسير الكبير ج ٣٠ ص ٢٢٦ .

(٢) انظر البحر المحيط ج ٨ ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩ .

(٣) انظر جامع البيان ، للطبري م ١٤ ، ج ٢٩ ص ١٩٣ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٥ ص ٢٥٣ . تفسير البغوي ج ٤ ص ٤٢٤ . التفسير الكبير ج ٣٠ ص ٢٢٦ . تفسير النسفي ج ٣ ص ٦٢٤ . تفسير أبي السعود ج ٩ ص ٦٧ . حاشية الشهاب ج ٨ ص ٢٨٣ . روح المعاني ج ٢٩ ص ١٤٥ .

(٤) انظر الكشاف ج ٤ ص ١٦٥ .

(٥) إعراب القرآن ج ٥ ص ٨٤ . وانظر اليوم الآخر ، الجنة والنار الجزء الثالث ، د. عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

كما أن حديث رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ يثبت نظر أهل الجنة إلى ربهم ، فقد أخرج الترمذي عن عبد بن حميد .. عن أبن عمر أنه قال : «قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : إن أدني أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية .. » [(١)] ..

والجار والمجرور : (إلي ربها) قدّم على متعلقه ، وتقديم الجار والمجرور على متعلقه يفيد الاختصاص أو الاهتمام .. ولمراعاة الفاصلة .. وهذا يعني أن المعني : أنها تنظر إلى ربها مستغرقة في النظر إليه ، بحيث لا يشغلها شئ من النعيم وهي مستغرقة في النظر إلى ربها .. وقد فسر أبوالسعود فائدة الاختصاص الذي يفيده تقديم الجار والمجرور على متعلقه ، حيث قال : «ومعني كونها ناظرة إلى ربها أنها تراه تعالى مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده ـ تعالى ـ بلا كيف ولا على جهة ، وليس هذا في جميع الأحوال حتي ينافيه نظرها إلى غيره» [(٢)] ..

كما بيّن الشهاب فائدة الاهتمام الذي يفيده التقديم ، حيث قال : «أو للاهتمام لأنه المقصود بالإفادة إذ أصل النظر معلوم غني عن البيان» [(٣)] ..

وقد أشار الأستاذ سيد قطب إلى المعني الذي يفيده قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ، إذ قال : «وما لها لاتنضر وهي إلى جمال ربها تنظر ؟ إن الإنسان لينظر إلى شئ من صنع الله في الأرض ، من طلعة بهية ، أو زهرة ندية ، أو جناح رفاف ، أو روح نبيل ، أو فعل جميل .

فإذا السعادة تفيض من قلبه على ملامحه ، فتبدو فيها الوضاءة والنضارة . فكيف بها حين تنظر إلى جمال الكمال مطلقاً من كل ما في الوجود من شواغل عن السعادة بالجمال ؟ فما تبلغ الكينونة الإنسانية ذلك المقام ، إلا وقد خلصت من كل

---

(١) سنن الترمذي ج ٤ ص ٦٨٨ . باب صفة الجنة ١٧ حديث ٢٥٥٣ .
(٢) تفسير أبي السعود ج ٩ ص ٦٧ .
(٣) حاشية الشهاب ج ٨ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

شائبة تصدها عن بلوغ ذلك المرتقي الذي يعز على الخيال ! كل شائبة لافيما حولها فقط ، ولكن فيها هي ذاتها من دواعي النقص والحاجة إلى شئ ما سوي النظر إلى الله ...» [1]..

ويبين سبحانه وتعالى أن النضرة التي في وجوه أهل الجنة إنعكاس لما هم فيه من التنعم ، حيث قال تعالى :

﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [2]..

فقد أخبر ـ سبحانه ـ أن أهل الجنة يعيشون في كنف النعمة التامة .. يتلذذون بالنظر إلى ما أولاهم ربهم من النعم .. ثم بين أن آثار الارتياح والنعمة والسرور تبدو في نضرة وجوههم وسرورها .. وقد بيّن المفسرون [3] المعني المراد من قوله تعالى : (نضرة النعيم) ، إذ قالوا : أي بريق النعيم ونداه ، أو تري في وجوههم النور والحسن والبياض ، أو مايشاهد في وجوههم من الضحك والاستبشار ، أو أن الله تعالى يزيد في وجوههم من النور والحسن والبياض ما لايصفه واصف . أو بهجة التنعم وماءه ورونقه .

وأقوال المفسرين هذه متقاربة ، تفيد أن النعيم الذي ينعم به أهل الجنة يريح نفوسهم ويمتعها ، مما يعكس أثره هذا التنعم بهجة ومسرة ونداوة ونضرة . وفي بيان الله ـ سبحانه ـ أن النضرة في وجوه أهل الجنة كانت بسبب ما هم فيه من النعيم.. فيه إشارة إلى أن أهل الجنة ينعمون في الجنة بكل ما فيها من أنواع الملذات والمتع الحسية ، وأنهم ينعمون كذلك بمتعة روحية تامة بحيث تظهر آثار هذه المتع الحسية

---

(١) في ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٧٧١ .

(٢) سورة المطففين ، الآيات : ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٤ .

(٣) انظر معاني القرآن ، للفراء ج ٣ ص ٢٤٨ . تفسير البغوي ج ٤ ص ٤٦١ . التفسير الكبير ج ٣١ ص ٩٨ ـ ٩٩ . تفسير أبي السعود ج ٩ ص ١٢٨ . روح المعاني ج ٣٠ ص ٧٥ . في ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٨٥٩ .

والروحية على ملامح وجوههم .. وقد نقل البغوي عن الحسن ما يشير إلى هذا المعنى، حيث قال : «قال الحسن : النضرة في الوجه والسرور في القلب» [1] ..

ويلحظ أن الخطاب في قوله تعالى : (تعرف) خطاب عام لكل من له حظ من الخطاب .. وفي هذا النسق القرآني دلالة على عموم من يري آثار التنعم على أهل الجنة .. وفي هذا زيادة تشريف وتعظيم لأهل الجنة ، إذ لا يختص أحد برؤيتهم وهم في هذا الموضع من التكريم والإعزاز الذي تبدو آثاره على لمحات وجوههم ... كما يدل هذا النسق القرآني على وضوح هذه الملامح وبروزها بحيث لايختص برؤيتها أحد دون أحد ..

وقد أشار أبوالسعود إلى فائدة العموم في الخطاب ، حيث قال : «والخطاب لكل أحد ممن له حظ من الخطاب للإيذان بأن ما لهم من آثار النعمة وأحكام البهجة ، بحيث لايختص برؤيته راءٍ دون راءٍ » [2] ...

ويكني ـ سبحانه وتعالى ـ عن نعيم أهل الجنة بما يلقونه فيها من النضرة والسرور ، حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ [3] ..

فقد بين ـ عز وجل ـ أن المؤمنين المخلصين من عباد الله يجدون عند الله سبحانه الأجر العظيم والثواب الجزيل .. حيث يكرمهم الله ـ سبحانه ـ بأن يجنبهم أهوال يوم القيامة وفظائعها .. حيث ينجيهم ـ سبحانه ـ من الخوف والهلع والشرور التي يتعرض لها الكافرون .. ثم يمن عليهم ـ سبحانه ـ بالثواب الجزيل بدخول جنات النعيم ، حيث يمتعون فيها بكل أنواع المتع الحسية والروحية ، مما يعكس آثار

---

(١) تفسير البغوي ج ٤ ص ٤٦١ .
(٢) تفسير أبي السعود ج ٩ ص ١٢٨ .
(٣) سورة الإنسان : آية ١١ .

هذه المتع على قلوبهم فيشعرون بالغبطة والسرور ، وعلي قسمات وجوههم فتبدو مضيئة ندية ناعمة ..

وقد بين المفسرون[1] المعني المراد من الآية ، حيث قالوا : أي أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسروراً في القلوب ..

وفي تنكير قوله تعالى : (نضرة وسرورا) دلالة على عظمة وفخامة وعلو شأن النعيم الذي أُعدّ لأهل الجنة .. حيث كانت آثاره التي بدت على أهل الجنة عظيمة الشأن ذات فخامة . وقد أشار الفخر الرازي إلى فائدة التنكير حيث قال : «والتنكير في (سرورا) للتعظيم والتفخيم»[2] ..

---

(١) انظر : الكشاف ج ٤ ص ١٦٩ ، التفسير الكبير ج ٣٠ ص ٢٤٧ . روح المعاني ج ٢٩ ص ١٥٧ .

(٢) التفسير الكبير ج ٣٠ ص ٢٤٧ .

# المبحث الثاني

## تعبير أهل الجنة عن راحتهم ورضاهم

صور الله ـ عز وجل ـ جلال النعمة والمتعة التي يلقاها أهل الجنة .. وذلك بأن بيّن ـ سبحانه وتعالى ـ أن آثار هذا النعيم قد بدت واضحة جلية على ملامح وجوههم .. كما بيّن ـ جل جلاله ـ أن أهل الجنة بعد رؤيتهم ما تم لهم من إحسان الله وفضله لهجت ألسنتهم بحمد الله وشكره والثناء عليه ؛ لما أنعم عليهم من جزيل العطاء ..

وعند دراسة الآيات التي تبين تعبيرهم عن راحتهم يتبين أن أهل الجنة يثنون على الله ـ عز وجل ـ ويحمدونه ويشكرونه ـ وهم في طريقهم إلى الجنة .. وبعد دخولهم .. وفي أثناء تمتعهم بما فيها من ألوان المتع .. فهم يتذكرون ما منّ الله به عليهم من النعم دائماً ويشكرونه ـ سبحانه ـ على الدوام على هذا الفوز العظيم .. فالآية التي تبين قولهم وهم على الصراط يجتازونه إلى الجنة قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ لا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) ..

فالآية الكريمة تبين أن المؤمنين يتميزون عن الكافرين بأن الله ـ عز وجل ـ يجنبهم الخزي الذي يتعرض له الكفار يوم القيامة ، وأنهم يتميزون أيضاً بأن لهم نوراً يسعي معهم وهم يجتازون الصراط من بين أيديهم وبأيمانهم . ومع لطف الله بالمؤمنين فإنهم يتقربون إلى ربهم بالدعاء بأن يبقي لهم نورهم فلا يطفئه حتي يجتازوا الصراط .

---

(١) سورة التحريم ، من الآية : ٨ .

وقد بيّن المفسرون [1] المعني المراد من قوله تعالى : (نورهم يسعي بين أيديهم وبأيمانهم) حيث قالوا : أي يسعي نورهم أمامهم وبأيمانهم كتابهم ، أو إذا رأي المؤمنون نور المنافقين يطفأ سألوا الله أن يتم لهم نورهم ، أو يسعي معهم على الصراط ، أو يسعي بين أيديهم عند المشي ، وبأيمانهم عند الحساب لأنهم يؤتون الكتاب بأيديهم وفيه نور وخير . أو يسعي النور بين أيديهم في موضع وضع الأقدام وبأيمانهم لأن خلفهم وشمالهم طريق الكفرة .

والتفسير الراجح أن معني قوله تعالى : (نورهم يسعي ...) هو أن الله ـ عز وجل ـ قد ميز المؤمنين بالتكريم والإجلال والاطمئنان ، بحيث يجتازون الصراط وهم آمنون يحوطهم نور من الله يسعي معهم من أمامهم وعن أيمانهم وعند موضع أقدامهم .. فلا يشعرون بالخوف الذي كتب على الكافرين ..

أما قوله تعالى : (ربنا أتمم لنا نورنا ) فإنه دعاء يتقرب به المؤمنون إلى ربهم أن يتم عليهم ما ميزهم به من التكريم والإحاطة بنور الله لهم .. وقد اختلفت أقوال المفسرين[2] في بيان سبب هذا الدعاء ، حيث قالوا : لايقوله كل من دخل الجنة إنما يقوله أدناهم منزلة ، وذلك أن السابقين فيما ذكر يمرون كالبرق على الصراط ، وبعضهم كالريح ، وبعضهم كالفرس الجواد ، وبعضهم حبواً وزحفاً ، فأولئك الذين يقولون : (ربنا أتمم لنا نورنا) .. حتي ننجو . أو ليس أحد إلا يعطي نوراً يوم القيامة ، يعطي المؤمن والمنافق ، فيطفأ نور المنافق ، فيخشي المؤمن أن يطفأ نوره ، فذلك قوله: (ربنا أتمم لنا نورنا) أو إذا رأي المؤمنون نور المنافقين يطفأ سألوا الله أن يتم لهم نورهم. أو

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري م ١٤ ، ج ٢٨ ص ١٦٨ . تفسير البغوي ج ٤ ص ٣٦٧ . الكشاف ج ٤ ص ١١٧ . التفسير الكبير ج ٣٠ ص ٤٨ . تفسير أبي السعود ج ٤ ص ٢٦٩ . روح المعاني ج ٢٨ ص ١٦١ .

(٢) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج ٣ ص ١٦٨ . جامع البيان ، للطبري م ١٤ ، ج ٢٨ ص ١٦٩ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٥ ص ١٩٥ . تفسير البغوي ج ٤ ص ٣٦٧ . الكشاف ج ٤ ص ١١٧ . التفسير الكبير ج ٣٠ ص ٤٨ . تفسير النسفي ج ٣ ص ٥٥٣ . البحر المحيط ج ٤ ص ٢٩٤ . تفسير أبي السعود ج ٨ ص ٢٦٩ . روح المعاني ج ٢٨ ص ١٦١ ـ ١٦٢ .

أن الله متمم لهم نوره ولكنهم يدعون تقرباً إلى الله . أو يقوله أدناهم منزلة لأنهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواطئ أقدامهم لأن النور على قدر الأعمال فيسألون إتمامه تفضلاً .

والتفسير الراجح أن المؤمنين يلهمون هذا الدعاء تقرباً إلى الله وشكراً له مع إيمانهم بأنه ـ تعالى ـ متمه لهم .. وذلك أن الدعاء إلى الله نعمة كبري يمنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليهم بها إلى جانب منّة التكريم والتشريف التي أعطاهم ، ثم إن الله عز وجل ـ قد أخبر في أول الآية أن (نورهم يسعي بين أيديهم وبأيمانهم) .. فقدم الفاعل في المعني على الفعل ، للإهتمام بذكر الفاعل أولاً : أي الاهتمام بذكر النور الذي منّ الله ـ سبحانه ـ به على المؤمنين .. كما أن إسمية الجملة في قوله تعالي : (نورهم يسعى) دلالة على ثبوت هذا النور واستقراره بين أيديهم وبأيمانهم .. وقد بيّن الأستاذ سيد قطب فائدة إلهامهم هذا الدعاء تقرباً إلى الله ، حيث قال : «وإلهامهم هذا الدعاء في هذا الموقف الذي يلجم الألسنة ويسقط القلوب، هو علامة الإستجابة . فما يلهم الله المؤمنين هذا الدعاء إلا وقد جري قدره بأنه سيستجيب فالدعاء هنا نعمة يمنّ بها الله عليهم تضاف إلى منة الله بالتكريم وبالنور» [(١)] ..

ومن الآيات التي تبين تعبير أهل الجنة عن راحتهم وهم في جنات عدن .. قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [(٢)] ..

فالآيتان الكريمتان تبينان قول أهل الجنة بعد دخولها ورؤية ما أعد لهم من أنواع الكرامات .. حيث قال تعالى : (وقالوا : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) ، فأهل

---

(١) في ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٦١٨ .

(٢) سورة فاطر ، الآيتان : ٣٤ ـ ٣٥ .

الجنة يحمدون الله ـ عز وجل ـ على أن أذهب عنهم الحزن .. وقد فصل المفسرون[1] كثيراً في أنواع الهموم التي تسبب الحزن ، حيث قالوا : أي الحزن للمعاش وهموم الدنيا ، أو حزن الموت ، أو الحزن بالجنة والنار لا ندري إلى أيهما نصير ، أو الخوف من النار ، أو الحزن من التعب الذي كانوا فيه في الدنيا ، أو الحزن الذي ينال الظالم لنفسه في موقف القيامة ، أو حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات ، أو حزن زوال النعم وتقليب القلب ، أو حزن أهوال يوم القيامة .

والتفسير الراجح : أن الحزن اسم جنس يشمل كل أنواع الهموم التي ينتج عنها الحزن .. وقد اختار هذا التفسير أكثر المفسرين[2] ، ويمثلهم قول الطبري : «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله ـ تعالى ذكره ـ أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة ) : (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) .. ولم يخصص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه إذهابه الحزن عنهم نوعاً دون نوع ، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك »[3] ..

كما بيّن الفخر الرازي أن صياغة قوله تعالى : (الحزن) دالة على إرادة الشمول لكل ما يورث الحزن ، حيث قال : «والألف واللام للجنس واستغراقه وإذهاب الحزن بحصول كل ما ينبغي وبقائه دائماً فإن شيئاً منه لو لم يحصل لكان الحزن موجوداً بسببه ، وإن حصل ولم يدم لكان الحزن غير ذاهب بعد بسبب زواله وخوف فواته»[4] ..

---

(١) انظر معاني القرآن ، للفراء ج ٢ ص ٣٧٠ . إعراب القرآن ، للنحاس ج ٣ ص ٢٧٣ . تفسير البغوي ج ٣ ص ٥٧٢ . تفسير النسفي ج ٣ ص ١٢٦ .

(٢) انظر : جامع البيان ، للطبري م ١٢ ، ج ٢٢ ص ١٣٩ . معاني القران وإعرابه ، للزجاج ج ٤ ص ٢٧٠ . معاني القرآن ، للنحاس ج ٥ ص ٤٦٠ . الكشاف ج ٣ ص ٢٧٦ . التفسير الكبير ج ٢٦ ص ٢٧ . البحر المحيط ج ٧ ص ٣١٤ . تفسير أبي السعود ج ٧ ص ١٥٣ . حاشية الشهاب ج ٧ ص ٢٢٧ . روح المعاني ج ٢٢ ص ١٩٩ .

(٣) جامع البيان م ١٢ ، ص ٢٢ ج ص ١٣٩ .

(٤) التفسير الكبير ج ٢٦ ص ٢٧ .

وقول أهل الجنة : (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) فيه إشارة إلى ماهم فيه من الراحة النفسية والارتياح التام لما هم فيه من النعمة التي أذهبت عنهم كل أنواع الهموم والمخاوف التي تورث الحزن في الدارين ..

وما ذكره المفسرون من أنواع الهموم والمخاوف ما هو إلا تمثيل لأنواع هذه الهموم والأحزان .. يقول أبوحيان : «وقد خص المفسرون هنا وأكثروا وينبغي أن يحمل ذلك على التمثيل لا على التعيين »[(١)] ..

أما قوله تعالى : (الذي أحلنّا دار المقامة من فضله) فإن فيه دلالة على أن أهل الجنة قد أمنوا فيها من خوف زوال متعتهم أو خروجهم منها .. وذلك لأنهم سموا الجنة (دار المُقامة) .. والمُقامة بضم الميم : هي دار الإقامة الدائمة التي لانقلة عنها ولاتحول ، كما بيّن الطبري ، إذ قال : «فدار المُقامة : دار الإقامة التي لانقلة عنها ولاتحول ، والميم إذا ضمت من المُقامة ، فهي من الإقامة ، فإذا فتحت فهي من المجلس ، والمكان الذي يقام فيه »[(٢)] ...

وفي قوله تعالى : (من فضله) بيان لما فيه أهل الجنة من شعور الارتياح والغبطة، إذ أحسوا أن ماهم فيه من النعمة تفضل من الله عليهم وكرم منه .. إذ قبل أعمالهم الصالحة في الدنيا ، وجازاهم عليها هذا الجزاء العظيم بدخول الجنة والتمتع بما فيها ..

وهي قوله تعالى : (لايمسنا فيه نصب ولايمسُّنا فيها لُغُوب) مزيد بيان لما فيه أهل الجنة من المتعة والراحة والأمن والاطمئنان .. إذ أخبروا أن الجنة التي أسعدوا بالإقامة الدائمة فيها قد خلت تماماً من جميع أنواع الآفات والمنغصات .. حيث لايمسهم فيها أي نوع من التعب أو الإعياء .. وقد صور الأستاذ سيد قطب ما توحيه ألفاظ الآيتين من دلالات معنوية ، حيث قال : «فالجو كله يسر وراحة ونعيم.

---

(١) البحر المحيط ج ٧ ص ٣١٤ .

(٢) جامع البيان م ١٢ ، ج ٢٢ ص ١٣٩

والألفاظ مختارة لتتسق بجرسها وإيقاعها من هذا الجو الحاني الرحيم . حتي (الحزّن) لايتكأ عليه بالسكون الجازم بل يقال «الحزَن» بالتسهيل والتخفيف . والجنة (دار المقامة) والنصب واللغوب لايمسانهم مجرد مساس»[1] ..

ومن الأيات التي تبين تعبير أهل الجنة عن ارتياحهم فيها قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [2] ...

فالآية الكريمة تبين أن أهل الجنة بعد دخولهم فيها يحمدون الله ويشكرونه على ما منّ عليهم من فضله وإحسانه بتمليكهم الجنة وإعطائهم حق التصرف بما فيها كيفما شاءوا .. ففي قوله تعالى : (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) .. بيان للحمد والثناء الذي يطلقه أهل الجنة على الله ـ سبحانه ـ لما وجدوا من صدق الوعد الذي وعدوه في الدنيا بدخول الجنة جزاء علي طاعتهم وامتثال أوامره ـ عز وجل ـ .. وفي هذا الشكر لله والثناء عليه سبحانه دلالة على ارتياح أهل الجنة واطمئنانهم الذي أحسوه في نفوسهم عند فوزهم بهذا الجزاء العظيم بدخول الجنة .. ثم إن قوله تعالى على لسان أهل الجنة : (وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء) فيه إشارة شعور الغبطة والسرور الذي أحس به أهل الجنة لما وفقهم به الله ـ سبحانه ـ من الأعمال التي أورثتهم الجنة ..

وقد بيّن المفسرون[3] المعني المراد من قوله تعالى : (وأورثنا الأرض) حيث قالوا : أي أرض الجنة ، أو المكان الذي أقاموا فيه واتخذوه متبوأ ، وقد أورثوها أي ملكوها

---

(١) في ظلال القرآن ج ٥ ص ١٢٤٥ .

(٢) سورة الزمر ، آية : ٧٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج ٢ ص ٤٢٥ . جامع البيان ، للطبري م ١٢ ، ج ٢٤ ص ٣٧ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٤ ص ٣٦٤ . الكشاف ج ٣ ص ٣٥٨ . التفسير الكبير ج ٢٧ ص ٢٣ . تفسير النسفي ج ٣ ص ٢٣٦ . البحر المحيط ج ٧ ص ٤٤٣ . تفسير أبوالسعود ج ٧ ص ٢٦٤ . حاشية الشهاب ج ٧ ص ٣٥٥ . روح المعاني ج ٢٤ ص ٣٥ .

وجعلوا ملوكها . أو عبر عنها بالإرث لأنها كانت أول الأمر لآدم ثم عادت لأولاد آدم .. أو أن الله وفقنا للإتيان بأعمال أورثتنا الجنة ، أو لأنهم يتصرفون في الجنة كما يتصرف الوارث فيما يرثه . أو ورثوها من أهل النار وهي أرض الجنة ..

والتفسير الراجح هو أن أهل الجنة يحمدون الله ـ عز وجل ـ أن ملكهم إياها ، ومكنهم من حرية التصرف الوارث فيما يرثه .. والمعني اللغوي لأورث يؤيد هذا التفسير ، حيث قال الراغب : «ويقال لمن خُوِّل مهنَّئًا أورث» [(١)] .. ثم قوله تعالى : (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) : أي نتخذ منها بيتاً أو مسكناً حيث نشاء ، يفيد أن لأهل الجنة حرية التصرف فيها ، والانتقال فيها حسب رغبتهم ومشيئتهم .. وفي هذا المعني دلالة على حرية تصرفهم فيها ما يتصرف الوارث فيما يرثه ..

وفي قوله تعالى في خاتمة الآية : (فنعم أجر العاملين) بيان أن أهل الجنة يكبرون هذا الأجر العظيم الذي كافأهم به الله ـ عز وجل ـ جزاءً لأعمالهم الصالحة في الحياة الدنيا .. مما يدل على شرف المكانة التي حظي بها المؤمنون الصالحون عند ربهم في جنات النعيم ..

ومن الآيات التي تبين قول أهل الجنة ، قوله تعالى :

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ [(٢)] ...

فالآية الكريمة تبين أن أهل الجنة لايقولون فيها لا الكلام الطيب ، وهو حمد الله سبحانه وشكره والثناء عليه .. وقد بيَّن المفسرون [(٣)] المراد من قوله تعالى : (وهدوا

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٥٥ ، مادة ورث ، وانظر بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي ج ٥ ص ١٩٤ .

(٢) سورة الحج ، آية : ٢٤ .

(٣) انظر : جامع البيان ، للطبري م ١٠ ، ج ١٧ ص ١٣٦ . إعراب القرآن ، للنحاس ج ٣ ص ٩٢ . تفسير البغوي ج ٣ ص ٢٨١ . الكشاف ج ٣ ص ٢٩ . التفسير الكبير ج ٢٣ ص ٢٢ ـ ٢٣ . تفسير النسفي ج ٢ ص ٤٣٣ . البحر المحيط ج ٦ ص ٣٦١ . تفسير أبي السعود ج ٦ ص ١٠٢ . حاشية الشهاب ج ٦ ص ٢٩١ . روح المعاني ج ١٧ ص ١٣٧ .

إلى الطيب من القول ، وهدوا إلى صراط الحميد) حيث قالوا : أي هداهم ربهم في الدنيا إلى طريق الرب الحميد ، وطريقه دين الإسلام أو هو قولهم في الجنة : (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) ، أو هدوا إلى البشارات الحسنة ، أو هو قولهم في الدنيا لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحانه الله ، أو هو القرآن . أو هو قول أهل النجنة : (الحمد لله الذي صدقنا وعده) والصراط ، هو دين الله وهو الإسلام ، والحميد : هو الله المحمود في أفعاله . أو هدوا إلى طريق الجنة ..

وأقوال المفسرين تبين أن قولهم هذا إما أن يكون في الدنيا ليشتمل كل مافيه حمد وثناء وإجلال لله رب العالمين ، وعلي هذا يكون الصراط الحميد : هو دين الإسلام . وإما أن يكون قولهم في الآخرة ، وهو قولهم في الجنة :

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾ (١) .. وقولهم فيها :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ (٢) ..

أو أنه يشمل كل أقوالهم في الجنة ، وعلي هذا يكون الصراط الحميد : هو طريق الجنة وما فيها من أنواع المسرات ..

والتفسير الراجح هو أن قولهم هذا يكون في الجنة ، وأنه يتسع ليشمل كل ما يقولونه فيها من السلام والتحية ، والحمد لله والثناء عليه ، وسؤال بعضهم بعض .. لأن هذا الكلام كله من القول الطيب ، ولأن الآيات من أولها تتحدث عن أهل الجنة وما يجدون فيها من أنواع اللطائف الحسية والروحية ..

ويلحظ أن نسق الآية الكريمة يدل على فخامة وعظمة ما هُدِي إليه أهل الجنة من قول .. حيث تكرر الفعل المبني للمفعول (هدوا) مع كل جَملة وكان يمكن أن يستغني بالأول عن الثاني .. إلا أن تكراره مع كل جملة دل على فخامة هذه الهداية لأهل الجنة ، كما دل على استقلال كل جملة في معناها .. وقد أشار

---

(١) سورة الزمر ، من الآية : ٧٤ .

(٢) سورة فاطر ، من الآية : ٣٤ .

الشهاب إلى ما يدل عليه التكرار ، حيث قال : «وكرر هدوا تفخيماً للهداية ، وإشارة إلى استقلال كل منهما»[1] ..

كما أن تقديم الصفة (الطيب) على الموصوف (من القول) فيه دلالة على الاهتمام ببيان أن قول أهل الجنة لايكون إلا طيباً .

ومن الآيات الكريمة التي تعبر عن راحة أهل الجنة وفرحتهم بما وجدوا فيها ، قوله عز وجل :

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ للَّه الَّذى هَدَانَا لهَذَا وَمَا كُنَّا لنَهْتَديَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [2] ...

فالآية الكريمة تبين مدي غبطة أهل الجنة وسرورهم عند رؤية الجنة التي وعدهم الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في الحياة الدنيا .. فأهل الجنة عند رؤيتهم ما وعدهم الرسل عياناً ، وعند علمهم أنهم مجزيون هذا الجزاء العظيم من ربهم يحمدون الله ـ سبحانه وتعالى ـ ويثنون عليه الثناء الحسن أن وفقهم لفعل الطاعات التي أوصلتهم إلى جنات النعيم [3] ..

وفي قوله تعالى : (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) نفي للهداية بغير فضل الله ورحمته ، وفي وجود اللام في قوله تعالى (لنهتدى) توكيد لهذا النفي حيث يصبح المعني : أن هداية الله وتوفيقه هي التي نلنا بها هذا الفوز العظيم ، وما كنا نستطيع أن نهتدي إلى الحق لولا فضل الله سبحانه وتوفيقه .. وفي هذا القول من أهل الجنة إقرار وتوكيد بأن عناية الله وفضله هي التي جعلتهم يحظون بهذه المنزلة الشريفة في الآخرة .. وهذا الإقرار لايقوله أهل الجنة تقرباً وتعبداً ، وإنما هو تعبير عن

---

(١) حاشية الشهاب ج ٦ ص ٢٩١ .

(٢) سورة الأعراف : من الآية : ٤٣ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ج ٢ ص ٦١ . الكشاف ج ١ ص ٦٣ . تفسير النسفي ج ١ ص ٥٣٨. البحر المحيط ج ٤ ص ٢٩٩ . حاشية الشهاب ج ٤ ص ١٧٠ . روح المعاني ج ٨ ص ١٢١ .

سرورهم وبهجتهم بهذا النيل العظيم .. وقد أشار الزمخشري إلى المغزي البلاغي للآية الكريمة ، حيث قال :

« يقولون ذلك سروراً واغتباطاً بما نالوا وتلذذاً بالتكلم به لاتقرباً ولاتعبداً ، كما نري من رزق خيراً في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك أن لايقوله للفرح لا للقرنة» [1] ..

وفي قوله تعالى : (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) تأكيد وتحقيق على إقرار أهل الجنة بفضل الله ورحمته ، حيث قرروا أن ما وعدهم الرسل في الدنيا بنعيم الله في الآخرة قد تحقق حصولهم عليه ومتعتهم به .. يقول أبوحيان في الآية الكريمة : «أي بالموعود الذي وعدنا في الدنيا قضوا بأن ذلك حق قضاء مشاهدة بالحس وكانوا في الدنيا يقضون بذلك بالاستدلال » [2] ...

أما قوله تعالى :

﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [3] ...

فإنه نداء لأهل الجنة فيه بشارة بتملكهم الجنة وتحقق حصولهم عليها .. وهذا النداء إما أن يكون من الله ـ عز وجل ـ وفيه تكريم وتشريف عظيم لأهل الجنة .. وإما أن يكون من الملائكة لهم .. ويكون معناها : قيل لهم تلكم الجنة التي وعدتم بها .. واستعمال اسم الإشارة الدال على البعد إما لأن المؤمنين وعدوا بها في الدنيا ، فيكون المعني : هذه تلكم الجنة التي وعدتموها في الدنيا .. وإما أن يكونوا عاينوها فقيل لهم مع الإشارة إليها من بعد : تلكم الجنة التي أورثتموها ..

ويجوز أن يكون النداء للمؤمنين وهم في الجنة [4] ، لما أخرجه مسلم عن أبي

---

(١) الكشاف ج ١ ص ٦٣ .

(٢) البحر المحيط ج ٤ ص ٢٩٩ .

(٣) سورة الأعراف ، من الآية : ٤٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٢ ص ٣٤٠ . معاني القرآن ، للنحاس ج ٣ ص ٣٨ . تفسير البغوي ج ٢ ص ١٦١ . الكشاف ج ١ ص ٦٣ . تفسير ابن عطية ج ٥ ص ٥٠٨. التفسير الكبير ج ١٤ ص ٨١ . تفسير النسفي ج ١ ص ٥٣٨ . البحر المحيط ج ٤ ص ٣٠٠ . تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٢٢٩ . حاشية الشهاب ج ٤ ص ١٧٠ . روح المعاني ج ٨ ص ١٢١ .

سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ قال : «ينادي مناد إن لكم أنْ تصحّوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبداً فذلك قوله عز وجل : (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) [1]...

والراجح أن النداء من الله ـ تعالى ـ لأهل الجنة لما فيه من التشريف والتكريم لهم ، وأن يكون النداء وهم مستقرون في الجنة يشاهدون ما أنعم عليهم ربهم فيها للحديث السابق الذي أخرجه مسلم في صحيحه .. ولأن الله ـ عز وجل ـ قال بعد قوله تعالى : (ونودوا أن تلكم الجنة) قال ـ عز وجل ـ بعده :

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا...﴾ [2]...

وقد دلّل الفخر الرازي على صحة هذا التفسير حيث قال : «واعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية المتقدمة قوله : (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها) دل ذلك على أنهم استقروا في الجنة وقت هذا النداء . فلما قال بعده (ونادي أصحاب الجنة أصحاب النار) دل ذلك على أن هذا النداء إنما حصل بعد الاستقرار» [3]...

وقد ذكر أبوالسعود مغزي بلاغياً من استعمال اسم الإشارة للبعد حيث قال : «أن مفسرة لما في النداء من رؤيتهم إياها من مكان بعيد ، وإما لرفع منزلتهم وبُعد مرتبتها» [4]...

---

(١) صحيح مسلم ، ج ١٧ ص ١٧٥ . كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها .
(٢) سورة الأعراف ، من الآية ٤٤.
(٣) التفسير الكبير ج ١٤ ص ٨٤ .
(٤) تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٢٢٩ .

## المبحث الثالث

## حوار أهل الجنة مع بعضهم بعض وحوارهم مع أهل النار

من دلائل تعبير أهل الجنة عن راحتهم ورضاهم حوارهم مع بعضهم بعض .. وحوارهم مع أهل النار الذي يبين فيه أهل الجنة سعادتهم بما من الله ـ عز وجل ـ عليهم في الدارين .. حيث هداهم في الحياة الدنيا إلى الإتيان بالأعمال الصالحة التي جازاهم بها ـ عز وجل ـ أحسن الجزاء وهو الفوز بالجنة .. وأنعم عليهم في الآخرة بأن أدخلهم الجنات التي فيها من ألوان النعيم ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر ..

فمن الآيات التي تبين حوار أهل الجنة من بعضهم بعض قوله تعالى :

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ [(١)] ...

والآيات الكريمة تبين أن أهل الجنة يحاور مع بعضهم بعض معبرين في حوارهم عن رضاهم عما هم فيه من النعم مبينين أن الله ـ عز وجل ـ قد أجزل لهم العطاء والمثوبة على طاعتهم له وتنفيذهم أوامره في الحياة الدنيا ..

وقد بين المفسرون [(٢)] المراد من قوله تعالى : (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) حيث قالوا : أي أقبل بعض المؤمنين في الجنة على بعض يسأل بعضهم

---

(١) سورة الطور : الآيات : ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨ .

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري م ١٣ ، ج ٢٧ ص ٣٠ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٥ ص ٦٤ . إعراب القرآن ، للنحاس ج ٤ ص ٢٥٧ . تفسير البغوي ج ٤ ص ٢٤٠ . الكشاف ج ٤ ص ٣٥ . البحر المحيط ج ٨ ص ١٥٠ . تفسير أبي السعود ج ٨ ص ١٤٩ . حاشية الشهاب ج ٨ ص ١٠٥ . روح المعاني ج ٢٧ ص ٣٤ ـ ٣٥ .

بعضاً ، أو سأل بعضهم بعضاً عند البعث في النفخة الثانية . أو أقبل بعضهم على بعض يتساءلون في الجنة عن أحوالهم التي كانت في الدنيا ، حيث كان بعضهم يقول لبعض بم صرت إلى هذه المنزلة الرفيعة ؟ أو أنهم يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا . أو يسأل كل بعض منهم بعضاً آخر عن أحوالهم وأعماله فيكون كل بعض سائلاً ومسئولاً لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضاً آخر معيناً ..

وهذه التفسيرات كلها متقاربة إلا أن الاختلاف في وقت هذا التساؤل ، هل يكون في الجنة ، أم يكون عند البعث بعد النفخة الثانية ..

والتفسير الراجح : أن يكون التساؤل بين المؤمنين في الجنة بعد رؤيتهم ما منّ الله عليهم من أنواع النعيم ، فهم يعبرون عن ارتياحهم لهذه المنزلة الرفيعة التي كرمهم فيها الله ـ سبحانه ـ لقاء طاعتهم له وتمسكهم بأوامره .. وقد رجّح أكثر المفسرين[1] أن يكون تساؤلهم في الجنة .. كما ذكر الزجاج دليلاً يرجح هذا التفسير إذ قال : «وفي الكلام دليل على ذلك وهو قوله في جواب المسألة : (إنا كنا قبلُ في أهلنا مشفقين) : أي مشفقين من المصير إلى عذاب الله ـ عز وجل ـ ، فعملنا بطاعته»[2] ...

أما قوله تعالى : (إنا كنا قبلُ في أهلنا مشفقين) ، فإن فيه إشارة إلى ارتياحهم وغبطتهم لهذا الفوز العظيم الذي صاروا إليه لقاء تمسكهم بطاعة ربهم إشفاقاً من عذابه . وحرصاً على ثوابه .. الأمر الذي أشعرهم بالغبطة والمسرة ، إذ وجدوا وعد الله ـ سبحانه ـ لهم قد تحقق فنالوا في الآخرة الجنة التي وعدوا بها في الدنيا .. وفي قوله ـ عز وجل ـ : (فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم) ما يدل على غبطتهم وفرحهم .. فهم فرحون بأن نجاهم الله ـ عز وجل ـ من عذاب النار ، وأدخلهم

---

(١) انظر : جامع البيان ، للطبري م ١٣ ، ج ٢٧ ص ٣٠ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٥ ص ٦٤ . التفسير الكبير ج ٢٨ ص ٢٥٤ . البحر المحيط ج ٨ ص ١٥٠ . حاشية الشهاب ج ٨ ص ١٠٥ . روح المعاني ج ٢٧ ص ٣٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، ج ٥ ص ٦٤ .

برحمته الجنة . ثم إن قوله تعالى (إنا كنا من قبلُ ندعوه إن هو البر الرحيم) فيه بيان تذكرهم لحالهم في الدنيا ، وما كانوا فيه من الخوف من ربهم والطمع في رحمته وإحسانه ولطفه ..

ويلحظ أن الآيات الكريمة جاءت متتابعة مستأنفة ، مع أن الحوار متصل في كونه من قول أهل الجنة يصفون به حالهم التي كانوا عليها في الدنيا من الخوف والخشية لله ، والرجاء لعفوه ، والطمع في رحمته وإحسانه .. وفي ترك العاطف بين الجمل إيماء بتتابع أفكارهم في تذكر حالهم في الدنيا وما كانوا فيه من الخوف والخشية والقلق . فإذا هم يستبدلون به أمناً واطمئناناً وراحةً ونعيماً في الجنة ، وفي هذا زيادة لذة ومتعة لهم .

ومن الآيات التي تبين حوار أهل الجنة فيما بينهم ، وحديثهم مع أهل النار قوله تعالى :

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) ...

والآيات الكريمة تبين جانباً من حوار أهل الجنة مع بعضهم بعضاً وتذكر أحوالهم وماكانوا عليه في الحياة الدنيا .. فقوله عز من قائل : (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) بيان لحالهم في الجنة أثناء شرابهم ، حيث إن الجملة الثانية معطوفة بالفاء على قوله تعالى قبلها : (يطاف عليهم) ليكون المعني يشربون فيتحادثون على

---

(١) سورة الصافات ، الآيات : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠.

الشراب كعادة الشرب .. وفي قوله تعالى (فأقبل) دلالة على مايجمع بين أهل الجنة من المودة والتحابب وأدب الحديث . حيث يقبل كل متحدث على محدثه . وفي ذكر المستقبل في صيغة الماضي استحضار لهذا المستقبل لمعاينته ورؤيته واقعاً أمامهم .. لما في هذا الأسلوب من تقريب لواقع أهل الجنة وترغيب في دخولهم والتمتع بما فيها .. وقد أشار الزمخشري إلى مزية هذه الصياغة حيث قال : «فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جري لهم وعليهم في الدنيا، إلا أنه جئ به ماضياً على طريقة القرآن في أخباره »[١] ..

أما قوله تعالى :

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾[٢] ...

فإن فيه بياناً لجانب من جوانب حديث أهل الجنة وهم مجتمعون على الشراب .. إذ يذكر سبحانه أن واحداً منهم تذكر حاله مع صديق له في الدنيا فقال: (إني كان لي قرين) .. وفي التعبير بالماضي : (كان لي قرين) إشارة إلى أن صداقته له كانت في الدنيا ، أما في الجنة فإنه لم يعد قريناً له ، إذ هو في الجنة وقرينه في النار . وقد بيّن الفخر الرازي مزية تتابع الآيات الكريمة . بعطف (فأقبل) على (يطاف عليهم) ومجئ قوله تعالى : (قال قائل ..) جملة مستأنفة ، حيث قال : «أعلم أنه تعالى كما ذكر في أهل الجنة أنهم يتساءلون عند الاجتماع على شرب خمر الجنة ، فإن محادثة العقلاء بعضهم مع بعض على الشرب من الأمور اللذيذة ، وتذكر الخلاص عند اجتماع أسباب الهلاك من الأمور اللذيذة ، ذكر تعالى في هذه الآية أهل الجنة إذا اجتمعوا على الشرب وأخذوا في المكالمة والمساءلة كان من جملة تلك الكلمات أنهم يتذكرون أنهم قد حصل لهم في الدنيا ما يوجب لهم الوقوع في عذاب الله ، ثم أنهم تخلصوا عنه وفازوا بالسعادة الأبدية ، والمقصود من ذكر هذه الأشياء أن أهل الجنة يتكامل سرورهم وبهجتهم »[٣] ..

---

(١) الكشاف ج ٣ ص ٣٠١ ، وفيه تصرف في العبارة .
(٢) سورة الصافات : آية : ٥١ .
(٣) التفسير الكبير ج ٢٦ ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .

ثم إنه سبحانه وتعالى يبين ما كان بين هذا الذي من أهل الجنة وقرينه في الدنيا من حوار حيث قال له قرينه كما بيّن سبحانه :

﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ (١) ..

أي أن القرين كان يسأل الذي من أهل الجنة موبخاً له على تصديقه بالبعث والقيامة ، ثم إنه يعلن كفره وعدم تصديقه ليوم البعث والحساب في قوله سبحانه وتعالى :

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ (٢) ..

حيث أعلن إنكاره بيوم البعث وكفره به . وبهذا الحوار الذي دار بين الذي هو من أهل الجنة وقرينه يتضح الفرق بينهما في العقيدة الذي فرق بينهما في المنزلة يوم القيامة .. وقد بيّن تبارك وتعالى الفرق بين منزلة كل منهما يوم القيامة حيث قال سبحانه على لسان الذي هو من أهل الجنة يقول لجلسائه من أهل الجنة :

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ (٣) ..

.. فالرجل من أهل الجنة يدعو جلساءه أن يزيدوا من مسرتهم وبهجتهم برؤية الذي هو من أهل النار حتي يعلموا شرف منزلتهم عند الله حيث أدخلهم الجنة بما فيها من المسرات ..

وقد بيّن المفسرون (٤) المعني المراد من قوله تعالى : (قال هل أنتم مطلعون)

---

(١) سورة الصافات ، آية ٥٢ .

(٢) سورة الصافات ، آية ٥٣ .

(٣) سورة الصافات ، الآيتان : ٥٤ ــ ٥٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج ٢ ص ٣٨٥ . جامع البيان ، للطبري م ١٢ ، ج ٢٣ ص ٥٩ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٤ ص ٣٠٤ . معاني القرآن للنحاس ج ٦ ص ٣١ . تفسير البغوي ج ٤ ص ٢٨ . الكشاف ج ٣ ص ٣٠١ . التفسير الكبير ج ٢٦ ص ١٣٩ . تفسير النسفي ج ٣ ص ١٦٢ . البحر المحيط ج ٧ ص ٣٦١ . تفسير أبي السعود ج ٧ ص ١٩٢ . روح المعاني ج ٢٣ ص ٩١ ــ ٩٢ .

حيث قالوا : هذا رجل من أهل الجنة ، قد كان له أخ من أهل الكفر فأحب أن يري مكانه فيأذن الله له ، فيطّلع في النار ويخاطبه .. أو هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار .. أو قال الذي في الجنة هل أنتم مشرفون . أو أن في الجنة كوي ينظر أهلها منها إلى النار .. أو هل أنتم مطلعون إلى النار لأريكم ذلك القرين . أو أن بعض الملائكة يقول لأهل الجنة : هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار . أو أنه تكلف أمراً اطلع معه ، لأنه لو كان مطلعاً بلا تكلف لم يكن إلى اطلاعه حاجة .. فلذلك قال بعضهم إنه ذهب إلى أطراف الجنة فاطلع عندها إلى النار . أو قال الله تعالى لأهل الجنة : (هل أنتم مطلعون) إليّ فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار . أو أن القائل من كان له قرين ، والمخاطبون بأنتم الملائكة .

والتفسير الراجح أن الذي من أهل الجنة طلب من جلسائه الاطلاع على أهل النار ليريهم قرينه حتي يعلموا شرف مكانتهم عند الله .. وفي هذا مزيد مسرة لهم ، إذا يعرفون مدي الكرامة والنعمة التي خصهم بها الله سبحانه وفرق ما بينهم وبين أهل النار .

ثم يبين سبحانه وتعالى منزلة قرينه المنكر ليوم البعث والحساب .. حيث قال تعالى : (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) أي اطلع المؤمن الذي هو من أهل الجنة فرأي قرينه في وسط الجحيم . للدلالة على سوء المنزلة التي أنزله الله فيها . ليعلم الذي هو من أهل الجنة فضل الله عليه ونعمته ، إذ هداه لصالح الأعمال التي أكسبته الفوز العظيم في الآخرة ، وأنزلته منازل الصالحين .. ويبين الله ـ عز وجل ـ اعتراف هذا المؤمن بفضل الله عليه حيث قال مخاطباً قرينه الذي هو من أهل النار:

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[1] ..

---

(١) سورة الصافات ، الآيتان : ٥٦ ـ ٥٧ .

أي لولا أن منّ الله عليّ بالهداية وأبعدني عن طريق الغواية الذي كدت أن توردنيه معك . لكنت حاضراً معك سوء العذاب الذي أنت فيه الآن .. وفي قول المؤمن لقرينه من أهل النار دلالة على ارتياح أهل الجنة لما هم فيه من النعمة والسرور لنجاتهم من النار وعذابها بعصمة الله لهم من الغواية وإلهامهم والتزام طريق الهدي والصلاح .

ويلحظ أن قوله تعالى : (تالله إن كدت لتردين) كثرت فيه المؤكدات حيث بدأت الآية بالقسم ، ثم إن المؤكدة ، ثم لام التوكيد التي اتصلت بالخبر ، إضافة إلى اسمية الجملة .. وهذه المؤكدات المتعددة تشير إلى تحقيق الخبر وتأكيده ، مما يدل على أن وسوسة القرين الكافر كانت قوية ومؤثرة لدرجة أنه كاد أن يتغلب على قوة إيمان هذا المؤمن ويوقعه في الكفر الذي يجره إلى الهلاك في نار جهنم وسوء المصير . إلا أن نعمة الله على هذا المؤمن ورحمته به قد عصمته من الغواية ودلته على طريق الهداية .. وفي إحساس المؤمن بالنجاة من هذه المهالك التي أوشك أن يوقعه فيها قرينه راحة نفسية عظيمة ، تضاف إلى المتع الحسية الكثيرة التي فاز بها بدخوله جنات النعيم ..

ثم إن في قوله

﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (١) ..

.. إشادة بالنعمة العظيمة التي وجدها أهل الجنة ، والمنزلة الكريمة التي حظي بها المؤمنون الصالحون عند خالقهم .. يقولها المؤمن من أهل الجنة تحدثًا بفضل الله وكرمه ونعمته ، وتوبيخاً وتحسيراً لقرينه الكافر الواقع في العذاب ليزيد عذابه وألمه ، ويشعر المؤمن بمزيد من المسرة والبهجة بهذا الفوز العظيم .. ولذلك كانت خاتمة الأيات الكريمة :

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢)...

---

(١) سورة الصافات ، الآيتان : ٥٨ ـ ٥٩ .

(٢) سورة الصافات ، آية : ٦٠ .

بكل ما فيها من المؤكدات تقريراً وتحقيقاً لغبطة المؤمنين بفوزهم بالجنة ونعيمها ونجاتهم من النار وعذابها ..

وقد بيّن الزمخشري الحكمة في خاتمة هذه الآيات ، حيث قال : «يقوله المؤمن تحدثاً بنعمة الله واغتباطاً بحاله ، وبمسمع من قرينه ليكون توبيخاً له يزيد به تعذباً وليحكيه الله فيكون لنا لطفاً وزاجراً ، ويجوز أن يكون قولهم جميعاً ، وكذلك قوله : (إن هذا لهو الفوز العظيم ) أي إن هذا الأمر الذي نحن فيه ، وقيل هو من قول الله ـ عز وجل ـ تقريراً لقولهم وتصديقاً لهم »[1]..

وفي آخر الآيات الكريمة يأتي تعليق قوي من قول الله ـ تبارك وتعالى ـ إذ يقول سبحانه :

﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾[2]...

.. وفي هذه الآية الكريمة دعوة قوية من الله ـ عز وجل ـ للناس جميعاً تبين أن ما سبق وصفه من نعيم الله في الجنة ، وما أُعِدَّ للمؤمنين الصالحين عند خالقهم يرقي إلى منزلة شريفة عظيمة ، بحيث يكون هو الفوز الذي ليس وراءه فوز وهو الغاية التي لامطمع في غيرها أبداً ، لذا فإن الجزاء هو الذي يستحق فعلاً أن يسعي العبد للحصول عليه بكل ما أوتي ..

وقد بيّن الأستاذ سيد قطب المغزي البياني للآية الكريمة حيث قال : « وهنا يرد تعليق يوقظ القلوب ويوجهها إلى العمل والتسابق لمثل هذا المصير (لمثل هذا ) النعيم الذي لايدركه فوت ، ولايخشي عليه من نفاذ ، ولايعقبه موت ، ولايتهدده العذاب .. فهذا هو الذي يستحق الاحتفال ، وما عداه مما ينفق فيه الناس أعمارهم على الأرض زهيد زهيد حين يقاس إلى هذا الخلود »[3]..

---

(١) الكشاف ج ٣ ص ٣٠١ .

(٢) سورة الصافات ، آية : ٦١ .

(٣) في ظلال القرآن ج ٥ ص ٢٩٨٧ .

ومن الآيات التي يبين فيها ـ عز وجل ـ حوار أهل الجنة مع أهل النار قوله سبحانه :

﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [1] ...

يبين الله ـ عز وجل ـ في الآيات الكريمة موقف أهل الأعراف ، وحوارهم مع أهل النار .. وقد بيّن المفسرون [2] المراد من الأعراف حيث قالوا : أي سور بين الجنة والنار ، والأعراف أعالي السور الذي بين الجنة والنار . أو على معرفة أهل الجنة وأهل النار . أو الأعراف شرف الصراط . أو هو أحد ممثل بين الجنة والنار .

والتفسير الذي رجحه أكثر المفسرين هو أن الأعراف : هي أعالي السور المضروب بين الجنة والنار ، وذلك أن الأعراف في اللغة : جمع عرف ، وهو كل عالٍ مرتفع[3] . وأعالي السور الذي بين الجنة والنار يكون مشرفاً مطلاً على كل منهما .. وقد بينت الآيات التالية السابقة أن أهل الأعراف يعرفون كلاً من أهل الجنة والنار

---

(١) سورة الأعراف ، الآيات : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج ١ ص ٣٧٩ . معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٢ ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ . معاني القرآن ، للنحاس ج ٣ ص ٣٩ ـ ٤٠ . التفسير الكبير ج ١٤ ص ٨٧ . البحر المحيط ج ٤ ص ٣٠١ . طريق الهجرتين ، لابن قيم الجوزية ص ٣٨٢ . روح المعاني ج ٨ ص ١٢٣ . في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٢٩٢ .

(٣) انظر لسان العرب ج ٩ ص ٢٤١ ، مادة عرف .

بسيماهم .. مما يبين أن أهل الأعراف مطلون عل كل من الجنة والنار..

أما أهل الأعراف الذين ذكرهم سبحانه في قوله تعالى : (وعلي الأعراف رجال) فإن أهل التفسير [1] اختلفت أقوالهم في بيان من هم حيث قالوا : أصحاب الأعراف أقوام اعتدلت حسناتهم وسيئاتهم ، فقصّرت بهم الحسنات عن الجنة ، ولم تبلغ بهم سيئاتهم النار ، كانوا موقوفين ثم أدخلهم الله سبحانه الجنة بفضل رحمته.. أو أصحاب الأعراف أنبياء ، أو هم ملائكة ، أو أنهم الأشراف من أهل الطاعة وأهل الثواب، أو أنهم أقوام يكونون في الدرجة السافلة من أصحاب الثواب .. أو أنهم الشهداء الذين خرجوا إلى الغزو بغير إذن آبائهم فاستشهدوا فحبسوا بين الجنة والنار .. أو أنهم الفساق من أهل الصلاة يعفوا الله عنهم ويسكنهم الأعراف ، أو أنهم مساكين أهل الجنة . أو أنهم أطفال المشركين ..

والذي رجحه أكثر المفسرين هو القول الأول ، وهو أنهم رجال تساوت سيئاتهم وحسناتهم ، أوقفهم الله ـ سبحانه ـ على الأعراف ، ثم أدخلهم الجنة بفضله ورحمته فكانوا آخر أهل الجنة دخولاً .. وهذا التفسير هو الثابت عن الصحابة ، وقد بين ابن القيم صحة الأخذ بهذا التفسير حيث قال : «والثابت عن الصحابة هو القول الأول . وقد رويت فيه آثار كثيرة مرفوعة لاتكاد تثبت أسانيدها . وأثارها الصحابة في ذلك المعتمدة » [2] ....

وقد بين الله ـ عز وجل ـ أن أهل الأعراف يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم ، حيث قال سبحانه : (يعرفون كلاً بسيماهم) .. وهذه ميزة ميز بها سبحانه أهل الأعراف ، حيث يشرفون على أهل الجنة وأهل النار ، فيعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وبشرها ، ويعرفون أهل النار بسواد وجوههم وغبرتها .. ثم يبين الله ـ

---

(١) انظر : معاني القرآن ، للفراء ج ١ ص ٣٨٠ ، معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٢ ص ٣٤٢ . معاني القرآن ، للنحاس ج ٣ ص ٣٩ . الكشاف ج ١ ص ٦٣ . التفسير الكبير ج ١٤ ص ٨٧ . البحر المحيط ج ٤ ص ٣٠٢ . طريق الهجرتين ، لابن قيم الجوزية ص ٣٨١ . في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٢٩٢ .

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٣٨٣ .

سبحانه ـ موقفهم من أهل الجنة حيث قال :

﴿ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [1] ..

أي أنهم يحيونهم بتحية أهل الجنة فيسلمون عليهم تكريما وتشريفاً لهم .. كما يبين موقفهم من أهل النار ، حيث قال سبحانه :

﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[2] ..

ويلحظ أن نسق الآيتين الكريمتين اللتين تبينان موقف أهل الأعراف يبين أنهم كانوا راغبين في دخول الجنة والحديث مع أهلها .. حيث بينت الآية موقفهم من أهل الجنة بقوله تعالى : (ونادوا أصحاب الجنة ..) فالآية لم تبين أنهم نظروا إلى الجنة ثم نادوا أصحابها .. وإنما قال تعالى مباشرة : (ونادوا أصحاب الجنة) مما يدل على أن أهل الأعراف كانوا ناظرين إلى الجنة متلهفين إلى الكلام معهم حتي أنهم باشروهم بالتحية بعد أن عرفوهم بسيماهم التي يعرفونها ، أما موقفهم أهل الأعراف من النار وأهلها ، فإن الآية الكريمة سبحانه : (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) فبدأت الآية الكريمة بالفعل الماضي المبني للمفعول .. ليدل على أن صارفاً صرف أبصارهم إلى فائدة البناء للمفعول في قوله تعالى : (صرفت) حيث قال : «وقوله (إذا صُرفت أبصارهم) فيه أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا» [3] ..

ثم يبين الله سبحانه وتعالى ـ حوار أهل الأعراف مع أهل النار، حيث قال تبارك وتعالى :

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُم قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [4] ..

---

(١) سورة الأعراف ، من الآية : ٤٦ .
(٢) سورة الأعراف : آية : ٤٧ .
(٣) الكشاف ج ١ ص ٦٤ .
(٤) سورة الأعراف ، آية : ٤٨ .

حيث بدأوهم بالتوبيخ والتحسير والإهانة بقولهم : (ما أغني عنكم جمعكم..) ولم يذكر الله ـ سبحانه ـ النار وأهلها ، وإنما ذكر التوبيخ والتبكيت لأهل النار مباشرة على لسان أهل الأعراف ليزيد هذا توبيخهم وتبكيتهم وإهانتهم ..

وقد أشار الفخر الرازي إلى مزية هذا النسق القرآني ، حيث قال : «واستغني عن ذكر أهل النار لأجل أن الكلام المذكور لايليق إلا بهم . وهو قولهم : (ما أغني جمعكم وما كنتم تستكبرون) وذلك لايليق إلا بمن يبكت ويوبخ ، ولايليق أيضاً إلا بأكابرهم »[(١)] ...

ويزيد أهل الأعراف في توبيخ أهل النار وبث الحسرة والندم في نفوسهم حيث يقول تعالى على لسانهم لأهل النار :

﴿ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[(٢)] ...

.. حيث أشار أهل الأعراف إلى فريق من أهل الجنة ، كان أهل النار في الحياة الدنيا يحتقرونهم ويستصغرون شأنهم .. فإذا بهؤلاء المحتقرين في الدنيا ينعمون بنعيم الجنة في الآخرة .. والذين كانوا يحتقرونهم في الدنيا يتقبلون في عذابهم الجحيم في الآخرة ..

وفي بيان تبدل الحال ما بين الدنيا والآخرة لكل من أهل الجنة وأهل النار ، دلالة على عظيم الحسرة والندم التي تلحق أهل النار في الآخرة ، ودلالة على مزيد الغبطة والمسرة التي يشعر بها أهل الجنة في الآخرة .. يقول الفخر الرازي : «فإذا رأي من كان يدعي التقدم حصول المنزلة العالية لم كان مستضعفاً عنده قلق لذلك وعظمت حسرته وندامته على ما كان منه في نفسه »[(٣)] ..

---

(١) التفسير الكبير ج ١٤ ص ٩١ .
(٢) سورة الأعراف ، آية : ٤٩ .
(٣) التفسير الكبير ، ج ١٤ ص ٩١ .

ويلحظ أن الآيتين اللتين فيهما توبيخ أهل النار وتحسيرهم جاءتا على صيغة الاستفهام ، حيث قال سبحانه : (ما أغني عنكم جمعكم ..) و (ما) هنا إما نافية ، وإما استفهامية والاستفهام أبلغ في الدلالة على السخرية ، وأفخم في الاستهزاء بأهل النار .. وقوله تعالى : (أهؤلاء الذين أقسمتم) استفهام فيه من السخرية والهزء الشئ الكثير .. إذ المعني : أهؤلاء الذين أقسمتم أن لا تنالهم رحمة ربهم ، ولايختصهم الله بفضله ، انظروا فهم يتمتعون في رحمة ربهم ، وينعمون في رياضه ، أما أنتم فانظروا إلى حالكم وما أنتم فيه من الذل والهوان .. أما قوله تعالى :

﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [(١)] ...

.. فإنه خطاب من الله ـ عز وجل ـ أو من أهل الأعراف لأصحاب الجنة .. وقيل خطاب من الله ـ عز وجل ـ أو من الملائكة لأهل الأعراف [(٢)] ..

والراجح أنه خطاب من الملائكة لأهل الأعراف ، وذلك أن الله ـ سبحانه ـ قال في صفة أهل الأعراف : (لم يدخلوها وهم يطمعون) . ثم قال تعالى لهم على لسان ملائكته في الآية الأخري : (ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون) .. حيث ترحب بهم الملائكة الذين على باب الجنة ، وتطمئنهم لبث الأمن في نفوسهم ، فلا يخافون أن يحرموا من دخول الجنة ، ولايحزنون من خوف انقطاع متعتهم فيها ..

وقد ألمح الزمخشري إلى اختيار هذا التفسير للآية الكريمة حيث قال : «(فإن قلت) : كيف لاءم هاتين القراءتين قوله : (لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون) (قلت) : تأويله : أدخلوا الجنة مقولاً لهم (لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون) (فإن قلت) : ما محل قوله : (لم يدخلوها وهم يطمعون) (قلت) : لامحل له لأنه استئناف كأن سائلاً سأل عن حال أصحاب الأعراف فقيل : (لم يدخلوها وهم

---

(١) سورة الأعراف ، من الآية : ٤٩ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ج ٢ ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤ . معاني القرآن ، للنحاس ج ٣ ص ٤١ . الكشاف ج ١ ص ٦٤ . التفسير الكبير ج ١٤ ص ٩١ ـ ٩ . طريق الهجرتين ، لابن قيم الجوزية ص ٣٨٤ .

يطمعون) : يعني أن دخولهم الجنة استأخر عن دخول أهل الجنة ، فلم يدخلوها لكونهم محبوسين ، وهم يطمعون لم ييأسوا ، ويجوز أن يكون له محل بأن يقع صفة لرجال» [١] ..

أما قوله تعالى :

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٢] ..

فإن فيه دلالة على ما يحسه أهل النار من بؤس وشقاء وعذاب ، حيث يطلبون من أهل الجنة أن يفيضوا عليهم من الماء ، أو من أي شيء مما رزقهم الله في الجنة.. مع يأسهم تماماً من تحقيق هذا المطلب .. يقول الزمخشري : «وإنما يطلبون ذلك مع يأسهم من الإجابة إليه حيرة في أمرهم كما يفعل المضطر الممتحن» [٣] .. وفي الجواب الذي ذكره ـ عز وجل ـ على لسان أهل الجنة دلالة على مدي الخيبة والهوان الذي يحس به أهل النار ..

ومن الآيات الكريمة التي تبين حوار أهل الجنة مع أهل النار قوله تعالى :

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [٤] ..

فالآية الكريمة تبين مدي السخرية والتهكم الذي يجده أهل النار من أهل الجنة.. وكأن ذلك تعويضاً عما وجده أهل الجنة في الحياة الدنيا من استصغار واحتقار من أهل النار الذين كانوا في الدنيا من الأشراف والعظماء .

ويلحظ أن الآية الكريمة بدأت بالفعل الماضي (ونادى) ليدل بذلك على تحقق

---

(١) الكشاف ج١ ص ٦٤ .
(٢) سورة الأعراف آية : ٥٠ .
(٣) الكشاف ج ١ ص ٦٥ .
(٤) سورة الأعراف ، آية : ٤٤ .

وقوعه وتأكيده .. ثم إن تكرار قوله تعالى : (أصحاب) مضافاً إلى الجنة ليدل على أهل الجنة .. ومضافاً إلى النار ليدل على أهل النار في تكرار كلمة أصحاب دلالة على ملازمة كل منهما لما يصاحبه .. فأصحاب الجنة ملازمون لها أبداً ، وأصحاب النار ملازمون لها أبداً ..

وقد بيّن الزمخشري المغزي البلاغي في نداء أهل الجنة لأهل النار وسؤالهم حيث قال : «وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطاً بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة في غمهم ، ولتكون حكايته لطفاً لمن سمعها ، وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين ، وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار» (١) .. وفي نداء أهل الجنة لأهل النار تذكير لهم بتحقق وقوع الموعود به لأهل الجنة من أنواع النعيم ، ولأهل النار من أنواع الجحيم .. وفي هذا التذكير من أهل الجنة لأهل النار تعذيب وتوبيخ وتقريع شديد .. إذا يتذكرون ما فاتهم من أنواع النعيم الذي ينعم به أهل الجنة فيتحسرون عليه ويتعذبون .. ويندمون على تفريطهم الذي حرمهم منه فيتعذبون ..

وقد ألمح ابن عطية إلى مغزي هذا القول من أهل الجنة لأهل النار حيث قال : «وهذا النداء من أهل الجنة لأهل النار تقريع وتوبيخ وزيادة في الكرب . وهو بأن يشرف عليهم ويخلق الإدراك في الأسماع والأبصار» (٢) ..

ثم إن النسق القرآني للآية الكريمة : (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) بذكر المفعول في (وعدنا ربّنا) وحذفه في (وعد ربكم) في هذا النسق القرآني بيان لتشريف الله ـ عز وجل ـ وتعظيمه لأهل الجنة حيث ظهر أنهم مخاطبون من الله تعالى .. وإهانة وإذلال لأهل النار حيث ظهر أنهم ليسوا أهلاً لأن يخاطبهم الله جل جلاله ..

وقد وضح الفخر الرازي النكتة البلاغية من هذا النسق القرآني حيث قال : هلا

---

(١) الكشاف ج١ ص ٦٣ ـ ٦٤ .

(٢) تفسير ابن عطية ج ٥ ص ٥٠٩ ، وانظر البحر المحيط ج ٤ ص ٣٠٠ .

قيل (ما وعدكم ربكم حقاً) كما قيل : (ماوعدنا ربنا حقا) والجواب : قوله (ما وعدنا ربنا حقاً) يدل على أنه تعالى خاطبهم بهذا الوعد ، وكونهم مخاطبين من قبل الله ـ تعالى ـ بهذا الوعد ، يوجب مزيد التشريف . ومزيد التشريف لائق بحال المؤمنين . أما الكافر فهو ليس أهلاً لأن يخاطبه الله تعالى ، فلهذا السبب لم يذكر الله أنه خاطبهم بهذا الخطاب بل ذكر تعالى أنه بين هذا الحكم»[1] .. ثم إن في ذكر المخاطب بالوعد مع المؤمنين ، وحذفه مع الكافرين .. دلالة بلاغية أخري بينها الزمخشري حيث قال : « (فإن قلت) هلا قيل : (ماوعدكم ربكم) ، كما قيل : (ماوعدنا ربنا) (قلت) : حذف ذلك تخفيفاً لدلالة وعدنا عليه ، ولقائل أن يقول : أطلق ليتناول كل ماوعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب ، وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ، ولأن الموعود كله مما ساءهم ، وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك»[2] ..

أما قوله تعالى ـ تبارك وتعالى ـ في خاتمة الآية الكريمة :

﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[3] ..

.. فإنه إعلام من الله ـ عز وجل ـ بسوء المصير الذي يؤول إليه المجرمون أهل النار ، حيث أنهم يهوون في العذاب السحيق تصحبهم لعنة الله ـ عز وجل ـ وغضبه .. ليتقابل هذا المصير السيء مع حسن الاستقبال والتشريف والتكريم الذي يجده أهل الجنة والذي يبينه قوله تعالى :

﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[4] ..

---

(١) التفسير الكبير ج ١٤ ص ٨٤ .

(٢) الكشاف ج ١ ص ٦٤ .

(٣) سورة الأعراف ، من الآية : ٤٤ .

(٤) السورة نفسها ، من الآية : ٤٣ .

# الباب الثالث

## تصنيف ودراسة الشعر الإسلامي

## المتأثر بوصف القرآن الكريم للجنة

وهو في خمسة فصول :

الفصل الأول : الأثر النفسي لتدبر آيات وصف النعيم كما يتضح في سيرة المصطفي صلى الله عليه وسلم وصحابته .

الفصل الثاني : تصنيف الشعراء الإسلاميين الذين وصفوا الجنة .

الفصل الثالث : تصنيف الشعر الإسلامي المتأثر بوصف الجنة في القرآن حسب الموضوعات .

الفصل الرابع : تأثر الشعراء الإسلاميين بأساليب وصور القرآن الكريم في وصف الجنة .

الفصل الخامس : التصوير البياني في شعر وصف الجنة .

# الفصل الأول

## الأثر النفسي لتدبر آيات النعيم كما يتضح في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم

اهتم القرآن الكريم كثيراً ببيان وتصوير مشاهد القيامة والحياة الأخرة عموماً .. حيث صورت الأيات الكريمة مشاهد البعث والحساب ، وتجاوز الصراط .. وفصّلت كثيراً في بيان مشاهد النعيم والعذاب .. حتي بدا العالم الآخر في القرآن الكريم مصوراً محسوساً ، ومجسماً بارزاً فشد المسلمين إليه ، ولفت انتباههم نحوه ، وتعلقت قلوبهم به ، وأصبح الهاجس والفكرة الملازمة الدائمة للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولصحابته ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ فعاش المسلمون الأوائل وعقولهم متعلقة في مشاهد الحياة الآخرة في القرآن تتأمل وترجو وترهب وتخشي .. وتعلقت قلوبهم بها فخفقت ورجفت العذاب ورجاء الرحمة والرضوان .. فعاشوا حياتهم الدنيا ما بين الخشية والرجاء .. منتظرين ذلك اليوم الذي وعدهم به الله ـ سبحانه ـ وصوره لهم في أدق تفاصيله ..

وقد بينت الآيات الكريمة أن الحياة الآخرة هي الأبقي والأولي والأحق بأن يسعي الإنسان لها .. فقال تعالى :

﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ ﴾(١) ..

.. كما قال سبحانه :

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ (٢) ..

---

(١) سورة الضحي ، آية ٤ .

(٢) سورة النساء ، من الآية ٧٧ .

.. وقال عز وجل :

﴿ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [(١)] ...

ولهذا تعلقت قلوب المسلمين الأوائل بالآخرة ، فباعوا الحياة الدنيا بالآخرة ، وترفعوا عن متاع الحياة الدنيا وملذاتها رغبة وأملاً في نيل ما وعد به الله ـ سبحانه ـ من نعيم الآخرة ومسراتها . وذلك لأنهم عاشوا الحياة الآخرة بقلوبهم ، وأحسوا بوجدانهم ، وشهدتها نفوسهم ، فما رأوا في الحياة الدنيا ما يشغلهم أو يلهيهم عن النعيم الحق الذي أشربت به نفوسهم وعقولهم .. وفي سيرة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وسيرة صحابته التابعين أمثلة كثيرة تدل على ترفعهم عن لهو الحياة الدنيا وزينتها ، وإقبالهم وتطلعهم إلى ما عند الله من متاع الحياة الآخرة .. فقد أخرج ابن ماجة عن أنس بن مالك قال : «لما وَجَد رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كُرَبِ الموت ماوَجَدْ ، قالت فاطمة : واكرب أبتاه . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «لاكَرْبَ على أبيك بعد اليوم . إنه قد حضر من أبيك ما ليس بتارك منه أحداً الموافاة يوم القيامة» [(٢)] ..

وبهذا الإيمان العميق بنعيم الآخرة وأنها خير من الأولي أيقنت قلوب صحابة رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، فنظروا إلى متاع الآخرة وأملوا فيه ، فقد أخرج ابن ماجة عن أنس قال : «قال أبوبكر ـ بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعمر : إنطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يزورها . قال : فلما انتهينا إليها بكت . فقالا لها : ما يُبكيك ؟ فما عند الله خير لرسوله . قالت : إني لأعلم أن ماعند الله خيرٌ لرسوله . ولكنْ أبكي لأن الوحي قد انقطع من السماء . قال : فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها» [(٣)] ..

---

(١) سورة الأنعام ، من الآية : ٣٢ .

(٢) سنن ابن ماجة ج ١ ٢ ص ٥٢١ . كتاب الجنائز .

(٣) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٢٣ ـ ٥٢٤ ، كتاب الجنائز .

ولهذا الإيمان بالدار الأخرة ونعيمها بيّن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الجنة وما فيها من ألوان النعيم والملاذ خير من الدنيا وما فيها ومثَل ـ عليه الصلاة والسلام ـ لصحابته ـ رضي الله عنهم ـ بأمثلة مما يعرفونه في الحياة الدنيا مبيناً أنها في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، فقد أخرج البخاري عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : «أهدي للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبّة سندسٍ ، وكان ينهي عن الحرير، فعجب الناس منها ، فقال : والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا » (١) ..

كما أخرج البخاري عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها» (٢) ..

كما بيّن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ الأعمال والأقوال الموجبة للجنة ، لحث المسلمين على الإقبال على الطاعات ، واجتناب المنكرات .. فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «من آمن بالله وبرسوله ، وأقام الصلاة ، وصام رمضان ، كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها ، فقالوا يارسول الله : أفلا نبشر الناس ، قال : «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلي الجنة ، أُرَاه فوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجّر أنهار الجنة ، قال محمد بن فُليح عن أبيه وفوقه عرش الرحمن» (٣) ...

كما أخرج البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قال : لقاب قوسٍ في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب »

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٤٤ ، باب صفة الجنة ونعيمها .
(٢) المصدر السابق نفسه ، والصحيفة نفسها .
(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٩ ، كتاب الجهاد .

وقال: «لغدوة أو روحة في سبيل الله خيرٌ مما تطلع عليه الشمس وتغرب»[1] وقد ترك هذا التوجيه الكريم من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لصحابته الكرام أثره الفعال في نفوسهم فأقبلوا على اغتنام الفرص في عمل الطاعات ، وبذل النفس والمال حبًا في الجنة ورغبة في الفوز بها .. حتي أنها غدت سؤلهم وغايتهم التي ليس وراءها غاية ..

فقد أخرج أبونعيم عن أبي سلمة بن كعب الأسلمي قال : «كنت أبيت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فأتيته بوضوئه ، فقال لي : «سل» فقلت أسألك مرافقتك في الجنة . فقال : «أو غير ذلك ؟» قلت : هو ذاك ، قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود» [2] ..

وعلي هذا الأمل والرجاء عاش صحابة رسول الله حياتهم الدنيا آملين الفوز بالجنة متعلقين بها ، يعملون كل ما يقربهم منها ، مع الخوف الشديد والخشية الدائمة من الحرمان منها بدخول النار .. فهم دائماً في رغبة ورهبة .. يرغبون في الجنة ويرهبون من النار .. حتي أصبح هذا هو منهج حياتهم ونطاق تفكيرهم .. فقد أخرج أبونعيم عن عبدالله بن الرومي قال : بلغني أن عثمان بن عفان قال : لو أني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي ، لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير» [3] ..

وقد دفعهم حبهم للجنة ورغبتهم في الفوز بها ونيل مافيها إلى الترفع والنأي عن متاع الحياة الدنيا ، والميل إلى الزهد اقتداء بسنة المصطفي ـ عليه الصلاة والسلام ـ والحظوة بمرافقته في دار النعيم .. فقد أخرج أبونعيم أن حفصة بنت عمر ـ رضي الله عنهما ـ قالت : «يا أمير المؤمنين لو لبست ثوبا هو ألين من ثوبك ، وأكلت طعاماً هو أطيب من طعامك ، فقد وسع الله عز وجل من الرزق ، وأكثر من الخير ؟

---

(1) صحيح البخاري ج ٤ ص ٣٠ ، كتاب الجهاد والسير .
(2) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣١ ـ ٣٢ ، ترجمة ربيعة بن كعب الأسلمي .
(3) حلية الأولياء ج١ ص ٦٠ ، ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

فقال : إني سأخصمك إلى نفسك ، أما تذكرين ما كان يلقي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من شدة العيش ؟ فما زال يذكرها حتي أبكاها فقال لها : أما والله لئن استطعت لأشاركنهما بمثل عيشهما الشديد ، لعلي أدرك معهما عيشهما الرخي» (١) ...

بل إن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يلتزمون بتحمل المشاق طاعة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وتنفيذاً لأمره رغبة في نيل الجنة والفوز بها .. فقد أخرج أبونعيم عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : «من يتكفل لي أن لايسأل الناس وأتكفل له به الجنة» فقال ثوبان : أنا ، فكان ثوبان لايسأل أحداً شيئاً . وفي رواية أن ثوبان ربما سقط السوط له ، وهو على بعير ، فلا يسأل أحداً أن يناوله ، حتي ينزل إليه فيأخذه» (٢) ..

كما أن الصحابة رضي الله عنهم تحملوا المشاق وترفعوا عن مطامع النفس وأهوائها ، بل إنهم نسوا رغباتهم التي أحلها الله لهم .. وهم يتأملون نعيم الجنة وما أعده الله فيها من ألوان المسرات والمتع .. كما صورتها الآيات القرآنية .. فقد أخرج أبونعيم عن ضمرة بن حبيب أن أبا ريحانة كان غائباً ، فلما قدم على أهله تعشي ، ثم خرج إلى المسجد فصلى العشاء الآخرة ، فلما انصرف إلى بيته قام يصلى يفتتح سورة ويختمها ، فلم يزل كذلك حتي طلع الفجر ، وسمع المؤذن فشدّ عليه ثيابه ليخرج إلى المسجد ، فقالت له صاحبته : يا أبا ريحانة كنت في غزوتك ما كنت ، ثم قدمت الآن ، فما كان لي فيك نصيب أو حظ ؟ قال : بلي ! لقد كانت لك نصيب، ولكن شغلت عنك . قالت : يا أبا ريحانة وما الذي شغلك عني ؟ قال : مازال قلبي يهوي فيما وصف الله من لباسها وأزواجها ونعيمها وما خطرت لي على بال حتي طلع الفجر !» (٣) ..

---

(١) المصدر السابق نفسه ج ١ ص ٤٨ ، ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ١٨٠ ـ ١٨١ ، ترجمة ثوبان مولي رسول الله .
(٣) حلية الأولياء ج٢ ص ٢٩ ، ترجمة أبي ريحانة شمعون الأزدي .

ولكثرة تفكير الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وتأملهم في آيات وصف النعيم وتعلق قلوبهم بها ، وحبهم الشديد فيها ، فإنهم استهانوا بالدنيا ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل نيل الجنة والفوز بها .. فما كان يعز في نفوسهم شيء من زينة الحياة الدنيا لقاء فوزهم بالجنة ، وحظوتهم بما فيها من اللذائذ .. يدل على هذا ما أخرجه أبونعيم عن أنس بن مالك قال : «بينما عائشة في بيتها إذ سمعت صوتاً ، رجّت منه المدينة . فقالت : ما هذا ؟ قالوا : عير قدمت لعبدالرحمن بن عوف من الشام ، وكانت سبعمائة راحلة . فقالت عائشة : أما إني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : رأيت عبدالرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً» فبلغ ذلك عبدالرحمن فأتاها فسألها عما بلغه فحدثته . قال : فإني أشهدك أنها بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله عز وجل» (١) ..

وقد دفع المسلمين الأوائل حبهم الشديد للجنة ، وبغيتهم لها أن يندفعوا إلى الجهاد في سبيل الله ، راغبين في الشهادة التي تحقق لهم الفوز بالجنة ، التي وعد بها الله ـ سبحانه ـ الشهداء في سبيله .. كما تدل قصة عمير بن الحمام يوم بدر ، كما وردت في الإصابة عن ابن اسحق قال : قال رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ : والذي نفسي بيده لايقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» فقال عمير بن الحمام أحد بني سليمة ، وفي يده تمرات يأكلهن : بَخٍ بَخٍ فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، فقذف التمر من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل حتي قتل وهو يقول :

ركضاً إلى الله بغيرِ زادِ
إلا التقي وعملَ المعادِ
والصبرَ في اللهِ على الجهادِ

فكان أول قتيل قتل في سبيل الله في الحرب » (٢) ..

بل إن تصور المسلمين الأوائل من صحابة رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ٩٨ ، ترجمة عبدالرحمن بن عوف .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ أحمد بن علي العسقلاني ج ٣ ص ٣١ ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٣ ص ٤٣ ، كتاب الإمارة .

لنعيم الجنة ، كان دافعاً قوياً لهم في ساحات الجهاد .. حيث كانوا يقاتلون ببسالة وصبر نادرين ، يدفعهم إلى ذلك الرغبة في الشهادة والحظوة بالجنة .. كما تدل على ذلك قصة أنس بن النضر التي أخرجها أبو نعيم عن أنس بن مالك قال : «غاب أنس بن النضر عن قتال بدر ، فلما قدم قال : غبت عن أول قتال قاتله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المشركين ، لئن أشهدني الله ـ عز وجل ـ قتالاً ليرين الله ما أصنع . فلما كان يوم أحد انكشف الناس . قال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ـ يعني المشركين ـ وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المسلمين ـ ثم مشي بسيفه فلقيه سعد بن معاذ . فقال : أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد ـ واهاً لريح الجنة ـ قال سعد : فما استطعت يارسول الله ما صنع . قال أنس : فوجدناه بين القتلي به بضع وثمانون جراحة بين ضربة بسيف وطعنة برمح ، ورمية بسهم . قد مثلوا به ، وقال : فما عرفناه حتي عرفته أخته ببنانه»[(١)] ..

كما أن حب الشهادة في سبيل الله للفوز بالجنة الموعودة للشهداء هو الذي حرّص صحابة رسول الله على القتال فدفعوا بأنفسهم إلى ميدان القتال ، وإن كانت كارهة أو بها بعض التردد ، فهم قد آمنوا أن الطريق إلى الجنة ونعيمها هو الجهاد في سبيل الله .. فأبلوا البلاء الحسن في ساحات الجهاد ، وضربوا أحسن الأمثلة في مجاهدة النفس والصبر على القتال .. كما يتضح من قصة عبدالله بن رواحة يوم «مؤتة» التي أخرجها أبونعيم عن ابن عباد بن عبدالله بن الزبير أنه قال : لما قتل زيد وجعفر ، أخذ ابن رواحة الراية ، ثم تقدم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه، ويردد بعد التردد ، ثم قال :

أقسمتُ يا نفسُ لتنزلنّه      لتنزلنّـــه أو لتكرهنّـــه
إذا جلب الناس وشدّوا الرنة      مالـي اراكِ تكرهينَ الجنّه

وقال عبدالله بن رواحة أيضاً ـ في غزوة مؤتة :

يانفسُ إلا تُقْتلـي تَموتـي      هذا حِمَامُ الموت قد صليتِ
وما تمنيت فقـد أُعطيـتِ      إن تفعلي فعلهمـا هُديـتِ

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ١٢١ ، ترجمة أنس بن النضر .

يعني صاحبيه زيداً وجعفراً .. ثم نزل ، فلما نزل أتاه ابن عمي بعظم من لحم فقال : شدّ بهذا صلبك ، فإنك قد لاقيت من أيامك هذه ما قد لقيت ، فأخذه من يده ، ثم انتهش منه نهشة ، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس . فقال : وأنت في الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم حتي قتل رضي الله عنه» (١) ..

وبهذا اليقين العميق بفوز الشهيد بجنات النعيم .. اندفع المسلمون إلى ساحات الجهاد ، يفتحون البلدان وينشرون كلمة الله العيا ، غايتهم واحدة هي الفوز بإحدي الحسنيين إما النصر وإما الشهادة .. فانتصارهم على الأعداء فوز بنشر كلمة الله .. وموتهم في الميدان فوز بالشهادة التي مآل صاحبها جنات الفردوس العليا .. ولذا كان أحدهم إذا طعن في سبيل الله أو قتل أعلن فوزه بالجنة .. كما أخرج البخاري عن أنس ـ رضي الله عنه قال ـ : «بعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقواماً من بني سليم إلي بني عامر في سبعين ، فلما قدموا ، قال لهم خالي : أتقدمكم ، فإن أمّنوني حتي أبلغهم عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وإلا كنتم مني قريباً ، فتقدم فأمّنوه ، فبينما يحدثهم عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ أومأوا الي رجل منهم فطعنه فأنفذه ، فقال : الله أكبر فزت ورب الكعبة ، ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجل أعرج صعد الجبل . قال همّام فأراه آخر معه ، فأخبر جبريل ـ عليه السلام ـ النبي ـ صلـي الله عليه وسلم ـ . أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم » (٢) ..

فنعيم الجنة الذي تحقق المسلمون فوز الشهداء به كان الدافع الذي يمد المجاهدين بالصبر والاستبسال .. بل إنه يمد أهل المصيبة بالصبر على البلاء ، واحتساب المثوبة من عند الله بجنات الخلود .. فقد أخرج البخاري عن أنس بن مالك : «أن أم الربيع بنت البراء ـ وهي أم حارثة بن سراقة ـ أتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقالت : يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة ـ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب ـ فإن كان في الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك ، اجتهدت عليه في البكاء ، قال : يا أم حارثة : إنها جنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى» (٣) ..

---

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٠ ، ترجمة عبدالله بن رواحة .
(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٢ ، كتاب الجهاد .
(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٢ ، كتاب الجهاد .

فتصور المسلمين للنعيم المقيم في الدار الآخرة كان الحاض لهم على الطاعة لله ـ سبحانه وتعالى ـ وللرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فكانوا مقتدين برسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في زهده وتقشفه وصبره على مشقة الحياة الدنيا أملاً في نعيم الآخرة .. كما كانوا مترفعين عن زينة الحياة الدنيا ، راغبين عنها ، لاتلتفت قلوبهم إلى شئ من متاع الدنيا تطلعاً إلى ما عند الله من النعيم الخالد ، كما أن تصور نعيم الجنة ومتاعها هو الذي كان يفتح أبواب الأمل ، والصبر على الابتلاء، إذ كان المسلمون الأوائل يبعث الأمل في نفوسهم تذكر نعيم الجنة الخالد عند ربهم، فيصبرون على البلاء ، ويحتسبون الأجر والمثوبة عند ربهم .. كما كان الدافع لهم للجهاد ونشر كلمة الله العليا رغبة فيما أعد الله للشهداء من نعيم الجنات ، فبذلوا النفس والمال غير مبالين بالحياة الدنيا .. بل مترفعين عنها ناظرين إلى الحياة الأبقي عند الخالق عز وجل ..

وقد انعكس تصورهم هذا لنعيم الجنة وتعلقهم به على الشعر الإسلامي ، فجاء ذكر الشعراء الإسلاميين للجنة ، أو وصفهم لها في إطار الحماس للجهاد ودفع النفس للقتال ، وتنفيرها من التعلق بالحياة الدنيا وزينتها .

كما جاء ذكر الجنة أو وصفها في إطار الرثاء ، وذلك لتصبير النفس المؤمنة على قضاء الله وقدره ، وبعث الرجاء والأمل فيها .. خاصة إذا أيقن المسلم أن مصير العزيز الذي فقده جنات النعيم عند ربه ..

لذا فإنه يلحظ أن أكثر الشعر الذي ورد فيه ذكر الجنة أو وصفها في عصر النبوة والخلفاء الراشدين كان في إطار التحريض على الجهاد في سبيل الله ، وفي إطار رثاء الشهداء في غزوات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي الفتوحات الإسلامية ..

أما ما ورد من شعر وصف الجنة في عصر بني أمية فإنه ورد أكثره في اطار رثاء الخوارج لشهدائهم .. وفي إطار الغزل .. وفي إطار مديح الخلفاء الأمويين .. ولعل ذلك يرجع إلى تطور عقلية الشاعر المسلم في هذا العصر ، وإلي ميل الكثير من الناس إلى الانغماس في الترف واللهو الذي انتشر في هذا العصر ..

# الفصل الثانى

## تصنيف الشعرآء الإسلاميين

## الذين وصفوا الجنة

وهو في مبحثين

المبحث الأول : شعراء عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين .

المبحث الثاني : شعراء العصر الأموي .

## المبحث الأول

## شعراء عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين

قبل دراسة الشعر الإسلامي الذي تأثر بوصف القرآن الكريم للجنة ينبغي أن نقسم هذا الشعر حسب العصور المقرر دراسته فيها ، لمعرفة الشعراء المنسوب إليهم .. وعدد الأبيات المنسوبة إلى كل شاعر ، ومعرفة الشعر المجهول النسبة منه .. والإشارة إلى المنحول منه .

### أولاً : شعراء الإسلام :

ينقسم شعر وصف الجنة في صدر الإسلام إلى قسمين : قسم قيل في عصر النبوة ، والآخر قيل في عصر الخلفاء الراشدين :

### ( أ ) شعراء عصر النبوة :

الشعراء الذين التفوا حول النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ودافعوا عن دعوته اشتهر منهم حسان بن ثابت ، وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك .. وهناك شعراء آخرون كان لهم دور في الدفاع عن الدعوة وتوضيح مفاهيم الدين الجديد .. وعند مراجعة شعر عصر النبوة تبين أن شعر وصف الجنة ورد في شعر حسان بن ثابت بكثرة ، ويتلوه في ذلك كعب بن مالك ، ثم عبدالله بن رواحة .. ثم عدد قليل من الشعراء الآخرين وردت لهم بعض الأبيات في وصف الجنة ..

### ١ ـ حسان بن ثابت [1]:

أكثر شعر حسان بن ثابت الذي ذكر فيه الجنة ونعيمها كان في رثاء النبي ـ

(١) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري ، أبوالوليد ، الصحابي شاعر النبي صلي الله عليه وسلم ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، عاش ستين سنة في الجاهلية ، ومثلها في الإسلام ، وكان من سكان المدينة ، وكان شديد الهجاء ، فحل الشعر . توفي في سنة ٥٤ هـ ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

عليه الصلاة والسلام ـ ورثاء الصحابة رضي الله عنهم .. قال حسان بن ثابت في رثاء النبي عليه الصلاة والسلام :

يارب فاجمعنا معاً ونبينا
في جنة تثني عيون الحسد

في جنة الفردوس واكتبها لنا
يا ذا الجلال وذا العلا والسؤدد [(١)]

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وليس هواي نازعاً عن ثنائه
لعلي به في جنة الخلد أخلد

مع المصطفى أرجو بذاك جواره
وفي نيل ذاك اليوم أسعي وأجهد [(٢)]

وقال حسان بن ثابت يرثي حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنهما :

فإن أباك الخير حمزة فاعلمي
وزير رسول الله خير وزير

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة
إلي جنة يرضي بها وسرور [(٣)]

وقال حسان في رثاء حمزة :

---

(١) ديوان حسان ج١ ص ٢٦٩ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤١٢.

(٢) ديوان حسان ج١ ص ٤٥٧ . شعر الدعوة الإسلامية في عصر النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٢١ .

(٣) ديوان حسان ج ١ ص ١٣٣ .

صلى عليكَ اللهُ في جنَّةٍ
عـاليـةٍ مُكرَمـةِ الدَّاخِلِ(١)

وقال حسان في رثاء حمزة :

فإنْ تذكروا قَتْلي وحمزةُ فيهمُ
قـتـيلُ ثوى للهِ وهو مُطيعُ
فـإنَّ جنانَ الخُلْدِ منزلهُ بهـا
وأمرُ الذي يقضي الأمورَ سَريعُ (٢)

وقال حسان يرثي سعد بن معاذ رضي الله عنهما :

علي مِلَّةِ الرحـمن وارِثَ جنةٍ
مع الشهداءِ وَفدُها أكرمُ الوفْدِ
فإن كان ريْبُ الدهر أمضاكَ في الأُولى
شَرَوا هذه الدنيا بجنّاتِه الخُلْدِ
فنِعْمَ مصيرُ الصَّادِقينَ إذا دُعوا
إلى الله يوماً للوجَاهةِ والقَصْدِ(٣)

وقال حسان بن ثابت في رثاء خبيب رضي الله عنهما :

فاذهبْ خُبَيْبُ جزاكَ اللهُ طيِّبةً
وجنَّةَ الخُلْدِ عند الحُورِ في الرُّفَقِ (٤)

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٢١ . شعر الدعوة الإسلامية ص ٤٤٦ .
(٢) ديوان حسان ج ١ ص ٣٣٨ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٢٥٠.
(٣) ديوان حسان ج ١ ص ٤١٥ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٥٤ ـ ٤٥٥ .
(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٣ . المرجع السابق ص ٣٣٨ .

وقال أيضاً يرثي خُبَيْباً رضي الله عنهما :

صَبْراً خُبَيْبُ فإنَّ القتلَ مكْرُمةٌ
إلي جِنانِ نعيمٍ يرجعُ النَّفَسُ (١)

وقال حسان بن ثابت يرثي أهل مؤتة ، زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبدالله بن رواحة رضي اللهم عنهم أجمعين :

فطَاعَنَ حتي ماتَ غيرَ مُوَسَّدِ
بمُعتَرَكٍ فيه القَنا يتكسَّرُ
فصار مع المستشهدين ثوابُهُ
جِنانٌ وملْتَفُّ الحدائقِ أخْضَرُ (٢)

وقال حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم :

وأنْذَرنَا ناراً وبشَّرَ جنَّةً
وعلَّمنا الإسلامَ فاللهَ نَحْمَدُ
لأنَّ ثوابَ اللهِ كُلَّ مُوَحِّدِ
جِنانٌ من الفِرْدوسِ فيها يُخلَّدُ(٣)

وقال حسان بن ثابت :

في كلِّ يَوْمٍ لنا أمْرٌ نفوزُ به
يُعطي الإلهُ عليهِ جنَّةَ الخُلْدِ (٤)

---

(١) ديوان حسان ج ١ ص ٢٧٧ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص٧٤
(٢) ديوان حسان ج ١ ص ٩٨ . شعر الدعوة الإسلامية ص ٤٦٨ .
(٣) ديوان حسان ج ١ ص ٣٠٦ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٤٤
(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٤٦٣ .

وقال أيضاً :

عليكَ سـلامُ ربِّكَ في جِنانٍ
مـخـالِطُهـا نعـيمٌ لايزُولُ [(1)]

وقال حسان يجيب عصماء بنت مروان وكانت تؤذي النبي عليه الصلاة والسلام:

فـأوْرَدَكَ اللـهُ بَـرْدَ الجِنـانِ
جَـذْلانَ في نِعـمـةِ المَوْلِجِ [(2)]

وقال حسان بن ثابت في يوم بدر :

وسَعْدٌ فأضْحَوا في الجنان وأوْحشَتْ
مَنَازِلُهَـم والارضُ منهـم بـلاقِعُ [(3)]

وقال حسان بن ثابت في يوم بني قريظة :

فـصـارَ المؤمنونَ بدارِ خُلْدِ
أقـام لهم بهـا ظِلٌّ ظَليلُ [(4)]

ويلحظ أن الأبيات التي ورد فيها ذكر الجنة في شعر حسان بن ثابت بلغت عشرين بيتاً ، اثنان منها ورد فيها اسم الجنة مجرداً من الوصف والإضافة ، وثمانية أبيات ورد فيها اسم الجنة مضافاً إلى الخلد أو الفردوس أو النعيم ، وثمانية أبيات وصفت فيها الجنة بأوصاف مجملة .. مع ملاحظة أن أبيات حسان بن ثابت وردت مفردة وموزعة على القصائد .. لم تأت في قصائد مستقلة أو في مقطعات .. ولم تأت الأوصاف للجنة مفصلة بل إن الصفات التي ذكرها للجنة جاءت عامة كوصف الجنة

---

(1) ديوان حسان ج ١ ص ٥٠٤ .
(2) ديوان حسان ج ١ ص ٢٧٧ .
(3) ديوان حسان ج ١ ص ٢٦٧ .
(4) ديوان حسان ج ١ ص ٣٢٧ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٣٦٢.

بأنها تنبي عيون الحسّد ، وفيها الرضا والسرور ، وأنها عالية مُكْرَمَة الداخل ، وأن وفدها أكرم الوفد ، وأنها خضراء ملتفة الحدائق ، وأن نعيمها دائم لايزول ، وأن أهلها يفرحون بما فيها من نعمة وراحة ، وأنها دار الخلد ذات الظِلال .. وهذه الصفات للجنة لم تفصل في ألوان المتاع الذي أُعدّ لأهل الجنة ، ولم تُفصَل في ذكر الطعام والشراب واللباس والسكن والفراش المعدّ لأهلها ..

## ٢ـ كعب بن مالك (١):

ورد وصف الجنة في شعر كعب بن مالك في رثائه للصحابة الشهداء في غزوات النبي عليه الصلاة والسلام ، وخاصة غزوة بدر وأحد والخندق ..

قال كعب بن مالك في رثاء شهداء أحد رضي الله عنهم أجمعين :

وقــتــلاهم في جِنانِ النعـيمِ
كِــرَامُ المداخلِ والمخْــرَجِ
كــذلك حــتي دعــاهم مليكٌ
إلي جَّنةِ دَوْحِــــــةِ المَولِجِ
ونعــمــانُ أوفي بميــثــاقـِهِ
وحنظلةُ الخــيــرِ لم يُخْنجِ
عن الحَقّ حــتي غَــدَتْ روحــه
إلي منزلٍ فــاخــرِ الزّبْرَجِ (٢)

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنهما :

---

(١) كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري السلمي الخزرجي : صحابي من أكابر الشعراء من أهل المدينة ، اشتهر في الجاهلية ، وكان في الإسلام من شعراء النبي صلي الله عليه وسلم، وشهد أكثر الوقائع ، ثم كان من أصحاب عثمان وأنجده يوم الثورة ولما قتل عثمان قعد عن نصرة علي فلم يشهد حروبه وعمي في آخر عمره ، توفي سنة ٥٠ هـ .
ترجمته في الأعلام ج ٥ ص ٢٢٨.

(٢) ديوان كعب بن مالك ص ١٨٧ ، ١٨٨ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٦٠ ، ٤٦١ .

شـتــانَ من هو في جــهنّم ثاوياً

أبداً ومن هو في الجِنانِ مُــخلَّدُ (١)

وقال كعب في رثاء حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنهما :

عليكَ ســـلامُ ربِّك في جِنانٍ

مُـخـالِطُهــا نعـيمُ لايَزُولُ(٢)

وقال كعب بن مالك في يوم بدر :

لأنّا عَـبَـدْنا اللهَ لم نَرجُ غـيـرَهُ

رجـاءَ الجِنانِ إذْ أتانا زعـيـمُـهـا(٣)

وقال كعب في يوم أحد :

فــحلُّوا جِناناً وأبقــوا لكم

أُســوداً تُحـامي عنِ الأشـبُلِ(٤)

وقال كعب بن مالك يرد على ضرار بن الخطاب في يوم الخندق :

فـإمّـا تقـتلوا سَعْـداً سـفَـاهاً

فــإن اللهَ خـيــرُ القــادِرِينا

ســيُــدخِلهُ جِناناً طيِّــبـاتٍ

تكونُ مـقــامـةً للصــالحـينا(٥)

---

(١) المصدر السابق ص ١٩١ . المرجع السابق ص ٤٤٩ .

(٢) ديوان كعب بن مالك ص ٢٥٢ . وقد ورد البيت في ديوان حسان ج ١ ص ٥٠٤ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٤٥ منسوبا لكعب أو لعبد الله بن رواحة .

(٣) ديوان كعب بن مالك ص ٢٦٦ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص٧١

(٤) ديوان كعب بن مالك ص ٢٥٤ . شعر الدعوة الإسلامية ص ٢٧٥ .

(٥) ديوان كعب بن مالك ص ٢٨٠ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

ويلحظ أن أبيات كعب بن مالك رضي الله عنه التي ورد فيها وصف الجنة قد بلغت ثمانية أبيات خمسة أبيات منها ورد فيها اسم الجنة مضافاً إلى وصف للجنة ، أو موصوفاً بصفة عامة مجملة من صفات الجنة ، حيث وصف الجنة بالنعيم ، وأنها كرام المداخل والمخرج ، وأنها دوحة المولج ، وأنها منزل فاخر الزبرج ، وأنها مخالطها نعيم لايزول ، وأنها جنان طيبات . وورد في ثلاثة أبيات من شعره اسم الجنة مجرداً من الوصف والإضافة وبصيغة الجمع «جنان» . كما يلحظ على أبيات كعب بن مالك في وصف الجنة أنها جاءت مفردة وموزعة على القصائد التي قالها في رثاء الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أجمعين . إلا ثلاثة أبيات منها فإنها جاءت موزعة في قصيدة واحدة قالها في رثاء شهداء أحد رضي الله عنهم ..

### ٣ ـ عبدالله بن رواحة (١):

لم يرد وصف الجنة في شعر عبدالله بن رواحة كثيراً ، حيث ورد فيه ثلاثة أبيات فيها ذكر الجنة ، منها بيت واحد تكرر ذكره في شعر حسان بن ثابت ، وشعر كعب بن مالك ، وشعر عبدالله بن رواحة . والبيتان الآخران وردا في أرجوزة له .

قال عبدالله بن رواحة يبكي حمزة رضي الله عنهما :

عليكَ سـلامُ ربِّك في جِنانٍ
مـخـالِطُهـا نعـيمٌ لايَزُولُ (٢)

وقال عبدالله بن رواحة مخاطباً نفسه :

---

(١)عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، أبومحمد : صحابي يعد من الأمراء والشعراء الراجزين . كان يكتب في الجاهلية ، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار ، وكان أحد النقباء الإثني عشر ، وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية ، واستخلفه النبي صلي الله عليه وسلم في إحدي غزواته ، وصحبه في عمرة القضاء ، وكان أحد الأمراء في واقعة مؤتة فاستشهد فيها سنة ٨ هـ . الأعلام ج ٨ ص ٨٦ .

(٢) ديوان عبدالله بن رواحة الخزرجي ص ٩٨ .

إنْ أجْلَبَ الناسُ وشـــدُّوا الرنّه [1]

مــــا لي أراكِ تكرهينَ الجنهْ

هل أنتِ إلا نطفـــةٌ في شَنَّهْ [2]

جـعـفـر ، مـا أطيبَ ريحَ الجنهْ [3]

ويلحظ أن شعر عبدالله بن رواحة في وصف الجنة قد جاء مجملاً في بيت واحد من العجيب أنه نسب له ولحسان بن ثابت ولكعب بن مالك ، وفيه أن الجنة يخالطها نعيم لايزول . وذكر لفظ الجنة مجرداً من الوصف والإضافة في بيت واحد بلفظ «الجنة» مفرداً . ووصف ريح الجنة بالطيب في بيت واحد فقط .

## ٤ ـ عبيدة بن الحارث [4]:

ورد ذكر الجنة في شعر عبيدة بن الحارث في بيت واحد من أبيات قالها يوم بدر:

إنْ تقطعـوا رجلي فـإني مـسلمُ

أعـيشُ بهـا عـيـشاً من اللهِ دانيـا

---

(١) الرنة : الصوت .

(٢) الشنة : القربة البالية الصغيرة .

(٣) ديوان عبدالله بن رواحة الخزرجي ص ١٠٨ وليس فيه البيت الأخير شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٦٤ .

(٤) عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب بن مناف ، أبوالحارث : من أبطال قريش في الجاهلية والإسلام، ولد بمكة وأسلم قبل دخول النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ دار الأرقم . وعقد له النبي ثاني لواء عقده بعد أن قدم المدينة . وبعثه في ستين راكباً من المهاجرين ، فالتقي بالمشركين وفيهم أبوسفيان بن حرب ، وكان هذا أول قتال جري في الإسلام ثم شهد بدراً وفيه استشهد سنة ٢ هـ . الأعلام ج ٤ ص ١٩٨ .

مع الحورِ أمثال التماثيلِ أُخلصَتْ

مع الجنةِ العُلْيا لمن كان عَاليا[1]

وفي هذا البيت وصف للجنة فيه شئ من التفصيل ، حيث ذكر حور الجنة ووصفهن بأنهن أمثال التماثيل ، ووصف الجنة بعلو المكانة والشأن وأنها لاينالها إلا من كان عالي الشأن عند ربه .

## ٥ ـ جعفر الطيار[2]:

قال جعفر الطيار في وصف الجنة :

ياحَبذا الجنَّةَ واقترابُها

طيبةً وبارداً شرابُها[3]

ويلحظ في هذين البيتن أنه يصف الجنة بأنها عالية لايرقي إليها إلا الصابرون في الله .. وأن كل ما فيها طيب ، وأن شرابها بارد ..

## ٦ـ صفية بن عبدالمطلب[4] :

ورد وصف الجنة في شعر صفية بنت عبدالمطلب في رثاء النبي صلى الله عليه

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٢٧٣ . مع شعر الدعوة الإسلامية د. طه عبدالفتاح مقلد ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٢) جعفر بن أبي طالب عبدمناف بن عبدالمطلب بن هاشم : صاحبي هاشمي من شجعانهم وهو أخو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وكان أسن منه بعشر سنين . وهو من السابقين للإسلام، وهاجر إلي الحبشة الهجرة الثانية ، فلم يزل فيها إلي أن هاجر النبي صلي الله عليه وسلم إلي المدينة فقدم عليه جعفر وهو بخيبر سنة ٧ هـ . وحضر غزوة مؤتة ، وفيها قطعت يمناه فحمل الراية باليسري فقطعت أيضاً ، فاحتضن الراية إلي صدره وصبر حتي استشهد فيها سنة ٨ هـ . وفي جسمه نحو تسعين طعنة ورمية . ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ١٢٥ .

(٣) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٨٠ .

(٤) صفية بنت عبدالمطلب بن هاشم : سيدة قرشية ، شاعرة باسلة ، وهي عمة النبي صلي الله عليه وسلم ، أسلمت قبل الهجرة ، وهاجرت إلي المدينة ، لها مراث عديدة ، وفي شعرها جودة، ماتت في المدينة سنة ٢٠ هـ ، الأعلام ج ٣ ص ٢٠٦ .

وسلم ، ورثاء أخيها حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنهما .

قالت صفية بنت عبدالمطلب ترثي الرسول عليه الصلاة والسلام :

عَليكَ من اللهِ السـلامِ تحيـةٌ

وأُدخِلْتَ جنَاتٍ من العَدْنِ راضيا[1]

وقالت صفية في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم :

رضىَ اللهُ عنه حيّـاً وميَتـاً

وجـزاه الجِنانَ يومَ الخلُودِ[2]

وقالت صفية في رثاء أخيها حمزة بن عبدالمطلب :

فإنْ أباك الخيرَ حمزةَ فاعلمى

وزيرَ رسولِ اللهِ خيرَ وزيرِ

دعـاه إله الخَلْقِ ذو العـرشِ دعـوةً

إلي جنَّةٍ يرضي بها وسُرورِ[3]

فقد ورد اسم الجنة في بيت واحد مجرداً من الوصف والإضافة بصيغة الجمع «الجنان» ، وورد في البيت الآخر اسم الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم «جنات» متعلقاً بالجار والمجرور «من العدن» ، مع وصف الجنة بأن من دخلها رضي عن كل ما فيها من ألوان المسرات . أما البيت الثالث فإن الجنة وصفت فيه بصفة عامة مجملة تبين أن الجنة فيه الرضا والسرور .

---

(١) شاعرات العرب ، جمع وتحقيق عبدالبديع صقر ص ٢٠٥ .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٠٥ .

(٣) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٥٠ ، وفيه نسبهما المحقق لصفية أو لحسان مرجحاً أنهما لصفية . وقد ورد البيتان في ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ١٣٣ . وانظر شاعرات العرب ص ٢٠٤ . مع شعر الدعوة الإسلامية د. طه مقلد ص ٣٩ .

## ٧ـ عمّار بن ياسر (١):

قال عمار بن ياسر في وصف الجنة :

إنـهـم عِـنْـدَ ربِّـهـم فـي جِـنـانِ
يشـربون الرحـيقَ والسلسـبيـلا
من شـرابِ الأبرارِ خـالَطَهُ المِسْـ
ـسكُ وكأساً مِزاجُها زنجبيلا(٢)

فقد وصف الجنة وصفاً فيه تفصيل في أنواع الشراب الموجود فيها وصفته ، حيث بين أن الشهداء في الجنة يشربون العسل المصفي والماء العذب والخمر المعدّ للأبرار مخلوطاً بالمسك في كؤوس طعمها طعم الزنجبيل .. وهو في هذا الوصف واضح التأثر بوصف شراب أهل الجنة الوارد في القرآن الكريم ..

## ٨ ـ الخنساء (٣):

ورد وصف الجنة في بيت واحد من شعر الخنساء قالته في الرثاء :

إذْهبْ حـريـاً جـزاكَ اللهُ جنَّتـهُ
عنّا وخُلِّدْتَ في الفِرْدَوسِ تَخْلِيدا (٤)

---

(١) عمار بن ياسر بن عامر الكناني : أبو اليقظان ، صحابي من الولاة الشجعان ذوي الرأي ، وهو أحد السابقين إلي الإسلام والجهر به ، هاجر إلي المدينة وشهد بدراً وأحداً والخندق والرضوان ، وهو أول من بني مسجداً في الإسلام ، وشهد الجمل وصفين مع علي وقتل في الثانية وعمره ثلاث وتسعون سنة ٣٧ هـ . الأعلام ج ٥ ص ٣٦ .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٧٤ .

(٣) تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد : أشهر شواعر العرب ، من أهل نجد ، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي ، وأدركت الاسلام فأسلمت ، ووفدت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وكان يستنشدها ويعجبه شعرها ، توفيت سنة ٢٤ هـ . الأعلام ج ٢ ص ٨٦ .

(٤) شرح ديوان الخنساء ص ٢٠ .

ويلحظ أن الخنساء ذكر الجنة باسمها مجرداً من الوصف ، وذكرت من أسماء الجنة الفردوس ، وبينت أن الجنة دار الخلود ..

## ٩ـ هند بن الحارث بن عبدالمطلب[١] :

ورد وصف الجنة في بيت واحد من شعر هند بنت الحارث الذي قالته في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالت :

ثم وليَّ عنّا فـقـيـداً حـمـيـداً
فـجـزاهُ الجِنانَ ربُّ العِـبـادِ[٢]

وقد ذكر الجنة بالاسم المجرد عن الوصف والإضافة بصيغة الجمع «الجنان» وهذه الصفة لم ترد في القرآن الكريم ..

## ١٠ـ أروي بنت عبدالمطلب [٣]:

ورد في شعر أروي بنت عبدالمطلب بيت واحد فيه ذكر الجنة ، قالت أروي بنت عبدالمطلب في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم :

عليكَ من اللهِ السـلامِ تحـيـةُ
وأُدخِلْتَ جنَّاتٍ من العـدْنِ راضيـا[٤]

---

(١) هند بنت الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم بنت عم النبي صلي الله عليه وسلم : أنشد لها محمد بن سعد في وفاة النبي صلي الله عليه وسلم مرثية : الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ج ٤ ص ٤٠٧ .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٠٦ .

(٣) أروي بنت عبدالمطلب بن هاشم القرشية : عمة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وإحدي فضليات النساء في الجاهلية والإسلام ، كانت راجحة الرأي تقول الشعر الجيد ، أدركت الإسلام فأسلمت وعمرت الي خلافة عمر بن الخطاب ، توفيت نحو ١٥ هـ الأعلام ج ١ ص ٢٩٠

(٤) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٣٩٠ . شاعرات العرب ، عبدالبديع صقر ص ٦

وقد ورد هذا البيت فيما قبل منسوباً إلى صفية بنت عبدالمطلب [1]، وفي ورد ذكر الجنة بصيغة الجمع «جنات» متعلقاً بالجار والمجرور «من العدن» . بحيث تختلف هذه الصياغة مع ما ورد في القرآن من إضافة الجنات إلى العدن ..

## ( ب ) شعراء عصر الخلفاء الراشدين:

عاش معظم شعراء الخلفاء الراشدين في عصر النبوة ، وشاركوا في حروب الردة والفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين .. وكان أعظم شعرهم الذي ورد فيه وصف الجنة تحميسا للجهاد أو رثاء للشهداء .. وعند دراسة شعرهم في وصف الجنة تبين أنه أبيات مفردة توزعت على قصائدهم أو مقطعاتهم من القصيد أو الرجز.

### ١ ـ ضرار بن الأزور [2]:

قال ضرار بن الأزور :

الموتُ حَقٌّ أين لي من المفـــرْ ؟
وجنّةُ الفِـرْدوسِ خيـرُ المستـقـرْ [3]

فقد ذكر اسم الجنة مضافاً إلى الفردوس ، ووصفها بأنها خير مستقر للمؤمنين الشهداء في بيت واحد من الشعر الحماسي .

---

(١) انظر صحيفة ٤٢٩ فيما سبق .

(٢) ضرار بن مالك الأزور : أحد أبطال الجاهلية والإسلام ، وكان شاعراً مطبوعاً له صحبة ، قاتل يوم اليمامة أشد قتال ، حتي قطعت ساقاه ، فجعل يحبو علي ركبتيه ويقاتل والخيل تطأه . مات بعد اليمامة بأيام سنة ١١هـ ، الأعلام ج ٣ ص ٢١٥ .

(٣) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٧٨ .

## ٢ـ خالد بن الوليد (١):

قال خالد بن الوليد :

عسي أري غداً مقامَ مَنْ صَدقْ

في جنّةِ الخُلدِ وألقي مَنْ سَبقْ(٢)

فقد ذكر خالد بن الوليد اسم الجنة مضافاً إلى الخلد ، كما بين أنها مقام من صدق الله ، متأثراً بالقرآن الكريم ، وذلك في بيتين من الرجز قالهما في الحماس للجهاد .

## ٣ ـ عمرو بن معد يكرب (٣):

قال عمرو بن معد يكرب :

واخطبوا الحُورَ إلي الله بقتالِ القادسيهْ

كي تنالوا الفوزَ قِدْماً في غُدوٍّ وعشيهْ(٤)

بين عمرو بن معد يكرب في بيتن من شعره قالهما في التشجيع للجهاد في سبيل الله شيئاً من أوصاف الجنة ، حيث ذكر أن للشهداء في الجنة الحور العين والفوز العظيم الذي ينعمون فيه صباحاً وعشية .. متأثراً بالقرآن الكريم .

---

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، سيف الله الفاتح الكبير ، الصحابي ، كان من أشراف قريش في الجاهلية ، أسلم قبل فتح مكة سنة سبع للهجرة ، فسر به رسول الله صلي الله عليه وسلم . وجهه أبوبكر لقتال مسيلمة ومن ارتد معه من أعراب نجد ، توفي سنة ٢١ هـ . الأعلام ج ٢ ص ٣٠٠ .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٥٧ .

(٣) عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، فارس اليمن وصاحب الغارات ، وفد علي المدينة سنة تسع للهجرة في عشرة من قومه فأسلم وأسلموا . ارتد عمرو في اليمن بعد وفاة النبي صلي الله عليه وسلم ثم رجع إلي الإسلام . وشهد اليرموك والقادسية عنده شجاعة وله شعر جيد ، توفي سنة ٢١هـ .

(٤) شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، جمع وتحقيق مطاع الطرابيشي ص ١٨٠ .

## ٤ـ القعقاع بن عمرو التميمي [١] :

قال القعقاع بن عمرو في الرجز الحماسي :

أُزْعِجهُمْ عَمْداً بها إزعاجا

أَطْعَنُ طَعْناً صائبًا ثَجّاجًا

أرجو به من جَنَّةٍ أفواجا[٢]

فقد ذكر الجنة في بيت واحد من رجزه الحماسي : ذكر اسم الجنة مجرداً من الوصف والإضافة بصيغة الإفراد :

## ٥ـ سحيم عبد بني الحسحاس [٣]:

قال سحيم عبد بني الحسحاس :

كواعِبَ أتراب لهنَّ بشاشةٌ

إذا عَلِقَتْ شيئاً فليس يريمُ [٤]

ويلحظ أن سحيماً تأثر بوصف القرآن الكريم لنساء الجنة ، فقال «كواعب أتراب» يريد بهن النساء من أهل الحياة الدنيا ، متأثرا بأسلوب القرآن .

---

(١) القعقاع بن عمرو التميمي : أحد فرسان العرب وأبطالهم في الجاهلية والإسلام ، له صحبة ، شهد اليرموك وفتح دمشق وأكثر وقائع أهل العراق ، سكن الكوفة وأدرك وقعة صفين فحضرها مع علي ، كان شاعراً فحلاً توفي نحو ٤٠هـ . الأعلام ج ٥ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ .

(٢) شعراء إسلاميون ، د. نوري حمودي القيسي ص ٣١ ـ ٣٢ .

(٣) سحيم عبد بني الحسحاس : شاعر رقيق ، كان عبداً نوبياً أعجمي الأصل ، اشتراه بنو الحسحاس ، فنشأ فيهم ، ولد في أوائل عصر النبوة ، رآه النبي صلى الله عليه وسلم وكان يعجبه شعره ، عاش إلى أواخر أيام عثمان ، قتله بنو الحسحاس لتشبيبه بنسائهم نحو ستة ٤٠ هـ . الأعلام ج ٣ ص ٧٩ .

(٤) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، تحقيق عبدالعزيز الميمني ص ٣٧ .

## ٦ـ الحطيئة [١] :

قال الحطيئة يمدح سعيد بن العاص :

أنابتْ إلى جنّاتِ عَـدْنٍ نفـوسُـهم
ومـابَعْـدَهَا للصـالحينَ حُـتُـوفُ [٢]

فالحطيئة يذكر في بيت واحد من شعره اسم الجنة بصيغة الجمع «جنات» مضافاً إلى العدن ، متأثراً في ذلك بأسلوب القرآن الكريم .

## ٧ـ النابغة الجعدى [٣] :

قال النابغة الجعدي :

فـــأَدْخَلَكَ اللـهُ بـرْدَ الجنَـا
نِ جَـذْلانَ في مَـدْخَلٍ طَيِّبِ [٤]

وقال النابغة أيضاً :

هاجـروا يطلبـونَ مـا وَعـدَ اللـ
ـهُ فـبـانوا وجـارُهم غـيـرُ قـالِ
فـســلامُ الإلهِ يغـدو عليـهم
وفـيـوءِ الفِـردوسِ ذاتِ الظِّلالِ [٥]

---

(١) جرول بن أوس بن مالك ، أبو مليكة : شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، كان هجاءً عنيفاً ، أكثر من هجاء الزبرقان بن بدر فشكاه إلي عمر بن الخطاب فسجنه بالمدينة حتي استعطفه بأبيات فأخرجه ، توفي نحو سنة ٤٠هـ . الأعلام ج ٢ ص ١١٨ .

(٢) ديوان الحطيئة من رواية ابن حبيب ص ٨٤ .

(٣) قيس بن عبدالله بن عدس بن ربيعة الجعدي : صحابي من المعمرين ، وكان ممن هجر الأوثان ونهي عن الخمر قبل ظهور الإسلام ، وفد علي النبي صلي الله عليه وسلم فأسلم وأدرك صفين فشهدها مع علي ، وسيّره معاوية إلي أصبهان فمات فيها نحو ٥٠ هـ . الأعلام ج ٥ ص ٢٠٧ .

(٤) شعر النابغة الجعدي ، الطبعة الأولي ١٣٨٤ هـ ص ٣٣ .

(٥) المرجع السابق نفسه ص ٢٣١ .

فقد ذكر النابغة الجعدي الجنة في بيتين من شعره ، حيث ذكر اسم الجنة بصيغة الجمع «الجنان» مضافاً إليه قوله «برد» ، مبيناً أن مدخل الجنة طيب وأن من دخلها فرح بما فيها . وذكر الجنة في البيت الآخر باسم الفردوس مضيفاً إليها «فيوء» مع وصفها بأنها ذات ظلال ، مبيناً أن أهل الجنة ينعمون فيها بتسليم الله ـ عز وجل ـ عليهم مع ما في الجنة من ألوان النعيم .

## ٨ـ أبو زبيد الطائي (١):

قال أبو زبيد الطائي يرثي على بن أبي طالب رضي الله عنه :

حُـمَّتْ ليـدخُلَ جنَّاتٍ أبو حـسن
وأُوجِـبتْ بعـدهُ للقـاتلِ النارُ(٢)

ذكر أبوزيد الطائي الجنة في بيت واحد من شعره ، حيث ورد اسم الجنة بصيغة الجمع «جناتٍ» مجرداً من الوصف والإضافة .

## ٩ـ معن بن أوس المزني (٣):

قال معن بن أوس :

جَـزاكَ اللهُ ياعُـمـرَ بن حَـفْصٍ
عَنِ الإخْـوانِ جنَّاتِ النعـيـمِ(٤)

---

(١) حرملة بن المنذر بن معدي كرب : شاعر معمر عاش في الجاهلية والإسلام ووفد علي أمير المؤمنين عثمان أكثر من مرة وكان يدنيه منه لعلمه . الأعلام ج٢ ص ١٧٤ .
(٢) شعراء إسلاميون ، د. نوري حمودي القيسي ص ٦١٢ .
(٣) شاعر فحل من مخضرمي الجاهليه والإسلام ، له مدائح في جماعة من الصحابة ، رحل إلي الشام والبصرة وكف بصره في أواخر أيامه ، له أخبار مع عمر بن الخطاب ، وكان معاوية يفضله ، مات في المدينة سنة ٦٤هـ ، وله ديوان شعر . الأعلام ج ٧ ص ٢٧٣.
(٤) شعر معن بن أوس المزني ، جمع وتحقيق : عمر محمد سليمان القطان ، الطبعة الأولي ص ٢٧٣.

فقد ذكر معن بن أوس الجنة في بيت واحد من شعره ، فذكر اسم الجنة بصيغة الجمع «جنّات» مضافاً إلى النعيم .. متأثراً في ذلك أسلوب القرآن الكريم ..

## ١٠ـ النعمان بن بشير الأنصاري [١] :

قال النعمان بن بشير :

وقفَ الناسُ للحسابِ جميعاً
فشقيٌ معذَّبٌ وسعيدُ
والنَّبيُّون عنده بمكانٍ
في علاءٍ والصالحونَ قُعودْ [٢]

وقال النعمان بن بشير الأنصاري :

سَيَجْعَلُ جنّاتِ النعيمِ لباسَكم
إذا ما التقيتم أيُّكم كان أسْعَدا
ثواباً بما كانوا إلى الله قدَّموا
يُحلَّوْنَ فيها لؤلؤاً وزَبَرْجَدا
لهم ما اشتهتْ فيها النفوسُ ولذّةُ
العيونِ فكانتْ مستقراً ومَقْعدا [٣]

---

(١) النعمان بن بشير بن سعد الخزرجي الأنصاري ، أمير خطيب شاعر من أجلاء الصحابة ، من أهل المدينة ، شهد صفين مع معاوية ، وولي له اليمن والكوفة وحمص ، وتوفي سنة ٦٥ هـ . الأعلام ج ٨ ص ٣٦ .

(٢) شعر النعمان بن بشير الأنصاري ، تحقيق وتقديم د. يحيى الجبوري ص ٩٠ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٧ .

(٣) شعر النعمان بن بشير الأنصاري ص ٩٦ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٢٠ .

فقد ذكر الجنة في أربعة أبيات من شعره ، حيث اكتفي بذكر وصف الجنة بأنها عالية في البيت الأول منها ، وبين أن من حظي بهذا المكان العالي نجا وأفلح .. ثم فصّل في الأبيات الثلاثة الأخري في وصف الجنة بعد أن ذكر اسمها بصيغة الجمع مضافاً إلى النعيم ، فذكر أن المتقين يسعدون إذا ما نالوا شرف الدخول في جنات النعيم ، وأنهم يحلّون فيها اللؤلؤ والزبرجد ، وينالون كل ما اشتهت النفوس ولذة الأعين في دار القرار والخلود .. وهذه أوصاف مفصلة للجنة تأثر فيها النعمان بن بشير بوصف القرآن الكريم لها ، فكانت أبياته الثلاثة هذه من أكثر الشعر الإسلامي في عهد النبوة والخلفاء الراشدين توضيحاً لتأثير القرآن الكريم في وصف الشعراء الإسلاميين للجنة كما أن أبيات النعمان بن بشير الثلاثة هذه وردت متتالية في قصيدة واحدة ، ولم تأت موزعة على عدة قصائد» أو موزعة في القصيدة الواحدة، كما سبق في أبيات الشعراء الآخرين ..

## ١١ ـ ناجية بن جندب [١]:

قال ناجية بن جندب :

يالِعبادِ الله فيمَ يُرْغَبُ

ما هو إلا مأكل ومَشْرَبُ

وجنَّةٌ فيا نعيمٌ مُعْجِبُ [٢]

ذكر ناجية بن جندب الجنة في بيتين من رجزه الحماسي ، مبيناً أن كل ما فيها من المآكل والمشرب وألوان النعيم كلها سار معجب ، فوصفها وصفاً عاماً مجملاً فيه إشارة إلى الطعام والشراب والنعيم الموجود فيها .

---

(١) ناجية بن جندب السُّلمي أو الأسلمي : صحابي كان صاحب بدن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، كان اسمه ذكوان فسماه النبي صلي الله عليه وسلم ناجية حين نجا من قريش ، توفي في خلافة معاوية رضي الله عنهما . الإصابة ج ٣ ص ٥١٢ .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

## ١٢ ـ عدى بن وداع [١]:

قال عدي بن وداع :

لاعيشَ إلا الجنةُ المخضرَّة

من يدخلِ النار يُلاقي ضُرَّهْ[٢]

وصف عدي بن وداع الجنة في بيت واحد من رجزه بصفة عامة تبين أن الجنة متميزة بالإخضرار ، ومقارناً بين المعيشة فيها التي فيها الرضي والسعادة والمعيشة في النار التي فيها الضر والأذي ..

## ١٣ ـ حكيم بن قبيصة الضبَي [٣]:

قال حكيم بن قبيصة يعاتب ابنه :

فما جنةُ الفِرْدوْسِ هاجرتَ تبتغى

ولكن دعاكَ الخُبزُ أحسِبُ والتمرُ[٤]

ذكر حكيم بن قبيصة اسم الجنة بصيغة الإفراد مضافاً إلى الفردوس ..

## ١٤ ـ جميل بن سعيد [٥]:

قال جميل بن سعيد :

---

(١) عدي بن وداع بن العتق الدوسي : معمّر ذكره السجستاني في المعمرين ، وقال عاش ثلثمائة سنة، أدرك الإسلام فأسلم وغزا . الإصابة ج ٢ ص ٤٦٥ .

(٢) المعمرون والوصايا . لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق عبدالمنعم عامر ص ٤٨ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٥٢١ .

(٣) كان ممن شهد يوم الكلاب الثاني ، وهو الذي قتل ابن لبيد الحماسي الكاهن ، ولعل حكيماً أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقد كان له ابن اسمه بشر فارقه فأنشد هذه الأبيات يعاتبه بها . الحماسة لأبي تمام ج ٢ ص ٣٨٩ الهامش ،

(٤) ديوان الحماسة لأبي تمام ج ٢ ص ٣٨٩ .

(٥) لم أجد ترجمة له .

ولستُ أبالي إن قُـــتِلْتُ ، لأنني

أُرَجِّي بقــتلي في الجِنانِ مـقـامي[1]

ذكر جميل بن سعيد اسم الجنة بصيغة الجمع «الجنان» في بيت واحد من شعره الحماسي ، ولم يصفها بصفة ، وإنما بَين أن المجاهدين في سبيل الله يرجون دخولها لما فيها من طيب المقام ..

## ١٥ ـ جُنْدب بن عامر الطفيل [2]:

قال جُندب بن عامر الطفيل :

فـــإنَّ الخُـلْـدَ في الجنَّاتِ حَقٌ

تُبـــاحُ لكل مِـــقْـــدامٍ سليمِ[3]

يذكر جندب بن عامر الطفيل في بيت واحد من شعره اسم الجنة بصيغة الجمع «الجنات» مبيناً أن الخلد فيها حق لكل مجاهد في سبيل الله .

## ١٦ ـ نجم بن مفرّح [4]:

قال نجم بن مفرّح :

ولله في عَــرْضِ الســمــاوات جنَّةٌ

ولكنهــا مــحْــفــوفــةٌ بالمكاره[5]

ذكر نجم الدين بن مفرح اسم الجنة بصيغة الإفراد «جنة» في بيت واحد من شعره مبيناً أنها محفوفة بالمكاره متأثرا بنص الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه مسلم

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٨٣
(٢) لم أجد له ترجمة
(٣) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٥٥٠
(٤) لم أجد ترجمة له
(٥) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٦٩

عن أنس بن مالك : «حُفَّت الجنةُ بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات» [١] .

## ١٧ ـ ابن الخنساء الشاعرة [٢] :

قال ابن الخنساء الشاعرة قبل أن يستشهد ، وهو الشهيد الثاني :

أو مــيــتــةٍ تورِثُكم غَنْمَ الأَبدْ

في جنَّةِ الفـردوسِ والعـيش الرَّغـد[٣]

فالشاعر في بيتيه من الرجز الحماسي يذكر اسم الجنة بصيغة الإفراد مضافاً إلى الفردوس مبيناً أن الجنة هي الغنم الأبدي الذي يسعي الشهداء المؤمنون للحصول عليه لما فيه من العيش الرغيد .

### (جـ) الشعر المجهول النسبة :

(١) قال الشاعر المجهول :

أقــســمتُ بالله يميناً صــادقــا

لاتركنَّ البــيضَ فــوق المرتقى

وأدخُلَ الجنةَ دار الملتــــقي [٤]

يذكر هذا الشاعر المجهول اسم الجنة وصفاً لها بأنها الدار التي يلتقي فيها المؤمنون الصابرون الشهداء ، الذين يتركون لأجلها كل مافي الدنيا من أنواع المسرات .

(٢) قال الشعر المجهول :

أجــيــبــا إلى داعي الهُــدي وتبــوّآ

من اللهِ في الفِــرْدوسِ جنَّةَ عَــارفِ

(١) صحيح مسلم بشرح النوي ١٦٥/١٧ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها .

(٢) لم أجد ترجمة له .

(٣) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٧٠ .

(٤) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٧٦ .

فـإنَّ ثوابَ اللهِ للطالب الهُـدى

جنانٌ من الفـردوسِ ذاتِ رفـارفِ[1]

يبين الشاعر المجهول في بيتيه شيئاً من الصفات المفصلة للجنة ، حيث ذكر في البيت الأول اسم الجنة بصيغة الإفراد «جنة» مضافاً إلى الفردوس ، وذكر في البيت الآخر اسم الجنة بصيغة الجمع «جنان» متعلقاً به الجار والمجرور «من الفردوس» مع وصفها بأنها ذات رفارف ..

**(٣) قال غلام أزدي :**

عَـسَى أنالُ الفـوزَ بالمواهبِ

في جَنَّةِ الفِـرْدوس والمراتبِ[2]

يذك الشاعر الجنة في بيت واحد من رجزه ، حيث ذكر اسم الجنة بصيغة الإفراد «جنة» مضافاً إلى الفردوس مبيناً أن في الجنة مراتب .

**(٤) قال الشاعر المجهول :**

يكونُ عن حـالي لتُـسـألَنَّهْ

يومَ يكونُ الأعطيـات هنَّهْ

إمـا إلى نارٍ وإمـا جَنَّهْ[3]

فذكر الشاعر المجهول اسم الجنة مجرداً من الوصف والإضافة بصيغة الإفراد في البيت الثالث من رجزه . مبيناً أن مصير العباد في الآخرة إما الجنة وإما النار حسب أعمالهم ..

**(٥) قال شاعر مجهول الاسم في رثاء شهداء المسلمين الذين دفنوا في القادسية بمشرق :**

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٣٣.

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٨١ .

(٣) شعر الدعوة الإسلامية ص ٥٠٤ .

جـزي اللهُ أقـوامـاً بِجنبِ مُـشَـرِّق
غَداةَ دعـا الرحـمنُ من كل داعـيـا
جِناناً من الفِـــرْدوس والمنزِلِ الذى
يَحِلُّ به الخـيـرِ من كل باقـيـا[1]

ذكر الشاعر المجهول في بيته الثاني اسمِ الجنة بصيغة الجمع «جنان» متعلقاً به الجار والمجرور «من الفردوس» وبيّن أن من حل بها ينال الخير والبقاء على الدوام .

ويلحظ أن الشعر المجهول النسبة كان معظمه من الرجز الحماسي ، وقد ورد فيه اسم الجنة مجرداً من الوصف والإضافة في بيت واحد فقط ، كما ورد فيه اسم الجنة بصيغة الإفراد مضافاً إلى الفردوس في ثلاثة أبيات مع وصف الجنة بوصف عام مجمل . كما ورد فيه اسم الجنة بصيغة الجمع «جنان» متعلقا بالجار والمجرور «من الفردوس» في بيتين من القصيد وصفت الجنة فيهما بوصف عام مجمل . كما ذكر اسم الجنة بصيغة الإفراد مع وصفه بصفة عامة هي «دار الملتقى» في بيت واحد من الرجز .. مما يبين أن أكثر أسماء الجنة ذكر في الشعر المجهول النسبة مضافاً إلى الفردوس أو متعلقاً به .

وآخِراً فإن شعر صدر الإسلام «عصر النبوة والخلفاء الراشدين» نجد فيه ذكر الجنة وردَ في أبيات متفرقة من شعر شعرائه .. وقد وصفت الجنة في معظم هذا الشعر بأوصاف عامة مجملة ، كما ورد اسم الجنة في بعضه مجرداً من الوصف والإضافة بصيغة الإفراد أو بصيغة الجمع «جنان» أو «جنات» .. ولم توصف الجنة فيه بأوصاف مفصلة إلا في أبيات قليلة منه كان معظمها في عصر الخلفاء الراشدين.. أما شعر عصر النبوة فإن الأوصاف المفصلة للجنة لم ترد إلا في بيتين منه أحدهما لعبيدة بن الحارث والآخر لجعفر الطيار .. مما يدل على انصراف شعراء الإسلام عن وصف

---

(١) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ٥ ص ١٣٣ دار إحياء التراث العربي ، وانظر شعر الفتوح الإسلامية ، للنعمان عبدالمتعال القاضي ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

الجنة بأوصاف مفصلة توضح ما فيها من ألوان الطعام والشراب والملابس والحلي .. ووصف نسائها وخدمها ، ووصف طبيعتها وجوها ، وما فيها من المساكن وأنواع الفراش من الأرائك والوسائد وغيرها .. ولعل إغفال الشعراء تفصيل هذه الصفات للجنة في شعرهم كما وردت في القرآن الكريم يعود إلى أن هذه الفترة كانت فترة نزول القرآن ، وانشغالهم بتلاوته وفهمه وحفظه وتدوينه ، مع اكتفائهم بما جاء في القرآن الكريم من صفات الجنة بالإشارة إليها فقط . فالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كلهم كانوا على دراية بالقرآن وحفظه ومعرفة أسباب نزوله في تواتره ، مما يجعل الشعراء يكتفون بذكر اسم الجنة فقط أو إضافته إلى صفة من الصفات العامة التي ذكرها القرآن الكريم مضافة إلى اسم الجنة أو متعلقة به . كما ذكروا شيئاً من أوصاف الجنة المجملة التي بينها القرآن الكريم .. أما الصفات التي فصلّ فيها القرآن الكريم في بيان نعيم الجنة وألوان المتع والمسرات فيها .. فإن الشعراء بانشغالهم بالقرآن وانتشار تلاوته وحفظهم له اكتفوا بالإشارة إلى القليل المجمل منها دون الإغراق في ذكر التفاصيل ، وذلك لعلمهم أن الناس على دراية تامة بالقرآن وما فيه من أوصاف الجنة ، ولايحتاجون إلى تفصيل في ذكر أوصافها ..

**(د) الشعر المنحول:**

رُويت في عصر صدر الإسلام أبيات منسوبة إلى أبي بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ . وهذا الشعر يُشك في صحة نسبته إلى الخليفتين ـ رضي الله عنهما ـ لأنه لايمثل شعر هذه الفترة في أسلوبه ومنهجه ، كما أن أبا بكر الصديق وعليّ بن أبي طالب لم يشتهرا بالشعر زمن دعوة المصطفي ـ صلى الله عليه وسلم .

وفي هذا الشعر المنسوب إلى أبي بكر الصديق ـ وعلي بن أبي طالب وُجدتْ بعض الأبيات التي ورد فيها وصف الجنة أو الإشارة إليها متأثراً بأسلوب وصف القرآن الكريم لها . ونكتفي بالإشارة إلى هذا الشعر دون دراسته ، لعدم صحة نسبته إلى الصحابيين الجليلين ـ رضي الله عنهما :

١ ـ الشعر المنسوب إلى أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه :

نُسِبَ إليه ـ رضي الله عنه ـ يذكر قصة طلحة بن عبيد الله :

ياطلحةَ بن عبيد الله قد وجبتْ
لك الجنانُ وتزويجُ الدمي العين(١)

ونُسِبَ إليه ـ رضي الله عنه ـ يرثي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

فقد أورثتنا ميراثَ صدقٍ
عليك به التحية والسلامُ
من الرحمنِ في أعلي جنانٍ
من الفردوس طاب بها المقامُ
رفيق أبيك إبراهيم فيها
فهل في مثل صحبته نِدام(٢)

ونُسِبَ إليه يرثي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضاً :

عليكَ من الرحمن أزكي تحيةٍ
وأُدخلتَ جنَّاتٍ من العدن راضيا(٣)

ونُسِبَ إليه ـ رضي الله عنه :

وكلهمُ للهِ في البعثِ منشرُ
مُجَازَى موفَّي حقه ليس يُبخَسُ

---

(١) أشعار أبي بكر الصديق ، عني بنشره وتحقيق والتعليق عليه د/ أمين الله وثير . قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بنجاب بلاهور ص٦ .

(٢)أشعار أبي بكر الصديق ، ص ٦ .

(٣) المصدر السابق نفسه ، ص ٧ .

فـقـومٌ إلى نارِ الجـحـيم مـقـامَـهمْ
بإفـلاسـهـم والعـابدِ الصـخـر أفلسُ
وقـومٌ بجناتِ الخلودِ مـقـامـهـم
ثيـابهم فـيـهـا حـرير وسندسُ[1]

ونُسِبَ إليه ـ رضي الله عنه ـ بمدح الأنصار ويذكر فضلهم :

فـيسَّـر قـومـاً للهـدي فـتـقـدموا
وأهلك بالعـصب قـومـاً ودمَّـرا
فـأورد قـتـلي المؤمنين جنانه
ألبـسـهـم من سندس الملك أخـضـرا
يُحـيِّـيـهـم بيض الولائد بدنهم
ويعـرضـهـم مـسكاً ذكـيـاً وعنبـرا[2]

ونُسِبَ إليه ـ رضي اله عنه :

فـآوى المسـلمـون إلى جنانٍ
يسـقـون الغـضـارسَ بالسـلافِ
وراحَ المشـركـون إلى شـرابٍ
حـمـيمٍ شـيـبَ بالسمِّ المذافِ[3]

ونُسِبَ إليه ـ رضي الله عنه ـ أيضاً :

فأصبحَ من أمضي للمسـ ـلمين مبـادراً عَجِـلا

(١) أشعار أبي بكر الصديق ، ص ١٩ .
(٢) أشعار أبي بكر الصديق ، ص ٢٢ .
(٣) المرجع السابق نسه ، ص ٢٤ .

ثواباً في جِنــانِ الخـــــــلدِ يُكسي الحُلي والحُللا[1]

## ٢ـ الشعر المنسوب إلى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ [2]:

ينسب إلى غلى بن أبي طالب أنه قال مخاطباً ابنه الحسين ـ رضي الله عنهما:

وإذا مــــررتَ بآيةٍ في ذِكْــــرِها
وصْفُ الوسـيلة والنعـيم المُعْـجبِ
فــســأل إلهك بالإنابة مُـخْلِصـاً
دار الخلود سـؤالَ من يتــقــربُ
واجـهـد لعلك أن تَحِلَّ بأرضِـهـا
وتنال رَوْحَ مـســاكنٍ لاتَخْـربُ
وتنالَ عـيـشـاً لا انقطاع لوقـتـه
وتنالَ مُلكَ كـرامـةٍ لا تُسْلَبُ[3]

وينسب إليه إنه قال بعد أن ساومه الخوارج على أن يكفر ويتوب حتي يسير إلى الشام ، قال : أبعد صحبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتفقه في الدين أرجع كافراً ، وقال :

ياشــاهدَ اللهِ عليَّ فــاشــهـدْ
أني على دين النبي أحـــمـــد

---

(١) أشعار أبي بكر الصديق ، ص ٢٦ .

(٢) علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي ، أبوالحسن ، أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة رضي الله عنهما . الأعلام ج ٤ ص ٢٩٥ .

(٣) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، دار القلم ـ بيروت ـ ص ٢٧ .

من شَكَّ في الدينِ فإني مهتدِ

يارَبِّ فاجعلْ في الجِنانِ موردى[1]

ويزعمون أنه قال فيمن قتل يوم أحد :

ومَنْ قتلتم على ما كان من عَجَبِ

مِنَّا فقد صادفوا خيراً وقد سَعِدُوا

فهم جِنانٌ من الفردوس طيبةٌ

فَرُبَّ مَشهدَ صِدْقٍ قبله شهِدُوا[2]

ويزعمون أن على بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لما بلغه شماتة هند بقتل حمزة قال :

وما سيان من هو في جحيمٍ

يكون شرابُهُ فيها صديدا

ومن هو في الجنانِ يُدَرُّ فيها

عليه الرزقُ مغتبطاً حَميدا[3]

ونُسِبَ إليه ـ رضي الله عنه ـ:

مِنّا النبيُّ الطاهِرُ المطهَّرُ

وحمزة الخير وصِنْوي جَعفرُ

---

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، ص ٤٣ .

(٢) السابق نفسه ، ص ٤٥ .

(٣) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، ص ٥٠ .

له جناحٌ في الجنان أخــــضــــرْ

وفاطمُ عِرْسي وفيها مفْخرُ[1]

ونُسِبَ إليه ـ رضي الله عنه ـ أيضاً

فـصـيِّـرها لنفسك رأسَ مـالٍ

وصيِّر بعدها التقوى بضاعهْ

تحُـز ربحـاً وتُغْنَي عن بخـيلٍ

وتنعمَ في الجنانِ بصبر ساعهْ[2]

ومما ينسب إلى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ :

إلهي حليفُ الحبِ بالليل سـاهرٌ

يُنادي ويدعـو والمُغـفَّل يَهْـجعُ

وكلهم يرجـو نوالك راجـيـاً

لرحمتك العظمي وفي الخُلْد يَطْمعُ[3]

ونُسبَ إليه ـ رضي الله عنه ـ أيضاً

دونكهـا مـتـرعـةً دهاقـا

كـأساً فـارغاً مـزجت زعـاقـا[4]

ونُسبَ إليه ـ رضي الله عنه ـ أيضاً :

فـذاكَ مـآبُ الكافـرين ومن يطعْ

لأمـر إله الخلق في الخُلْد ينزلُ[5]

---

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، ص ٥٨

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ٧٨

(٣) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، ص ٨٤

(٤) المرجع السابق نفسه ، ص ٩١

(٥) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، ص ٩٧

ونُسِبَ إليه ـ رضي الله عنه ـ :

فـإن يبـغـوا ويفـتـخـروا علينا
بحـمـزة وهو في الغُـرفِ العَـوالى
فـقـدْ أودي بعـتـبـةَ يومَ بدرٍ
وقـد أبلي وجـاهَدَ غـيـر آلى[1]

ومما يُنَسَّبُ إليه ـ رضي الله عنه ـ فيما زعموا ـ :

جـزي هـمـدان الجنانَ فـإنهم
سِمَامُ العِدي في كل يومِ خِصامِ
إذا كـنـتُ بـواباً عـلى بـاب جَنَّةٍ
أقـولُ لهـمـدان ادخلوا بسـلامِ[2]

ونُسِبَ إليه أنه قال بعد رجوعه من وقعة أحد :

أفـاطِمُ قـد أبليتُ في نصـر أحـمـدِ
ومـرضـاةِ ربٍّ للعـبـادِ رحـيـمِ
أُريدُ ثوابَ اللهِ لاشئ غـيـرهُ
ورضـوانَه في جنَّةٍ ونعـيـمِ[3]

وينسب إليه ـ رضي الله عنه ـ قوله :

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٠٣ .
(٢) ديوان علي بن أبي طالب ، ص ١١٤ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٣٨٦ .
(٣) ديوان علي بن أبي طالب ، ص ١١٥ ، شعر الفقهاء نشأته وتطوره ، ص ٢١٦ .

ولاتحْسِدْ على المعروف قوماً

وكن منهم تنلْ دارَ السلامِ[1]

ويُنَسَبُ إليه في مديح الحارث بن الصمة :

أقبلَ في مهامِهِ مُلمَّهْ

يسوقُ بالنبيِّ هادي الأُمَّهْ

يلتمسُ الجنّةَ فيما ثَمَّهْ[2]

ونُسِبَ إليه ـ رضي الله عنه ـ أيضاً :

فَكَمْ من مُؤمنٍ قد جاعَ يوماً

سَيَرْوي من رحيقِ السلسبيلِ[3]

---

(١) ديوان علي بن أبي طالب ، ص ١٢١ .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ، ص٢٧٨ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٥٣٩ .

# المبحث الثاني

## شعراء العصر الأموي

ورد ذكر الجنة ووصفها في شعر العصر الأموي كثيراً ، بحث تبين الصفات والتفاصيل التي رسمها شعراء هذا العصر للجنة متأثرين في ذلك بالصفات العامة والمفصلة التي بينها القرآن الكريم للجنة التي أعدها الله ـ عز وجل ـ لعباده المتقين..

ولتسهيل رصد ودراسة شعر العصر الأموي في وصف الجنة .. فقد قسمت هذا الشعر حسب وفيات شعرائه ، لمعرفة الشعراء الذين ورد في شعرهم ذكر الجنة أو وصف لها .. ومعرفة عدد الأبيات التي قالها كل شاعر في وصف الجنة ، ومعرفة الطريقة التي ورد فيها ذكر الجنة أو وصفها عند كل شاعر من شعراء هذا العصر ، وفي مختلف الاتجاهات الفنية التي ظهرت في هذا العصر ..

وعند تقسيم شعر وصف الجنة في العصر الأموي ، أمكن تقسيم الشعراء فيه إلى ثلاث فئات : الذين توفوا بين عامي ٦٠ إلى ٩٠ هـ .. والذين توفوا بين عامي ٩٠ إلى ١١٠ هـ . والشعر المجهول النسبة ..

### ( أ ) الشعر الذي توفي شعراؤه ما بين ٥٥ ـ ٩٠ هـ :

### ١ ـ عامر بن عبد قيس [(١)]:

قال عامر بن عبد قيس :

---

(١) عامر بن عبدالله المعروف بابن قيس العنبري ، توفي نحو ٥٥ هـ : تابعي من بني العنبر ، هو أول من عرف بالنسك من عباد التابعين بالبصرة ، تلقن القرآن من أبي موسى الأشعري ، مات في خلاف معاوية ببيت المقدس . الأعلام ج ٣ ص ٢٥٢ .

إمّـا الجنانُ وعـيشٌ لا انقـضـاء له

أم الجـحـيمُ ، فـلا تبـقي ولاتَدَعُ[1]

ذكر عامر بن قيس في هذا البيت من شعره اسم الجنة بصيغة الجمع «جنان» مع بيان أنها دار الخلود في النعيم .. مع ذكر الجحيم للمقارنة بينهما ..

## ٢ ـ يزيد بن معاوية بن أبي سفيان [2]:

قال يزيد بن معاوية :

وهـو ديـنـي وهـو آخـــــــرتـي

وهو ناري وهـو جنّتـــيـــهْ[3]

ذكر يزيد بن معاوية في بيت واحد من شعره اسم الجنة مضافاً إلى ضمير الغائب .. دون أن يصفها ..

## ٣ ـ مجنون ليلي [4]:

قال مجنون ليلي في الغزل :

وإني لمشـتـاق إلى ريحِ جَـيْـبِـهـا

كما اشتاق إدريسُ إلى جنةِ الخُلْدِ[5]

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣١١ .

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان توفي ٦٤ هـ : ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولي الخلافة سنة ٦٠ هـ بعد وفاة أبيه ، كان نزوعاً إلي اللهو ، وبقي في الخلافة ثلاث سنوات وتسعة أشهر، توفي بحوارين ، الأعلام ج ٨ ص ١٨٩ .

(٣) شعر يزيد بن معاوية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ص ٤٩ .

(٤) قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكناني ، توفي ٦٨ هـ : شاعر من العشاق ، اشتهر بحب لبني بنت الحباب الكعبية ، وهو من سكان المدينة وشعره عالي الطبقة في التشبيب ووصف الشوق والحنين . الأعلام ج ٥ ص ٢٠٦ .

(٥) ديون مجنون ليلي ، جمع وتحقيق عبدالستار أحمد فراج ص ١١٥ .

وقال مجنون ليلي أيضاً :

هَوِيتَ فتاةً نيلُها الخُلْدُ فالتمس

سبيلاً إلى ما لست يوماً بواجد[1]

يلحظ أن مجنون ليلي ذكر اسم الجنة بصيغة الإفراد مضافاً إلى الخلد في بيت واحد من شعره هو البيت الأول فيما سبق .. كما ذكر في البيت الثاني وصف الخلد الدال على الجنة ..

## ٤ ـ يزيد بن مفرّغ الحميرى[2] :

قال يزيد بن مفرغ في غلامه برد وجاريته أراكة :

أمّا الأراكُ فكانتْ من مَحارِمِنا

عَيشاً لذيذاً ، وكانتْ جنّةُ رَغَدا

كانت لنا جنةً ، كنّا نعيشُ بها

نغني بها إن خَشينا الأزْلَ والنكدا[3]

فقد ذكر ابن مفرغ الجنة في بيتين من شعره ، حيث وصف جاريته بالجنة الرغد في البيت الأول ، وأطلق اسم الجنة عليها في بيته الآخر .. متأثراً في ذلك بأسلوب القرآن الكريم في وصف الجنة ..

## ٥ ـ أبوالأسود الدؤلي[4]:

قال أبو الأسود الدؤلي :

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ١٠٩ .

(٢) يزيد بن زياد بن ربيعة ، الملقب بمفرغ الحميري ، توفي ٦٩ هـ : شاعر غزل ، استقر بالبصرة وكان هجاءً مقذعاً ، وله مديح ، سكن الكوفة إلي أن مات . الأعلام ج ٨ ص ١٨٣ .

(٣)ديوان يزيد بن مفرّغ الحميري ، جمع وتحقيق عبدالقدوس أبوصالح ص ٩٧ ـ٩٨ .

(٤) ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي ، توفي ٦٩هـ ، واضع علم النحو ، وكان من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان ، من التابعين ، لما تم الأمر لمعاوية قصده أبوالأسود فبالغ في إكرامه ، مات بالبصرة ، الأعلام ج ٣ ص ٢٣٦ .

وجعفرَ إن جعفرَ خيرُ سِبْطٍ

شهيداً في الجنانِ مهاجريا [(1)]

وقال أبوالأسود الدؤلي في رثاء الحسين ومن أصيب معه :

سأجعلُ نفسي لهم جُنّةً

فلا تكثري لي من اللائمهْ

أُرَجي بذاك حوض الرسو

لِ والفوزَ والنعمةَ الدائمهْ [(2)]

فقد ذكر أبوالأسود الدؤلي اسم الجنة بصيغة الجمع «الجنان» مجرداً من الوصف والإضافة في بيته الأول فقط ، ووصف الجنة بدون ذكر اسمها بأن من دخلها نال الفوز وحظي بالنعمة الدائمة في بيته الثالث ..

### ٦ ـ قطري بن الفجاءة [(3)] :

قال قطري بن الفجاءة في ذكري يوم دولاب وما حدث فيه من الفتك والقتل في صفوف الخوارج :

فلو شَهِدتنَا يومَ ذاكَ وخيلَنا

تُبيحُ من الكفارِ كلَّ حريمِ

---

(١) ديوان أبي الأسود ، صنعة أبي سعيد السكري ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ص ١١٩ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص١٣٤ .

(٢) الفرق الإسلامية في الشعر الإسلامي الأموي ، د. النعمان القاضي ص ٣٧٥ . الديوان ص ١٢٣ . ولم يرد فيه البيت الثاني بنصه .

(٣) قطري بن الفجاءة بن مازن الكناني ، توفي ٧٨ هـ ، من رؤساء الأزارقة وأبطالها ، كان خطيباً فارساً شاعراً ، وكان عربياً فصيحاً ، وشعره في الحماسة كثير ، الأعلام ج ٥ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

رأيتَ فتيةً باعوا الإلَه نفوسَهم

بجنّاتِ عَدْنٍ عنده ونعيم[1]

وقال قطري بن الفجاءة أيضاً :

إلي كم تُغاريني السيوفُ ولا أرى

مُغاراتِها تدعو إليَّ حِمامِيَا

أقارعُ عن دارِ الخلودِ ولا أرى

بقاءً على حالٍ لمن ليس باقيا[2]

فقد ورد ذكر اسم الجنة في بيتين من شعره ، حيث ذكر اسم الجنة بصيغة الجمع «جنات» مضافاً إلى العدن ، مع وصف الجنة بأنها مكان النعيم وذلك في البيت الثاني من شعره . وذكر الجنة باسم «دار» مضافاً إلى الخلود في بيته الرابع .. وذلك في شعره الحماسي الذي يحض فيه على ما اعتقد أنه جهاد في سبيل الله ..

## ٧ـ أبو صخر الهُذلي [3]:

قال أبو صخر الهُذلي في رثاء ابنه داود :

فَعُجِّلْتَ ريحانَ الجِنَانِ وعُجِّلُوا

زمازيمَ فوَّارٍ من النارِ شاهِبِ[4]

---

(١) شعر الخوارج ، جمع وتقديم د. إحسان عباس ، الطبعة الثالثة ١٩٧٤ ، ص ١٠٦ . الرثاء في الشعر العربي أو جراحات القلوب د. محمود حسن أبوناجي ، الطبعة الأولي ١٤٠١ ص١٤٠ .

(٢) شعر الخوارج : جمع وتقديم د. إحسان عباس ص ١١١ . الفرق الإسلامية في العصر الأموي . د. النعمان القاضي ص ٤٣٨ .

(٣) عبدالله بن سلمة السهمي من بني هذيل بن مدركة ، توفي نحو ٨٠ هـ : شاعر من الفصحاء كان موالياً لبني مروان متعصباً لهم . وله فيهم مدائح . الأعلام ج ٤ ص ٩٠ ـ ٩١.

(٤) شعراء أمويون ، د. نوري القسي ص ٤٩ .

فقد ذكر أبو صخر الهُذلي اسم الجنة بصيغة الجمع «جنان» مضافاً إليه الريحان، مبيناً أن لجنة فيها الريحان متأثراً بوصف القرآن الكريم للجنة .

## ٨ـ الشمردل اليربوعي [١]:

قال الشمردل اليربوعي :

من صَـــوْبِ ســـاريةٍ كـــأنَّ بمتنه
منهـــا الجُـــمـــانُ ولؤلؤاً منثـــورا[٢]

لم يصف الشمـردل اليربوعي الجنة في بيته ، وإنما استخدم أسلوب القـرآن الكريم في وصف الغلمـان في الجنة ، مما يدل على تأثره بأسلوب القـرآن الكريم في وصف الجنة في بيت واحد من شعره .

## ٩ـ أيمن بن خُريم [٣]:

قال أيمن بن خريم في مدح بشر بن مروان :

وبنيتَ عند مـــقـــامِ ربِّك قُـــبَّـــةً
خـضـراءَ كُلِّلَ تاجـهـا بالفِـسْـفِسِ
فـــســـماؤها ذَهَبٌ وأســفلُ أرضِـــهـــا
ورِقٌ تلألأ في البـــهـــيم الحندسِ[٤]

---

(١) الشمردل بن شريك بن عبدالملك بن يربوع ، توفي نحو ٨٠ هـ : شاعر هجاء ، يجيد القصيد والرجز . الأعلام ج ٣ ص ١٧٦.
(٢) شعراء أمويون ، القسم الثاني ، د. نوري القيسي ص ٥٣٠ .
(٣) أيمن بن خريم بن فاتك ، توفي نحو ٨٠هـ : شاعر من ذوي المكانة عند بني مروان ، وكان يشارك في الغزو ، وله رأي في السياسة . الأعلام ج ٢ ص ٣٥.
(٤) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ١٦٥ .

ورد ذكر الجنة في بيتين من شعر أيمن بن خريم ، وصف فيهما الجنة وصفاً مفصلاً من غير أن يذكر اسم الجنة ، إنما وصف قصور الجنة وسماءها وأرضها متأثراً في وصفه المفصل بأسلوب القرآن الكريم في وصف المساكن في الجنة .. ويلحظ أن وصف الجنة في شعر أيمن بن خزيم جاء في بيتين متتاليين من مقطعة واحدة ..

## ١٠ ـ جميل بثينة [١] :

قل جميل بثينة في الغزل :

وإني لمشتــاق إلى ريح جـيـبـهـا

كما اشتاق إدريسٌ إلى جنة الخلد[٢]

يلحظ أن جميل بثينة ذكر اسم الجنة بصيغة الإفراد مضافاً إلى الخلد في بيت واحد من شعره .

## ١١ ـ أبو جلدة اليشكري [٣]:

قال أبو جلدة اليشكري في دهقانة لما يئس منها :

ويدعــو اللهَ مـجـتـهـداً لكيـمـا

ينال الفــوزَ من غُــرفِ الجنانِ [٤]

---

(١) جميل بن عبدالله بن معمر العذري ، توفي ٨٢ هـ : شاعر من العشاق ، افتتن ببثينة من فتيات قومه وسمي باسمها ، شعره يذوب رقة أكثره في النسيب ، والقليل منه في المديح . وفد علي عبدالعزيز بن مروان في مصر فأكرمه ، وأقام فيها قليلاً فمات فيها . الأعلام ج ٢ ص١٣٨ .

(٢) ديوان جميل بثينة ، جمع وتحقيق د. حسين نصار ص ٧٦ . وقد ورد منسوباً إلي مجنون ليلي صحيفة ٣٩ .

(٣) أبو جلدة بن عبيد الله اليشكري ، توفي نحو ٨٣ هـ : شاعر نعته ابن قتيبة بالخبيث ، وكان مولعاً بالشراب ، من أهل الكوفة ، خرج مع ابن الأشعث وقتله الحجاج ، الأعلام ج ٢ ص ١٣٣ .

(٤) شعراء أمويون ، د. نوري القيسي ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣٩٦ . الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية ، د. الهادي حمودي الغزي ص ١٢٥ .

فقد ذكر بيت واحد من شعره اسم الجنة بصيغة الجمع «الجنان» مضافاً إليها الغرف ، ليبين أن في الجنة غرفاً من حظي بالدخول فيها نال الفوز العظيم .

## ١٢ ـ عمران بن حِطّان [١] :

قال عمران بن حطان :

أَمْ مَنْ تلظّي عليه مُوقدةُ النا
رِ ، محيطٌ بهم سُرَادِقُها
أم أسْكُنُ الجنةَ التي وُعِدَ الْـ
أبرارُ ، مصفوفةٌ نمارِقُها[٢]

وقال عمران بن حطان :

لايستوي المنزلان ، ولا الأعْـ
ـمال لا تستوي طرائقُها
هما فريقانِ : فرقةٌ تدخل الـ
ـجنةَ حُفّتْ بهم حدائقُها[٣]

وقال عمران بن حطان أيضاً :

وصدُّها للشقاء عن طلبِ
الجنةِ دنيا الهمّ ما حِقُها[٤]

---

(١) عمران بن حطان السدوسي الشيباني ، توفي ٨٤هـ : رأس القعدة من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم . كان من رجال العلم والحديث من أهل البصرة . الأعلام ج ٥ ص ٧٠ .

(٢)شعر الخوارج ، جمع وتقديم د. إحسان عباس ص ١٧٠ ، شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣١٢ .

(٣) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣١٢ .

(٤) شعر الخوارج ص ١٧٠ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣١٤.

فقد ورد ذكر الجنة في ثلاثة أبيات من شعر عمران بن حطان ، حيث ذكر اسم الجنة في البيت الأول منها بصيغة الإفراد ، مع وصفها بوصف فيه تفصيل وتأثر بأسلوب القرآن ، مبيناً أن نمارق الجنة مصفوفة .. كما ذكر اسم الجنة في البيت الثاني منها بصيغة الإفراد ، مع وصفها بأن الحدائق محيطة بها وهو وصف في تفصيل وتأثر بأسلوب القرآن في وصفها .. أما في البيت الثالث الذي ورد فيه ذكر الجنة فإن الشاعر ذكر اسم الجنة بصيغة الإفراد ومجرداً عن الوصف والإضافة .. مع بيان أن الجنة أحق بأن تطلب وترغب ..

## ١٣ ـ عبيد الله بن قيس الرقيّات [١]:

قال عبيد الله بن قيس الرقيّات :

من نِسْـوةٍ كـالبَـيْضِ في الْـــ
أُدحيّ بالـدَّمَـثِ المطيـــرهْ [٢]

وقال عبيد الله بن قيس أيضاً :

يا سُلَيْـمـانُ إن تُلاقِ الثـريّا
تَلْقَ عـيش الخلودِ قـبل الهـلالِ [٣]

فيظهر تأثر ابن قيس الرقيات بالقرآن في بيتين من شعره ، حيث استخدم أسلوب القرآن في وصف نساء الجنة ليصف نساء الدنيا بما وصف به القرآن الكريم نساء الجنة في بيته الأول . أما البيت الآخر مـن شعـره فإنه وصف فيه الجنة بالخلود ، مبينا أن العيش فيها هو الخلود ، ومشبهاً العيش مع نساء الدنيا بالعيش في الجنة دار الخلود .. مما يدل على تأثره بأسلوب القرآن الكريم في وصف الجنة ..

---

(١) عبيد الله بن قيس بن شريح من بني عامر بن لؤي ، توفي نحو ٨٥هـ : شاعر قريش في العصر الأموي ، أكثر شعره في الغزل والنسيب ، وله مديح وفخر .. قصد الشام وأقام بها إلي أن توفي . الأعلام ج ٤ ص ١٩٦ .

(٢) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم ص ٤٤ .

(٣) المرجع السابق نفسه ص ١١٢ .

## ١٤ ـ الأخطل (١).

قال الأخطل في مدح يزيد بن معاوية :

أعطاه من لَذّةِ الدّنيــا وأسْكَنَهُ
في جنّةٍ نِعْمةٌ فيـهـا وتَخْليـدُ(٢)

وقال الأخطل في مدح قريش وبشر بن مروان :

وإذا وشي بىّ أقـوامٌ فـأدْركني
رَهْطُ الذي رَفَعَ الرحـمنُ فـارتفـعوا
في جنّةٍ هي أرواحُ الإله ، فـمـا
يُفَزِّعُ الطيرَ في أغصـانِها فَزَعٌ (٣)

يلحظ أن الأخطل ورد ذكر الجنة أو وصفها في بيتين من شعره ، حيث ذكر اسم الجنة في البيت الأول بصيغة الإفراد ، مع وصفها بأن فيها النعمة والخلود .. أما البيت الثاني من شعره الذي ورد فيه ذكر الجنة فإنه ذكر فيه اسم الجنة بصيغة الإفراد مع وصفها بأن فيها الأمن والأمان بحيث لايفزع الطير على أغصانها .

## ١٥ ـ الراعي النميري (٤):

قال الراعي النميري يمدح عبدالملك بن مروان :

---

(١) غياث بن غوث بن الصلت من بني تغلب ، توفي ٩٠ هـ : شاعر مصقول الألفاظ حسن الديباجة ، اشتهر في مدح بني أمية بالشام ، نشأ علي المسيحية ، وكان كثير العناية بشعره . الأعلام ج ٥ ص ١٢٣ .

(٢) ديوان الأخطل ، شرح وتقديم : مهدي محمد ناصر الدين : الطبعة الأولي ١٤٠٦ ، ص ٧٩.

(٣) ديوان الأخطل ص ٢٠٣ .

(٤) عبيد بن حصين بن جندل النميري ، توفي ٩٠ هـ : شاعر من فحول المحدثين ، لقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل ، عاصر جريراً والفرزدق ، وكان يفضل الفرزدق فهجاه جرير هجاءاً مراً ، وهو من أصحاب الملحمات الأعلام ج ٤ ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .

وفي الخيام إذا ألقت مراسِيهَا
حورُ العيونِ لإخوان الصبي صُيُدُ
كأن بيض نعامٍ في ملاحِفها
إذا اجتلاهُنَّ قيظٌ ليله وَمِدُ(١)

فالراعي النميري لم يصف الجنة في شعره ، وإنما تأثر في هذين البيتين بوصف القرآن الكريم لنساء الجنة ، حيث وصف نساء الدنيا بأنهن حور العيون وأنهن كالبيض المكنون .. متأثراً بأسلوب القرآن الكريم في وصف نساء الجنة .

## ١٦ـ العجّاج (٢) :

قال العجّاج :

عَلَّ الإلَهَ الباعِثَ الأثقالا
يَعْقِبُني من جنَّةٍ تظلالا
وعِنباً يساقِطُ الأهْدَالا(٣)

وقال العجاج أيضاً :

وذاكَ سارَ أمْرُهُ شريجَا
فداخِلونَ جنَّةً بَهِيجَا
وشاربونَ عَسَلاً مَزِيجَا

(١) ديوان الراعي النميري ، جمع وتحقيق راينهرت ص ٥٥ .
(٢) عبدالله بن رؤبة بن لبيد العجّاج ، توفي نحو ٩٠ هـ : راجز مجيد ، ولد في الجاهلية ، وقال الشعر فيها ، وأسلم وعاش إلي أيام الوليد بن عبدالملك ، ففلج وأقعد ، الأعلام ج ٤ ص ٨٦ ـ ٨٧ .
(٣) ديوان العجّاج ، رواية عبدالملك بن قريب الأصمعي ، تحقيق د. عزة حسن ص ١٧٤ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٤٤ .

بماءِ مُــزْنٍ بارداً مَــثْلُوجَــا
وصــارِخــونَ ضَــجَّـةً ضَـجُـوجَـا
تَـسْــمعُ للنارِ بهم أجـيــجَــا (١)

وقال العجاج أيضاً

فــقــد تري بيــضــاً بهــا أبكارَ
من الحــيــاءِ خُــرَّداً خِــفَــارا (٢)

يظهر مما سبق أن العجاج ورد ذكر الجنة في شعره كثيراً ، حيث ظهر وصف الجنة في تسعة أبيات من شعره ، مما يدل على أنه أكثر الشعراء الأموين وصفاً للجنة في الفترة التي بين ٦٠ إلى ٩٠ هـ . كما أن وصف العجاج للجنة جاء كله وصفا مفصّلا لما فيها من ألوان المتع والمسرات حيث ذكر اسم الجنة في المجموعة الأولي من أبياته بصيغة الإفراد ، مع وصفها بأنها فيها العنب المتساقط القريب لمتناوله . كما ورد اسم الجنة في المجموعة الثانية من شعره بصيغة الإفراد ، مع وصفها بأنها ذات بهجة ومسرة ، وأن فيها العسل الممزوج بالماء الصافي البارد المثلج . مع مقارنة ما في الجنة من ألوان المتع والمسرات بما يعيش فيه أهل النار من أنواع العذاب والضرور . أما المجموعة الثالثة من شعره فإنه تأثر في وصفه لنساء الدنيا بأسلوب القرآن الكريم في وصف نساء الجنة ..

(١) ديوان العجاج ص ٣٤٦ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣١٥ .
(٢) ديوان العجاج ص ٣٩٥ .

## ( ب ) الشعر الذي توفي شعراؤه ما بين ٩٣ـ ١١٠هـ :

### ١ ـ عمر بن أبي ربيعة[(١)] :

قال عمر بن أبي ربيعة في الغزل :

واللهِ ، والبـيـتِ العـتـيقِ ، لقــد
ســـاويتِ عندي جنَّةَ الخُلْدِ[(٢)]

وقال عمر بن أبي ربيعة :

أدخلَ اللهُ ، ربُّ مـوسي وعـيـسى
جنَّةَ الخُلْدِ مَنْ مـلاني خَلُوقـا [(٣)]

وقال عمر بن أبي ربيعة أيضاً :

وليتَ سُليمي في المماتِ ضجيعتي
هنالك ، أم في جنة أم جـهنمِ [(٤)]

وقال عمر بن أبي ربيعة :

أنتِ كنت المُني ورؤيتك الخُلْدُ
فـقـرّي عـيناً به واطمـئني [(٥)]

وقال عمر بن أبي ربيعة أيضاً :

---

(١) عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة ، توفي سنة٩٣ هـ : أرق شعراء عصره ، وهو من طبقة جرير والفرزدق ، كان يفد علي عبدالملك بن مروان فيكرمه ، ونفاه عمر بن عبدالعزيز إلي دهلك لما عرف أنه يتعرض لنساء الحاجّ . مات غرقا في غزوة له في البحر . الأعلام ج ٥ ص ٥٢ .

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، دار صادر ـ بيروت ص ١٠٥ .

(٣) المرجع السابق نفسه ص ٢٧٥ .

(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ص ٣٨٨.

(٥) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤٠٨ .

أنتِ عيشي ، نعم ، ورؤيتك الخُلْـ
ـدُ ، وكنت الحديثَ والأشغالا [1]

وقال عمر بن أبي ربيعة في الحوار :

تلك التي قالتْ لجاراتٍ لها
حور العيونِ كواعبٍ أترابِ
هذا المغيرِيُّ الذي كنّا به
نهذي ، وربٌ البيت يا أترابى[2]

وقال عمر بن أبي ربيعة في الحوار أيضاً :

حين قالتْ لها : أجيبي فقالتْ
مَنْ دعاني ؟ فقالتْ : أبوالخطابِ
أبرزوها مثلَ المهاة تهادى
بين خمسٍ كواعبِ أترابِ[3]

وقال عمر بن أبي ربيعة في الغزل :

بيضاء ناصعة البياضِ
كَدُرَّةِ الصدَفِ الكنين[4]

وقال عمر بن أبي ربيعة أيضاً

تُبْنِ غيرَ أنْ قد أومأتْ فعَمَدْنها
كشاربِ مكنونِ الشراب المختّم[3]

(١) المرجع السابق نفسه ص ٣٢١ .
(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ص ٤٣ .
(٣) المرجع السابق نفسه ص ٥٩ .
(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤١٢ .
(٥) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٤٤ .

ويلحظ أن عمر بن أبي ربيعة كثر تأثره بأسلوب القرآن الكريم في وصف الجنة، حيث وردت في شعره تسعة أبيات ظهر فيها تأثره بوصف الجنة في القرآن الكريم ، فقد ذكر في البيت الأول منها اسم الجنة بصيغة الإفراد مضافاً إلى الخلد ، وفي بيته الثاني ذكر اسم الجنة أيضاً بصيغة الإفراد مضافاً إلى الخلد ، أما البيت الثالث منها فقد ذكر فيه اسم الجنة بصيغة الإفراد مجرداً من الوصف والإضافة .. وفي البيتين الرابع والخامس ذكر الخلد دالاً به على الجنة دون ذكر اسمها . أما أبياته الأخري فإنه استعمل أسلوب القرآن الكريم في وصف نساء الجنة . واصفاً به النساء من أهل الدنيا فقد وصف النساء في بيته السادس بأنهن حور العيون ، كواعب أتراب ، وكذا الأمر في البيت السابع من شعره حيث وصفهن بأنهن كواعب أتراب.. أما البيت الثامن فإنه وصف فيه المرأة من نساء الدنيا بأنها كالدرة المكنونة متأثراً بأسلوب وصف القرآن لنساء الجنة .. وفي البيت التاسع والأخير وصف الخمر بالوصف الوارد في القرآن الكريم لخمر الجنة .. وهذا يدل على التنوع الذي حدث في تأثر عمر بن أبي ربيعة بوصف الجنة في القرآن الكريم .. حيث ذكر اسم الجنة مجرداً من الوصف والإضافة في بيت ، وذكره مضافاً إلى الخلد في أبيات أخري .. وذكر وصف الجنة «الخلد» دون ذكر اسمها .. كما تأثر الشاعر بصور القرآن الكريم في وصف النساء في الجنة حيث استعمل أوصاف نساء الجنة في وصفه لنساء الدنيا . كما استعمل أوصاف خمر الجنة في وصفه لخمر الدنيا .

## ٢ ـ عدي بن الرقاع العاملي [١]:

قال عدي بن الرقاع :

وفي الخدورِ دُمًى حورٌ مصورةٌ
خُلِقنَ أحْسن مما قال من يصفُ

(١) عدي بن زيد بن مالك بن الرقاع ، توفي نحو ٩٥ هـ : شاعر كبير من أهل دمشق ، كان مقدماً عند بني أمية مداحاً لهم ، خاصاً بالوليد بن عبدالملك مات في دمشق . الأعلام ج ٤ ص ٢٢١ .

كبيضةِ الهين في الأُدحي بات لها
دونَ النَّدي من خوافى دفِّه عُطُفُ[1]

وقال عدي بن الرقاع :

وكــأنَّ طعمَ الزنجــبــيل ولَذَّةً
صهباءَ ساك بها المسخَّرُ فاها[2]

وقال عدي بن الرقاع :

عــالين رَقْــمــاً من الأصناف زيّنه
قـعـائدٌ وجلوسٌ فـوقـهـا غُـرَفُ[3]

لم يرد اسم الجنة في شعر عدي بن الرقاع ، وإنما يبدو تأثره بأسلوب القرآن الكريم في وصف الجنة ، حيث وصف ابن الرقاع نساء الدنيا بأنهن حور العيون ، وأنهن كالبيض في الأدحي .. متأثراً في ذلك بوصف القرآن الكريم لنساء الجنة .. ووصف خمر الدنيا بما وصف به القرآن الكريم خمر الجنة .. وفي أبياته الرابع والخامس والسادس تبدو الصور فيها مستوحاة مما بينه القرآن الكريم من أوصاف النساء والغلمان والغرف في الجنة .. مما يدل على مدي انعكاس الصور القرآنية في وصف الجَنة على مخيلة ابن الرقاع حتي ظهرت في شعره على هذا النحو من غير أن يذكر اسم الجنة أو يصفها وصفاً مباشراً ..

## ٣ـ محمد بن عبدالله النميري [٤]:

قال محمد بن عبدالله النميري في الغزل :

---

(١) ديوان عدي بن الرقاع العاملي ، تحقيق د. نوري القيسي ، د. حاتم الضامن ص ٢٣٦ .
(٢) ديوان عدي بن الرقاع العاملي ، تحقيق د. نوري القيسي ، د. حاتم الضامن ص ٩٧ .
(٣) ديوان عدي بن الرقاع العاملي ص ٢٣٥ .
(٤) محمد بن عبدالله بن نمير بن خرشة الثقفي النميري ، توفي نحو ٩٠ أو ٩٥ هـ : شاعر غزل من شعراء العصر الأموي ، ولد ونشأ ومات في الطائف . أرق شعره ماقاله في التشبيب بأخت الحجاج، طلبه الحجاج ففر إلي اليمن إلي أن استجار بعبدالملك منه فأجاره وعفا عنه الحجاج . الأعلام ج ٦ ص ٢٢٠.

فهنَّ كمكنونٍ من البيض تحته

عقاد من الأنقاء بالقفراتِ(1)

وقد ظهرت تأثر النميري بأسلوب القرآن الكريم في وصف الجنة في بيت واحد من شعره ، حيث وصف نساء الدنيا بما وصف به القرآن الكريم نساء الجنة ..

## ٤ ـ الحجاج بن يوسف الثقفي (2):

قال الحجاج بن يوسف الثقفي :

فإن مِتُّ فاذكرني بذكرٍ مُحبَّبٍ

فقد كان جماً في رضاك مسالكى

وإلا ففي دُبرِ الصلاةِ بدعوةٍ

يُلَقَّي بها المسجون في نار مالكِ

عليكَ سلامُ اللهِ حياً وميِّتاً

ومن بعد ما تُحْيا عتيقاً لمالكِ(3)

يبدو تأثر الحجاج بوصف القرآن الكريم للنعيم الروحي في الجنة ، حيث بيّن في البيت الثالث من شعره أن أهل الجنة يلقون فيها التحية من الله سبحانه .

---

(١) شعراء تثقيف في العصر الأموي ، جمع وتحقيق ودراسة عيضة عبدالغفور الصواط ص ١٦٧ . مطبوعات نادي الطائف الأدبي .

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفي ، توفي ٩٥ هـ : قائد داهية سفاك ، خطيب ، ولد ونشأ في الطائف ، له أخبار كثيرة . الأعلام ج ٢ ص ١٦٨ .

(٣) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣٤ .

**٥ ـ زياد بن منقذ (١):**

قال زياد بن منقذ في مدح بلده وقومه :

وجنّةٍ مـا يذمُّ الدهرَ حـاضـرُها
جبّـارُها بالنّدي والحـزمِ مـحـتـزمُ
فيـهـا عـقـائلُ أمـثـالُ الدُّمي خُرُدٌ
لم يَغْـذُهُنّ شـقـا عـيشٍ ولايَتَمُ
ينتـابُهُنّ كـرامُ مـا يذُمُّـهُمُ
جـارٌ غـريبٌ ولايؤْذي لهم حَـشَمُ
مُـخَـدّمـون ثِقـالٌ في مجـالِسـهم
وفي الرِّحالِ إذا صاحبتهم خَدَمُ (٢)

ويظهر أن زياد بن منقذ أطلق اسم الجنة على بلده مشبهاً لها بالجنة التي وصفها القرآن الكريم .. حيث تبدو الصورة العامة لوصفه مستوحاة من وصف القرآن الكريم للنساء والولدان والجو العام في الجنة ..

**٦ـ الحسن بن محمد بن علي (٣):**

قال الحسن بن محمد بن علي :

---

(١) زياد بن منقذ بن عمرو الحنظلي من بني العدوية ، توفي نحو ١٠٠هـ : يلقب بالمرار ، من شعراء الدولة الأموية ، معاصر للفرزدق وجرير ، له قصيدة في ذم صنعاء ومدح بلده وقومه ، الأعلام ج ٣ ص ٥٥ .

(٢) ديوان الحماسة ، لأبي تمام ، شرح التبريزي النميري ج ٢ ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٣) الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، توفي في ١٠٠ هـ ، المعروف بابن الحنفية ، توفي في المدينة ، الأعلام ج ٢ ص ٢١٢ .

مـا ضَـرَّ من كـانت الفِـرْدَوسُ منزلَه

ما كـان يأْتي في العيش من بؤسٍ وإقتـارِ(١)

ذكر الحسن بن محمد بن على اسم الجنة «الفردوس» في هذا البيت من شعره مبيناً أن الجنة منزلة عالية يهون في سبيلها كل ما في الدنيا من بؤس وعناء وشقاء .

## ٧ـ سابق البربرى(٢) :

قال سابق البربري في الوعظ :

وتطلبُ في الدنيـا المنازِلَ والعُـلا

وتنسي نعـيـمـاً دائمـاً لاتزايله

كـمن غـرَّهُ لَمعُ السراب بقيعـةٍ

فـقـصَّـرَ عن وردٍ تجيشُ مناهِلُه(٣)

لم يذكر سابق البربري اسم الجنة ، وإنما اكتفي في بيت واحد من شعره بذكر صفتها مبيناً أن نعيمها دائم لايزول ، وأنه يستحق أن يترفع لأجله الإنسان عن نعيم الدنيا ومتاعها الزائل .

## ٨ ـ العُديل بن الفُرخ العجلي (٤):

قال العديل بن الفرخ العجلي :

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣٥٣ .

(٢) سابق بن عبدالله البربري ، توفي نحو ١٠٠ هـ : من الشعراء الزهاد ، له شعر جيد في الحكمة والرقائق ، والبربري لقب له ، كان يفد علي عمر بن عبدالعزيز فيستنشده مواعظه . الأعلام ج ٣ ص ٦٩ .

(٣) سابق البربري والاتجاه الإسلامي في شعره ، رسالة ماجستير في الأدب ، إعداد شادية حسن زيني ، مخطوط ورقة ١٥٥ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣٤٥ .

(٤) العُديل بن الفُرخ العجلي ، توفي نحو ١٠٠هـ ، من رهط أبي النجم ، ويلقب بالعباب ، شاعر فحل ، اشتهر في العصر المرواني ، هجا الحجاج ، وهرب منه إلي بلاد الروم ، الأعلام ج ٤ ص٢٢٢.

أمـا ترْهبـانِ النارَ في ابني أبيكمـا

ولاترجـوانِ اللهَ في جنة الخُلْدِ[1]

ذكر العُديل في هذا البيت من شعره اسم الجنة بصيغة الإفراد مضافاً إلى الخلد، مع بيان الفرق بينها وبين النار ، في كون الجنة تطلب والنار ترهب .

## ٩ـ كُثَيِّر عزة [2]:

قال كثير عزة في الغزل :

مُنَعَّمَـةٌ لم تلْقَ بؤسَ مـعـيـشـةٍ

هي الخُلدُ في الدنيـا لمن يستـفـيـدها

هي الخُلدُ مـا دامتْ لأهلك جـارةً

وهل دامَ في الدنيا لنفسي خلودها[3]

يبدو في هذين البيتين كيف تأثر كثيّر عزة بوصف الجنة في القرآن الكريم .. حيث وصف المرأة من نساء الدنيا بأنها الخلد في الدنيا ، أي أنه يشبه المرأة بالجنة الموصوفة بالخلد ..

## ١٠ ـ جرير بن عطية [4]:

قال جرير يمدح العباس بن الوليد بن عبدالملك :

---

(١) ديوان الحماسة ، لأبي تمام ج ١ ص٣٠٨ ، شعراء أمويون ، القسم الأول دراسة وتحقيق د. نوري القيسي ص ٢٩٧ .

(٢) كثيّر بن عبدالرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي ، توفي ١٠٥ هـ : شاعر مشهور ، من أهل المدينة ، وفد علي عبدالملك بن مروان فازدري منظره ، ولما عرف أدبه رفع مجلسه ، توفي بالمدينة. الأعلام ج ٥ ص ٢١٩.

(٣) ديوان كثيّر عزة : جمع وشرح د. إحسان عباس ص ٢٠٠ .

(٤) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي اليربوعي ، توفي ١١٠ هـ : أشعر أهل عصره ، ولد ومات في اليمامة ، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه . الأعلام ج٢ ص ١١٩ .

أُعْطِيتَ من جنةِ الفردوسِ مرتفقاً

من فازَ يومئذٍ فيها فقد خلَدا[1]

وقال جرير يمدح خالد بن عبدالله :

وإنا لنرجو أن تُرَافِقَ رفقةً

يكونون للفردوسِ أولَ واردِ[2]

وقال جرير يمدح أيوب نن سليمان بن عبدالملك :

سُوِّسْتُمُ المُلْكَ في الدنيا ومنزلكم

منازلُ الخُلْدِ زانتها الأكاويبُ[3]

وقال جرير في مقتل قتيبة بن مسلم :

علي أنه أفضي إلى حورِ جنّةٍ

وتُطْبِقُ بالبلوي عليكم جهنّمُ[4]

وقال جرير يمدح المهاجر بن عبدالله عامل هشام على اليمامة :

مستبصرٌ فيها على نورِ الهدى

أَبْشِرْ بمنزلة المقيمِ الخالدِ[5]

وقال جرير يمدح هشاماً :

---

(١) ديوان جرير ، بشرح محمد بن حبيب ، تحقيق نعمان محمد طه ج ١ ص ٣٩٦ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ١٨٤ .

(٢) ديوان جرير ج ٢ ص ٦٠٤ . نقائض جرير والفرزدق ، طبع ليدن ١٩٠٥م . ج ٢ ص ٩٨٨ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ١٨٣ .

(٣) ديوان جرير ج ١ ص ٣٥٠ .

(٤) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٢٣٧ . ليس في الديوان .

(٥) ديوان جرير ، ج ٢ ص ٦٣٩ .

وقُـيتَ الحـتفَ من عَـرضِ المنايا

ولُقّـيتَ التـحيـةَ والسـلامـا[1]

وقال جرير يمدح يزيد بن عبدالملك ، ويهجو آل المهلب :

ومـا ابتني الناسُ من بنيـان مكرُمـةٍ

إلا لكم فـوق من يبني العُـلا غُـرَفُ

اللهُ أعطاك فـاشكر فـضلَ نعـمتـه

أعطاكَ ملك التي مافوقـها شَرَفُ[2]

وقال جرير يمدح هشام بن عبدالملك أيضاً :

بلغْتَ من الهنيء فـقلتَ شكراً

هَناكَ وسُـهّلَ الجـبلُ الصُّلُودَ

بهـا الزيتـون في غَلَلٍ ومـالتْ

عناقـيـدُ الكُرومِ فـهنّ سـودُ

فـتـمـّضتْ في الهنيء جنانُ دنيـا

فـقـال الحـاسـدونَ هي الخُلُودُ

يعـضّـون الأناملَ أن رأوهـا

بسـاتيناً يوازرُها الحَـصِـيـدُ

ومن أزواجِ فـاكـهـةٍ ونَخْلٍ

يكون لحـمْلِه طَلْعٌ نضـيـدُ[3]

وقال جرير يرثي زوجه خالدة ، وهي أم ابنه حرزة :

---

(١) ديوان جرير ج١ ص ٢٢٥ .

(٢) المرجع السابق نفسه ج ١ ص ١٧٥ .

(٣) ديوان جرير ج ١ ص ٢٩١ .

ولقــد نظرتُ ومــا تمتُّعُ نظرة
في اللحـدِ حـيث تمكّن المحْـفـارُ
فـجـزاكِ ربُكِ في عـشـيـركِ نظرةً
وسـقي صَـدَاكِ مُـجلجلُ مـدرارُ(١)

وهكذا ظهر تأثر جرير بوصف الجنة في أربعة عشر بيتاً من شعره ، حيث ذكر اسم الجنة في البيت الأول منها بصيغة الإفراد مضافاً إلى الفردوس ، مع بيان أن من فاز بالجنة فاز بالخلود في النعيم .. وذكر في البيت الثاني منها اسم الفردوس دالا به على الجنة دون أن يصفـهـا .. وفي البيت الثالث ذكر اسم الجنة باسم «منازل الخلد» مع وصفها وصفاً ذكر فيه الشراب وآنيته كما جاء في القرآن الكريم .. كما ذكر اسم الجنة مضافاً إليه الحور في البيت الرابع ، وذلك لبيان أن أهل الجنة يتمتعون فيها بالحور العين .. وذكر اسم الجنة باسم «منزلة المقيم الخالد» في البيت الخامس من شعره ، وذلك لبيان أن الجنة منزلة الإقامة والخلد .. كما بين في البيت السادس من شعره شيئاً من أنواع النعيم الروحي في الجنة فأهل الجنة يتلقون فيها التحية والسلام من الله ومن ملائكته .. وفي البيتين السابع والثامن من شعره يصف جرير الجنة وصفاً مفصلاً، حيث بين أن فيها غرفاً فوق الغرف وأن من فاز بدخولها فاز بالشرف الذي ليس فوقه شرف .. وفي الأبيات الخمسة الأخيرة يصف جرير جنة في الدنيا بما وصف به القرآن الكريم الجنة .. مبيناً أن الفرق شاسع بين جنة الأرض وجنة الخلود .. حيث تتميز الأخيرة بالخلود والدوام .. وفي البيت الرابع عشر من شعره يشير جرير إشارة إلى متاع الجنة دون ذكر اسمها ..

ويلحظ أخيراً أن أبيات جرير في وصف الجنة وذكرها قد جاءت أكثرها في سياق المديح لخلفاء بن أمية أو ولاتهم عدا البيتين اللذين رثي بهما زوجه خالدة .

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ص ٨٦٢ .

كما يلحظ أن تأثر جرير بوصف القرآن الكريم للجنة تنوعت صوره وأساليبه ، ما بين ذكر اسم الجنة مجرداً من الوصف والإضافة أو ذكره مضافا إلى صفة من الصفات المجملة لها .. كما ورد في بعض الأبيات وصف مجمل للجنة ، أو وصف مفصل في بعضها الآخر .. كما جاءت بعض الأبيات في وصف جنة من جنان الدنيا بما وصف به القرآن الكريم الجنة .. وهذا يدل على التنوع والتصرف في تأثر جرير بوصف القرآن الكريم للجنة ..

## ١١ ـ الفرزدق (١):

قال الفرزدق في هجاء ابليس :

ألاطال مــا قــد بتُّ يوضِعُ ناقــتى
أبو الجنَّ ابليسُ بغـــيــرِ خُطَامِ
يبـــشـــرني أنْ لن أمـــوتَ وأنه
ســيُــخْلِدي في جنّةٍ وســلامِ(٢)

وقال الفرزدق يذكر وقعة وكيع :

فيـجزي وكـيع بالجـمـاعـة إذ دعا
إليــهـــا بســيفٍ صــارمٍ وسنانِ

---

(١) همّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي : توفي ١١٠ هـ : شاعر من النبلاء من أهل البصرة ، عظيم الأثر في اللغة ، من شعراء الطبقة الأولى ، وهو صاحب المهاجاة مع جرير والأخطل ، كان شريفاً في قومه يحمي من استجار بقبر أبيه ، توفي في بادية البصرة . الأعلام ج ٨ ص ٩٣.

(١) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٢٧٦ . أثر الإسلام في شعر الفرزدق ، د. مصطفي عبدالواحد ص ٧١ ، الطبقة الأولي .

جزاءً بأعمال الرجالِ كما جزا

ببدرٍ وباليرموكِ فيءَ جِنانِ(١)

وقال الفرزدق بعد طلاق زوجه النوار :

وكانتْ جنتي فخرجتُ منها

كآدَمَ حين لجّ به الضّرارُ(٢)

وقال الفرزدق في هجاء ابليس :

وآدمَ قد أخرجتَهُ وهو ساكن

وزوجتهُ من خيرِ دارِ مُقامِ

وأقْسمتَ يا إبليس أنك ناصح

له ولها إقسامَ غيرِ أثامِ

فظلاً يخيطانِ الوراقَ عليهما

بأيديهما من أكل شرّ طعامِ(٣)

وقال الفرزدق أيضاً :

خلفاءُ قد تركوا فرائضهم

فينا وسنةَ طيبي الذكْرِ

تبعوا رسولهم بسنته

حتي لقوه وهم على قَدرِ

---

(١) النقائض بين جرير والفرزدق ، لأبي عبيدة معمر بن المثني ، طبع محمد اسماعيل الصاوي ج ٢ ص ٧١ . الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي . د. حسين عطوان ص ١١٥ .

(٢) أثر الإسلام في شعر الفرزدق ص ٧٢ .

(٣) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٢٧٧ . أثر الإسلام في شعر الفرزدق ص ٧٣

رفـقـاء مـتكئين في غُـرفٍ
فـرحين فـوق أسـرَّةٍ خُـضْـرِ
في ظلٍّ من عَنَتِ الوجـوه له
حكم الحُكومِ ومـالك القـهـرِ[1]

وقال الفرزدق أيضاً :

فـأصبح في القـومِ الذين مـحـمّـدٌ
أخوهم ، ومَنْ يلْحق بهم فهو سالمُ
جُـزُوا بالسـريراتِ التي في قلوبهم
جَزَاهمْ بها مُحْصي السريراتِ عالِمُ
إلي الغـرفـةِ العُليـا رفيقَ مـحـمْـدِ
مقيـماً ، ولا منهـا هو الدهرَ رائمُ[2]

وقال الفرزدق أيضاً :

في غُـرَفِ الجنةِ العُلْيـا التي جُـعِلَتْ
لهم هُنَاكَ بسـعي كـان مـشكورِ[3]

وقال الفرزدق في مقتل قتيبة بن مسلم :

فـإنا أُناسٌ نشـتـري بدمـائنا
ديارَ المنايا رغـبـةً في المكارِمِ[4]

---

(١) أثر الإسلام في شعر الفرزدق ص ٢٩ .
(٢) أثر الإسلام في شعر الفرزدق ص٥٩ شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٢٤١ .
(٣) أثر الإسلام في شعر الفرزدق ص ٢٩
(٤) نقائض جرير والفرزدق ، طبع ليدن ١٩٠٥ ، ج ١ ص ٣٩١

ظهر تأثر الفرزدق بوصف الجنة في القرآن الكريم في عشرة أبيات ، موزعة على قصائد مختلفة ، والقليل منها موزع في قصيدته التي قالها في هجاء ابليس . وقد تنوعت مظاهر تأثره بالقرآن ، من حيث ذكر اسم الجنة ، أو التأثر بوصف جنة آدم ـ عليه السلام ـ في القرآن ، أو تأثره بالوصف المفصل للجنة كما جاء في القرآن الكريم .. ففي البيت الأول من أبياته التي أوردناها ذكر الفرزدق الجنة بصيغة الإفراد مع عطف السلام عليها .. مبيناً أن الجنة هي دار السلام .. وفي البيت الثاني من هذا الشعر ذكر اسم الجنة بصيغة الجمع «جنان» مضيفاً إليه الفيء ، ليبين أن الجنة تمتاز بالفيء والظلال .. أما في البيت الثالث من شعره المتأثر بوصف الجنة فإنه شبه فيه زوجته وحياته معها بالجنة التي كان فيها آدم عليه السلام ، مبيناً أن الضرار لحق به كما لحق آدم بخروجه من الجنة .. ويبدو أن الفرزدق قد تأثر كثيراً بقصة آدم ـ عليه السلام ـ في الجنة كما وردت في القرآن الكريم حيث وصف موقف إبليس من آدم وحواء عليهما السلام ، وكيف أنه أغواهما بالضلال فأُخرجا من الجنة ، التي هي خير دار يقام فيه .. وذلك في أبياته الرابع والخامس والسادس ..

كما يبدو أن الفرزدق قد تأثر كثيراً بالوصف المفصل لمساكن الجنة وغرفها كما جاء في القرآن ، حيث ورد ذكر غرف الجنة ووصفها ، وبيان حال أهلها في هذه الغرف في أبيات ثلاثة من شعره موزعة على قصائد مختلفة .

أما البيت العاشر والأخير من شعر الفرزدق الذي ورد في ذكر الجنة ووصفها ، فإنه لم يذكر فيه اسم الجنة ، وإنما اكتفي بأنها دار المكرمات التي يسعي إليها المجاهدون في سبيل الله .

وآخراً يلحظ أن شعراء هذه الفترة من العصر الأموي قد تطور وصفهم للجنة، من حيث تأثرهم بأسلوب القرآن الكريم .. حيث بدا شعرهم أكثر تمعناً في أوصاف الجنة في القرآن ، فهم في أكثر هذا الشعر يذكرون أوصافاً مفصلة عن الجنة مشبهين ما في الدنيا بما عرفوه من صفات الجنة .. كما يظهر في إطلاق أوصاف نساء الجنة على نساء الدنيا .. وإطلاق صفات الخمر في الجنة على خمر الدنيا .. وكما يبدو

في إطلاق صفات الطبعية والمناخ التي عرفوها من القرآن الكريم عن الجنة على ما يجدون في الدنيا من الحدائق والجنان ..

كما يبدو تمعن شعراء الفترة في الأوصاف المفصلة للجنة في القرآن في حديثهم عن مساكن الجنة وغرفها وصفاتها ، وكما يبدو في ذكرهم لقصة آدم عليه السلام وزوجه في الجنة ، وتشبيه حالهم في الدنيا مع أزواجهم بحال آدم عليه السلام في الجنة .. وكل هذا التصرف في تأثرهم بالقرآن الكريم يدل على عمق تأثرهم بما ذكره القرآن الكريم من صفات الجنة ..

## (ج) الشعر الذي توفي شعراؤه ما بين ١١٤، ١٦٧هـ:

### ١ ـ يحيى بن عروة بن الزبير [١]:

قال يحيى بن عروة بن الزبير :

عـجـوزٌ عـجـائزِ الفـردوسِ أمّى

مـهـذبةُ الوشـائجِ ، هاتَ جـرا[٢]

فقد ذكر «الفردوس» دالاً به على الجنة في بيت واحد من شعره ، مبيناً أن من دخلها نال الشرف والمكانة العالية .

### ٢ ـ ذو الرّمة [٣]:

قال ذو الرمة :

ياصـاحـبيَّ انظُرا آواكـمـا دَرَجٌ

عـالٍ ، وظِلٌّ من الفـردوسِ ممدودُ[٤]

يبـدو تأثر ذي الرُّمة بوصف الجنة في هذين البـيتين من شعـره ، حيث ذكـر الفردوس في البيت الأول دالاً به على الجنة ، مع بيان شئ من الصفات المفصلة لها، بأن وصفها بعلو المكانة وامتداد الظل فيها .

---

(١) يحيى بن عروة بن الزبير بن العوام ، توفي نحو ١١٤ هـ : ناسب عالم من أعيان المدينة ، له شعر ، وله رواية قليلة الحديث . الأعلام ج ٨ ص ١٥٦ .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٧٢ .

(٣) غيلان بن عقب بن نهيس العدوي ، توفي ١١٧هـ : شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره، امتاز بإجادة التشبيه . الأعلام ج ٥ ص ١٢٤ .

(٤) ديوان ذي الرُّمة ، حققه وقدم له د. عبدالقدوس أبو صالح ج ٢ ص ١٣٥٥ .

## ٣ ـ الكُميْت بن زيد الأسدي (١):

قال الكُميْت بن زيد :

وقـد رأينا بهـا حـوراً منعـمـةً
بيضاً تكامَلَ فيهـا الدَّلُّ والشنبُ(٢)

فقد ظهر تأثر الكميت بن زيد بوصف القرآن الكريم للجنة في بيت واحد من شعره ، حيث وصف النساء من أهل الدنيا بما وصف به القرآن الكريم نساء الجنة فأطلق على نساء الدنيا اسم الحور مبيناً أنهن منعمات غاية التنعم ..

## ٤ ـ يزيد بن الطثرية (٣):

قال يزيد بن الطثرية :

فـيـا جنَّةَ الدنيـا ويا منتـهي المنى
ويا نور عيني هل إليكِ سبيلُ(٤)

ذكر يزيد بن الطثرية اسم الجنة مضافاً إلى الدنيا .. مريداً تشبيه المرأة بجنة الدنيا.. في هذا البيت المنسوب له ولغيره ..

---

(١) الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي ، توفي ١٢٦ هـ ، شاعر الهاشميين ، كان عالماً بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، وهو من أصحاب الملحمات ، الأعلام ج ٥ ص ٢٣٣ .

(٢) شعر الكميت بن زيد الأسدي ، جمع وتقديم د. داود سلوم القسم الأول ج ١ ص ٩٣ .

(٣) يزيد بن سلمة بن سمرة بن الطثرية ، توفي ١٢٦ هـ : شاعر مطبوع من شعراء بني أمية مقدم عندهم ، وله شرف وقدر في قومه بني قشير . كان حسن الشعر حلو الحديث صاحب غزل وظرف وشجاعة وفصاحة ، قتله بنو حنيفة يوم الفَلَج من نواحي اليمامة . الأعلام ج ٨ ص ١٨٣ .

(٤) شعر يزيد بن الطثرية ، صنعة حاتم الضامن ، مطبعة أسعد ـ بغداد ص ٨٩ .

(٥) الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان ، توفي ١٢٦هـ : من ملوك الدولة الأموية ، يعاب بالانهماك في اللهو وسماع الغناء ، له شعر رقيق وعلم بالموسيقي . قتل علي يد أصحاب يزيد بن الوليد بن عبدالملك . الأعلام ج ٨ ص ١٢٣ .

## هـ ـ الوليد بن يزيد (٥):

قال الوليد بن يزيد :

قـد كُنْتُ أَحْسِبُ أنني جَلْدُ القُـوى

حـتي رأيتُ كـواعـبـاً أترابا[١]

وقال الوليد بن يزيد في الغزل :

يا سلمَ كنتِ كـجنةٍ قـد أطمـعتْ

أفنانُهـا دانٍ جَناها مُـوضَعُ[٢]

وقال الوليد بن يزيد في المجون :

واتركـا من طَلَبَ الجنةِ يَسْعي في خَسَارِ[٣]

وقال الوليد بن يزيد أيضاً :

لا أرْتجي الحُـورَ في الخلودِ وهَلْ

يأمَلُ حـورَ الجِنانِ من عَـقَـلا[٤]

تأثر الوليد بن يزيد بوصف الجنة في القرآن الكريم في أربعة أبيات من شعره ظهر هذا التأثير سلبيا في بيتين منها .. حيث وصف الوليد بن يزيد نساء الدنيا بما وصف به القرآن الكريم نساء الجنة في البيت الأول من شعره . وفي البيت الثاني من شعره ذكر اسم الجنة بصيغة الإفراد ، في تشبيهه المرأة من نساء الدنيا بالجنة التي وصفها بأن أغصانها وثمارها دانية .. مما يدل على تأثره بوصف الجنة في القرآن الكريم .. أما في البيتين الثالث والرابع فإن التأثر بوصف الجنة يبدو فيهما سلبياً .. حيث عكس الشاعر في البيت الثالث المفهوم الإسلامي الذي بينه القرآن الكريم من

---

(١) شعر الوليد بن يزيد ، جمع وتحقق د. حسين عطوان ، مكتبة الأقصى ص ١٥.

(٢) شعر الوليد بن يزيد ص ٧٥.

(٣) المرجع السابق نفسه ص ٦٤ .

(٤) شعر الوليد بن يزيد ص ٩٠ .

وصف نعيم الجنة ، وذلك أنه لم يبين أن الجنة عالية المنزلة والمكانة عند المسلمين وأنهم يتمنون دخولها والفوز بما فيها من ألوان النعيم .. بل عكس هذا المفهوم الإسلامي ، كما أنه في البيت الرابع يعكس المفهوم الإسلامي فيبين أنه لايرتجي الحظوة عند الله سبحانه ، ولا الفوز بالحور العين في الجنة ..

وهذا النوع من التأثر السلبي بوصف الجنة في القرآن الكريم يبدو في شعر الوليد بن يزيد فقط من شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي .. وربما كان فيما عرف عنه من المجون واللهو وشرب الخمر تفسير لذلك ..

## ٦ـ الضحاك بن قيس الشيباني [١]:

قال الضحاك بن قيس يرثي بهلولاً ويذكر أصحابه :

خلّوا لنا باطنَ الدنيـــا وظاهِرهَا

وأصبحوا في جِنانِ الخُلْدِ جيرانا[٢]

يذكر الضحاك بن قيس في هذا البيت من شعره اسم الجنة بصيغة الجمع «جنان» مضافاً إلى الخلد ، مبيناً أن الجنة مطلب للمسلمين المجاهدين يتجاورون فيها.

## ٧ـ شيبان بن سلمة [٣]:

كان الخوارج يرتجزون مع شيبان بن سلمة :

---

(١) الضحاك بن قيس الشيباني ، توفي ١٢٩هـ : زعيم حروري من الشجعان الدهاة ، اجتمعت عليه الصفرية بعد قتل سعيد بن بهدل ، فصار في أربعة آلاف فسار إلي العراق واستولي علي الكوفة ، وحاصر واسطاً فصالحه عاملها ، وكاتبه أهل الموصل حتي ناهز جيشه مائة ألف . الأعلام ج ٣ ص ٢١٥ .

(٢) شعر الخوارج ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

(٣) شيبان بن سلمة السدوسي ، توفي ١٣٠ هـ : أحد الشجعان القادة من الحرورية : ولما ظهرت دعوة بني العباس أرسل إليه أبو مسلم الخراساني : أدعوك إلي البيعة ، فقال شيبان أنا أدعوك إلي بيعتي ، فحاربه أبو مسلم وقتل شيبان . الأعلام ج ٣ ص ١٨٠ .

نحن بنو شيبانَ أهل الجنهْ
نقتلكم على هديٍ لا ظِنهْ[1]

ورد ذكر الجنة في بيت واحد من رجز شيبان بن سلمة ، حيث ذكر اسم الجنة بصيغة الإفراد مضافاً إليه أهل .. مبيناً أن الجنة حق للمجاهدين في سبيل الله ، وأن الخوارج أهلها حسب اعتقادهم .

**٨ـ مالك بن دينار [٢]:**

قال مالك بن دينار في الوعظ ـ ولم يكن مشتهراً بالشعر :

ألهتك اللذائذُ والأماني
عن البيض الأوانسِ في الجِنَانِ
تعيشُ مخلّداً لا موتَ فيها
وتلهو في الجِنَان مع الحِسَانِ[٣]

يظهر تأثر مالك بن دينار بوصف القرآن الكريم للجنة في هذين البيتين من شعره، وفيهما يذكر اسم الجنة بصيغة الجمع «جنان» مع وصف الجنة بأنها مطلب المسلمين الذي ينبغي أن يترفعوا من أجله عن متاع الحياة الدنيا ولذائذها الفانية .. مبيناً أن الجنة فيها النساء البيض الحِسَان اللاتي خصّصهن الله ـ سبحانه ـ لمتعة عباده المؤمنين في دار الخلود .

---

(١) شعر الخوارج ص ٢١٩ .
(٢) مالك بن دينار البصري ، توفي ١٣١ هـ : من رواة الحديث ، كان ورعاً يأكل من كسبه ، توفي بالبصرة . الأعلام ج ٥ ص ٢٦٠ ٢٦١ .
(٣) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣٧٤ .

### ٩- رؤبة بن العجّاج (١):

قال رؤبة بن العجّاج يمدح أبا العبّاس السفاح :

مـا فـيـه لولا أنه يتـرجـمُـهْ

وقـد تري بحيث تُبني خيـمـهْ

حُـوراً ولهـواً لاهيـاً مُـتـيَّـمُـهُ

تُضـمَحُ بالجـاديّ أَوْ تُلَغْـمُـهْ(٢)

وقال رؤبة بن العجاج يمدح الحارث بن سُليم الهُجَيمي :

ومِـنْ هَـوايَ الـرُّجَّـحُ الأثـايـثْ

تُمـيلُهـا أعـجـازها الأواعِثْ

كـالبـيضِ لم يَطْمِثْ بهنَّ طامثُ

أزمـانَ رأسي قـصـيبُ جُـثـاجثْ(٣)

وقال رؤبة أيضاً يمدح بلال بن أبي بردة :

رَحْبِ الفُـروعِ مُكْرَبُ العـراقى

تَسْـقَي به الحقَّ سـقـاكَ السـاقى

من كَـأسِـه بلذَّةٍ دهاق

بـلالُ يـابـنَ الأنَـجُـمِ الأطْـلاقِ(٤)

---

(١) رؤبة بن عبدالله بن العجّاج بن رؤبة ، توفي ١٤٥ هـ : راجز من الفصحاء المشهورين من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان أكثر مقامه في البصرة ، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، مات في البادية ، الأعلام ج ٣ ص ٣٤ .

(٢) مجموع أشعار العرب، وهو مشتمل عل ديوان رؤبة بن العجاج ، دار الآفاق الجديدة ص١٥٠.

(٣) مجموع أشعار العرب ، وهو مشتمل علي ديوان رؤبة ص ٢٩ .

(٤) المرجع السابق نفسه ص ١١٦ .

لم يذكر رؤبة بن العجاج اسم الجنة في شعره ، وإنما تأثر في ثمانية أبيات منه بما جاء في القرآن الكريم من وصف لها .. حيث أطلق اسم الحور على نساء الدنيا واصفاً لهن بأنهن في الخيام في الأبيات الأربعة الأولي .. ووصف نساء الجنة في البيتين الخامس والسادس بأنهن كالبيض الذي لم تمسه الأيدي .. كما وصف الخمر في البيتين السابع والثامن بما وصف به القرآن الكريم الخمر في الجنة .. مما يدل على تأثر الشاعر بوصف الجنة كما جاء في القرآن ..

## ١٠ ـ طُريح بن إسماعيل الثقفي (١):

قال طُريح بن إسماعيل الثقفي يمدح الوليد بن يزيد :

واستبشروا بالرِّضا تباشُرَهم

بالخُلْدِ ، لو قيل إنكم خُلُدُ(٢)

ذكر طريح في هذا البيت من شعره اسم الخُلد دالاً به على الجنة ، مبيناً أن التبشير بالخلود فيها يسعد النفوس .

## ١١ ـ بشار بن برد(٣):

قال بشار بن برد في النسيب :

---

(١) طُريح بن أسماعيل بن عبيد الثقفي ، توفي ١٦٥ هـ : شاعر الوليد بن يزيد الأموي ، وأكثر شعره في مدحه ، عاش إلي أيام الهادي العباسي . الأعلام ج ٣ ص ٢٢٦ .

(٢) شعر طريح بن إسماعيل الثقفي ، دراسة وجمع وتحقيق د. بدر أحمد ضيف ١٩٨٧ ص ٣٨ . شعراء أمويون ، القسم الثالث ، د. نوري القيسي ص ٢٢٩ .

(٣) بشار بن برد العقيلي بالولاء ، توفي ١٦٧هـ : أشعر المولدين : أصله من طخارستان ، كان ضريراً، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية ، من الطبقة الأولي ، اتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط، الأعلام ج ٢ ص ٥٢ .

ودعـجـاء المحـاجـرِ من مَـعَـدٍّ

كـأنَّ حـديثـهـا ثمـرُ الجِنَانِ[(١)]

وقال بشار بن برد في النسيب أيضاً :

يارحـــمـــةَ اللهِ حُلّي في منازلنا

حسبي برائحة الفردوسِ من فيكِ[(٢)]

ظهر تأثر بشار بن برد بوصف الجنة في هذين البيتين من شعره ، وذلك أنه ذكر اسم الجنة بصيغة الجمع «جنان» مشبهاً حديث المرأة بثمر الجنة .. وفي البيت الآخر ذكر الفردوس دالاً به على الجنة مشبهاً رائحة المرأة برائحة الجنة .. مما يدل على تأثره بوصف الجنة كما ورد في القرآن الكريم ..

ونلاحظ على شعر وصف الجنة في هذه الفترة قلة الشعر المنسوب إلى كل شاعر . وقلة ذكر اسم الجنة فقط ، والاعتماد في أكثره على الصفات المفصلة للجنة كما ورد في القرآن ، وتشبيه النساء أو الخمر بهذه الصفات المفصلة للجنة .. كما يلاحظ أن أكثر هذا الوصف جاء في شعر الغزل والمديح وقليل منه جاء في الشعر الحماسي ولم يأت شيء منه في الرثاء .. كما ورد فيه الشعر الذي كان تأثره سلبياً بوصف الجنة كما في شعر الوليد بن يزيد الذي عكس المفهوم الإسلامي في تأثره بوصف الجنة ..

---

(١) مختارات البارودي من شعر بني أمية وبني العباس ، محمود سامي البارودي ج ٤ ص ١٩٣ ، حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء ، لأبي محمد العبدلكاني ج ٢ ص ١٩٣ .

(٢) مختارات البارودي ج ٤ ص ١٩٣ .

## د ـ الشعر المجهول النسبة:

**ويمكن أن يقسم هذا الشعر إلى قسمين :**

**( أ ) الشعراء الذين لم تُعرف سنة وفياتهم :**

**وهم :**

### ١ ـ ساعدة بن جؤية [١]:

**قال ساعدة بن جؤية :**

وَمِزاجُها صهباءُ فُتَّ خِتامُها

قَرِطٌ من الخُرْسِ القطاطِ مثقَّبُ[٢]

ذكر ساعدة بن جؤية في هذا البيت من شعره وصفاً لخمر الدنيا مستعملاً صفات خمر الجنة كما ذكرها القرآن ، دون أن يذكر اسم الجنة ..

### ٢ ـ قمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي [٣]:

**قالت قمر :**

لو لم تكنْ جنّةٌ إلا لجاهلةٍ

رضيتُ من حُكْمِ ربِّ الناسِ بالنارِ[٤]

---

(١) ساعدة بن جؤية الهذلي ، لم أجد سنة وفاته : شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، أسلم وليست له صحبة ، شعره محشو بالغريب والمعاني الغامضة . الأعلام ج ٣ ص ٧٠ .

(٢) ديوان الهذليين ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، ق١ ص ١٨٢ .

(٣) قمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي صاحب اشبيلية ، لم تعرف سنة وفاتها ، كانت من أهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصنعة الألحان ، كانت معاصرة لابن عبدربه الشاعر ، حظيت عند مولاها بمنزلة رفيعة ، فلما ماتت أسف عليها أسفاً شديداً . الدر المنثور . زينب فواز ص ٤٥٢ ـ ٤٥٣ . الشعر النسوي في الأندلس ، محمد المنتصر ص ٥١ ـ ٥٢ .

(٤) شاعرات العرب ، عبدالبديع صقر ص ٢٢٧ .

ورد في هذا البيت من شعر قمر اسم الجنة بصيغة الإفراد مجرداً من الوصف والإضافة ..

٣ ـ جحدر بن معاوية اللص [(١)]:

قال جحدر بن معاوية :

أيامَ أرعي العِين في زَهَرِ الصِّبا
وثمارَ جنّاتِ النساء وطيبَها[(٢)]

٤ ـ شبيب بن البرصاء [(٣)]:

قال شبيب بن البرصاء :

فإنْ تكُ هِندٌ جنّةً حِيلَ دونها
فقدْ يَعزِفُ اليأسُ الفتي فيعيجُ[(٤)]

ذكر شبيب بن البرصاء في هذا البيت من شعره اسم الجنة بصيغة الإفراد مجرداً من الوصف والإضافة ، مشبهاً المرأة من نساء الدنيا بالجنة ..

## (ب) الشعراء الذين لم توجد لهم ترجمة :

### ١ ـ الجعد بن ضمام الدوسي [(٥)]:

---

(١) جحدر بن معاوية بن جعدة العُكلي ، لم تُعرف سنة وفاته ، أثار الرعب في اليمامة وعُمان ، وحبسه الحجاج بن يوسف ، ثم أطلق سراحه . تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين م ٢ ج٣ ص ١٤٣ .

(٢) شعراء أمويون ، القسم الأول ص ١٧٠ .

(٣) شبيب بن يزيد بن جمرة ، لم تعرف سنة وفاته ، كان فارساً مرموقاً ، والبرصاء أمه ، كان يهاجي عقيل بن علّفة ، ويهاجي أرطأة بن سهية الأمر الذي جعل عشيرته تشكوه إلي والي المدينة عثمان بن حية المري ٩٣هـ ـ ٩٦هـ ، وكان عبدالملك بن مروان معجباً بشعره . تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين م٢ ج٣ ص ١١٧.

(٤) شعراء أمويون ، القسم الثالث ص ٢٢٣ .

(٥) من شعراء الخوارج ، لم أجد ترجمة له .

قال الجعد بن ضمام يرثي صالح بن مسرح

أيا عينُ فابكي صالحاً إن صالحاً
شري نفسَه للهِ يبغي بها الخُلْدُ[1]

ذكر الجعد بن ضمام في هذا البيت من شعره ، اسم الخلد دالاً به على الجنة، مع بيان أن الجنة مطلب المجاهدين في سبيل الله .

## ٢ ـ حبيب بن خدرة [2] :

قال حبيب بن خدرة مولاهم يرثي ملحان بن معروف وعبدالملك بن علقمة :

فصرتُ صاحبَ دنيا لستُ أملكها
وصارَ صاحِبَ جنَّاتٍ وأنهارِ[3]

وقال حبيب بن خدرة يرثي قتلي الخوارج :

أبكي الذين تبوءوا الغُرَفَ العلَى
فجرتْ لهم من تحتها أنهارُ
أبكي لنفسي لا لهم أبكيهمُ
لا صبرَ حيث تعارفَ الأبرارُ[4]

ورد في البيت الأول من شعر حبيب بن خدرة اسم الجنة بصيغة الجمع «جنات» مع عطف الأنهار عليه ليبين أن الجنة موصوفة بوجود الأنهار فيها ، ويبين أنها ملك لأهلها .. أما الدنيا فإنها ليست حقاً لأهلها .. أما في البيت الثاني من شعره فإنه

---

(١) شعر الخوارج ص ١٧٨ .
(٢) من شعراء الخوارج ، لم أجد ترجمة له .
(٣) شعر الخوارج ص ٢١١ .
(٤) المرجع السابق نفسه ص ٢١١ .

لم يذكر اسم الجنة ، وإنما اكتفي بذكر ما فيها من الغرف العالية مبيناً أنها تجري من تحتها الأنهار وأن أهلها في عزة ونعيم يتعارفون فيما بينهم ولايصيبهم ما يتطلب الصبر..

## ٣ ـ حسان بن جعدة [١]:

قال حسان بن جعدة يرثي بسطاماً اليشكري الملقب بشوذب :

إني لأعلمُ أن قــد أُنْزِلوا غُــرَفــاً
من الجِنانِ ، ونالوا ثـمَّ خُــدّامــا[٢]

ذكر حسان بن جعدة في هذا البيت من شعره اسم الجنة بصيغة الجمع «جنان» متعلقاً بالغرف ، ليبين أن الشهداء من المجاهدين ، يسكنون الغرف في الجنة وينعمون فيها بالخدم الذين يرفهون عنهم ..

## ٤ ـ العيزار بن الأخنس الطائي [٣]:

قال العيزار بن الأخنس في الرثاء :

جــزي اللهُ زيداً كلَّمــا ذرَّ شــارقٌ
وأُسْكِنَ من جنَّاتِ عَـدْنٍ قـرارها[٤]

ورد اسم الجنة في هذا البيت بصيغة جمع المؤنث «جنات» مضافاً إلى العدن دون أن يصفها ..

## ٥ ـ الرُّهين بن سهم المرادي [٥]:

قال الرُّهين بن سهم في مصرع مرداس وإخوانه :

---

(١) من شعراء الخوارج ، لم أجد ترجمة له .
(٢) شعر الخوارج ص ١٩٥ .
(٣) من شعراء الخوارج ، لم أجد ترجمة له .
(٤) شعر الخوارج ص ٣٣ .
(٥) من شعراء الخوارج ، لم أجد ترجمة له .

أقـامـوا بدارِ الخُلْدِ لايرتجيـهمُ

حميمٌ كما يُرْجى إيابُ المسافرِ [١]

وقال الرُّهين بن سهم المرادي أيضاً :

وأسألُ اللهَ بيعَ النفسِ محتسباً

حتى أُلاقي في الفردوسِ حُرقوصا [٢]

ورد في البيت الأول من شعر الرهين بن سهم اسم دار الخلد دالاً به على الجنة، ومبيناً أنها مقرُّ الشهداء الذين رزقوا الخلود فيه ..

أما البيت الآخر من شعره فإنه ذكر فيه الفردوس دالاً به على الجنة ، مبيناً أنها مطلب للمجاهدين من الخوارج في سبيل الله حسب اعتقادهم .

## ٦ـ عبدالرحمن بن جمانة الباهلي [٣] :

قال عبدالرحمن بن جمانة الباهلي يرثي قتيبة بن مسلم الباهلي :

دَعَتْـهُ المنايا فاسـتجابَ لربِّه

وراحَ إلى الجنَّاتِ عَفّاً مطهَّرا [٤]

ذكر في هذا البيت من شعر عبدالرحمن بن جمانة اسم الجنة بصيغة جمع المؤنث مجرداً من الوصف والإضافة ..

---

(١) شعر الخوارج ص ٦٣

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٦٢ .

(٣) لم أجد له ترجمة ، وذكر في نقائض جرير والفرزدق باسم جمانة بن عبدالملك .

(٤) نقائض جرير والفرزدق ، طبع ليدن ١٩٠٥ ج١ ص ٣٢٣. النقائض بين جرير والفرزدق ، لأبي عبيدة ج ٢ ص ٦٩ ـ٧٠ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٢٣٨ ، الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية ، الهادي حمودة الغزي ص ٩٣ .

### ٧ ـ صحاري بن شبيب [١]:

قال صحاري بن شبيب :

بائعٌ أهلي ومـــالي ، أرجـــو

في جِنانِ الخُلْدِ أهلاً ومـــالا[٢]

### ٨ ـ أبو بلال مرداس بن أدية [٣]:

قال أبو هلال مرداس بن أدية :

مــا إنْ نبــالي إذا أرواحُنا خَــرَجت

مــاذا فـعلتم بأجـسـادِ وأوصــالِ

نرجو الجِنَانَ رذا صارتْ جماجمُنا

تحت العِجاجِ كَمِثْلِ الحنظلِ البالى[٤]

تأثر أبو بلال بوصف الجنة في القرآن ، حيث ذكر في البيت الثاني من شعره اسم الجنة بصيغة جمع التكسير مجرداً من الوصف والإضافة ، مبيناً أن الجنة مثوي الشهداء من المجاهدين .

### ٩ـ المفضل المطلبي [٥]:

قال المفضل في رثاء زيد بن على :

---

(١) من شعراء الخوارج ، لم أجد ترجمة له .
(٢) شعر الخوارج ص ٢٠٠ .
(٣) من شعراء الخوارج ، لم أجد ترجمة له .
(٤) شعر الخوارج ص ٥٠ .
(٥) من شعراء الشيعة ، لم أجد ترجمه له .

وجـــاورَ في الجنانِ بني أبيـــه

وأجــداداً هــمُ خــيــرُ الجُــدودِ[(١)]

وفي هذا البيت ذكر اسم الجنة بصيغة جمع التكسير «جنان» مجردا من الوصف والإضافة ..

**١٠ ـ أميمة امرأة ابن الدمينة [(٢)] :**

قالت أميمة ابن الدمينة تذم زوجها :

يارب إنْ كُنْتَ في الجنَات مُـدْخلَهُ

فاجعلْ أميـمـةَ رَبِّ الناسِ في النارِ[(٣)]

قرنت أميمة في هذا البيت من شعرها بين اسم الجنة بصيغة الجمع «جنان» مجرداً من الوصف والإضافة مع ذكر اسم النار مجرداً من الوصف والإضافة .

**١١ ـ كعب بن عميرة [(٤)]:**

قال كعب بن عميرة في مقتل أبي بلال :

شري ابن حُدَيرٍ نَفْسَهُ الله فاحتوى

جناناً من الفـردَوسِ جمـاً نعيـمـهـا[(٥)]

ذكر كعب بن عميرة اسم الجنة بصيغة الجمع «جنان» تعلق به الجار والمجرور «من المفردوس» مع وصفها بأنها نعيم عظيم ..

---

(١) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، د. النعمان القاضي ص ٣٥٥ .

(٢) لم أجد ترجمة لها ، وتوفي زوجها ابن الدمينة ١٣٠هـ .

(٣) شاعرات العرب ، الطبعة الأولي ص ١٩ .

(٤) من شعراء الخوارج ، لم أجد ترجمة له .

(٥) شعر الخوارج ص ٦١ .

## ١٢ ـ الأصم الضبي ، قيس بن عبدالله [١]:

قال الأصم الضبي يرثي الخوارج الذين قتلوا عند الجوسق :

سـاروا إلى الله حـتي أُنزلوا غُـرَفـاً

من الأرائك في بيتٍ من الذهـبِ[٢]

لم يذكر الأصم الضبي في هذا البيت من شعره اسم الجنة ، وإنما كني عنها بالمساكن والغرف والأرائك متأثراً في وصفه بوصف الجنة كما جاء في القرآن الكريم، لكنه زاد فيه كون بيوت الجنة من ذهب وهو مالم يرد في القرآن ..

## ١٣ ـ زياد الأعسم [٣]:

قال زياد الأسم يرثي داود بن النعمان العبدي :

ألا فـاذكـرنْ داودَ إذ باعَ نفـسَـهُ

وجادَ بهـا يبـغي الجِنَانَ العـواليـا[٤]

ذكر زياد الأعسم اسم الجنة بصيغة الجمع «جنان» مع وصفها بأنها عالية ..

---

(١) من شعراء الخوارج ، لم أجد ترجمة له .
(٢) شعر الخوارج ص ١٢٥ .
(٣) من شعراء الخوارج ، لم أجد ترجمة له .
(٤) شعر الخوارج ص ١٩٠ .

## (جـ) الشعراء المجهولون :

### ١ ـ ابن امرأة من عبد القيس بالبصرة يلقب بالنحيف :

قال النحيف يهجو أمه ، وكان شريراً ضعيفاً :

يا ليتما أمُّنا شالتْ نعامتها
إيْما إلى جنَّةٍ أيْما إلى نارِ[(١)]

ذكر النحيف اسم الجنة بصيغة الإفراد مجرداً من الوصف والإضافة ، مع ذكر اسم النار معه .

### ٢ ـ امرأة من أجمل الناس :

قالت تندب زوجها واسمه بريد :

اسكنكَ اللهُ في جِنانٍ
تكونُ أمناً لساكنيه[(٢)]

ذكر في هذا البيت من الشعر اسم الجنة بصيغة الجمع «جنان» مع وصف الجنة بصفة عامة مجملة تبين أنها تتميز بالأمن لمن يسكنها ..

### ٣ ـ أعرابي :

قال أعرابي في رثاء ابن الطيار :

أبا جعفرٍ يا بنَ الشهيدِ الذي له
جناحانِ في أعلي الجِنَانِ يطيرُ[(٣)]

---

(١) أشعار النساء ، لأبي عبيد الله المرزباني ، تحقيق د. سامي مكي العاني ـ هلال ناجي ص ١٣٩.
ديوان الحماسة لأبي تمام ج ٢ ص ٤١١ .
(٢) شاعرات العرب ، الطبعة الأولي ص ٤٠٧ .
(٣) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ١٣٨ .

ورد اسم الجنة في هذا البيت بصيغة الجمع «جنان» مع إضافة قوله «أعلى» إليه ، لبيان أن الجنة درجات ..

**٤ ـ أحد الخوارج :**

قال أحد الخوارج يرتجز :

عَلِّي ألقي عـاصـمـاً لَعلِّي

في جنَّةٍ عـاليـةٍ وظِلٍّ[١]

ورد اسم الجنة في البيت الثاني من هذا الرجز ، حيث جاء بصيغة الإفراد مع وصف الجنة بأنها عالية ، وأنها مظللة ..

**٥ ـ امرأة تميمية :**

قالت في رثاء زوجها :

كنَّا كغُصْنين في أصلٍ غذاؤهما

ماءُ الجداولِ في روضاتِ جنَّاتِ[٢]

تصف المرأة حالها مع زوجها الذي ترثيه بأنهما كغصنين في روضات الجنات متأثرة في تعبيرها بأسلوب القرآن الكريم في وصف الجنة ..

**٦ ـ مجهول :**

قال مجهول في رثاء شهداء المسلمين الذين دفنوا في القادسية بمشرِّقٍ :

جـزي اللهُ أقـوامـاً بجنبِ مـشـرِّقٍ

غـداةَ دعـا الرحـمـنُ من كـانَ دَاعِـيـا

---

(١) شعر الخوارج ص ٢٠٣ .

(٢) شاعرات العرب ، الطبعة الأولي ص ٤١٣ .

جناناً من الفـــردوسِ والمنزلَ الذى

يَحِلُّ به م الخيـرِ من كـانَ باقيـا[1]

ورد في البيت الثاني اسم الجنة بصيغة الجمع «جنان» متعلقاً به الجار والمجرور «من الفردوس» مع وصف الجنة بأنها دار الخلود التي يحل بكل من دخلها الخير والخلود ..

## ٧ـ مجهول :

قال مجهول هذه الأبيات :

من التي صاغَهَا الرحمنَ في غُرَفٍ

من مِسْكةٍ عُجِنَتْ في ماءِ نسرينِ

إلي الذي حبُّهُ في القلب مُحتبسٌ

وقلبـــه عنه في لهـــو وتفـــتين

ياســهلُ بادرْ فَـقَـدْ أوردتني حَـزَناً

كم عنك مـا لا أُحِبُّ الدهرُ يأتينى

ألستَ تشتـاقَ أنْ تلهـو على فُـرشٍ

مَـوْضُـونةٍ مع جـوارٍ خُـرَّدٍ عينِ[2]

وقال مجهول أيضاً :

من حُبِّ ســيِّـدةَ تبــوّأ جنَّةً

قـدْ حُـفَّـفتْ أنهـارُها بخيـامِ

(١) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ج ٥ ص ١٣٣ ، دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

(٢) كتاب مصارع العشاق ، لأبي محمد جعفر بن أحمد السراج ، باب مصارع عشاق الحور العين ص ١١٨ ـ ١١٩ . الطبعة الأولي ١٣١١ هـ .

مع خـودةٍ في جـوفِ قـصـرِ زبرْجـدِ

مكنونةٍ في خِـــدْرها كـــغُـــلامِ

وصّـــانةٍ في قـــولِهـــا وحـــديثِـــهـــا

لاتـأيـسـنَّ بـراقِـــــــــد نَـوّامِ(١)

في النص الأول المجهول القائل يتضح مدي تأثر الشاعر بوصف القرآن الكريم للجنة ، حيث وصف الشاعر الحور العين في غرف الجنة ، وكيف أنهن على الفرش الموضونة موصوفات بجمال وشباب تامين . أما النص الآخر فإن الشاعر ذكر اسم الجنة بصيغة الإفراد ، مع وصفها بأنها محفوفة الأنهار بخيام فيها الخود الجميلات مكنونات في قصور الزبرجد ، مما يدل على تأثر الشاعر تأثراً قوياً بوصف الجنة وما فيها من الخيام والقصور والأنهار والحور العين كما ورد في القرآن الكريم ..

ويلحظ أخراً على الشعر المجهول النسبة في وصف الجنة أنه قليل بالمقارنة مع كثرة الشعراء المنسوب إليهم .. وذلك أن الشاعر لاينسب إليه إلا أبيات قليلة ، أغلبها جاءت مفردة .. كما أنه تميز بأن أكثره جاء في نطاق الرثاء أو الشعر الحماسي ، وذلك أن أكثر شعرائه كانوا من الخوارج الذين تميز شعرهم بشدة الحماسة فيه وكثرة رثاء قتلاهم .. كما يلحظ أن أكثر هذا الشعر جاء فيه ذكر الجنة فقط إما مجرداً من الوصف والإضافة ، وإما موصوفاً بصفة عامة أو بصفات مفصلة في ذلك بأسلوب القرآن الكريم في وصف الجنة ..

---

(١) المرجع السابق نفسه .

# الفصل الثالث

## تصنيف الشعر الإسلامي

## المتأثر بوصف الجنة في القرآن حسب الموضوعات

# تصنيف الشعر الإسلامي

## المتأثر بوصف الجنة فى القرآن حسب الموضوعات

زخر القرآن الكريم بآيات كثيرة في وصف الجنة ، حيث لم يترك القرآن الكريم نوعاً من أنواع النعيم إلا وقد بيّن صفته ، وجلّي سماته في الجنات التي أعدت للمتقين .. ولما كان المسلمون متعلقين بالقرآن الكريم ، ومرتبطين به دائماً تلاوة وحفظاً ودراسة .. محاولين تبيّن أسراره وفهم معانيه ومرامي آياته .. والتملّي بما فيه من صور بيانية تجذبهم بما فيها من دقة التصوير وروعة البيان وسحر البلاغة .. كان لابد للشاعر المسلم أن يتأثر بما في الكتاب الكريم من وصف للجنة .. خاصة وأن صفة الجنة وبيان ما فيها من ألوان النعيم تفتح أمام المسلم عالماً فسيحاً من الدعة والراحة والسكون والترف والنعيم المقيم في دار الخلود والدوام .

فإذا كان الشعراء الجاهليون قد تأثروا بالبيئة الصحراوية التي عاشوا فيها فوصفوا مشاهدها ، وصوروا حيواناتها .. وأشجارها ونباتاتها .

وسحر نجومها وكواكبها في الليل .. ووصفوا لهيب حرها ، وحرقة شمسها في النهار .. إذا كان هذا موقف الشاعر الجاهلي من بيئته التي عاش في ظلها .. فكيف يكون موقف الشاعر المسلم حيال ما بينه الله سبحانه وفصلّه من نعيم الجنة ، وما فيها من ألوان المتاع الروحي والحسي .. وهو الشاعر الذي تتطلع نفسه وتتشوق لنيل الخلود في هذا النعيم المقيم ، الذي صور الله ـ سبحانه وتعالى ـ كل سمة فيه أبدع تصوير .. تصوير قرّب وصف الجنة بأن وصف ألوان النعيم بأروع وأحسن ما في الدنيا من ألوان النعيم . ليدرك أهل الدنيا ـ حسب إدراكهم القاصر ـ مدي اللذة والمتعة في نعيم الآخرة ، أما حقيقة هذا النعيم وكنه المتعة به فلا يعلمه إلا الله ..

إن مراجعة دواوين الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، والعصر الأموي تثبت أن الشعر الإسلامي قد تأثر تأثراً واضحاً بوصف الجنة كما جاء في القرآن الكريم ..

ذلك أن مراجعة الدواوين ومجموعات الشعر التي أمكن الاطلاع عليها من شعر صدر الإسلام ، والعصر الأموي أظهرت الكثير من الشعر الذي ورد فيه وصف الجنة مجملاً أو مفصلاً ، كما أظهرت الكثير من الشعر الذي تأثر بأسلوب القرآن الكريم في وصف الجنة والشعر الذي ورد فيه لفظ الجنة مجرداً من الوصف ، أو لفظ الجنة معرفاً بالوصف أو بالإضافة ..

وعند محاولة تقسيم الشعر الذي تأثر بوصف القرآن الكريم للجنة ، أمكن تقسيمه أربعة أقسام رئيسية هي :

١ ـ الشعر الذي ذكر فيه اسم الجنة مجرداً من الوصف والإضافة ، أو موصوفاً، أو مضافاً .

٢ـ الشعر الذي ورد فيه وصف مجمل للجنة .

٣ ـ الشعر الذي فيه وصف مفصل للجنة .

٤ ـ الشعر الذي تأثر بأسلوب وصف القرآن الكريم للجنة .

**أولاً : الشعر الذي ذكر فيه اسم الجنة :**

**ويمكن تقسيم هذا الشعر إلى ثلاثة أقسام هي :**

**القسم الأول :**

**وهو الشعر الذي ورد فيه اسم الجنة مجرداً من الوصف والإضافة وهو أنواع هي :**

**١ ـ الشعر الذي ذكر فيه اسم الجنة مفرداً :**

وهو شعر ورد فيه اسم الجنة بلفظ الإفراد ، ومنه قول عبدالله بن رواحة [(١)] :

١ـ مـــالي أراكِ تَكرهينَ الجنّهْ

٢ ـ قـد طال مـا كُنْت مُطْمَـئنَّهْ

٣ ـ هَلْ أنتِ إلا نُطْفَـــةً في شَنَّهْ

٤ ـ جـعـفـرُ ، مـا أطيبَ ريحَ الجنّهْ

وقول القعقاع بن عمرو التميمي [(٢)] :

١ ـ أزعـجُـهـمْ عَـمْـداً بهـا إزعـاجـاً

٢ ـ أطعنَ طعناً صـائبـاً ثجّـاجـا

٣ ـ أرجـــو به من جنةٍ أفـــواجـــاً

وقول نجم بن مفرّح [(٣)] :

---

(١) ديوان عبدالله بن رواحة ، تحقق د/ حسن باجوده ص ١٠٨ ، شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ، جمع وتحقيق د. عبدالله الحامد ص ١٦٤ .

(٢) شعراء إسلاميون ، جمع وتحقيق د/ نوري حمودي القيس ص ٣١ ـ ٣٢ .

(٣) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٦٩ .

ولله في عرضِ السموات جنّةٌ لكنّها محفوفةٌ بالمكاره

وقول الأعرابي المجهول[1] :

١ـ يا عُمرَ الخيرِ جُزيتَ الجنّهْ

وقول الخوارج يرتجزون مع شيبان بن سلمة [2] :

١ ـ نحن بنو شيبان أهل الجنّهْ

٢ ـ نقتلكم على هُدي لاظنّهْ

والقول المنسوب إلى عمران بن حطان [3] :

وصدّها للشقاءِ عن طلب الـ ـجنّـةِ دُنْيا الْهَمُّ ما حقُّها

وقول عمران بن حطان يرثي أبا بلال [4] :

فاللهُ يجزيكَ يامرداسُ جنتُهُ عنّا كما كُنْتَ في الإرشادِ تولينا

وقول الوليد بن يزيد في المجون [5] :

واتركا مَنْ طَلَبَ الجنّةَ يَسْعي في خَسَارِ

## ب ـ الشعر الذي ورد فيه اسم الجنة مفرداً مع ذكر النار :

ومنه قول حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم [6] :

---

(١) المرجع نفسه ص ٥٠٤ .

(٢) شعر الخوارج ، جمع وتقديم د. إحسان عباس ، الطبعة الثالثة ١٩٧٤ ص ٢١٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٧٠ ، يرجح د. إحسان عباس نسبته لرجل من الخوارج قتله الحجاج . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ، جمع وتحيق عبدالعزيز محمد الزير ، ومحمد بن عبدالله الأطرم ص ٣١٤ ينسبه لعمران بن حطان .

(٤) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ، ص ١٤٣ .

(٥) شعر الوليد بن يزيد ، جمع وتحقيق د. حسين عطوان ص ٦٤ .

(٦) ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق وتعليق د. / وليد عرفات ج١ ص ٣٠٦ .

وأنْـــذَرنا نـــاراً وبشَّـــرَ جنَّةً        وعلَّمـــنا الإسـلامَ فاللهَ نَحْمَدُ

وقول الأعرابي المجهول [1]:

١ ـ يكونُ عن حـــالي لتســـألُنَّهْ

٢ ـ يوم يكون الأعْطِيـــاتِ هنَّهْ

٣ ـ إمَّـــا إلى نارٍ وإمَّـــا جَنَّهْ

وقول قمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي صاحب اشبيلية [2]:

لو لم تكنْ جنَّةٌ إلا لجاهلَةٍ        رضيتُ من حُكْمِ ربِّ الناسِ بالنارِ

وقول ابن امرأة من عبد القيس بالبصرة يلقب بالنحيف ، وكان شريراً ضعيفاً فقال يهجوها [3]:

يا ليـــتَ أمَّـــنَا شالـــتْ نعامتُـــها        أيْما إلـى جنَّةٍ أيْما إلى نارِ

وقول عمر بن أبي ربيعة [4]:

وليتَ سليمي في المماتِ ضجيعتي        هُنالكَ : أم في جنَّة أم جهَنَّمِ

وقول يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، من الشعر الذي شككَ فيه المحقق [5] :

وهـــو دِينـــي وَهْـــوَ آخِـــرَتي        وهـــو نـــاري وَهْـــوَ جنَّتـــيهْ

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٥٠٤ .

(٢) شاعرات العرب ، جمع وتحقيق عبدالبديع صقر ، الطبعة الأولي ص ٢٧٧ .

(٣) ديوان الحماسة ، لأبي تمام ، شرح العلامة التبريزي ج ٢ ص ٤١١ . أشعار النساء ، لأبي عبيدالله المرزباني ، د. سامي العاني ـ هلال ناجي ص ١٣٧ وفيه : يا ليتما .

(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، دار صادر ـ بيروت ص ٣٨٨ .

(٥) شعر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، جمع وتحقيق صلاح الدين المنجد ، الطبعة الأولي ص ٤٩ .

**جـ ـ الشعر الذي ورد فيه اسم الجنة مجرداً بلفظ الجمع (الجنات):**

وهو شعر ورد فيه لفظ الجنة مجموعاً جمع تأنيث (الجنات) مجرداً من الوصف والإضافة نحو :

قول أبي زبيد الطائي يرثي على بن أبي طالب رضي الله عنه(١) :

حُمّتْ ليدخُلَ جنّاتِ أبو حسنٍ وأُوجِبتْ بعدهُ للقاتلِ النارُ

وقول أميمة إمرأة ابن الدمينة تذم زوجها (٢) :

يارَبِّ إنْ كنتَ في الجنّاتِ مُدْخِلَهُ فاجعلْ أميمةَ رَبِّ الناسِ في النارِ

وقول جمانة بن عبدالملك يرثي قتيبة بن مسلم الباهلي (٣) :

دعته المنايا فاستجابَ لربِّه وراحَ إلي الجنّاتِ عَفّاً مطهّرا

**د. الشعر الذي ورد فيه اسم الجنة مجرداً بلفظ الجمع (الجنان):**

وهو شعر ورد فيه اسم الجنة بلفظ جمع التكسير (الجنان) مجرداً من الوصف والإضافة :

ومنه قول حسان بن ثابت الأنصاري في يوم بدر (٤) :

---

(١) شعراء إسلاميون ، جمع وتحقيق د/ نوري حمودي القيسي ص ٦١١ ـ ٦١٢ .

(٢) شاعرات العرب ، جمع وتحقيق عبدالبديع صقر ، الطبعة الأولي ، ص ١٩ .

(٣) النقائض بين جرير والفرزدق ، لأبي عبيدة معمر بن المثني ، طبع وتصحيح : محمد إسماعيل الصاوي ، ج٢ ص ٦٩ ـ ٧٠ . نقائض جرير والفرزدق ، طبعة ليدن ١٩٠٥م ج١ ص ٣٢٣ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ . وقد نسبه لعبد الرحمن بن جمانة الباهلي . الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية ، د/ الهادي حمودة الغزي ، ص ٩٣ وقد نسبه لعبدالرحمن بن جمانة الباهلي . الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ، د/ حسين عطوان ، الطبعة الأولي ص ٢٢٢ . وقد نسبه لعبدالرحمن بن جمانة الباهلي .

(٤) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، تحقيق د/ وليد عرفات ج ١ ص ٣٦٧ .

وسَعْدٌ فأضحَوْا في الجِنانِ وأَوْحَشَتْ
مَنَازِلُهمْ والأرضُ مِنْهم بلاقِعُ

وقول كعب بن مالك في يوم بدر [١]:

لأنّا عبَدْنا اللهَ لم نرجُ غيرَهُ        رجاءَ الجِنَانِ إذْ أتانا زعيمُها

وقول كعب بن مالك في يوم أُحدٍ [٢]:

فحلُّوا جِناناً وأبقوا لكم        أُسوداً تُحامي عن الأشبُلِ

وقول هند بنت الحارث بن عبدالمطلب في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم [٣]:

ثم ولّي عنّا فقيداً حَميداً        فجزاهُ الجِنَانَ ربُّ العِبادِ

وقول صفية بنت عبدالمطلب في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم [٤]:

رضيَ اللهُ عنه حياً وميّتاً        وجزاه الجِنَانَ يومَ الخُلودِ

وقول جميل بن سعيد [٥]:

ولستُ أبالي أن قُتِلْتُ ، لأنني        أُرَجّي بقتلي في الجِنانِ مقامي

وقول أبي الأسودِ الدؤلي [٦]:

وجعفرَ إنّ جعفرَ خيرُ سِبْطٍ        شهيداً في الجِنانِ مهاجرَيا

---

(١) ديوان كعب بن مالك ، دراسة وتحقيق د/ سامي مكي العاني ، الطبعة الأولي ص ٢٦٦ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٧١ .

(٢) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، ص ٢٥٤ ، شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٢٧٥ .

(٣) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٣٠٦ .

(٤) المرجع نفسه ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥ .

(٥) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٨٣ .

(٦) ديوان أبي الأسود الدؤلي ، صنعة أبي سعيد السكري . تحقيق محمد حسن آل ياسين ص ١١٩ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

وقول الأعرابي في ابن الطيار [١] :

أبا جعفرٍ يا بنَ الشهيد الذي له      جَناحــانِ في أعـلي الجِنـان يطيرُ

وقول أبي بلال مرداس بن أدية من الخوارج [٢] :

ما إنْ نبالي إذا أرواحُنا خَرَجـتْ      مــاذا فعلتـم بأجسـادٍ وأوصـالِ

نرجو الجِنَانَ إذا صارتْ جماجمُنا      تحت العجاجِ كمثلِ الحنظل البالى

وقول المفضل المطلبي في رثاء زيد بن على [٣] :

وجــاورَ في الجِنَــانِ بني أبيــهِ      وأجــداداً هــمُ خيـرُ الجــدودِ

**القسم الثاني :**

وهو الشعر الذي ورد فيه اسم الجنة موصوفاً بصفة عامة متأثراً بما جاء من وصفها في القرآن الكريم :

ومنه قول حسان بن ثابت في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم [٤] :

يارَبِّ فاجمعــــنا مــعاً ونبيَّــنا      فــي جنَّـةٍ تُثْنِي عُيـونَ الحُسَّدِ

وقول حسان بن ثابت يرثي حمزة رضي الله عنه [٥] :

فإن أباكِ الخيرَ حمـــزة فاعْلَمـي      وزيــرُ رسُـولِ اللهِ خـيرُ وزير

دعاهُ إلهُ الحقِّ ذو العَـرْشِ دَعْــوةً      إلى جنــةٍ يَرْضـي بها وسُـرورِ

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

(٢) شعر الخوارج ، جمع وتقديم د/ إحسان عباس ، الطبعة الثالثة ص ٥٠ .

(٣) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، د/ النعمان القاضي ص ٣٥٥ .

(٤) ديوان حسان بن ثابت ، ج١ ص ٢٦٩ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤١٢ وفيه (تثنى) .

(٥) ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ١٣٣ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠ . وفيه ترجح نسبتهما إلي صفية بنت عبدالمطلب . شاعرات العرب جمع وتحقيق عبدالبديع صقر ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ منسوبين إلي صفية بنت عبدالمطلب تبكي أخاها حمزة.

وقول حسان بن ثابت يرثي سعد بن معاذ [1]:

عليَّ مِلّةِ الرحمنِ وارثَ جَـنَّةٍ مع الشهداءِ وَفْدُها أكرمُ الوفْدِ

وقول كعب بن مالك الأنصاري يرد على ضرار بن الخطاب في يوم الخندق[2]:

فإما تقتلوا سَعْـداً سفَـــاهاً فـإنَّ اللهَ خيــرُ القـادرينا

سيُــدخِلُهُ جِنَـاناً طيِّبَـــاتٍ تكـونُ مُقَامَــةً للصالحـينا

وقول حسان بن ثابت يرثي حمزة بن عبدالمطلب [3]:

صلّى علَيْكَ اللـهُ في جنَّــةٍ عاليــةٍ مُكـرَمَةِ الداخِـــلِ

وقول مجهول [4]:

١ ـ أقْـسَـمْتُ بالله يميناً صـادقـا

٢ ـ لأتركنَّ البـيضَ فـوق المرتقى

٣ ـ وأدْخُلَ الجنةَ دار الملتـــقـى

وقول الفرزدق في هجاء إبليس [5]:

ألا طالَ ما قَدْ بتُّ يُوضِعُ ناقتي أبوالجنِّ إبليسُ بغيرِ خُطَامِ

يَظَلُّ يُمنيني على الرَّحْلِ فارِكاً يكـونُ ورائي تارةً وأمامي

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٤١٥ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٥٤ .

(٢)ديوان كعب بن مالك الأنصاري ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

(٣) ديوان حسان بن ثابت ج١ ص ٣٢١. شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٤٥ ـ ٤٤٦ .

(٤) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٥) شعر الدعوة الإسلامية في العصري الأموي ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ . أثر الإسلام في شعر الفرزدق . د/مصطفي عبدالواحد ص ٧١ ، الطبعة الأولي ١٤٠٢هـ .

يُبشــرني أنْ لنْ أمــوتَ وأنهُ          سيُخْلِدُني في جَنّةٍ وسلامِ

**القسم الثالث:**

وهو الشعر الذي ورد فيه اسم الجنة مضافاً متأثراً بما جاء في القرآن الكريم ، بإضافة لفظ الجنة إلى الفردوس أو النعيم ، أو عدن ، أو الخلد .. وهذا تم تقسيمه إلى أقسام ، هي :

**أ ـ جنة الفردوس :**

وهو الشعر الذي أضيف فيه لفظ الجنة مفرداً أو مجموعاً إلى الفردوس ، أو ذكر لفظ الجنة مع الفردوس ، أو ذكر فيه لفظ الفردوس فقط دالاً على الجنة ..

ومنه قول حسان بن ثابت يرثي النبي صلى الله عليه سلم (١) :

في جنة الفِردوسِ واكتُبْها لنا          يا ذا الجَلالِ وذا العُلا والسُّؤدَدِ

وقول حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم (٢) :

لأنَّ ثــوابَ اللهِ كُــلَّ مُــوَحِّدِ          جِنانٌ من الفِرْدَوسِ فيها يُخلَّــدُ

وقول الخنساء (٣) :

إذهبْ حــريــاً جَــزاكَ اللهُ جنَّتــهُ

عنَّا وخُلِّدْتَ في الفــردوسِ تَخْليــدا

وقول سهل بن أساف في صفةِ الصحابة (٤) :

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٢٦٩ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص٤١٢ وفيه : (فاكتبها) .

(٢) ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٣٠٦ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٤٤ .

(٣) شرح ديوان الخنساء بالإضافة إلي مراثي ستين شاعرة ص ٢٠ .

(٤) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٥٥٠.

يحشُون حَثَّ الشوقِ نحو مليكهمْ
وَقَصْدُهُمُ الفردوسَ كي يُرْزقوا الخُلْدا

وقولِ غلامٍ أزدي [1]:

١ ـ عَسَى أن أنالَ الفَوْزَ بالمَراهِبِ
٢ ـ في جنَّةِ الفردوسِ والمراتبِ

وقولِ ضرارِ بن الأزورِ [2]:

١ ـ الموتُ حقٌّ أين لي من المفرّْ ؟
٢ ـ وجنَّةُ الفردوسِ خير المستقر

وقولِ ابن الخنساء الشاعرة [3]:

١ ـ أو ميتةٍ تورثُكم غُنْمَ الأبَدْ
٢ ـ في جنَّةِ الفردوسِ والعيشِ الرَّغَدْ

وقول مجهول لسيدي الأوس والخزرج [4]:

أجيبا إلى داعي الهُدي وتبوّآ　　من اللهِ في الفردوسِ جنَّةَ عارفِ
فإنَّ ثوابَ الله للطالبِ الهُدي　　جِنانٌ من الفردوس ذات رفارفِ

وقول جرير لخالد بن عبدالله يتشفع للفرزدق [5]:

وإنا لنرجو أن ترافق رفقةً　　يكونون للفردوسِ أولَ واردِ

وقول الرّهين بن سهم المرادي الخارجي [6]:

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ١٨١ .
(٢) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٧٨ .
(٣) المرجع السابق نفسه ص ١٧٠ .
(٤) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٣٣ .
(٥) ديوان جرير ج ٢ ص ٦٠٤ ، نقائض جرير والفرزدق ج ٢ ص ٩٨٨ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ١٨٣ .
(٦) شعر الخوارج ، الطبعة الثالثة ص ٦٢ .

وأسألُ اللهَ بيعَ النفسِ محتسباً حتى أُلاقي في الفردوسِ حرقوصا

وقول جرير يمدح العباس بن الوليد بن عبدالملك (١):

أُعطيتَ من جنَّةِ الفردوسِ مُرْتَفَقاً من فازَ يومئذٍ فيها فقد خلَـدا

وقول كعب بن عميرة الخارجي (٢):

شري ابنُ حُدَيرٍ نَفْسَهُ الله فاحتوي جِنَاناً من الفِرْدوسِ جمّاً نعيمُها

وقول الحسن بن محمد بن على (٣):

ما ضرَّ مَنْ كانتِ الفِرْدوسُ منزِلَـهُ ما كانَ في العيشِ من بؤسٍ وإقتارِ

وقول يحيى بن عروة بن الزبير (٤):

عجوزُ عجائـزِ الفِـرْدوسِ أُمِّـي مهـذبةَ الوشـائجِ ، هـات جـرًا

وقول حكيم بن قبيصة الضبي (٥):

فما جنَّةَ الفِرْدوسِ هاجرتَ تبتغي ولكنْ دعاكَ الخُبزُ أحْسَبُ والتمرُ

### ب ـ جنة الخلد :

وهو الشعر الذي ورد فيه اسم الجنة مفرداً أو مجموعاً مضافاً إلى الخلد ، والشعر الذي ورد فيه لفظ دار مضافاً إلى الخلد ، وشعر آخر ذكرت فيه الجنة بلفظ الخلد فقط .. ويمكن تقسيمه إلى أقسام :

---

(١) ديوان جرير ج١ ص ٣٩٦ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ١٨٤ .
(٢) شعر الخوارج ، الطبعة الثالثة ص ٦١ .
(٣) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣٥٣ .
(٤) المرجع السابق نفسه ص ٧٢ .
(٥) ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس ، شرح العلامة التبريزي ج٢ ص ٣٨٩.

١ ـ الشعر الذي ورد فيه لفظ الجنة مفرداً أو جمعاً مضافاً إلى الخلد .

كقول حسان بن ثابت [(١)] :

في كـلِّ يومٍ لنا أمـرٌ نفـــوزُ بهِ ... يُعْطـي الإلهُ عليـه جنّـةَ الخلدِ

وقول حسان بن ثابت في رثاء خُبيب [(٢)] :

فاذهبْ خُبَيبُ جزاكَ اللهُ طيِّبـةً ... وجنَّةَ الخُلْدِ عِنْدَ الحورِ في الرُّفَقِ

وقول حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم [(٣)] :

وليس هوايَ نازعـاً عن ثنائـه ... لعلِّـي به فـي جنَّة الخُلْد أخْلُدُ

مع المصطفي أرجو بذاك جِوارَهُ ... وفي نيلِ ذاك اليَوْمِ أَسعي وأَجْهَدُ

وقول حسان بن ثابت في رثاء سعد بن معاذ [(٤)] :

فإنْ كان ريْبُ الدَّهْرِ أمضاكَ في الأُولى

شَـرَوا هذهِ الدُّنيـا بجنَّاتِهِ الخُلْدِ

فنِعْمَ مـصيـرُ الصـادقين إذا دُعـوا

إلي اللهِ يوْمـاً للوجـاهةِ والقَـصْـدِ

وقول حسان بن ثابت رضي الله عنه يوم أحد [(٦)] :

فإن تذكروا قتلي وحمزة فيهم ... قتيـلٌ ثـوي للهِ وهـو مطيـعُ

فإن جنانَ الخُلْدِ منزلُـهُ بهـا ... وأمرُ الذي يقضي الأمورَ سريعُ

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ج ١ص ٤٦٣ .

(٢) ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٢١٣ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٣٣٨ .

(٣) ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٤٥٧ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٢١.

(٤) ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٤١٥ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٥٥ .

(٦) ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٣٣٨ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٢٥٠ .

وقول خالد بن الوليد [١]:

١ ـ عسي أري غداً مقامَ من صَدَقْ

٢ ـ في جنة الخُلْد ، وألْقي من سَبَقْ

وقول العُدَيل بن الفرخ العجْلي [٢]:

أما ترْهبانِ النارَ في ابني ابيكُمَا ولاترجُوَانِ اللهَ في جنَّةِ الخُلْدِ

وقول صحاري بن شبيب الخارجي [٣]:

بائعٌ أهـلي ومـالي ، أرجـو فـي جنـانِ الخُلْد أهـلاً ومالا

وقول الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي في رثاء بهلول وأصحابه [٤]:

خلّوا لنا باطنَ الدنيا وظاهرِها وأصبحوا في جِنان الخُلْدِ جيرانا

وقول عمر بن أبي ربيعة [٥]:

والله ، والبيتِ العتيقِ ، لقـد ساويتِ عندي جنّـةَ الخُـلْدِ

وقول عمر بن أبي ربيعة [٦]:

أدخلَ اللهُ ، ربُّ موسي وعيسي جنّـةَ الخُلْدِ مَنْ ملاني خلوقـا

وقول مجنون ليلي [٧]:

وإني لمشتـاقٌ إلى ريح جَيْـبِـهـا

كـمـا اشتـاقَ إدريسٌ إلى جنّة الخُلْدِ

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٧٥ .

(٢) ديوان الحماسة ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي ج١ ص ٣٠٨ . شعراء أمويون ، القسم الأول، دراسة وتحقيق د/ نوري القيسي ط ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ، ص ٢٩٧ .

(٣) شعر الخوارج ، جمع وتقديم د/ إحسان عباس ، الطبعة الثالثة ١٩٧٤م ص ٢٠٠م .

(٤) المرجع نفسه ص ٢١٧ .

(٥) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، دار صادر ـ بيروت ، ص ١٠٥ .

(٦) المرجع السابق نفسه ص ٢٧٥ .

(٧) ديوان مجنون ليلي ، جمع وتحقيق : عبدالستار أحمد فراج ص ١١٥ مكتبة مصر . ديوان جميل، جمع وتحقيق وشرح د/ حسين نصار ص ٧٦ مكتبة مصر .

٢ ـ الشعر الذي ذكر فيه اسم الجنة بلفظ دار مضافاً إلى الخلد .

كقول حسان بن ثابت في يوم بني قريظة [(١)] :

فصـار المؤمنـونَ بـدارِ خُلْـدٍ   أقـام لها بهـا ظـلٌ ظليـلُ

وقولِ قطري بن الفجاءة الخارجي [(٢)] :

إلي كم تُغاربني السيوفُ ولا أري   مغاراتِهـا تدعو إليّ حِماميا

أقارعُ عن دار الخـلودِ ولا أري   بقاءً على حـالٍ لمن ليس باقيا

وقولِ الرُّهين بن سهم المرادي في مصرع مرداس وإخوانه [(٣)] :

أقامـوا بـدار الخلـدِ لايرتجيهـم   حميمٌ كما يُرْجي إيابُ المسافرِ

٣ ـ الشعر الذي وصفت فيه الجنة بالخلد ، والشعر الذي سميت فيه الجنة بالخلد أو الخلود .

كقول كعب بن مالك في رثاء حمزة بن عبدالمطلب [(٤)] :

شتّانَ من هو في جهنَّـمَ ثاويـاً   أبداً ومن هو في الجِنانِ مخلّدُ

وقول جُنْدب بن عامر الطفيل [(٥)] :

فإنّ الخُلْدَ في الجنّـاتِ حـقٌ   تبـاحُ لكـلّ مقْـدامٍ سليمِ

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ، ج ١ ص ٣٢٧ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٢٦٣ وفيه (أقام لهم بها) .

(٢) شعر الخوارج ، ص ١١١ الطبعة الثالثة ١٩٧٤م . الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ص ٤٣٨ .

(٣) شعر الخوارج ص ٦٣ ، الطبعة الثالثة ١٩٧٤م .

(٤) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، دراسة وتحقيق : د/ سامي مكي العاني ، ص ١٩١ ، الطبعة الأولي ١٩٦٦م ـ ١٣٨٦هـ ، مكتبة النهضة ـ بغداد . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٤٩ .

(٥) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٦٨ .

وقول الأخطل التغلبي في مدح يزيد بن معاوية [١]:

أعطاهُ مِنْ لَذَّةِ الدُّنيا وأسْكَـــنَهُ فـي جنَّةٍ نعْمةٌ فيها وتَخْليـدُ

وقول جرير الخطفي في مدح المهاجر بن عبدالله [٢]:

مستبصرٌ فيها على نورِ الهُـدي أبشـر بمنزلةِ المقيـمِ الخالـدِ

وقول عبيد الله بن قيس الرقيات [٣]:

ياسُلَيمـــانُ إنْ تـــلاقِ الثـــريَّا تلْقَ عيشَ الخُلودِ قبل الهلالِ

وقول مجنون ليلي [٤]:

هَوِيتَ فتاةً نيلُها الخُلْد فالتمــس سبيلاً إلى ما لست يوماً بواجدِ

وقول عمر بن أبي ربيعة [٥]:

أنتِ كنْتِ المُني ورؤيتــك الخُلــ ـدُ فقــرّي عينــاً به واطمــئني

وقول عمر بن أبي ربيعة [٦]:

أنتِ عيشي نعم ، ورؤيتك الخُلْـــ ـدُ ، وكنتِ الحديثَ والأشغالا

وقول الجعد بن ضمام الدوسي في رثاء صالح ابن مسرح [٧]:

أيا عينُ فابكي صالحاً إن صالحاً شري نَفْسَهُ للهِ يبغي بها الخُلْدا

---

(١) ديوان الأخطل ، شرحه وقدمه : مهدي محمد ناصر الدين ، ص ٧٩ الطبعة الأولي ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م . دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٢) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ـ تحقيق ـ نعمان محمد طه ، ج ٢ ص ٦٣٩ .

(٣) ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ، تحقيق وشرح د/ محمد يوسف نجم ص ١١٢ ، دار صادر ـ بيروت ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م.

(٤) ديوان مجنون ليلي ، جمع وتحقيق : عبدالستار أحمد فراج ص ١٠٩ ـ مكتبة مصر .

(٥) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ص ٤٠٨ ، دار صادر ـ بيروت .

(٦) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ص ٣٢١ .

(٧) شعر الخوارج ، جمع وتقديم د/ إحسان عباس ص ١٧٨ .

وقول طُريح بن إسماعيل الثقفي في مدح الوليد بن يزيد [(١)]:

واستبشـــروا بالرضا تباشـــرهم ... بالخُلْـــدِ لو قيل إنكـم خُلُـــدُ

## جـ ـ جناتُ عدنٍ :

وهو الشعر الذي ورد به اسم الجنة جمعاً مضافاً إلى العدن :

كقول صفية بنت عبدالمطلب في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم [(٢)]:

عليـــكَ من اللهِ السـلامُ تحيـةً ... وأُدخِلْتَ جنَّاتٍ من العدنِ راضيا

وقول الحطيئة يمدح سعيد بن العاصي والي المدينة[(٣)] :

أنابتْ إلى جنّاتِ عَدْنٍ نفوسهم ... وما بعدها للصالحـين حتُّـوفُ

وقول قطري بن الفجاءة الخارجي [(٤)]:

فلو شَهِدتّنا يـــومَ ذاك وخيلَنـا ... تُبيحُ من الكفّـارِ كلَّ حريـمِ

رأتْ فتيةً باعوا الإلهَ نفوسَهـــم ... بجنـــاتِ عـدنٍ عنده ونعيـمِ

وقول العيزار بن الأخنس الطائي [(٥)]:

جزي اللهُ زيداً كلّما ذرّ شـارقٌ ... وأُسكِنَ من جنَّاتِ عَدْنٍ قرارَها

---

(١) شعراء أمويون ، القسم الثالث ، د/ نوري حمودي القيسي ص٢٩٩ . شعر طريح بن إسماعيل الثقفي ، دراسة وتحقيق د/ بدر أحمد ضيف ١٩٨٧م ص ٨٣ ، دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٣٩٠ . شاعرات العرب ، جمع وتحقيق عبدالبديع صقر ص ٦ الطبعة الأولي ١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ ، وينسب لأروي بنت عبدالمطلب أيضاً .

(٣) ديوان الحطيئة من رواية ابن حبيب ، شرح أبي سعيد السكري ص ٨٤ ، دار صادر ـ بيروت .

(٤) شعر الخوارج ، ص ١٠٦ ، وفيه (رأيت) . الرثاء في الشعر العربي ، تأليف د/ محمود حسن أبوناجي ، ص ١٤٠ ، الطبعة الأولي ١٤٠١هـ .

(٥) شعر الخوارج ص ٣٣ .

### د ـ جنات النعيم :

وهو الشعر الذي ورد فيه اسم الجنة جمعاً مضافاً إلى النعيم .

كقول حسان بن ثابت في رثاء خبيب بن عدي [1] :

صبراً خُبَيْبَ فإن القتلَ مكْرُمةٌ    إلى جنانِ نعيمٍ يرْجِعُ النَّفَسُ

وقول كعب بن مالك الأنصاري في رثاء حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه[2] :

وقتلاهم في جنانِ النعيمِ    كرامُ المداخِلِ والمخرج

وقول معن بن أوس المزني [3] :

جزاكَ اللهُ ياعُمَرَ بن حَفْصٍ    عن الإخوانِ جنَّاتِ النعيمِ

---

(1) ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٢٢٧ ، شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٧٤ .

(2) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، دراسة وتحقيق د/ سامي مكي العاني ص ١٨٧ مكتبة النهضة ـ بغداد الطبعة الأول ١٩٦٦م ١٣٨٦هـ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٦٠ .

(3) شعر معن بن أوس المزني ، جمعه وحققه ونشره : عمر بن سليمان القطان ص ١١٣ ، الطبعة الأولي ١٤٠٣هـ ـ دار العلم ـ جده .

## ثانياً.الشعر الذى ورد فيه وصف عام مجمل للجنة:

وهو الشعر الذي وصفت فيه الجنة بأوصاف عامة مجملة تتصل بالجو العـ للجنة من حيث امتداد الظل فيها وبرودة الجو .. والرائحة الطيبة ، وطيب المكا والمداخل فيها .. والخضرة والنضارة ، ومن حيث العلو .. ووجود الأنهار فيها .. وهـ الصفات مستقاة من وصف القرآن الكريم للجنة .. إذ تأثر الشعراء بما ذكر القرآ الكريم من صفات عامة مجملة للجنة .. ويمكن تقسيم هذا الشعر إلى أقسام هي :

### أ ـ امتداد الظل والبرودة :

وفي هذا الشعر يصف الشعراء الجنة ببرودة الجو والشراب وامتداد الظل والفيء وهو :

كقول جعفر الطيار يرتجز [1] :

١ ـ ياحـبَّـذا الجنَّةَ واقـتـرابُهـا
٢ ـ طيـبـةً وبارداً شـرابُهـا

وقول النابغة الجعدي [2] :

فـأدخلكَ اللهُ بـرْدَ الجنا
نِ جَـذْلانَ في مَـدْخَلٍ طيِّبِ

وقول النابغة الجعدي [3] :

هاجـروا يطلبـونَ مـا وَعَـد اللـ
ـهُ فـبـانوا وجـارُهم غـيـرُ قـال

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص١٨٠ .
(٢) شعر النابغة الجعدي ، الطبعة الأولي ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م ، ص ٣٣ ، المكتب الإسلامي ـ دمشق
(٣) المرجع السابق نفسه ص ٢٣١.

فســـلامُ الإلهِ يغــدو عليـــهمْ

وفــيـــوءُ الفـــردوسِ ذاتِ الظلالِ

وقول ذي الرُّمة (١):

يا صــاحـبيَّ انظُرا آواكُـمـا دَرَجٌ

عـالٍ ، وظِلٌّ من الفـردوسِ مَـمْـدودُ

وقول أحد الخوارج يرتجز (٢):

١ ـ علَّى ألْقي عــاصــمــاً لَعَلِّي

٢ ـ في جنَّةٍ عـــاليـــةٍ وظِلٌّ

وقول الفرزدق يذكر وقعة وكيع (٣):

فيـجزي وكـيع بالجـماعةِ إذ دعـا

إليـــهـــا بســيفٍ صـــارمٍ وسِنانِ

جزاءً بأعـمـالِ الرجالِ كـمـا جزا

ببـــدرٍ وباليـــرمـــوك فـــيءَ جِنانِ

## ب ـ طيب المدخل والمكان عامة :

وهو الشعر الذي يصف فيه الشعراء مداخل الجنة ومخارجها ، ويوضحون ما في الجنة من نعمة .. وهو :

---

(١) ديوان ذي الرُّمة ، حققه وقدم له : عبدالقدوس أبوصالح ج ٢ ص ١٣٥٥ـ مكتبة الخافقين ـ دمشق

(٢) شعر الخوارج ، ص ٢٠٣.

(٣) النقائض بن جرير والفرزدق ـ لأبي عبيدة معمر بن المثني ج٢ ص ٧١ ، طبعة محمد إسماعيل الصاوي . نقائض جرير والفرزدق ، ج١ ص ٣٢٥ طبعة ليدن ١٩٠٥م . الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ، تأليف د/ حسين عطوان ص ١١٥ الطبعة الأولي ١٩٧٤م . مكتبة المحتسب ـ عمان .

كقول حسان بن ثابت يجيب عصماء بنت مروان [1]:

فـــــأوردكَ الـلـهُ بُـرْدَ الجنـا
ن جــذلانَ في نِعْـــمـــةِ المَوْلج

وقول كعب بن مالك الأنصاري [2]:

كــذلك حــتي دعــاهم مليكٌ
إلي جنةٍ دوحـــــــةِ المَولج

وقول حسان بن ثابت في رثاء حمزة بن عبدالمطلب [3]:

صـلـى عـليـكَ الـلـهُ في جنَّة
عـــاليـــةِ مُكْرَمَـــةِ الداخلِ

وقول كعب بن مالك الأنصارى [4]:

وقــتــلاهم في جِنان النعـيـــــ
ـــمِ كَـــرامُ المداخِلِ والمخـــرجِ

وقول كعب بن مالك الأنصاري [5]:

فـإمَّـا تقـتلوا سَـعْـداً سَـفَـاهاً
فـإنَّ الله خـيـــرُ القـــادرينا

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٢٧٧ .

(٢) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، ص ١٨٨ ـ شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٦٠ .

(٣) ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٣٢١ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٤٦ .

(٤) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ص ١٨٧. شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٦٠ .

(٥) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ص ٢٨٠ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

سيُدخِلُه جناناً طيِّباتٍ
تكونُ مقامةً للصالحينا

جـ ـ الحدائق والأخضرار :

وهو الشعر الذي يصف الجنة وما فيها من حدائق مخضرة ملتفة الأغصان .. ويصف طيب رائحتها .. وروعة الجو المعجب فيها .. وهو :

كقول حسان بن ثابت في رثاء أهل مؤتة [(١)] :

فَطَاعَنَ حتي ماتَ غيرَ مُوَسَّدِ
بمُعْتَرِكٍ فيه القنا يتكسَّرُ
فصار مع المستشهدين ثوابُه
جنانٌ ومُلْتَفُّ الحدائِقِ أخْضَرُ

وقول عَدي بن وداع من المعمَّرين [(٢)] :

لا عيشَ إلا الجنَّة المخضرَّهْ
من يدخُلِ النار يُلاقي ضُرَّهْ

وقول كعب بن مالك الأنصاري [(٣)] :

ونعمانُ أوفي بميثاقه
وحنظلةُ الخَيرِ لم يُحْنجِ

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٩٨ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٦٨ .

(٢) المعمَّرون والوصايا ، لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق عبدالمنعم عامر ص ٤٨ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٥٢١ .

(٣) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ص ١٨٨ . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٦١ .

عن الحقِ حتي غَدَتْ روحهُ

إلي منزلِ فاخِرِ الزِّبرجِ

وقولِ عبدالله بن رواحة الأنصارى[1] :

* جعفر ما أطيب ريحَ الجنَّه *

وقولِ ناجيةَ بن جُنْدُب [2]:

١ ـ يا لِعبادَ الله فيمَ يُرغَبُ

٢ ـ ما هو إلا مأكَلٌ ومَشْرَبُ

٣ ـ وجنَّةٌ فيها نعيمٌ مُعْجِبُ

وقولِ أبي صخر الهذلي في رثاء ابنه داود [3]:

فَعُجِّلْتَ رَيْحَانَ الجنَانِ وَعُجِّلُوا

زمازيمَ فوَّارٍ من النارِ شاهِبِ

وقولِ عمران بن حطان [4]:

لايستوي المنزِلانِ ، ولا الأعْـ

ـمالُ لاتستوي طرائِقُها

هُمَا فريقان : فرقةٌ تدخلُ الـ

ـجنةَ حُفَّتْ بهم حدائقُها

## د ـ العلو :

وهو الشعر الذي يصف فيه الشعراء الجنة بالعلو والارتفاع .

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٦٥ .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .

(٣) شعراء أمويون د/ نوري حمودي القيس ص ٤٩ مكتبة النهضة العربية . بيروت .

(٤) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ، جمعة وحققه عبدالعزيز الزبر ، ومحمد الأطرم ص ٣١٢ طبعة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .

كقول النعمان بن بشير الأنصاري [١] :

وقف الناسُ للحساب جميعاً
فشقيٌّ معذَّبٌ وسعيدُ
والنبيُّونَ عنده بمكان
في علاءٍ والصالحون قعودَ

وقول زياد الأعسم الخارجي في رثاء داود بن النعمان العبدي [٢] :

ألا فاذكرنْ داودَ إذ باعَ نفسَه
وجاد بها يبغي الجِنانَ العواليا

## هـ ـ الأمن والدعة :

وهو الشعر الي يصف فيه الشعراء الجنة بأنها مكان أمن فيه سكينة وطمأنينة :

كقول الأخطل في مدح قريش وبشر بن مروان [٣] :

وإذا وشي بي أقوامٌ فأدْركني
رَهْط الذي رفعَ الرحمنُ فارتفعوا
في جنّةٍ هي أرواحُ الإله ، فما
يُفزِّعُ الطيرَ في أغصانِها فَزَعُ

وقولِ امرأة كانت تندب زوجها واسمه بريد [٤] :

---

(١) شعر النعمان بن بشير الأنصاري تحقيق وتقديم د/ يحيى الجبوري ص ٩٠ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ١٧ . شعر الفقهاء ، د/ حسني ناعسة ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ المكتبة العربية ـ حلب .

(٢) شعر الخوارج ، ص ١٨٩ ـ ١٩٠ .

(٣) ديوان الأخطل ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ص ٢٠٣.

(٤) شاعرات العرب ، ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ .

أسـكـنـك الـلـهُ فـي جـنـانٍ
تكـونُ أمنـاً لسـاكنيـهِ

و ـ وجود الأنهار :

وهو الشعر الذي يصف فيه الشعراء الجنة بأنها تجري فيها الأنهار .

كقول حبيب بن خدرة في رثاء ملحان بن معروف وعبدالملك بن علقمة (١) :

فصرتُ صاحبَ دنيا لستُ أملكها
وصارَ صاحِبَ جنّاتٍ وأنهارِ

ز ـ الجنة نعيم دائم لايزول :

وهو الشعر الذي وصف فيه الشعراء الجنة بأنها نعيم دائم لايزول ولاينقطع :

كقول حسان بن ثابت (٢) :

عليكَ سلامُ ربِّك في جِنانٍ
مخالِطُها نعيمٌ لايزولُ

وقول سابق البربري في الوعظ (٣) :

وتطلبُ في الدنيا المنازلَ والعُلاَ
وتنسي نعيماً دائماً لاتُزايلهْ

---

(١) شعر الخوارج ، ص ٢١٠ ـ ٢١١ .

(٢) ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٥٠٤ . ديوان كعب بن مالك الأنصاري ص ٢٥٢ منسوباً إلي كعب بن مالك . ديوان عبدالله بن رواحة الخزرجي ، دراسة وجمع وتحقيق د/ حسن باجودة ص ٩٨ منسوباً إلي عبدالله بن رواحة . شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥ منسوباً لكعب بن مالك أو لعبدالله بن رواحة .

(٣) سابق البربري والاتجاه الإسلامي في شعره ، رسالة ماجستير ، إعداد شادية حسن زيني ، مخطوط ، ورقة ١٥٥ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣٥٤ منسوبين إلي سابق البربري .

كَمنْ غَرَّهُ لَمَعُ السراب بقيعةٍ
فـقـصَّـر عن وِرْدٍ يجيشُ مَناهِلُهْ

وقول عامر بن عبدقيس [1]:

إمّا الجِنانُ وعيشُ لا انقضاءَ له
أم الجحيمُ ، فلا تُبْقي ولا تَذَرُ

وقول الفرزدق في قتيل قتيبة بن مسلم [2]:

فإنا أناس نشتري بدمائنا
ديارَ المنايا رغبة في المكارمِ

وقولِ أبي الأسودِ الدؤلي [3]:

سأجعلُ نفسي لهم جُنَّةً
فلا تكثري من اللائمهْ
أرجي بذلكَ حوضَ الرسولِ
والفوزَ والنعمةَ الدائمهْ

## ح ـ النعيم الروحي :

وهو الشعر الذي يصف فيه الشعراء الجنة وما فيها من لذة ومتعة روحية .. وهو:

كقولِ النعمان بن بشير الأنصاري [4]:

لهم ما اشتهت فيها النفوسُ ولذَّةُ الـ
عيون فكانت مستقراً ومَقْعَدا

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣١١ . شعر الفقهاء نشأته وتطوره ، د/ حسني ناعسة ص ١٢ منسوباً إلى ابن المبارك . وروايته : أفي الجنان ... فما تبقي ولاتدع .

(٢) نقائض جرير والفرزدق ، طبعة ليدن ١٩٠٥م ، ج١ ص ٣٩١.

(٣) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، د/ النعمان القاضي ، ص ٣٧٥ ديوان أبوالسعود الأسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد الحسن السكري ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ص ١٢٣ . البيت الأول فقط .

(٤) شعر النعمان بن بشير الأنصاري ص ٩٦ ، تحقيق وتقديم د/ يحيى الجبوري ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م ـ دار القلم ـ الكويت . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٢٠ .

## ثالثاً. الشعر الذى ورد فيه وصف مفصل للجنة:

وهو الشعر الذي وصف الشعراء الجنة فيه بأوصاف مفصلة يتصل بعضها بالمساكن والغرف فيها ، ويتصل بعضها بالشراب في الجنة ، وبعضها الآخر يتصل بوصف النساء في الجنة ، ويتصل بعضها بتشبيه نساء الدنيا بالجنة ، ويمكن تقسيم هذا الشعر إلى أقسام هي :

### أ ـ المساكن والغرف :

وهو الشعر الذي يذكر فيه الشعراء غرف الجنة ويصفونها ببعض الصفات .. والشعر الذي يذكر الأسرّة والفرش في الغرف .. وهو :

كقول الفرزدق يمدح [1]:

خلفاءُ قد تركوا فرائضَهم
فينا وسنةَ طيّبي الذكْرِ
تبعوا رسولَهم بسنته
حتي لقوه وهم على قَدْرِ
رفقاء متكئين في غُرَفٍ
فرحين فوقَ أسرَّةٍ خُضْرِ

قول الفرزدق [2]:

في غُرفِ الجنةِ العُليا التي جُعِلَتْ
لهم هناك بسعي كان مشكورِ

وقول الفرزدق [3]:

(١) أثر الإسلام في شعر الفرزدق ، د/ مصطفي عبدالواحد ص ٢٩ . الطبعة الأولي ١٤٠٢هـ .
(٢) أثر الإسلام في شعرالفرزدق د/ مصطفي عبدالواحد ص ٢٩ .
(٣) أثر الإسلام في شعر الفرزدق ، د/ مصطفي عبدالواحد ص ٥٩ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٢٤١ .

فأصبح في القومِ الذين محمدٌ

أخوهم ، ومَنْ يلحق بهم فهو سالمُ

جزوا بالسريرات التي في قلوبهم

جزاهم بها محصي السريراتِ عالمُ

إلي الغُرفةِ العُليا رفيقَ محمدٍ

مقيماً ، ولا منها هو الدهرَ رائمُ

وقول عدي بن الرّقاع العاملي يمدح [(١)] :

عَالَيْنَ رَقْماً من الأصنافِ زيّنهُ

قعائدٌ وجلوسٌ فوقها غُرَفُ

وقول حبيب بن خدرة الهلالي يرثي قتلي الخوارج مع الضحاك [(٢)] :

أبكي الذين تبوءوا الغُرَفَ العُلَى

فجرتْ لهم من تحتها أنهارُ

أبكي لنفسي لا لهم أبكيهم

لاصبرَ حيث تعارف الأبرارُ

وقول حسان بن جعدة في رثاء بسطام اليشكري [(٣)] :

إني لأعلمُ أن قد أُنزِلوا غُرَفاً

من الجنانِ ، ونالوا ثمَّ خدّاما

وقول الأصم الضبي يرثي قتلي الخوارج عند الجوسق [(٤)] :

---

(١) ديوان عدي بن الرقاع العاملي ، عن أبي العباس ثعلب ، تحقيق د/ نوري القيسي ، د/ حاتم الضامن من ٢٣٥ . المجمع العلمي العراقي ١٤٠٧هـ .

(٢) شعر الخوارج ، ص٢١١ .

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ١٩٥ .

(٤) شعر الخوارج ص ١٢٥ .

ساروا إلى اللهِ حتى أُنزِلوا غُرَفاً
من الأرائكِ في بيتٍ من الذهبِ

وقول أبي جلدة اليشكري (١):

ويدعو اللهَ مجتهداً لكيما
ينالَ الفوزَ من غُرَفِ الجِنانِ

وقول أيمن بن خُرَيم (٢):

وبنيتَ عندَ مقامِ ربِّكَ قُبَّةً
خضراءَ كُلِّلَ تاجها بالفِسْفِسِ
فسماؤها ذَهَبٌ وأسفلُ أرضها
ورِقٌ تلألأ في البهيم الحِنْدِسِ

وقول عمران بن حطان (٣):

أَمْ مَنْ تلظّي عليه موقَدُ النا
رِ ، محيطٌ بهمْ سُرادِقُها
أمْ أَسْكُنُ الجنَّةَ التي وُعِدَ الْـ
أبرارُ ، مصفوفةٌ نمارِقُها

## ب ـ نساء الجنة :

وهو الشعر الذي ورد فيه ذكر النساء في الجنة ، من حيث ذكر الحور العين

(١) شعراء أمويون ، د/ نوري حمودي القيسي ص ٣٦١ ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣٩٦ . الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية ، د/ الهادي حمودة الغزي ص ١٢٥ ، طبعة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ١٦٥ . شعر الخوارج ، ص ١٧٠ .

(٣) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣١٢ . شعر الخوارج ، ص ١٧٠ .

والكواعب والأتراب ، والشعر الذي ورد فيه وصف النساء في الجنة وما خصهن الله به من الجمال والهيئة الخاصة .. وهو :

كقولُ عبيدة بن الحارث بعد إصابته يوم بدر (١) :

إن تقطعوا رجلي فإني مسلم
أعيش بها عيشاً من اللهِ دانيا
مع الحورِ أمثالِ التماثيل أُخلصتْ
مع الجنة العَليا لمن كان عاليا

وقول عمرو بن معد يكرب الزُبيدي (٢) :

واخطبوا الحُورَ إلى اللهْ
بقتالِ القادسيهْ
كي تنالوا الفوزَ قِدْماً
في غُدوٍّ وعَشيَّهْ

وقولِ الوليد بن يزيد (٣) :

لا أرتجي الحورَ في الخلودِ وهَلْ
يأملُ حورَ الجنانِ من عَقَلا

وقول جرير بن عطية (٤) :

علي أنه أفضي إلى حورِ جنّةٍ
وتُطْبقُ بالبلوي عليكم جهنَّمُ

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ . مع شعر الدعوة الإسلامية د/ طه عبدالفتاح مقلد ، ج ١ ص ٣٧ ـ ٣٨ . مؤسسة التعاون .

(٢) شعر عمرو بن معديكرب الزُبيدي ، جمع وتحقيق : مطاع الطرابيشي ص ١٨٠ دمشق ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .

(٣) شعر الوليد بن يزيد ، جمع وتحقيق د/ حسين عطوان ص ٩٠ مكتبة الأقصي ـ الأردن .

(٤) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ . وليس في ديوانه .

وقول مالك بن دينار [١]:

ألهــــتك اللذائذ والأمـــــانى
عن البـــيض الأوانسِ في الجِنانِ
تعيشُ مــخلّداً لاموت فـيـهـا
وتلهـــو في الجِنَانِ مع الحِـسَـــانِ

وقول مجهول [٢]:

من حُبِّ ســـيدةٍ تبــوّأ جنَّةً
قــد حُـفَّـفَتْ أنهــارها بخــيامِ
مع خـــودةٍ في جـــوفِ زبرجــدِ
مكنونةٍ في خـــدرها كــغـــلامِ
وصّــانةٍ في قــولِهــا وحـديثـهــا
لاتـأيـســنَّ بـراقـــــــدِ نَـوّامِ

وقول مجهول [٣]:

من التي صَاغَاه الرّحـمن في غُرَفٍ
من مـسكةٍ عُجِنَتْ في مـاءِ نسرين
إلي الذيَ حبُّه في القلب مـحتبس
وقلبُـــه عنه في لهـــو وتفـــتين

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣٧٤.
(٢) مصارع العشاق ، للشيخ أحمد محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج الطبعة الأولي ، مطبعة الجوائب ـ قسطنطينية ١٣١١هـ .
(٣) مصارع العشّاق ، للشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السّراج ص ١١٨ . باب مصارع عشاق الحور العين .

يا سـهلُ بادر فـقـد أورثتني حَـزَناً
كم عنك مـا لا أحب الدهر يأتينى
ألست تشتـاق أن تلهـو على فـرشٍ
مـوضـونةٍ مع جـوارٍ خـرَّدٍ عين

## جـ الملابس والحُلي :

وهو الشعر الذي يصف فيه الشعراء لباس أهل الجنة وحليهم ومنها اللؤلؤ والزبرجد ... وهو :

كقول النعمان بن بشير الأنصاري [1] :

ثَواباً بما كـانوا إلى الله قَـدَّمـوا
يُحَلَّوْنَ فـيـهـا لؤلؤاً وَزَبَرْجَـداَ

## د ـ الشراب في الجنة :

وهو الشعر الذي ورد فيه وصف للشراب في الجنة متأثرا بما جاء من وصف شراب الجنة في القرآن الكريم .. بحيث ورد شعر فيه ذكر الخمر ووصفه بالصفات التي وصف بها خمر الجنة في القرآن الكريم .. وورد شعر ذكرت فيه آنية الشراب ووصفها .. كما ورد شعر فيه ذكر للماء والعسل ووصفهما متأثراً بما جاء في القرآن الكريم .. وهذا الشعر يكن تقسيمه إلى عدة أقسام هي :

### ١ ـ الخمر وآنية الشراب وصفتهما :

وهو الشعر الذي ورد فيه ذكر الخمر ووصفه .. والشعر الذي ذكرت فيه آنية الشراب مع وصفها .. وهو :

---

(١) شعر النعمان بن بشير الأنصاري ، تحقيق وتقديم د/ يحيى الجبوري ، ص ٩٦. الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م ـ دار القلم ـ الكويت . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٢٠ .

كقول عمّار بن ياسر [1]:

إنهم عند ربهم في جنانٍ
يشربونَ الرّحيق والسّلْسبيلا
مِنْ شرابِ الأبرارِ خالَطَهُ المسـ
ـكُ وكأساً مزاجُها زنجبيلا

وقولِ جرير بن عطية [2]:

سُوِّسْتُمُ المُلْكَ في الدنيا ومنزلكم
منازِلُ الخُلْدِ زانتها الأكاويبُ

وقول رؤبة بن العجاج يمدح بلال بن أبي بردة [3]:

رَحْبِ الفُروعِ مُكْرَب العراقى
تُسْقي به الحق سقاك الساقى
من كَأْسِه بلَذَّةٍ دهاق
بلالُ يابْنَ الأَنْجمِ الأطْلاقِ

## ٢ ـ الماء والعسل وصفتهما :

وهو الشعر الذي ورد به ذكر الماء والعسل من مشروبات الجنة ووصفهما .. وهو:

كقول العجّاج [4]:

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٧٤ .
(٢) ديوان جرير ، بشرح محمد بن حبيب ج ١ ص ٣٥٠.
(٣) مجموع أشعار العرب ، وهو مشتمل علي ديوان رؤبة بن العجّاج ص ١١٦ .
(٤) ديوان العجاج ، رواية عبدالملك بن قريب وشرحه ، تحقيق عزة حسن ص ٣٤٦ . دار الشروق ـ بيروت . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣١٥ .

فـــداخلونَ جنّةً بهـــيـــجــا
وشـــارِبُونَ عـــســـلاً مـــزيجـــا
بماءِ مُـــزْنٍ بارداً مـــثْلُوجـــا

## ٣ ـ الطعام والظل :

وهو الشعر الذي ورد فيه ذكر الفاكهة من طعام الجنة وذكر فيه إلى جانب ذلك الظلال .. وهو :

كقولِ العجّاجِ [(١)]:

عَلَّ الإلهَ البـــاعثَ الأثقـــالا
يُعْـــقِـــبني من جَنّةٍ تظلالا
وعِنَبـــاً يُســـاقِطُ الأهْدَالا

## هـ ـ تشبيه النساء بالجنة :

وهو الشعر الذي ورد فيه ذكر جنة آدم عليه السلام ، والشعر الذي شبه الشعراء فيه نساء الدنيا بالجنة متأثراً فيه بأسلوب القرآن الكريم في وصف الجنة .. وهو :

كقول الفرزدق في هجاء إبليس [(٢)]:

وآدمَ قـد أخـرجتَـهُ وهو سـاكِنٌ
وزوجَـتُـهُ مِنْ خَـيـرِ دارِ مُـقـامِ
وأقـــســـمتَ يا إبليس أنك ناصحٌ
له ولهـــا إقـــســـامَ غـــيـــر أثامِ
فظلاً يخـيطانِ الوراقَ عليـهـمـا
بأيديهـمـا من أكلِ شـرِ طعـامِ

---

(١) ديوان العجاج ، رواية عبدالملك بن قريب ص ١٧٤ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٤٤ .

(٢) أثر الإسلام في شعر الفرزدق ص ٧٣ . شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٢٧٧ .

وقول الوليد بن يزيد (1):

يا سلْمَ كنتِ كجنَّة قد أطمعَتْ
أفْنَانُهـا دانٍ جَنَاها مُـوضعُ

أرْبَابُها شفقاً عليها نومُهُمْ
تحليلُ مَوْضعا ولما يَهْجعوا

حتي إذا فَسَحَ الربيعُ ظنونَهُمْ
نشر الخريفِ ثمارها فتصدّعوا

وقول يزيد بن الطثرية وهو مما نسب له ولغيره (2):

فيا جنَّة الدنيا ويا منتهي المنى
ويا نورَ عيني هل إليك سبيلُ

وقولِ الفرزدق في زوجته النوار بعد طلاقها (3):

وكانت جنتي فخرجتُ منها
كآدمَ حينَ لجَّ به الضَّرارُ

وقولِ يزيد بن مفرّغ الحميري في غلامه برد وجاريته أراكة (4):

أما الأراكَ فكانتْ من محارِمنا
عَيْشاً لذيذاً ، وكانت جنَّةً رَغَدا

كانتْ لنا جنَّةً ، كنا نعيشُ بها
نغني بها إن خَشينا الأزْلَ والنكدا

---

(1) شعر الوليد بن يزيد ، جمع وتحقيق د/ حسين عطوان ص ٧٥ .
(2) شعر يزيد بن الطثرية ، صنعة حاتم الضامن ، مطبعة أسعد ـ بغداد ص ٨٩ .
(3) أثر الإسلام في شعر الفرزدق ص ٦٢ .
(4) ديوان يزيد بن مفرّغ الحميري ، جمع وتحقيق د/ عبدالقدوس أبوصالح ص ٩٧ ـ ٩٨ الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

وقول شبيب بن البرصاء [١]:

فـإنْ تكُ هِندٌ جنّةً حـيل دونهـا
فـقـد يعـزِفُ اليـأسُ الفـتي فـيـعيجُ

وقول جحدر بن معاوية المَحرزي اللص [٢]:

أيام أرعي العين في زهر الصـبـا
وثـمـار جنّاتِ النسـاء وطيـبـهـا

وقول بشار بن برد [٣]:

يارحـمـةَ اللهِ حُلّي في منازِلنا
حـسـبي برائحـة الفـردوسِ من فـيك

(١) شعراء أمويون ، القسم الثالث ، دراسة وتحقيق د/ نوري القيسي ص ٢٢٣ .
(٢) شعراء أمويون ، القسم الأول ص ١٧٠ . طبعة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦ .
(٣) مختارات البارودي من شعر بني أمية والعباسي ، محمود سامي البارودي ، ج٤ ص ١٩٣ .

## رابعاً ـ الشعر الذي تأثر بأساليب وصف القرآن الكريم للجنة :

وهو الشعر الذي تأثر فيه الشعراء بأساليب وصف القرآن الكريم ، وذلك بأن استخدم الشعراء أساليب القرآن الكريم في وصف الجنة .. استخدموها في وصف ما في الحياة الدنيا ... مما ذكره الله ـ سبحانه ـ في وصف الجنة ... بأن وصفوا النساء في الدنيا بما ذكره الله ـ سبحانه ـ من صفات نساء الجنة ، كما وصفوا مظاهر الطبيعة في الأرض متأثرين في ذلك بأسلوب القرآن الكريم في وصف الجنة .. ووصفوا ما في الدنيا من أنواع المشروبات بصفات أنواع المشروبات في الجنة التي ذكرها القرآن الكريم ... وهذا القسم يمكن تقسيمه على النحو التالي :

### أولاً ـ وصف نساء الدنيا بصفات نساء الجنة :

وهو الشعر الذي يشبه فيه الشعراء نساء الدنيا بصفات النساء في الجنة كما ذكرها القرآن الكريم .. فيصفون نساء الدنيا بأنهن حور عين أو كونهن كواعب أتراب ... كما يصفونهن بصفات أخري تظهر تأثرهم بأساليب القرآن الكريم ... وهذا الشعر يمكن تقسيمه على النحو التالي :

#### أ ـ الكواعب الأتراب :

ومنه قول سحيم عبد بني الحسحاس (١) :

كــواعب أتراب لهن بشــاشــةٌ
إذا عَلِقَتْ شــيــئــاً فليس يريمُ

وقول الوليدُ بن يزيد (٢) :

قـد كنتُ أُحْـسَـبُ أنني جَلْدُ القُـوى
حــتي رأيتُ كــواعــبــاً أترابا

---

(١) ديوان سحيم عبدبني الحسحاس ، تحقيق الأستاذ عبدالعزيز الميمني ص ٣٧ . دار الكتب المصرية ـ القاهرة ، طبعة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م .

(٢) شعر الوليد بن يزيد ، جمع وتحقيق د/ حسين عطوان ص ١٥ ، مكتبة الأقصي ـ عمان .

وقول عمر بن أبي ربيعة [1]:

أبرزوها مثلَ المهاة تهادى
بين خمسٍ كواعبٍ أترابِ

وقول عمر بن أبي ربيعة [2]:

تلك التي قالتْ لجاراتٍ لها
حُورِ العيونِ كواعبٍ أتراب

**ب ـ الحور العين :**

ومنه قول عدي بن الرقاع العاملي [3]:

ومن الضلالةِ بَعْدَما ذهبَ الصِّبا
نظري إلى حورِ العيونِ نواعمِ

وقول الراعي النميري يمدح [4]:

وفي الخيامِ إذا ألقت مراسِيَها
حُورُ العُيونِ لإخوانِ الصبّي صيدُ

وقول رؤبة بن العجّاج يمدح [5]:

ما فيه لَوْلا أنه يترجمُهْ
وقد تري بحيث تُبْني خِيمُهْ

---

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ص ٥٩ .

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٤٣ .

(٣) ديوان عدي بن الرقاع العاملي ، تحقيق د/ نوري حمودي القيسي ، د/ حاتم الضامن ص ١٢٣ ، طبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٧هـ .

(٤) ديوان الراعي النميري ، جمع وتحقيق : راينهرت ص ٥٥ ، بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م .

(٥) مجموع أشعار العرب ، وهو مشتمل علي ديوان رؤبة بن العجاج ، اعتني بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسي ، ص ١٥٠ .

حوراً ولهوا لاهياً متيّمهْ
تُضمَخُ بالجادىّ أو تُلَغّمُهْ

وقول بشار بن برد (١):

وحوراءُ المدامعِ من أبانِ
كأنّ حديثَها ثمرُ الجِنانِ

وقول الكميت بن زيد الأسدي (٢):

وقد رأينا بها حوراً منعمةً
بيضاً تكامل فيها الدلُّ والشنبُ

وقول مجنون ليلي (٣):

وحَتي حَملْنَ الحورَ من كل جانبِ
وخاضتْ سُدُولَ الرّقم منها الأكارِعُ
فلما استوتْ تحتَ الخدورِ وقد جرى
عبيرٌ ومسكٌ بالعرانين سَاطِعُ

## جـ ـ البيض المكنون :

وهو الشعر الذي يصف نساء الدنيا بالبيض المكنون متأثراً بأسلوب القرآن الكريم في وصف نساء الجنة :

---

(١) حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء ، لأبي محمد عبدالله العبد لكاني ج ٢ تحقيق : محمد جبار المعيبد ص ٨٦ . الجمهورية العراقية ـ وزارة الثقافة والفنون . مختارات البارودي ، لمحمود سامي البارودي ج ٤ ص ١٩٣ . وروايته : ودعجاء المحاجر من مَعَدٍّ ..

(٢) شعر الكميت بن زيد الأسدي ، ج ١ ق ١ ، ص ٩٣ جمع وتقديم د/ داود سلوم . مطبعة النعمان ـ النجف بغداد ١٩٦٩م .

(٣) ديوان مجنون ليلي ، جمع وتحقيق : عبدالستار أحمد فراج ص ١٨٢ مكتبة مصر .

ومنه قول محمد بن عبدالله النميري (١):

فـهنّ كـمكنونٍ من البيضِ تحتَـه
عـقـادٌ من الأنقـاءِ بالقـفـراتِ

وقول رؤبة بن العجّاج يمدح (٢):

ومـن هـواىَ الـرّجـحُ الأثـايـثْ
تُمـيلُهـا أعــجـازُها الأواعِثْ
كـالبـيض لم يَطْمِثْ بهنّ طامثْ
أزْمـان رأسي قَـصـيبٌ جـثـاجثْ

وقول عبيد الله بن قيس الرقيّات (٣):

من نِسْـوةٍ كـالبَـيْضِ في الْـ
أُدحيّ بالـدّمَـثِ المطيـــرهْ

وقول عمر بن أبي ربيعة (٤):

بيـضـاءَ ناصـعـةَ البـيـاضِ
كـدرّةِ الصـدَفِ الكنينِ

وقول عدي بن الرقاع العاملي (٥):

كبيضةِ الهين في الأدحي باتَ لها
دون النّدي من خـوافي دفّـهِ عُطُفُ

---

(١) شعراء ثقيف في العصر الأموي ، جمع وتحقيق ودراسة : عيضة عبدالغفور الصّواط ص ١٦٧ ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي .

(٢) مجموع أشعار العرب ، وهو مشتمل علي ديوان رؤبة بن العجاج ص ٢٩ .

(٣) ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ، تحقيق وشرح د/ محمد يوسف نجم ص ٤٤ دار صادر - بيروت

(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤١٢.

(٥) ديوان عدي بن الرقاع العاملي ، تحقيق د/نوري القيسي ، ود/ حاتم الضامن ص ٢٣٦ .

د ـ أوصاف أخري :

وهو الشعر الذي وصف فيه الشعراء نساء الدنيا بصفات أخري غير ماسبق متأثرين في وصفهم بما ذكره القرآن الكريم من صفات الجنة ...

فمن ذلك قول العجّاج (١) :

فـقـد تري بيـضـاً بهـا أبكارا
من الحـيـاءِ خُـرّدا خِـفـارا

وقولِ كُثَير عزة (٢) :

مُنَعّـمـةٌ لم تَلْقَ بُؤسَ مـعـيـشـةٍ
هي الخُلْدُ في الدنيا لمن يستـفـيـدها
هي الخُلْدُ مـا دامتْ لأهلك جـارةً
وهَلْ دامَ في الدّنيـا لنفـسي خلُودها

وقول الشمردل اليربوعي (٣) :

مِنْ صَـوْبِ سـاريةٍ كـأنّ بمتنه
مِنْهـا الجـمـانُ ولؤلؤاً منثـورا

## ثانياً . وصف شراب الدنيا بما وصف به القرآن الكريم شراب الجنة :

وهو الشعر الذي وصف فيه الشعراء العسل والخمر والماء بصفات تعكس تأثرهم بما وصف به القرآن الكريم شراب الجنة .

---

(١) ديوان العجّاج ، تحقيق ، عزة حسن ص ٣٩٥.

(٢) ديوان كُثَير عزة ، جمع وشرح د/ إحسان عباس ص ٢٠٠ ، دار الثقافة ـ بيروت .

(٣) شعراء أمويون ـ القسم الثاني د/ نوري القيسي ص ٥٣٠ ـ مطابع مؤسسة دار الكتب ـ جامعة الموصل .

ومنه قوله ساعدة بن جؤيّة [1]:

ومِـزَجُـهـا صـهـبـاءُ فُتَّ خِتـامُـهـا
قَـرِطٌ من الخُـرْسِ القِطاط مـثـقَّـبُ

وقول عدي بن الرقاع العاملي [2]:

وكــأنَّ طَعْمَ الزَّنجــبـيـلِ ولذَّةً
صـهـبـاءَ ساك بهـا المسـخَّرُ فـاها

وقول عمر بن أبي ربيعة [3]:

تبِنْ غيرَ أنْ قـد أومأتْ فَعَمَـدْنها
كـشـاربِ مكنونِ الشـرابِ المختَّمِ

## ثالثاً. وصف الطبيعة فى الحياة الدنيا بالصفات التى وصفت بها الجنة:

وهو الشعر الذي استخدم فيه الشعراء أساليب القرآن الكريم في وصف الجنة فوصفوا بها الطبيعة في الحياة الدنيا ..

ومنه قول امرأة تميمية ترثي زوجها [4]:

كُنا كـغُـصْنينِ في أصلٍ غُـذاؤُهـمـا
مـاء الجـداولِ في رِوضـاتِ جنَّاتِ

وقول جرير يمدح هشام بن عبدالملك [5]:

---

(١) ديوان الهذليين ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القسم الأول ص ١٨٢ . نشر الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م .

(٢) ديوان عدي بن الرقاع العاملي ص٩٧ .

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٤٤ .

(٤) شاعرات العرب ، ص ٤١٤ .

(٥) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، ج ١ ص ٢٩١ .

بلَغْتَ من الهنيءِ فـقلتَ شكراً
هَناكَ وسُـهْلَ الجـبلُ الصَّلُود
بهـا الزيتـونُ في غَلَلٍ ومـالتْ
عناقـيدُ الكرومِ فـهنَّ سُـود
فـتمـَّضتْ في الهنيءِ جِنانُ دُنيـا
فـقـال الحـاسـدون هي الخلودُ
يُعـضُّـون الأناملَ أنْ رأوْها
بسـاتيناً يُؤازِرُها الحـصـيـدُ
ومن أزواجِ فـاكـهـةٍ ونخـيلٍ
يكونُ لحـمْلِهِ طَلْعٌ نضـيـدُ

وقول جرير بمدح هشام بن عبدالملك [١]:

وُقِـيتَ الحَـتْفَ من عَـرَضِ المنايا
ولُقِّـيتَ التـحـيـةَ والسـلامـا

وقول الحجاج [٢]:

عليكَ سـلامُ اللهِ حـيّـاً ومـيـتـاً
ومن بَعْدِ ما تُحْيـا عـتـيـقـاً لمالكِ

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ج١ ص ٢٢٥ .
(٢) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ص ٣٤ .

# الفصل الرابع

# تأثر الشعراء الإسلاميين

# بأساليب وصور القرآن الكريم في وصف الجنة

## تأثر الشعراء الإسلاميين بأساليب وصور القرآن في وصف الجنة :

عند مراجعة دواوين ومجموعات الشعر الجاهلي لا نجد ذكراً للجنة ولا وصفاً لدار الثواب التي أعدها الله ـ سبحانه ـ لعباده المتقين .. وذلك لأن العرب الجاهلين لم يكن لهم علم ، وكان أكثرهم ينكرون البعث بعد الموت .. وظل الحال هكذا حتى تنزل القرآن على رسول الله صلىالله عليه وسلم .

ومن هنا بدأ ذكر الجنة في الشعر الإسلامي باعتبارها دار الثواب ، والحديث عنها، بعد ظهور الإسلام وتأثر العرب به .. لأن القرآن الكريم بيّن أوصاف الجنة .. وفصّل في بيان أنواع المتاع الحسي والروحي فيها بصورة رائعة انطبعت في وجدان الشاعر المسلم وإحساسه .. فظهر أثر ذلك في شعره الذي تناول فيه مختلف الفنون والأغراض ..

وقد كان المظنون أن يرد وصف الجنة في الشعر الإسلامي كثيراً ، إلا أن مراجعة دواوين الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي أظهرت أنواعًا من التأثر بوصف الجنة في هذا الشعر ، لكنه لم يكن من الكثرة بحيث يبدو ظاهرة فيه .. كما ظهر هذا جلياً في القرآن الكريم .. حيث كثر حديث القرآن الكريم عن الجنات ونعيمها وأسمائها ودرجاتها ومساكنها وفراشها وطعامها وشرابها .. مع التكرار في أغلب السور القرآنية ..

ولعل كثرة حديث القرآن الكريم عن الجنة وبيان أنواع المسرات والنعم فيها أغنت الشاعر المسلم عن ترديد هذا الوصف كثيراً في شعره .. حيث اكتفوا بالإشارة إليها ، أو وصف بعض أنواع النعيم فيها حسب ما يقتضيه المقام ..

فظهر تأثرهم بالقرآن الكريم في وصف الجنة في أدعيتهم وابتهالاتهم ، وتأملاتهم ووعظهم ، ورثائهم ومديحهم ، كما انعكس تأثرهم بوصف الجنة في القرآن في وصفهم لما في الحياة الدنيا من أنواع الملذات ، فوصفوا ما يعرفونه من أمور دنياهم بصفات الملذات التي عرفوها عن الجنة كما جاءت في القرآن الكريم بتشبيه أمور دنياهم بما عرفوه من أنواع النعيم في الجنة ..

وعند دراسة الشعر الإسلامي الذي تأثر بوصف القرآن الكريم للجنة تبين أن

الشعراء الإسلامية في صدر لاإسلام والعصر الأمري قد تأثروا بالقرآن الكريم فوصفوا الجنة في شعرهم متأثرين به تأثراً حرفياً أحياناً ، وتأثراً فيه تصرف أحياناً أخري .. كما وصفوا الجنة بأوصاف مبتكرة جديدة لم ترد في القرآن الكريم .. لكنها لا تخرج عن نطاق معانيه . وتأثر الشعراء الإسلاميين بالقرآن الكريم في وصف الجنة يبين مدي انطباع صور القرآن الكريم وأساليبه ومعانيه في وجدان الشاعر المسلم ، ومدي إحساسهم ببلاغة القرآن الكريم وتأثرهم بما فيه من أنواع الأساليب الرفيعة في الوصف والتشبيه والمجاز والكناية ، بحيث ظهرت أساليب القرآن الكريم في وصف الجنة في شعرهم ، فبدأ تأثرهم المباشر بأسلوب القرآن الكريم في ذكرهم لأسماء الجنة وبعض صفاتها كما وردت في القرآن ، كما بدا تأثرهم الضمني بأساليب القرآن الكريم ، في ذكرهم لأسماء الجنة ، ووصفها بصفات القرآن مع تصرفهم في الأساليب والصور البيانية بما يوافق السياق الشعري وزناً وقافية ..

وظهرت في أساليبهم وصورهم المبتكرة في وصف الجنة براعتهم الفنية في تخيل ما جاء في القرآن الكريم من الصور البيانية في وصف الجنة ثم ابتكار صور جديدة من وراء هذا التعمق في فهم الصور القرآنية ، مما يدل على عقلية الشاعر المسلم المتطورة المبدعة في فهم أساليب القرآن الكريم والتعبير عنها بما يتفق مع الروح الفنية الخاصة بالشعر حيث لم يقف عند حد اقتباس الصور القرآنية بل إنه طور في الوصف والتصوير بما يدل على فهمه العميق لأساليب القرآن الكريم وصوره البيانية مع براعته في اختراع الصور والأساليب التي تدل على إبداعه في أساليبه الفنية ..

ولدراسة الشعر الإسلامي المتأثر بأسلوب القرآن الكريم في وصف الجنة ينبغي تقسيم هذا الشعر حسب نوع تأثره بالقرآن .. وذلك بأن يقسم هذا الشعر ثلاثة أقسام رئيسية هي :

(١) التأثر المباشر بأساليب القرآن وصوره ..

(٢) التأثير غير المباشر بأساليب القرآن وصوره ..

(٣) الصور والأساليب المبتكرة في وصف الجنة في الشعر الإسلامي ..

## أولا : التأثر المباشر بأساليب القرآن الكريم وصوره :

وهو الشعر الذي تأثر فيه الشاعر المسلم بالقرآن الكريم فاقتبس بعض الأساليب القرآنية أو الصور القرآنية التي وردت في وصف الجنة .. ويمكن أن نقسمه قسمين : التأثر المباشر بالأساليب القرآنية في ذكر اسم الجنة .. التأثر المباشر بالصور القرآنية في وصف الجنة ..

### ( أ ) التأثر المباشر بالأساليب القرآنية في ذكر اسم الجنة :

ويظهر في ذكر الشعر الإسلامي اسم الجنة كما جاء في القرآن الكريم مجرداً من الوصف والإضافة ، أو مضافًا ، أو موصوفًا .. وذلك مثل قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

مالي أراك تكرهين الجنهْ [1]

وقول الأعرابي المجهول :

يا عمرَ الخيرِ جُزيت الجنهْ [2]

ويبدو في هذين المثالين كيف ذكر الشاعر المسلم اسم الجنة بصيغة الإفراد مجرداً من الوصف والإضافة متأثرا في ذلك بأسلوب الذكر الحكيم ، حيث ورد فيه اسم الجنة بهذه الصيغة مجرداً من الوصف والإضافة في آيات عديدة منه ، مثل قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ [3].

وقوله سبحانه :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ﴾ [4] .

---

(١) ديوان عبد الله بن رواحة ، ص ١٠٨ .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٥٠٤ .

(٣) سورة البقرة ، آية ١١١ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ٢١٤ .

ويظهر تأثر الشعراء الإسلاميين بأسلوب القرآن في ذكر الجنة في قول عمران بن حطان يرثي أبا بلال :

فاللهُ يجزيكَ مرداسُ جنّتَه

عنا كما كنت في الإرشادِ تُولِينا (١)

حيث ذكر اسم الجنة مضافًا إلى الله عز وجل متأثراً بقول سبحانه :

﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (٢).

مع بعض التصرف في تغيير الضمير المضاف إليه من المتكلم إلى الغيبة تبعًا لسياقه الشعري ..

ومن الأبيات التي تظهر تأثر الشعراء بأسلوب القرآن في ذكر الجنة ذكرهم اسم الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم « جنات » مجرداً من الوصف والإضافة . كما في قول أبي زبيد الطائي يرثي على بن أبي طالب :

حُمّتْ ليدخُل جنّاتٍ أبو حسن

وأُوجبت بعده للقاتل النارُ (٣)

حيث ذكر الشاعر اسم الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم مجرداً من التعريف ومن الوصف والإضافة ، متأثراً في ذلك بأسلوب الذكر الحكيم ، كما في قول عز وجل :

﴿ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٤)..

ومن الأبيات التي اقتبس فيها الشعراء الإسلاميون اسم الجنة من القرآن الكريم : ذكرهم الفردوس للدلالة على الجنة ، كما في قول الخنساء :

---

(١) شعر الخوارج ، ص ١٤٣ .

(٢) سورة الفجر ، الآيتان : ٢٩ ـ ٣٠ .

(٣) شعراء إسلاميون ، د/ نورى القيسى ص ٦١٢ .

(٤) سورة المدثر ، الآيات : ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١ .

اذهب حَرِيبًا [١] جـزاك الله جنتَـه

عنّا وُخلدت في الفـردوس تخليـداً [٢].

وقول سهل بن إساف في صفة الصحابة :

يحـشُـون حَثّ الشـوق نحـو ملكيـهم

وقصدُهم الفردوسُ كي يُرزقوا الخُلْد[٣]

إذ يبدو في هذين المثالين كيف ذكر الشعراء اسم الفردوس دالين به على الجنة متأثرين في ذلك بأسلوب القرآن الكريم كما في قوله عز وجل :

﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٤].

.. مع بعض التصرف في عدم ذكرهم نص الآية الكريمة نفسه ، وإنما بينوا أن الفردوس أعدت للخلود فيها ..

ومن الأبيات التي تأثر فيا الشعراء الإسلامين بوصف القرآن الكريم ، ذكرهم اسم جنة الخلد متأثرين في ذلك بما جاء في القرآن الكريم من أسماء الجنة ، وذلك مثل قول حسان بن ثابت :

في كل يـومٍ لنا أمـرٌ نفـوزُ بـه

يُعطي الإله عليه جنّة الخُلْدِ[٥]

وقول عمر بن أبي ربيعة :

واللـهِ والبيـتِ العتيـق لقـد

ساويتِ عندي جنّة الخُلْدِ[٦]

---

(١) الحريب : من سُلِبَ مالُه . اللسان مادة حرب ج ١ ، ص ٣٠٤ .

(٢) شرح ديوان الخنساء ، ص ٢٠ .

(٣) شعر الدعوة الإسلامية فى عهد النبوة ، ص ٥٥٠ .

(٤) سورة المؤمنون ، آية : ١١ .

(٥) ديوان حسان بن ثابت ، ج ١ ص ٤٦٣ .

(٦) ديوان عمر بن أبى ربيعة ، ص ١٠٥ .

حيث ذُكر في المثالين اسم الجنة بصيغة الإفراد والتنكير مضافاً إلى الخلْد وقد ورد اسم الجنة في القرآن الكريم بهذ الصيغة في آية واحدة هي قول سبحانه وتعالي :

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ (١)

.. ومع ذلك فإن الشعراء الإسلاميين ذكروا اسم الجنة بهذه الصيغة كثيراً في شعرهم .. حتي أنهم شبوا نساء الدنيا بجنة الخلد كما في المثال الثاني مما سبق ..

ومن تأثر الشعراء الإسلاميين بأسلوب القرآن الكريم في ذكر أسماء الجنة ، وما ورد في شعرهم من اسم « جنات عدن » من أسماء الجنة ، مثل قول الحطيئة يمدح سعيد بن العاص والي المدينة :

أنابتْ إلى جنّاتِ عَدْنٍ نفوسُهم

وما بعدها للصالحين حتُّوفُ (٢)

وقول العيزار بن الأخنس الطائي :

جزي اللهُ زيداً كلما ذرّ شارق

وأُسكنَ من جناتِ عدنٍ قرارها(٣)

وقول قطري بن الفجاءة الخارجي :

رأتْ فتيةٌ باعوا الإله نفوسَهم

بجناتِ عدْنٍ عنده ونعيمِ(٤)

ففي الآبيات الثلاثة السابقة ورد اسم الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم مضافاً إلى « عدن » . وقد ورد اسم الجنة بالصيغة نفسها في آيات عديدة في الذكر الحكيم كما في قوله سبحانه :

---

(١) سورة الفرقان ، آية : ١٥ .
(٢) ديوان الحطيئة ، ص ٨٤ .
(٣) شعر الخوارج ، ص ٣٣ .
(٤) شعر الخوارج ، ص ١٠٦ .

﴿ جنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ ﴾ [1].

وقوله عز وجل : ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ [2].

ويلحظ من الأمثلة السابقة أن الشاعر المسلم قد تصرف بعض التصرف بعد ذكر الجنة « جنات عدن » كما ورد في القرآن الكريم ، وذلك أنه وصف الجنة بصفات أخري تبين أن جنات عدن منزلة الصالحين الأبرار ، وأنهم لا يجدون أحسن من منزلتها .. كما في المثال الأول ، كما بين الشاعر في المثال الثاني أن جنات عدن لها قرار ، وهذا لم يرد في القرآن الكريم . أما المثال الأخير فإن الشاعر بيّن فيه أن جنات عدن معدة عند الله سبحانه لعباده المتقين ، وأنها عامرة بالنعيم .. مما يدل على أنه استفاد من مجمل الصفات العامة التي وردت في القرآن الكريم للجنة ..

## (ب) التأثر المباشر بالصور القرآنية في وصف الجنة :

وهو الشعر الذي استخدم فيه الشعراء بعض صور وألفاظ القرآن الكريم في وصف أنواع النعيم والمسرات في الجنة ، وذلك بأن استخدموا هذه الأساليب في تشبيه ما يجدون في حياتهم الدنيا من ألوان المتاع بما عرفوه من صفات أنواع المتع في الجنة كما جاءت في القرآن الكريم .. وذلك في مثل قول امرأة تميمية ترثي زوجها :

كنَّا كغصنين في أصلٍ غذاؤهما
ماءُ الجداولِ في روضاتِ جناتِ [3]

حيث استعملت الشاعرة التعبير القرآني في وصفها لما في الأرض من الحدائق والرياض ، متأثرة بقول سبحانه وتعالي في وصف الجنة :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ﴾ [4]

---

(١) سورة الرعد ، من الآية : ٢٣ .

(٢) سورة الصف ، من الآية : ١٢ .

(٣) شاعرات العرب ، ص ٤١٤ .

(٤) سورة الشورى ، آية : ٢٢ .

.. مع تصرف يسير من الشاعرة بدا في تنكير المضاف إليه « جنات » ليوافق الوزن الشعري ..

ومن تأثر الشعراء بصور القرآن الكريم في وصف الجنة قول عدي بن الرقاع العاملي يمدح :

عالَينَ رقماً من الأصناف زيّنهُ

قعائدٌ وجلوسٌ فوقها غُرَفُ (١).

وفيه يبدو كيف راق للشاعر المسلم وصف ما يعرف من أمور دنياه بالأسلوب القرآني الوارد في وصف غرف الجنة ، حيث قال في وصفه : « فوقها غرف » متأثراً بقوله تعالى :

﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ (٢) ..

ومن التأثر بالقرآن في وصف الجنة قول الشمردل اليربوعي :

من صوب سارية(٣) كأن بمتنـه

منها الجُمانَ ولـؤلؤاً منثـوراً (٤)

حيث استخدم الشاعر المسلم في وصف السارية الصورة القرآنية في وصف الغلمان في الجنة ، كما في قوله سبحانه :

﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ (٥)

.. مع تصرف الشاعر في نقل وصـف الجنة فـي القرآن إلى ما يعرفه من أمور دنياه ..

ومن الشعر الإسلامي الذي يبدو فيه تأثر الشعراء بالصور القرآنية في وصف الجنة ،

---

(١) ديوان عدى بن الرقاع ، ص ٢٣٥ .
(٢) سورة الزمر ، آية : ٢٠ .
(٣) السارية : السحابة تمطر ليلا . لسان العرب مادة سرا ، ج ١٤ ص ٣٨٢ .
(٤) شعراء أميون ، ق : ٢ ص ٥٣٠ .
(٥) سورة الإنسان ، من الآية ١٩ .

وصف الشعراء نساء الدنيا بالصفات التي وصف بها القرآن الكريم نساء الجنة ، وذلك مثل قول سحيم عبد بني الحسحاس :

كواعبَ أترابٍ لهن بشاشةٌ
إذا عَلِقَتْ شيئاً فليس يريمُ.(١)

وقول الوليد بن يزيد :

قد كنتُ أحْسَبُ أنني جلْدُ القُوي
حتي رأيتُ كواعباً أتراباً (٢)

يبدو في المثالين كيف استفاد الشاعر المسلم من الأسلوب القرآني في وصف نساء الجنة ، كما في قوله عز وجل :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ (٣).

حيث استخدم الوصف القرآني ( وكواعب أترابا ) فوصف به نساء الدنيا .

ومن استعمال الشعراء الصور القرآنية في وصف نساء الجنة .. قول عمر بن أبي ربيعة :

تلك التي قالت لجاراتٍ لها
حور العيون كواعبٍ أترابِ (٤)

وقول عدي بن الرقاع العاملي :

ومن الضلالةِ بعدما ذهب الصِّبا
نظري إلى حورِ العيون نواعمِ (٥)

---

(١) ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس ، ص ٣٧ .
(٢) شعر الوليد بن يزيد ، ص ١٥ .
(٣) سورة النبأ ، الآيات : ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣ .
(٤) ديوان عمر بن أبى ربيعة ، ص ٤٣ .
(٥) ديوان عدى بن الرقاع العاملى ، ص ١٢٣ .

ذلك أن الشاعر المسلم وصف نساء الدنيا متأثراً بما جاء من وصف نساء الجنة في القرآن الكريم ، كما في قوله سبحانه وتعالي :

﴿ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [1].

.. مع تصرف يسير يبدو في اختلاف صيغة الجمع في المضاف إليه ، حيث استخدم الشاعر في المضاف إلى صيغة الجمع ( العيون ) مفرده « عَين » وهي حاسة البصر .. بدلاً من صيغة القرآن « عِين » وهي جمع مفرد عيناء ، وهي الواسعة العينين[2]. كما يبدو تصرف الشاعر المسلم في إضافة صفات أخري مثل ( كواعب أتراب ) في البيت الأول ، متأثراً بأسلوب القرآن الكريم . و « نواعمٍ » في البيت الثاني.

ومن وصف الشعراء الإسلاميين نساء الدنيا بما وصف به القرآن الكريم نساء الجنة ، تشبيههن بالبيض المكنون كما في قول محمد بن عبد الله النميري :

فهنّ كمكنونٍ من البيض تحته

عقاد من الأنقاء بالقفراتِ [3]

حيث شبه الشاعر المسلم نساء الدنيا بالبيض المكنون متأثراً في ذلك بوصف نساء الجنة في القرآن الكريم كما في قوله تعالي :

﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [4].

مع تصرف يسير من الشاعر المسلم بتقديم الصفة على الموصوف في التشبيه لمراعاة وزن الشعر .. حينما نجد الآية الكريمة قدّم فيها الموصوف على الصفة ..

ومن تأثر الشعراء الإسلاميين بأوصاف القرآن الكريم ـ مع التصرف ـ وصفهم الجنة بما وصفها به الذكر الحكيم ، كما في قول ذي الرُّمة :

---

(١) سورة الدخان ، آية : ٥٤ .

(٢) انظر لسان العرب ج ١٣ ص ٣٠١ ، ٣٠٢ . مادة عين .

(٣) شعراء ثقيف فى العصر الأموى ، ص ١٦٧ .

(٤) سورة الصافات ، آية : ٤٩ .

يا صاحبيَّ انظـــرا آوا كمــا درج     عالٍ وظلٌ من الفردوسِ ممدودُ [1]

فقد وصف الشاعر المسلم الجنة بأنها ذات درجات ، وأن فيها الظل الممدود ، متأثرا بأسلوب القرآن الكريم في وصف الجنة كما في قول تعالي :

﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [2].

.. مع تصرف يسير في سياق الجملة ، حيث فصل بين المبتدأ والخبر بما يدل على إرادته وصف الجنة .. ومما وصف فيه الشعراء الإسلاميون الجنة بما وصفها به القرآن الكريم قول أحد الخوارج يرتجز :

علَّ ألقــي عاصمــاً لعلّــي

في جنــة عاليــةٍ وظــلٌ [3]

حيث وصف الراجز بأنها عالية متأثراً بأسلوب الذكر الحكيم في وصف الجنة ، كما في قوله عز وجل :

﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [4]

.. حيث نجده التزم السياق القرآني نفسه في وصف الجنة ، ولكنه أضاف صفة أخري للجنة تدل على وجود الظل فيها . لمراعاة القافية التي التزمها ..

وقد تأثر الشعراء الإسلاميون بوصف القرآن الكريم للجنة في وصفهم خمر الجنة بما وصفه به الذكر الحكيم ، كما في قول عمار بن ياسر :

من شرابِ الأبرار خالَطَه المسْـ

ـكُ وكأساً مزاجها زنجبيلا [5]

---

(١) ديوان ذى الرمة ، ج ٢ ص ١٣٥٥ .

(٢) سورة الواقعة ، الآيات : ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ .

(٣) شعر الخوارج ، ص ٢٠٣ .

(٤) سورة الحاقة ، الآيتان : ٢١ ـ ٢٢ .

(٥) شعر الدعوة الإسلامية فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ١٧٤ .

حيث وصف الشاعر الخمر في الجنة بأنه شراب الأبرار ، وأن كأسه مزاجها زنجبيل . متأثراً في ذلك بقوله عز وجل في وصف خمر الجنة :

﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ﴾ (١).

.. حيث تصرف الشاعر فذكر « زنجبيلا » بدلاً من ( كافورا ) التي في الآية الكريمة .. وقد ورد « زنجبيلا » في آية أخري تصف خمر الجنة هو قوله تعالي :

﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴾ (٢).

تأثر به الشاعر في وصفه لخمر الجنة ، كما وصف الشاعر الخمر بصفة أخري تبين أنه مخلوط بالمسك متأثراً بقوله تعالي :

﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ (٣).

لكنه تصرف في تأثره بالآية ، حيث لم يقل إنه مختوم بالمسك كما ورد في القرآن الكريم وإنما قال مخلوط بالمسك ، مما يدل على أنه استفاد من معني الآية الكريمة في صفة الخمر في الجنة فأتي به في نسق آخر ليوافق وزن الشعر ..

ومن التأثر الحرفي بأسلوب وصف الجنة في القرآن الكريم ، قول جرير يمدح هشام بن عبد الملك :

وُقيتَ الحتفَ من عَرَض المنايا ولُقِّيتَ التحية والسلاما (٤)

فهو يذكر ما في الجنة من نعيم روحي يتمثل في تحيتهم ، وسلام الله عليهم فيها ، مبيناً أن أهلها ينعمون فيها بالتحية والسلام . وقد ورد في القرآن الكريم وصف للجنة على هذا السياق ، كقوله تعالي :

﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً ﴾ (٥).

---

(١) سورة الإنسان ، آية : ٥ .
(٢) سورة الإنسان ، آية : ١٧ .
(٣) سورة المطففين ، من الآيتين : ٢٥ ـ ٢٦ .
(٤) ديوان جرير ، ج ١ ص ٢٢٥.
(٥) سورة الفرقان ، آية : ٧٥ .

ولكن الشاعر تصرف في الضمير المتصل بالفعل ، حيث جاء بضمير الخطاب (ولُقيتَ) بدلا من الضمير الدال على الغيبة ( ويلقون ) .

## ثانيا : التأثر غير الحرفي بأساليب القرآن وصوره :

وهو الشعر الذي يبدو فيه تأثر الشعراء بالآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر أسماء الجنة أو وصفا .. حيث ذكروا أسماء الجنة أو صفاتها متأثرين بأسلوب القرآن أو صوره، مع تصرفهم فيما تأثروا به من الأساليب والصفات .. ولدراسة هذا الشعر ينبغي أن نقسمه قسمين : الشعر المتأثر بالأسلوب القرآني في ذكر أسماء الجنة مع تصرف شعرائه .. والشعر المتأثر بالصور القرآنية في وصف الجنة مع تصرف شعرائه ..

### ( أ ) الشعر المتأثر بالأسلوب القرآني في ذكر أسماء الجنة مع تصرف شعرائه :

وهو الشعر الذي ورد فيه ذكر أسماء الجنة أو أهلها متأثراً بالأسلوب القرآني مع تصرف الشاعر حسبما يقتضيه السياق الشعري .. كقول حسان بن ثابت في رثاء النبي صليالله عليه وسلم :

في جنةِ الفـردوسِ واكتبهـا لنـا
يا ذا الجلال وذا العُلا والسؤددِ (١)

حيث ذكر حسان اسم الجنة بصيغة الإفراد والتنكير مضافًا إلى الفردوس متأثراً بالأسلوب القرآني ، كما في قوله تعالي :

﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ (٢)

.. ولكن الشاعر تصرف في بيته فلم يأت باسم الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم كما وردت في القرآن الكريم ، وإنما جاء به بصيغة الإفراد مع أن القرآن الكريم لم يرد فيه اسم الجنة بصيغة الإفراد مضافاً إلى الفردوس كما جاء في قول الشاعر .

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ، ج ١ ص ٢٦٩ .
(٢) سورة الكهف ، من الآية : ١٠٧ .

ومن ذكر اسم الجنة بالصيغة السابقة قول غلام أزدي :

في جنة الفردوس والمراتب [1]

فقد ذكر الشاعر اسم الجنة بصيغة الإفراد مضافًا إلى الفردوس ، مع أن القرآن الكريم فيه اسم الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم مضافًا إلى الفردوس .. وقد وصف الشاعر الجنة بأنها ذات مراتب ، ولم يرد في القرآن الكريم وصف الجنة بمثل هذا الوصف ، وإنما ورد فيه أن المؤمنين لهم درجات عند الله ، كما في قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [2]

ومما تأثر فيه الشعراء الإسلاميون بذكر اسم الجنة في القرآن قول ضرار بن الأزور :

وجنة الفردوس خير المستقر [3]

يبدو كيف أن الشاعر ذكر اسم الجنة بصيغة الإفراد والتنكير مضافًا إلى الفردوس متأثرًا في ذلك بأسلوب القرآن الكريم مع تصرفه في تغيير اسم الجنة من جمع المؤنث السالم إلى الإفراد .. كما أنه وصف الجنة بأنها خير المستقر متأثرًا بما جاء من وصفها في القرآن كما في قوله تعالى :

﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ [4].

.. مع تصرف الشاعر ، حيث ذكر أن جنة الفردوس خير المستقر ، بينما ذكر القرآن الكريم أن أصحاب الجنة خير مستقرًا ، وهذا يفيد أن الشاعر استفاد من معني الآية ولم يأت بنصها ..

ومن تأثر الشعراء الإسلاميين بأسلوب القرآن الكريم في ذكر أسماء الجنة مع التصرف فيما استفادوه من الأسلوب القرآني قول جرير بن عطية يمدح العباس بن الوليد بن عبد الملك :

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية فى عهد النبوة ، ص ١٨١ .

(٢) سورة الأنفال ، آية : ٤ .

(٣) شعر الدعوة الإسلامية فى عهد النبوة ، ص ١٧٨ .

(٤) سورة الفرقان ، آية : ٢٤ .

أعطيتَ من جنةِ الفردوس مرتفقاً

من فاز يومئذٍ فيها فقد خلدا [١]

حيث استفاد في ذكر اسم الجنة من قوله عز وجل :

﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ [٢]

.. ولكنه تصرف في بيته فلم يذكر اسم الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم كما ورد في القرآن ، وإنما ذكره بصيغة الإفراد التي لم ترد في القرآن مضافة إلى الفردوس، كما أنه وصف الجنة بصفة لم ترد في القرآن الكريم في وصف جنة الفردوس وإنما وردت في وصف جنات عدن ، كما قال سبحانه وتعالي :

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[٣]

ويذكر الشعراء الإسلاميون من أسماء الجنة التي وردت في القرآن الكريم اسم جنة الخلد مع تصرفهم في استعمال الأسلوب القرآني .. وذلك كقول حسان بن ثابت في رثاء سعد بن معاذ :

فإنْ كان ريبُ الدّهر أمضاكَ في الأُلي

شـروا هـذه الدنيا بجنـات الخُلْدِ [٤]

حيث ذكر الشاعر اسم الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم مع إضافته إلى الخلد .. متأثراً في ذلك بقوله عز وجل :

﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ﴾ [٥]

---

(١) ديوان جرير ، ج ١ ص ٣٩٦ .

(٢) سورة الكهف ، من الآية ١٠٧ .

(٣) سورة الكهف ، من الآية : ٣١ .

(٤) ديوان حسان بن ثابت ، ج ١ ص ٤١٥ .

(٥) سورة الفرقان ، آية : ١٥ .

.. مع تصرف الشاعر بتغيير صياغة اسم الجنة من الإفراد إلى جمع المؤنث السالم الذي لم يرد بهذه الصياغة والإضافة في القرآن الكريم .

وذكر الشعراء الإسلاميون من أسماء الجنة في شعرهم اسم دار الخلد كما في قول حسان بن ثابت في يوم بني قريظة :

فصار المؤمنون بدارِ خُلْدٍ
أقام لها بها ظِلٌّ ظليلُ [1]

إذ ورد في شعره اسم دار الخلد دالاً به على الجنة ، ولكنه تصرف في الأسلوب القرآني ، حيث لم يرد اسم دار الخلد في القرآن للدلالة على الجنة ، وإنما ورد في الدلالة على النار ، كما في قوله تعالى :

﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴾ [2]

.. وقد وصف الشاعر الجنة بأنها فيها الظل الظليل متأثراً في ذلك بما وصفها به القرآن الكريم ، كما ورد في قوله عز وجل :

﴿ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾ [3] ..

وقد ورد في الشعر الإسلامي اسم دار الخلود للدلالة على الجنة أيضًا كما في قول قطري بن الفجاءة الخارجي :

أقارعُ عن دارِ الخلودِ ولا أري
بقاءً على حالٍ لمن ليس باقيا [4]

حيث ذكر الشاعر اسم دار الخلود دالاً به على الجنة .. ولم يرد في القرآن الكريم اسم دار الخلود للجنة .. وإنما ورد « دار الخلد » للنار فتصرف فيه الشاعر واستعمله

(١) ديوان حسان بن ثابت ، ج ١ ص ٣٢٧ .
(٢) سورة فصلت ، آية : ٢٨ .
(٣) سورة النساء ، من الآية : ٥٧ .
(٤) شعر الخوارج ، ص ١١١.

ليدل به على الجنة مع تغيير صيغة الخلد إلى « الخلود » . ولعل في وعد الله عباده المتقين بالخلود في الجنة ما جعل الشعراء يطلقون عليها اسم دار الخلد ودار الخلود .. كما في قوله سبحانه :

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾(١) ..

ومن تأثر الشعراء الإسلاميين بالمعنى العام لآيات القرآن الكريم في بيان الخلود في الجنة إطلاقهم اسم « منزلة المقيم الخالد » عليها .. تأثراً بوصف الخلود لها .. كما في قول جرير بن عطية يمدح المهاجر بن عبد الله :

مستبصرٌ فيها على نورِ الهُدي

أبشر بمنزلةِ المقيم الخالدِ (٢)

فقد بشر الشاعر ممدوحه بالجنة مطلقًا عليها اسم « منزلة المقيم الخالد » .. ولم يرد في القرآن الكريم اسم للجنة كهذا ، وإنما ورد الإخبار بالخلود فيها كثيراً كما في قوله عز وجل :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٣)

.. فتأثر الشعراء الإسلاميون بالمعنى العام لها ، وعبروا عن الخلود في الجنة ، كما أطلقوا عليها أسماء تدل على الخلود فيها ..

ويندرج تحت صفة الخلود في الجنة أبيات كثيرة أطلق فيها اسم الخلد على الجنة متأثرين بما جاء من وصفها بالخلود في القرآن الكريم ..

ومن ذلك قول عبيد الله بن قيس الرقيات :

---

(١) سورة التوبة ، من الآية : ٧٢ .
(٢) ديوان جرير ، ج ٢ ص ٦٣٩ .
(٣) سورة الأعراف ، آية : ٤٢ .

يا سليمـــانُ إن تـــلاقِ الثريـــا

تلقَ عيش الخلودِ قبل الهـلال[1].

وقول مجنون ليلي :

هويتَ فتاةً نيلُهـا الخُلْدُ فالتمـس

سبيلاً إلى ما لست يوماً بواجدِ[2]

حيث شبه الشاعران نيل النساء في الدنيا بالجنة التي أطلقا عليا اسم « عيش الخلود » و « الخلد » .. متأثرين في ذلك بما جاء في القرآن الكريم من وعد الله سبحان عباده المؤمنين بالخلود في الجنة ..

ويدخل فيما سبق من إطلاق اسم الخلد على الجنة قول طُريح بن إسماعيل الثقفي في مدح الوليد بن يزيد :

واستبشروا بالرضـا تباشرهـم

بالخُلْدِ لو قيل إنكم خُلُدُ [3]

ويبدو أن كثرة تأكيد القرآن الكريم للخلود في الجنة ، وأنها مكان الخلد للمؤمنين من عباد الله الذين يعملون الصالحات ، جعلت الشعراء يصفون العيش في الجنة بالخلد ويطلقون على الجنة أسماء تدل على الخلود فيها ..

ومن الشعر المتأثر بالقرآن في أسماء الجنة مع التصرف قول صفية بنت عبد المطلب في رثاء النبي صلياللہ عليه وسلم :

عليـك مـن اللـهِ الســلامُ تحيــةً

وأُدخلتَ جناتٍ من العدنِ راضيا [4]

حيث ذكرت الشاعرة اسم الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم مع التنكير متعلقًا به

---

(١) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، ص ١١٢ .

(٢) ديوان مجنون ليلى ، ص ١٠٩ .

(٣) شعر طريح بن إسماعيل الثقفى ، ص ٨٣ .

(٤) شاعرات العرب ، ص ٢٠٥ .

الجار والمجرور « من العدن » متأثرة بما ورد في الذكر الحكيم من أسماء الجنة كما في قوله تعالي :

﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ (١) ..

مع تصرف قليل من الشاعرة حيث لم تجعل الجنات مضافة إلى العدن كما في الآية الكريمة ، وإنما جعلت العدن متعلقاً بالجنات تبعاً لسياقها الشعري ..

ويلحق بما سبق من التأثر غير الحرفي بأسلوب القرآن ، قول الحجاج :

عليك سلامُ اللهِ حياً وميتاً

ومن بعد ما تُحيا عتيقاً لمالكِ(٢)

حيث يبدو تأثر الشاعر بالآيات الكريمة التي تبين تحية أهل الجنة كما في قوله سبحانه وتعالي :

﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ (٣).

وقوله عز وجل :

﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٤)

## (ب) الشعر المتأثر بالصور القرآنية في وصف الجنة مع تصرف شعرائه :

وهو الشعر الذي وصف فيه الشعراء الجنة متأثرين بما جاء في الصور القرآنية في وصفها .. مع تصرفهم فيما استفادوا من الصور القرآنية حسبما يقتضيه الوزن والقافية :

---

(١) سورة مريم ، من الآية : ٦١ .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية فى العصر الأموى ، ص ٣٤ .

(٣) سورة يس ، آية : ٥٨ .

(٤) سورة الرعد ، آية : ٢٣ .

ومن هذا الشعر الذي تصرف شعراؤه فيما تأثروا به من الصور القرآنية وصفهم الجنة بالخلود ، وذلك مثل قول جندب بن عامر بن الطفيل :

فإن الخُلْدَ في الجنات حَقّ
تُباحُ لكل مقدام سليم (١)

حيث بيّن الشاعر أن الخلد في الجنات حق وعدهم به الله سبحانه .. ولم يرد في القرآن الكريم مثل هذا السياق ، وإنما ورد فيه وعد الله وتبشيره لعباده الذين يعملون الصالحات بالخلود في الجنة في آيات عديدة منها قوله تعالى :

﴿ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ ﴾ (٢)

.. فتأثر الشعراء الإسلاميون بما جاء في هذه الآيات الكريمة من الوعد بالخلود في الجنة ، فوصفوا الجنة بأن الخلد فيها حق ..

ويندرج تحت صفة الخلود أبيات كثيرة منها قول الأخطل التغلبي ـ وهو شاعر نصراني(٣) ـ يمدح يزيد بن معاوية :

أعطاه من لَذَّةِ الدنيا وأسكنه
في جنَّةٍ نعمةٌ فيها وتَخليدُ (٤)

فهو يصف الجنة بأن فيها النعيم والخلود .. متأثراً بما جاء في القرآن الكريم من صفاتها .. كما في قوله تعالى :

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾(٥)

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة ، ص ١٦٨ .
(٢) سورة الحديد ، من الآية : ١٢ .
(٣) الأخطل شاعر نصراني ، ولكنه نشأ وعاش في البيئة الإسلامية ، ومدح خلفاء الدولة الإسلامية ، ولهذا كان لابد أن يتأثر الأخطل بالبيئة الإسلامية ، وينعكس هذا الأثر في شعره .. الذي ظهرت فيه آثار الإسلام كثيراً .. مما يدل علي أنه صادق فنياً ، وإن كان غير صادق في الواقع .
(٤) ديوان الأخطل ، ص ٧٩ .
(٥) سورة الحج ، آية : ٥٦

.. وكما جاء في قوله سبحانه :

﴿ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾[١]

.. فقد استفاد من معاني الآيات الكريمة فوصف الجنة بصفات مستوحاة من القرآن اقتباس النص القرآني ..

ومن الشعر المتأثر بالوصف القرآني للجنة ، قول سابق البربري :

وتَطْلُبُ في الدنيا المنازلَ والعُلا

وتنسي نعيماً دائماً لا تزايلُهْ[٢]

حيث وصف الجنة بأنها نعيم دائم لا يزول ولا يتحول عنه أهله أبداً .. وقد ورد في القرآن الكريم وصف نعيم الجنة بأنه دائم ، كما في قوله سبحانه :

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[٣]

.. فتأثر الشاعر بالمعني العام للآيات القرآنية .. ووصف نعيم الجنة بما استفاده من آيات القرآن الكريم دون أن يقتبس النص القرآني ذاته .. مع أنه قد كني عن الجنة بالنعيم الدائم ولم يذكر اسمها ..

ومن تأثر الشعراء الإسلاميين بوصف القرآن الكريم للجنة .. وصفهم الجنة بأنها في عرض السموات ، كما في قول نجم بن مفرّح :

ولله في عرّض السمواتِ جنّةٌ

ولكنها محفوفةٌ بالمكـــاره[٤]

فالشاعر يذكر أن الجنة في عرض السموات .. متأثراً بقوله سبحانه وتعالى في

---

(١) سورة النساء ، من الآية ٥٧ .

(٢) سابق البربري ، والاتجاه الإسلامي في شعره ، ورقة ١٥٥

(٣) سورة التوبة ، الآيتان : ٢١ ـ ٢٢

(٤) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة ، ص ١٦٩

وصف الجنة :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(١)

.. مع تصرف الشاعر ، حيث لم يقل إن الجنة عرضها السموات كما ورد في الآية الكريمة .. وإنما قال إن الجنة في عرض السموات . كما أن الشاعر قد تأثر في وصف الجنة في عجز بيته بوصف الرسول عليه الصلاة والسلام للجنة ، تأثراً مباشراً ، حيث وصف الجنة بأنها محفوفة بالمكاره مقتبسًا قول النبي عليه الصلاة والسلام : «حفّت الجنةُ بالمكاره »(٢).

ويظهر تأثر الشعراء الإسلاميين بوصف القرآن الكريم للجنة .. في وصفهم أنواع اللباس والحلي .. كما في قول النعمان بن بشير الأنصاري :

سيجعل جناتِ النعيـم لباسكم
إذا ما التقيتم أيُّكم كان أسعدا
ثواباً بما كانوا إلى الله قدّمـوا
يُحلّون فيها لؤلؤاً وزبرجـداً(٣)

ففي البيت الأول استعار الشاعر اللباس للمقام في الجنة ، ذاكراً الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم مضافاً إلى النعيم .. متأثراً بقوله تعالى :

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (٤)

.. كما استفاد الشاعر من المعني العام للآية الكريمة دون اقتباس النص الحرفي لها تبعاً لصياغته الفنية .

وفي البيت الآخر وصف الشاعر الحلي في الجنة بأنها لؤلؤ وزبرجد .. متأثراً بقوله

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٣٣ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، م ٩ ج ١٧ ص ١٦٥ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها .

(٣) شعر النعمان بن بشير الأنصاري ، ص ٩٦ .

(٤) سورة الحج ، آية : ٥٦ .

عز وجل في صفة حُلي أهل الجنة :

﴿ جنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ (١)

مع تصرف الشاعر في وصفه ، حيث لم يقل إنها ذهب ولؤلؤ كما ورد في الآية الكريمة ، وإنما قال لؤلؤا وزبرجدا . ولم يرد ذكر الزبرجد في القرآن الكريم ، فهو مما يعد من ابتكار خيال الشاعر في وصف الجنة ..

ومما تأثر فيه الشعراء الإسلاميون بوصف القرآن الكريم للجنة ، قول رؤبة بن الحجاج يمدح بلال بن أبي بردة :

مـن كـأسه بلَـذَّةٍ دهـــاق

بلالُ يابنَ الأنجُم الأطْلاقِ(٢)

حيث وصف الشاعر خمر الجنة باللذة .. ووصف كأسها بأنها دهاق .. متأثراً بما جاء في القرآن الكريم من وصف الجنة .. كما في قوله تعالى :

﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ (٣).

وقوله سبحانه :

﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴾ (٤)..

كما يظهر تأثر الشعراء الإسلاميين بوصف القرآن الكريم للجنة في وصفهم لجنة آدم عليه السلام وقصته وزوجته حواء مع الشيطان عندما أخرجا من الجنة بسبب وسوسة إبليس لهما .. وذلك كما في قول الفرزدق في هجاء إبليس :

وآدمَ قد أخرجته وهو ساكن

وزوجته من خير دار مُقـــامِ

---

(١) سورة فاطر ، آية : ٣٣ .

(٢) مجموع أشعار العرب ، وهو مشتمل علي ديوان رؤبة ، ص ١١٦ .

(٣) سورة النبأ ، آية : ٣٤ .

(٤) سورة محمد ، من الآية : ١٥

وأقسمت يا إبليس أنك ناصحٌ
له ولها إقسامَ غيرِ أثام
فظلاً يُخيطانِ الوراقَ عليهما
بأيديهما من أكل شرِّ طعام[1]

فالشاعر يصور قصة آدم وزوجته مع إبليس في الجنة ، مبيناً كيف أن إبليس أغوي آدم وزوجته وزين لهما الأكل من الشجرة المحرمة عليهما ، مقسمًا لهما بصدقه ، حتى إذا بدت لهما سوأتهما بعد الأكل من الشجرة المحرمة راحا يخصفان عليهما من ورق الجنة .. وكان إبليس سببًا في غضب الله عليهما وإخراجهما من الجنة .. ويظهر في أبيات الفرزدق مدي تأثره بالصور القرآنية التي وصفت قصة آدم وزوجته في الجنة .. فالبيت الأول من شعره تأثر بالمعني العام لقوله تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾[2]

.. حيث استفاد الشاعر من معني الآية الكريمة وهو أن إبليس تسبب في فتنة آدم وحواء عليهما السلام وإخراجهما من الجنة .. ولكنه لم يستخدم النص القرآني ، وإنما صاغ المعني في سياق يتفق والنسق الفني في قصيدته .. كما دل على الجنة بقوله : « خير دار مقام » وهذا الاسم لم يرد في القرآن الكريم بهذا النص ..

وفي البيت الثاني بين الشاعر كيف أغوي إبليس آدم وزوجته بالأكل من الشجرة المحرمة عليهما .. متأثرًا بمعني الآية الكريمة :

﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾[1]

.. دون أن يذكر النص القرآني ذاته .

أما البيت الثالث فإن الشاعر قد ابتكر فيه صورة جديدة تبدو في لجوء آدم وحواء إلى خياطة أثواب لهما من ورق الجنة .. متأثرًا في ذلك بقوله سبحانه :

---

(١) أثر الإسلام في شعر الفرزدق ، ص ٧٣ .
(٢) سورة الأعراف ، آية : ٢٧ .
(٣) سورة الأعراف ، آية : ٢١ .

﴿ وطفقا يخْصفان عليهما من ورق الْجنَّة ﴾ (١).

. ولكن الشاعر لم يأت بنص الآية أو معناها الظاهر .. بل تخيل وابتكر صورة جديدة لم ترد في القرآن الكريم على هذا النحو ..

ومن الشعر الذي يظهر فيه تأثر الشعراء الإسلاميين بوصف القرآن الكريم للجنة ، وصفهم حدائق الدنيا بما وصف به القرآن الكريم الجنة ، كما في قول جرير يمدح هشام بن عبد الملك :

بلغت من الهنيء فقلت شكراً
هَناكَ وسُهِّلَ الجبلُ الصلودُ
بها الزيتون في غَلَلٍ ومالتْ
عنا قيدُ الكروم فهنَّ سود
فتمَّتْ في الهنيء جِنانُ دنيا
فقال الحاسدون هي الخلودُ
يعضُّون الأنامل أن رأوها
بساتيناً يؤازرها الحصيدُ
ومن أزواجِ فاكهةٍ ونخلٍ
يكونُ لحملِه طَلْعٌ نضيدُ (٢)

فالشاعر في هذه الأبيات يصف حديقة في الأرض ، متأثراً في وصفها بما ورد في القرآن الكريم من وصف الجنة في الأرض ، والجنة التي أعدها الله لثواب المتقين من المؤمنين .. فوصف الشاعر الحديقة بأن فيها الزيتون وعناقيد الكروم ، مشبهًا هذه الحديقة بالجنة التي أعدها الله لخلود المؤمنين المتقين في الآخرة ، ويبدو في صفة هذا تأثيره بقوله تعالى في وصف جنات الأرض :

﴿ يُنبتُ لَكُم به الزَّرْع والزَّيْتون والنَّخيل والأَعْنَابَ ﴾ (٣)

---

(١) سورة طه ، آية : ١٢١

(٢) ديوان جرير ، ج ١ ص ٩١

(٣) سورة النحل ، آية ١١

.. ويصف الشاعر الحديقة بأن فيها أزواج الفاكهة والنخل .. متأثراً بما جاء في القرآن من وصف الجنة في الآخرة ، كما في قوله عز وجل :

﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [1]

.. وقوله سبحانه :

﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [2]

.. مما يبين أن الشاعر استطاع أن يستخلص صوراً من القرآن الكريم في وصف الجنة في الأرض ، والجنة في الآخرة ، ويكوّن من هذه الصور وصفاً مجملاً لحديقة ممدوحه ..

ومما تأثر فيه الشعراء الإسلاميون بالوصف القرآني للجنة .. وصفهم الخمر في الدنيا بالصفات التي وردت في القرآن الكريم عن خمر الجنة .. وذلك مثل قول ساعدة بن جؤية ..

ومزاجها صهباءُ فُتٌّ ختامها

قَرِط من الخُرس القطاط مثقبُ[3]

إذ وصف الشاعر خمر الدنيا بأنها مختومة فُتٌّ ختاما .. وقد ورد في القرآن الكريم في صفة خمر الجنة بأنها مختومة كما في قوله سبحانه :

﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ [4]

.. ولكن الشاعر لم يأت بالصورة الكاملة لما جاء من وصف خمر الجنة ، وإنما جاء بجزء من الصورة .. تبعاً لسياقه الشعري ..

ويندرج تحت تأثر الشعراء الإسلاميين بوصف خمر الجنة أبيات كثيرة منها قول عدي بن الرقاع العاملي :

---

(١) سورة الرحمن ، آية : ٥٢ .

(٢) سورة الرحمن ، آية : ٦٨ .

(٣) ديوان الهذليين ، ق ١ ص ١٨٢ .

(٤) سورة المطففين ، الآيتان : ٢٥ ـ ٢٦ .

وكـأن طعـم الزنجبيـل ولَـذّة

صهباء ساك بها المسخَّر فاها[1]

فالشاعر يشبه ريق المرأة بالخمر ذي اللذة وطعم الزنجبيل .. وذلك يدل على استفادته في وصف خمر الدنيا من الآيات الكريمة التي وصفت خمر الجنة ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً ﴾[2] ..

ومما تأثر فيه الشعراء الإسلاميون بوصف القرآن الكريم لخمر الدنيا قول عمر بن أبي ربيعة :

تُبِن غيرَ أنْ قد أومـأت فعمدنهـا

كشاربِ مكنونِ الشرابِ المختّم[3]

فهو يشبه المرأة بشارب الخمر المكنون المختوم .. وهذه الصورة للشراب في الدنيا مستوحاة من صورة القرآن الكريم لخمر الجنة كما في قوله سبحانه :

﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾[4]

.. إلا أنه لم يأت بالصورة التي وردت في الآية الكريمة نفسها ، وإنما تصرف فيها حسبما يقتضيه النسق الفني لشعره ..

ويظهر تأثر الشعراء الإسلاميين بوصف القرآن الكريم للجنة .. في وصفهم لنساء الدنيا بالصفات الواردة في القرآن الكريم لنساء الجنة .. مع تصرفهم فيما استفادوه من صور القرآن .. وذلك مثل قول رؤبة بن العجاج يمدح :

ومن هواي الرُّجَّـحِ الأثائيـث[5]

تُميـلها أعجازهـا الأواعـث[6]

---

(١) ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي ، ص ٩٧ .

(٢) سورة الإنسان ، آية : ١٧ .

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٤٤ .

(٤) سورة المطففين ، الآيتان : ٢٥ ـ ٢٦ .

(٥) امرأة أثيثة : أثيرة كثيرة اللحم والجمع أثاث وأثائيث . اللسان ج ٢ ص ١١ . مادة أثث .

(٦) امرأة وعثة الأرداف : لينتها . اللسان ج ٢ ص ٢٠٢ .

كالبيض لم يطمثْ بهنّ طامث

أزمان رأسي قصيب جثاجثْ(١)

فهو يشبه النساء من أهل الدنيا بالبيض المحفوظ بحيث لم يلمسهن أحد ..

في تشبيهه هذا يبدو تأثره بمعاني آيات الكتاب الحكيم في وصف نساء الجنة بأنهن كالبيض المكنون كما في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾(٢)

.. وبأنهن لم يطمثهن إنس ولا جان كما في قوله عز وجل :

﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾(٣)

.. ولكن الراجز لم يقتبس صورة كاملة بذاتها من آية واحدة ، وإنما جمع من الأيتين صورة واحدة تدل على استفادته من معني الآيتين معاً ..

ومن التأثر بوصف نساء الجنة في القرآن ، وصف نساء الدنيا بالبيض المكنون كما في قول عبيد الله بن قيس الرقيات :

مـن نسـوةٍ كالبيض فـي الـ

أدحى(٤) بالدَّمَثِ المطيـرةْ(٥)

حيث شبه الشاعر نساء الدنيا بالبيض المحفوظ في الأداحي ، متأثراً بالصورة القرآنية في وصف نساء الجنة ، كما في قوله عز وجل :

﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾(٦)

---

(١) مجموع أشعار العرب ، وهو مشتمل علي ديوان رؤبة بن العجاج ، ص ٩ .

(٢) سورة الصافات ، آية : ٤٩ .

(٣) سورة الرحمن ، الآيتان : ٥٦ ـ ٧٤ .

(٤) الأُدحي : مبيض النعام في الرمل ، لأن النعامة تدحوه برجلها ثم تبيض فيه ، اللسان ج ١٤ ص ٢٥١ ، مادة دحا .

(٥) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، ص ٤٤ .

(٦) سورة الصافات ، آية : ٤٩ .

.. ولكن الشاعر لم يقتبس الآية الكريمة بنصها ، وإنما استفاد من الصورة البيانية فيها ، وصاغها صياغة توافق نسقه الفني ..

ويظهر تأثر الشعراء الإسلاميين بوصف القرآن الكريم لنساء الجنة ، في وصفهن بالحور المقصورات في الخيام ، كما في قول الراعي النميري يمدح :

وفـي الخيـام إذا ألقـتْ مراسيهـا
حور العيون لإخوان الصبي صُيُدُ[1]

فهو يصف نساء الدنيا بأنهن حور العيون ، محفوظات في الخيام .. متأثراً في هذا الوصف بما جاء في الآيات الكريمة من وصف نساء الجنة ، كما في قوله تعالى :

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾[2]

.. ولكن الشاعر لم يورد الآية بنصها ، وإنما استفاد من معني الآية وصاغه صياغة تناسب إيقاع شعره .

ويظهر تأثر الشعراء الإسلاميين بوصف الجنة في القرآن ، في تشبيههم نساء الدنيا بالجنة وببعض ما فيها من ألوان النعيم .. وذلك مثل قول بشار بن برد :

وحـــوراء المدامـع من أبـانٍ
كأنَّ حديثها ثمرُ الجنـانِ[3]

حيث وصف المرأة بأنها « حوراء المدامع » متأثرا بقوله تعالى في وصف نساء الجنة : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾[4] .. كما أنه شبه حديثها بقوله « ثمر الجنان » مستفيداً من مجمل آيات وصف الجنة بما فيها من أنواع الفواكه والثمار .. ومن تشبيه النساء في الدنيا بالجنة ، قول الوليد ابن يزيد :

يا سلمَ كنتِ كجنَّةٍ قد أطمعتْ
أفنانُـا دانٍ جناهـا مُوضَـع[5]

---

(١) ديوان الراعي النميري ، ص ٥٥ .
(٢) سورة الرحمن ، آية : ٧٢ .
(٣) حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء ، ج ٢ ص ٨٦ .
(٤) سورة الواقعة ، آية : ٢٢
(٥) شعر الوليد بن يزيد ، ص ٧٥

فقد شبه الشاعر المرأة بالجنة التي دنت أفنانها وقطوفها .. متأثراً في ذلك بما ورد في القرآن الكريم من وصف الجنة كما في قوله عز وجل :

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ (١)

وقوله سبحانه في صفة الجنتين : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ (٢)

.. ولكن الشاعر تصرف في وصفه ،، حيث شبه المرأة بالجنة .. ولم يرد في القرآن تشبيه المرأة بالجنة .. كما أنه وصف الجنة بأن أفنانها دان جناها .. ولم يرد في القرآن وصف الأفنان في الجنة بهذه الصفة ، وإنما وصف سبحانه الجنة بأنها ذات أفنان ، وأن قطوفها دانية كما في قوله عز وعلا :

﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ (٣)

.. مما يدل على أن الشاعر استطاع أن يستخلص من صور عدد من آيات القرآن في وصف الجنة ، صورة للجنة التي شبه بها المرأة من نساء الدنيا ..

ومما شبه فيه الشعراء الإسلاميون المرأة من أهل الدنيا بالجنة قول الفرزدق في زوجته النوار بعد طلاقها :

وكانت جنتي فخرجت منها

كآدم حين لجَّ به الضرارُ (٤)

فهو يشبه نفسه بعد طلاق زوجته بآدم حين أخرج من الجنة بغواية إبليس له .. كما في قوله عز وجل :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ (٥)

.. ولكن الشاعر تصرف في وصفه حيث بيّن أن آدم لحقه الضرر بخروجه من

---

(١) سورة الرحمن ، آية : ٥٤ .

(٢) سورة الرحمن ، آية : ٤٨ .

(٣) سورة الحاقة ، آية : ٢٣ .

(٤) أثر الإسلام في شعر الفرزدق ، ص ٦٢ .

(٥) سورة الأعراف ، آية : ٢٧ .

الجنة ، ولم يرد في القرآن ما يدل على هذا الوصف لآدم عليه السلام ..

ومن تشبيه نساء الدنيا بالجنة قول بشار بن برد :

يا رحمـة اللهِ حُلّي فـي منازلنـا

حسبي برائحة الفردوس من فيك[1]

والشاعر يشبه رائحة المرأة من نساء الدنيا برائحة الفردوس .. ولم يرد في القرآن الكريم ما يدل على رائحة الجنة .. وإنما ورد فيه أن في الجنة روح وريحان كما في قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾[2] ..

ومما تأثر فيه الشعراء الإسلاميون بوصف الجنة في القرآن الكريم ، ذكرهم لحور الجنة والفوز العظيم فيها ، كما في قول عمرو بن معد يكرب الزُّبيدي :

واخطبوا الحورَ إلى اللهِ بقتـال القادسيـة

كي تنالوا الفـوزَ قِدْماً فـي غُـدوٍ وعشيـه[3]

فيظهر تأثر الشاعر في ذكر الحور في الجنة ، والفوز المتواصل في الغدو والعشية .. متأثراً بما ورد في القرآن الكريم من ذكر الحور في الجنة ، كما في قوله عز وجل :

﴿ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾[4]

.. ومتأثرا بقوله سبحانه عن رزق أهل الجنة :

﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلاَّ سَلاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[5]

.. ولكن الشاعر تصرف في وصفه ، فلم يذكر الرزق في البكرة والعشي ، وإنما ذكر الفوز في الغدو والعشي .. وقد ورد ذكر الفوز فيمن نال الجنة من المؤمنين في

---

(١) مختارات البارودي ، ج ٤ ص ١٩٣ .

(٢) سورة الواقعة ، الآيتان : ٨٨ ـ ٨٩ .

(٣) شعر عمرو بن معد يكرب ، ص ١٨٠ .

(٤) سورة الدخان ، آية : ٥٤

(٥) سورة مريم ، آية : ٦٢

قوله سبحانه :

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (١)

.. مما يدل على أن الشاعر جمع من عدة آيات في وصف الجنة صورة تناسب إيقاعه ..

ويلحق بما سبق من ذكر حور الجنة ، قول جرير بن عطية :

علي أنه أفضي إلى حور جنة

وتطبق بالبلوي عليكم جهنم (٢)

ولم يرد في القرآن الكريم ذكر « حور الجنة » بهذا السياق ، وإنما ورد ذكر الحور العين ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (٣)

.. وإنما تصرف الشاعر فصاغ المعني في قالب فني يتناسب مع فنه الشعري .

ومما تأثر فيه الشعراء الإسلاميون بوصف الجنة في القرآن الكريم وصفهم الحور العين ، كما في قول الشاعر المجهول :

ألستَ تشتاق أن تلهو على فرشٍ

موضونةٍ مع جوارٍ خرَّدٍ عينِ (٤)

ويبدو تأثر الشاعر بوصف القرآن الكريم للجنة في وصفه لفرش الجنة بأنها موضونة، متأثراً بما جاء في القرآن الكريم من وصف سرر الجنة كما في قوله جل وعلا :

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ (٥)

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٨٥ .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ، ص ٢٣٧ .

(٣) سورة الدخان ، آية : ٥٤ ، والطور ، آية : ٢٠ .

(٤) كتاب مصارع العشاق ، ص ١١٨.

(٥) سورة الواقعة ، آية : ١٥ .

.. ولكن الشاعر تصرف فذكر الفرش مكان السرر التي توصف بالموضونة ، لأن الوضن نسج السرير[1] .. كما أن الشاعر تصرف في ذكر نساء الجنة ، فذكر أنهن جوارٍ خُرَّدٍ عين ، ولم يذكر ما ورد في القرآن من وصفهن بأنهن حور عين .. مما يدل على أنه لم يقتبس الآيات الكريمة بنصها وإنما استفاد من معاني آيات وصف الجنة ، وصاغها في قالبه الشعري ..

ومن تأثر الشعراء الإسلاميين بوصف الجنة في القرآن الكريم ، وصفهم آنية الجنة، كما في قول عمران بن حطان :

أَمْ أسكنُ الجنةَ التي وُعِدَ الْـ
أبـرارُ مصفوفـةٌ نَمارِقهـا[2]

فقد ذكر اسم الجنة بصيغة الإفراد والتعريف ، كما وردت في القرآن الكريم ، مبيناً أنها مما وُعِدَ به الأبرار ، ثم وصف الجنة بأن نمارقها مصفوفة ، مما يدل على تأثره بقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾[3]

وقوله سبحانه : ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾[4]

.. ولكن الشاعر تصرف في وصفه ، حيث لم يذكر آية الأبرار بنصها وإنما اكتفي ببيان أن الجنة مما وُعِدَ به الأبرار .. كما أنه في وصفه لنمارق الجنة تصرّف فقدّم الصفة على الموصوف ، بينما الآية الكريمة قُدِّم فيها الموصوف على الصفة .. وذلك إنما كان من الشاعر ليوافق نسق القافية في شعره ..

ومما تأثر فيه الشعراء الإسلاميون بوصف القرآن الكريم للجنة ، وصفهم الجنة

---

(١) لسان العرب ج ١٣ ص ٤٥٠ ، مادة وضن .
(٢) شعر الخوارج ص ١٧٠ .
(٣) سورة الانفطار ، آية : ١٣ .
(٤) سورة الغاشية ، آية : ١٥ .

بصفة عامة مجملة كما يبدو في قول النعمان بن بشير الأنصاري :

لهم ما اشتهت فيها النفوس ولَذَّةِ الـ

عيونِ فكـانت مستقراً ومقعـداً [١]

حيث وصف الشاعر الجنة بأن فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وأنها المستقر والمقام لعباد الله المؤمنين الذين يعملون الصالحات .. متأثراً في وصفه للجنة بالآيات الكريمة التي وصفت الجنة وصفاً عاماً مجملاً كما في قوله عز وعلا :

﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ﴾ [٢]

.. وقوله جل جلاله :

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [٣]

.. ولكن الشاعر تصرف في صياغة وصفه ولم يورد الآية الأولي بنصها ، كما تصرف في اقتباس معني الآية الأخري فلم يقل ( مستقراً ومقامًا ) .. وإنما قال : مستقرا ومقعدا .. متأثراً بقوله تعالى :

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [٤]

.. مما يدل على أنه استفاد من معاني آيات عدة في وصف الجنة ، فصاغ منها وصفاً مجملاً للجنة في نسق فني يوافق الشعر ..

---

(١) شعر النعمان بن بشير الأنصاري ، ص ٩٦ .

(٢) سورة الزخرف ، من الآية : ٧١ .

(٣) سورة الفرقان ، آية : ٧٦ .

(٤) سورة القمر ، آية : ٥٥ .

## ثالثاً : الأساليب والصور المبتكرة في شعر وصف الجنة :

وهو الشعر الذي ابتكر فيه الشعراء الإسلاميون أساليباً وصوراً لم ترد في القرآن الكريم في وصف الجنة .. وإنما أحدثها خيال الشعراء المسلمين نتيجة تشبعهم بمعاني القرآن الكريم وأساليبه .. حتي طور خيالهم مما عرفوه من صور الجنة صوراً جديدة تعكس اهتمامهم بما في القرآن الكريم من معان عامة وردت في وصف الجنة ..

ويمكن أن نقسم هذا الشعر إلى قسمين :

### (أ) الأساليب المبتكرة في ذكر اسم الجنة مع وصفها في الشعر الإسلامي :

وهو الشعر الذي ذكر فيه الشعراء الإسلاميون أسماء للجنة لم ترد بصيغتها في القرآن الكريم ، بحيث يذكر الشعراء اسم الجنة مجرداً من الوصف والإضافة ، أو مضافاً ، أو موصوفاً ، على نسق لم يرد بنصه في القرآن الكريم .. وذلك مثل قول حسان بن ثابت الأنصاري يوم بدر :

وسَعْدٌ فأضْحَوا في الجِنان وأوْحَشَتْ

منازِلهـم والأرضُ منهـم بلاقِـعُ(١)

وقول مالك بن دينار :

ألهتـكَ اللذائـذُ والأمانـي

عن البيض الأوانسِ في الجِنـانِ

تعيشُ مخلَّـداً لامـوتَ فيهـا

وتلهو في الجِنانِ مع الحِسـانِ(٢)

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ، ج ١ ص ٢٦٧ .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦ .

حيث ذكر حسان اسم الجنة في بيته بصيغة جمع التكسير «جنان» مجرداً من الوصف والإضافة .. ولم يرد في القرآن الكريم اسم الجنة بصيغة جمع التكسير .. وإنما ورد اسم الجنة في القرآن بصيغة الإفراد وجمع المؤنث السالم فحسب كما سبق بيانه .. وهذا يدل على ابتكار حسان لهذه الصياغة في اسم الجنة .. كما أن البيتين الآخرين ورد فيهما اسم الجنة بصيغة جمع التكسير التي لم ترد في القرآن الكريم .. كما ورد فيهما وصف نساء الجنة بأنهن بيض أوانس حسان .. وهذه الصفات لنساء الجنة لم ترد في القرآن الكريم .. وإنما ورد فيه من صفاتهن بأنهن حور عين ، وكواعب أتراب ، ولم يطمثهن إنس ولاجان ، وأنهن مقصورات في الخيام فلا يظهرن، وإنما يحفظن من اللمس ومن ضياع عفتهن ..

ومن الشعر الإسلامي الذي ابتكر فيه الشعراء اسم الجنة قول عمار بن ياسر :

إنهم عند ربهم في جنانٍ

يشربون الرحيق والسلسبيلا[(1)]

فالشاعر يذكر اسم الجنة بصيغة جمع التكسير «جنان» التي لم ترد في القرآن الكريم .. كما أنه يصفها بأن أهلها يشربون الرحيق والسلسبيلا ..

وقد ورد في القرآن الكريم أن أهل الجنة يسقون الرحيق ..كما في قوله تعالى:

﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾ [(2)] ..

.. وورد أن في الجنة عيناً تسمي سلسبيلا ، كما في قوله تعالى :

﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴾ [(3)] ..

.. فجمع الشاعر بين معني الآيتين وكون صورة لأهل الجنة تبين أن شرابهم فيها هو الرحيق والسلسبيل ..

---

(1) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة ، ص ١٧٤ .

(2) سورة المطففين ، آية : ٢٥ .

(3) سورة الإنسان : آية : ١٨ .

ومما ذكر فيه اسم الجنة «الجنان» موصوفاً قول الأعرابي :

أبا جعفر يابنَ الشهيدِ الذي لـه

جَناحانِ في أعلي الجِنان يطيرُ[1]

حيث ذكر الشاعر اسم الجنة بصيغة جمع التكسير «الجنان» مضافاً إليه الوصف «أعلى» ليدل الشاعر بهذا السياق على أن للجنة مراتب ودرجات ..

وقد ذكر الشعراء الإسلاميون اسم الجنة مضافاً إلى النعيم في صيغة مبتكرة .. كما في قول كعب بن مالك الأنصاري :

وقتلاهم في جِنانِ النعيـــــــ

ـــــمِ كرامُ المداخِلِ والمخرجِ[2]

فقد ذكر الشاعر اسم الجنة بصيغة جمع التكسير «جنان» مضافاً إلى النعيم .. ولم ترد هذه الصيغة لاسم الجنة في القرآن الكريم .. وإنما ورد اسم الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم مضافاً إلى النعيم ، كما في قوله جل وعلا :

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[3] ..

.. كما وصف الشاعر الجنة بصفة مبتكرة تبين أن أهلها مكرمون في مداخلهم ومخارجهم .. ولم ترد هذه الصورة للجنة في القرآن الكريم ، ولكن ورد فيه أن أهلها مكرمون في جنات النعيم ، كما في قوله عز وجل :

﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[4] ..

.. فالإكرام لأهل الجنة معلوم من القرآن الكريم ، ولكن ذكر المداخل والمخرج

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ، ص ١٣٨ .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة ، ص ٤٦٠ .

(٣) سورة القلم ، اية : ٣٤ .

(٤) سورة الصافات : الآيتان : ٤٢ ـ ٤٣ .

للجنة لم يرد في القرآن الكريم .. مما يدل على تخيل الشاعر المسلم الذي أبدع هذه الصورة لأهل الجنة وهم يكرمون في مداخلهم ومخارجهم ليدل على مزيد الحفاوة والتقدير لأهل الجنة ..

ومما ورد فيه أسلوب مبتكر في ذكر اسم الجنة من الشعر الإسلامي .. قول حسان بن ثابت في رثاء أهل موتة :

فصارَ مــن المستشهديــن ثوابُــهُ

جِنانٌ وملتفُّ الحدائقِ أخضرُ [١]

والشاعر يذكر اسم الجنة بصيغة جمع التكسير ، وهي الصيغة التي لم ترد في القرآن الكريم .. كما أنه يصف الجنة بأن حدائقها ملتفة خضراء .. ولم يرد في القرآن الكريم وصف للجنة على هذا السياق .. وإنما ورد في أنها شديدة الأخضرار ، كما في قوله عز وجل : ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾ [٢] .. كما ورد فيه أن للجنة حدائق فيها الثمار والأشجار الممتدة الظلال .. كما في قوله سبحانه :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾ [٣] ..

وقوله عز وعلا :

﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [٤] ..

.. مما يدل على أن خيال الشاعر أبدع هذه الصورة للجنة لانعكاس صور الجنة المختلفة التي وردت في القرآن الحكيم في آيات عديدة منه .

ومما ابتكر فيه الشعراء الإسلاميون اسما للجنة مع وصفها بصفة مبتكرة قول امرأة كانت تندب زوجها :

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ، ج ١ ص ٩٨ .
(٢) سورة الرحمن ، آية : ٦٤ .
(٣) سورة النبأ ، الآيتان : ٣١ ـ ٣٢ .
(٤) سورة الواقعة ، الآيات : ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ .

أسكنك الله في جنانٍ

تكون أمناً لساكنيه[١]

فقد ذكرت المرأة اسم الجنة بصيغة جمع التكسير «جنان» ، وهي الصيغة التي لم ترد في القرآن الكريم في أسماء الجنة .. كما أنها وصفت الجنة بأنها آمنة لساكنيها .. وهذه الصفة لم ترد بهذا السياق في القرآن الكريم .. ولكن ورد في القرآن الكريم ما يدل على أن أهل الجنة في أمن من الخوف والحزن ، كما في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾[٢] ..

.. مما يدل على أن الشاعرة استفادت من صفة الجنة هذه التي وردت في القرآن فوصفتها بأنها المكان الآمن لساكنيه ..

ومما ذكر فيه الشعراء الإسلاميون اسم الجنة بصيغة مبتكرة مع وصفه ، قول زياد الأعسم الخارجي في رثاء داود بن النعمان العبدي :

ألا فاذكرنْ داودَ إذ باعَ نفسَه

وجاد بها يبغي الجِنانَ العَواليا[٣]

حيث ذكر الشاعر اسم الجنة بصيغة جمع التكسير «جنان» مع وصفها بأنها عالية .. ولم ترد هذه الصياغة في صفة الجنة في القرآن الكريم ، وإنما ورد وصف الجنة بأنها عالية في أسلوب آخر ، كما في قوله سبحانه:

﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾[٤] ..

---

(١) شاعرات العرب ، ص ٤٠٨ .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ٤٩ .

(٣) شعر الخوارج ، ص ١٩٠ .

(٤) سورة الحاقة ، الآيتان : ٢١ ــ ٢٢ .

.. مما يدل على أن الشاعر استفاد من معني الصورة القرآنية للجنة .. وابتكر في صياغتها أسلوباً لم يرد في القرآن الكريم في صفة الجنة ..

ومن الشعر الإسلامي الذي ذكر فيه الشعراء اسم الجنة بصيغة جمع التكسير مع وصفه ، قول حسان بن ثابت :

عليكَ سلامُ ربكَ في جِنانٍ

مخالِطها نعيمٌ لايـــزولُ (١)

فذكر الشاعر اسم الجنة بصيغة جمع التكسير «جنان» مع وصفها بأن نعيمها دائم بقوله «مخالطها نعيم لايزول» وهي صيغة مبتكرة في وصف الجنة ، لم ترد في القرآن الكريم بهذا السياق .. وإن كان معني الصورة موجود في عدة آيات منه ، مثل قوله تعالى :

﴿ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴾ (٢) ..

.. مما يدل على أن الشاعر استفاد من معاني آيات الكتاب الحكيم ، فصاغ في شعره صورة لنعيم الجنة الدائم تدل على صحة تصوره لهذا النعيم ، وأنه ملتبس بها. بحيث لاتكون الجنة إلا مع النعيم الدائم .. لأن المخالطة تعني الممازجة(٣) ..

ومما ذكر فيه الشعراء اسم الجنة بصيغته المبتكرة مع وصفه قول عامر بن عبد قيس :

إما الجِنانُ وعيشٌ لا انقضـاء لـه

أم الجحيمُ ، فلا تُبقي ولاتَدَعُ (٤)

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ، ج ١ ص ٥٠٤ .
(٢) سورة التوبة ، من الآية : ٢١ .
(٣) انظر لسان العرب ج ٧ ص ٢٩١ مادة خلط .
(٤) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ، ص ٣١١ .

حيث ذكر الشاعر اسم الجنة بالصيغة المبتكرة ، وهي صيغة جمع التكسير التي لم ترد لأسماء الجنة في القرآن .. كما أنه وصف الجنة بالخلود فيها مستمداً وصفه هذا من الآيات العديدة التي تدل على خلود المؤمنين في الجنة ، كما في قوله عز وجل :

﴿ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾(١) ..

.. ولكن الشاعر عبر عن هذه الصفة في الجنة بأسلوب مبتكر لم يستخرجه من القرآن الكريم ..

ومما ابتكره الشعراء الإسلاميون من أسماء الجنة استعمالهم صيغة جمع التكسير مع تعلق الفردوس به .. كما في قول حسان بن ثابت :

لأنَّ ثوابَ اللهِ كلَّ موحِّدِ
جِنانٌ من الفردوس فيها يُخلَّدُ(٢)

حيث ذكر الشاعر اسم الجنة بصيغة جمع التكسير التي لم ترد في القرآن الكريم، ثم جعل الجار والمجرور «من الفردوس» متعلقاً به .. ليكون هذا الأسلوب مبتكراً من الشاعر في أسماء الجنة .. ذلك أن الفردوس أضيف إليه اسم الجنة بصيغة جمع المؤنث السالم فقط في القرآن الكريم .. كما في قوله تعالى :

﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾(٣)

.. ثم إن الشاعر بيّن أن جنات الفردوس أعدت للخلود فيها متأثراً في معناه بقوله عز وجل :

---

(١) سورة البينة ، آية : ٨

(٢) ديوان حسان بن ثابت ، ج ١ ص ٣٠٦

(٣) سورة الكهف ، آية : ١٠٧

﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [(١)] ..

.. ولكن الشاعر غيّر الأسلوب ليوافق نسق شعره ..

ويندرج تحت ما سبق من ابتكار الشعراء الإسلاميين في أسماء الجنة قول كعب بن عميرة الخارجي :

شري ابن خُدَيْرٍ نفسهُ اللهَ فاحتوى

جِناناً من الفردوس جمّاً نعيمُها[(٢)]

حيث ذكر الشاعر اسم الجنة بصيغة جمع التكسير ، متعلقاً به الجار والمجرور «من الفردوس» ، في أسلوب مبتكر لم يرد في القرآن الكريم .. كما وصف الشاعر الجنة بصفة مبتكرة لم ترد في القرآن الكريم .. فقد وصفها بأن نعيمها كثير عظيم .. ولم يرد في القرآن الحكيم وصف نعيم الجنة بأنه كثير ، وإنما ورد وصفه بأنه مقيم ، كما في قوله تعالى :

﴿ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴾ [(٣)] ...

.. مما يدل على أن الشاعر ابتكر هذا الوصف لنعيم الجنة لكثرة ما عرف من أنواع المتع والنعم فيها ..

ومما ورد فيه اسم الجنة بصيغة جمع التكسير مضافاً إلى الخلد ..

قول حسان بن ثابت رضي الله عنه يوم أحد :

فإنّ جنـان الخُلْـدِ منزلـهُ بهـا

وأمرُ الذي يقضي الأمورَ سريعُ[(٤)] .

---

(١) سورة المؤمنون ، آية : ١١ .

(٢) شعر الخوارج ، ص ٦١ .

(٣) سورة التوبة ، من الآية : ٢١ .

(٤) ديوان حسان بن ثابت ، ج ١ ص ٣٣٨ .

وقول صحاري بن شبيب الخارجي :

بائع أهلـي وما لـــي ، أرجـــو

في جِنانِ الخُلْدِ أهلاً ومالاً [(١)]

فقد ذكر الشاعر ان اسم الجنة بصيغة جمع التكسير «جنان» مضافا إلى الخلد .. ولم ترد هذه الصيغة لاسم الجنة في القرآن العظيم .. وإنما ورد اسم الجنة بصيغة الإفراد مضافاً إلى الخلد في آية واحدة هي قوله عز وجل :

﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [(٢)] ...

.. وقد وصفت الجنة في البيت الآخر بأن فيها أهلاً ومالاً .. ولم ترد هذه الصيغة في وصف الجنة في القـرآن الكريم .. وإنما ورد في القـرآن أن الله عـز وجل يلحق بأهل الجنة من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم .. كما في قوله سبحانه وتعالى :

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [(٣)] ..

مما يدل على أن الشاعر استفاد من معني الآية ، وصاغه في أسلوب جديد يتفق مع نسق فنه الشعري ..

ويلحق بما سبق مما وصفت فيه الجنان بالخلد .. قول كعب بن مالك في رثاء حمزة بن عبدالمطلب :

شتَّانَ مَنْ هـو فـي جهنَّـمَ ثاويـا

أبداً ومن هو في الجِنانِ مخلَّد[(٤)]

وذلك أنه ذكر اسم الجنة بصيغة جمع التكسير «جنان» مع وصفه بأن من دخله

---

(١) شعر الخوارج ، ص ٢٠٠ .

(٢) سورة الفرقان ، آية : ١٥ .

(٣) سورة الرعد ، آية : ٢٣

(٤) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، ص ١٩١

فهو مخلّد فيه .. ولم يرد وصف الجنة بهذا الوصف في القرآن ، وإنما وردت آيات عدة تدل على خلود أهل الجنة فيها .. استفاد الشاعر من معانيها ، فصاغها في هذا الأسلوب المختصر ، مقارناً بين الخلود فيها ، والخلود في النار ..

ومما ابتكر فيه الشعراء الإسلاميون أساليبا في ذكر الجنة ووصفها قول القعقاع ابن عمرو التميمي :

أرجو به من جنةٍ أفواجاً [(١)]

فقد ذكر الشاعر اسم الجنة بصيغة الإفراد والتنكير .. متأثراً بما ورد في القرآن الكريم من ذكرها بهذه الصيغة .. ولكنه وصفها بقوله «أفواجا» ولم يرد هذا التعبير في القرآن في صفة الجنة .. وإنما ورد فيه وصف حال المؤمنين في دخولهم الجنة بقوله سبحانه :

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً ﴾ [(٢)] ..

.. أي جماعات ، لأن الزمرة : الفوج من الناس والجماعة من الناس [(٣)] ..

ولكن الشاعر لم يستخدم الأسلوب القرآني في صفة أهل الجنة وإنما استخدمه في صفة الجنة .. والجنة لاتوصف بالأفواج لأن الفوج القطيع من الناس [(٤)] ... مما يدل على عدم الدقة في اختيار لفظ الشاعر ..

ومن الأسلوب المبتكر في ذكر الجنة ووصفها ، قول حسان بن جعدة :

إني لأعلـم أن قد أُنزلـوا غُرَفـاً

من الجِنانِ ، ونالوا ثَمَّ خُدّاماً [(٥)]

فهو يذكر الغرف من الجنان .. ولم ترد هذه الصيغة في القرآن الكريم في ذكر

---

(١) شعراء إسلاميون ، ص ٣٢ .
(٢) سورة الزمر ، من الآية : ٧٣ .
(٣) انظر لسان العرب ج ٤ ص ٣٢٩ مادة زمر
(٤) انظر المصدر السابق ج ٢ ص ٣٥٠ مادة فوج
(٥) شعر الخوارج ، ص ١٩٥

الجنة أو وصفها .. وإنما وردت بصيغة الإفراد كما في قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾ (١) ..

.. فاستفاد الشاعر من الآية الكريمة ، وصاغ المعنى في أسلوب مختلف ابتكر فيه اسم الجنة بصيغة جمع التكسير ليتناسب مع وزنه الشعري .. ثم إنه بيّن أن أهل الجنة يتمتعون بالخدم الذين يتملكونهم .. وهذا الوصف ورد في القرآن الكريم في سياق مختلف هو قوله تعالى :

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (٢) ..

.. فالقرآن عبر عن الخدم بالغلمان التي تدل على مزيد من العناية والترفيه لأهل الجنة من الله عز وجل .. واستفاد الشاعر من معني الآية فصاغه صياغة تتناسب مع سياق الشعر ..

ومما ذكر فيه الشعراء الإسلاميون اسم الجنة بصيغته التي لم ترد في القرآن الكريم، قول أبي جلدة اليشكري :

ويدعو الله مجتهداً لكيما

ينالَ الفوزَ من غُرفِ الجنانِ (٣)

فالشاعر يذكر اسم الجنة بصيغ جمع التكسير التي لم ترد في القرآن الكريم مضيفاً إليها «الغرف» ليدل على مساكن الجنة في أسلوب مبتكر لم ترد صيغته في القرآن الكريم .. وذلك ليتناسب أسلوبه مع النسق الشعري ..

ومما ابتكر فيه الشعراء الإسلاميون اسم الجنة مع وصفها قول الفرزدق يذكر وقعة وكيع :

(١) سورة العنكبوت ، آية ٥٨ .
(٢) سورة الطور ، آية : ٢٤ .
(٣) شعراء أمويون ، ص ٣٦١ .

جزاءً بأعمالِ الرجالِ كما جرى

بيدرٍ وباليرموكِ فيء جنانِ (١)

حيث ذكر الشاعر اسم الجنة بصيغة جمع التكسير التي لم ترد فيها القرآن الكريم بهذه الصيغة .. مضيفاً إليه «فيء» ليدل على أن الجنة تتميز بالفيء .. ولم يرد في القرآن الكريم وصف الجنة بأنها ذات فيء ، وإنما ورد فيه وصف ظل الجنة كما في قوله تعالى : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ (٢) ، مما يدل على أن الشاعر تصرف فذكر الفيء لا الظل .. ولكن تصرفه هذا لم يحالفه التوفيق فيه ، لأن الصحيح ما ورد في القرآن من وصف ظل الجنة لأنها لافيء فيها ، إذ لايوجد فيها شمس كما أخبر الله عز وجل عنها حيث قال :

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ﴾ (٣) ..

يقول ابن منظور : «فالظل ما كان قبل الشمس ، والفيء ما فاء بعد ، وقالوا : ظل الجنة ، ولايقال فيؤها ، لأن الشمس لاتعاقب ظلها فيكون هنالك فيء ، إنما هي أبداً ظل » (٤) ..

## (ب) الصور المبتكرة في وصف الجنة في الشعر الإسلامي :

وهو الشعر الذي وصف فيه الشعراء الجنة بصفات لم ترد بنصها في القرآن الكريم .. وقد يكون الشاعر منهم في وصفه الجنة بالصفات المبتكرة متأثراً بمعاني آيات الكتاب الحكيم في وصف الجنة ..

ومن هذه الصفات المبتكرة في وصف الجنة قول كعب بن مالك :

---

(١) النقائض بين جرير والفرزدق ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، ص٧١ .

(٢) سورة الواقعة ، آية : ٣٠ .

(٣) سورة الإنسان ، آية : ١٣ .

(٤) ديوان العرب ج ١١ ، ص ٤١٥ ، مادة ظلل .

كذلك حتي دعاهم مليك

إلي جنةِ دوحـةِ المَوْلـجِ [1]

فالشاعر يصف الجنة بأن مدخلها عظيم الاتساع والظلال ،، ذلك أن الدوحة في اللغة : هي الشجرة العظيمة المتسعة ذات الظلال الكبيرة [2] .. والولج : المدخل [3] .. فاستعار الشاعر لفظة الدوحة .. ووصف بها مدخل الجنة ليدل على سعة مدخلها وعظمته ، وامتداد الظل فيه .. مما أعطي للجنة صورة مبتكرة جديدة ، لم ترد بنصها في القرآن الكريم ، وإنما استقي الشاعر صورتها من مجموع آيات عدة في الكتاب الحكيم في وصف الجنة .. مثل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [4] ..

.. وقوله عز وجل : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ ﴾ [5] ..

وقوله تعالى : ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ [6] ..

.. فالآيات الكريمة تدل على كثرة أبواب الجنة ، وامتداد الظل فيها . استفاد من معانيها الشاعر فوصف سعة مدخل الجنة وامتداد الظل فيها في سياق جديد لم يرد بصورته ونصه في القرآن الكريم .

ومن الأساليب المبتكرة في وصف الجنة ، قول الفرزدق في هجاء ابليس :

يبشرنــي أن لن أمـوتَ وأنــه

سيخلدني في جنةٍ وسلامِ [7]

حيث ذكر الشاعر اسم الجنة بصيغة الإفراد والتنكير مع عطف السلام عليها ،

---

(1) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، ص ١٨٨ .
(2) انظر لسان العرب ج ٢ ص ٣٤٦ ، مادة دوح .
(3) انظر لسان العرب ج ٢ ص ٣٩٩ ، مادة ولج .
(4) سورة الواقعة ، آية : ٣٠ .
(5) سورة ص ، آية : ٥٠ .
(6) سورة الرعد ، آية ٢٣.
(7) آثر الإسلام في شعر الفرزدق ، ص ٧١ .

ليدل على اقتران الجنة بالسلام دائماً ، ولم يرد وصف الجنة بهذا النسق في القرآن الكريم ، وإنما ورد فيه بيان أن الجنة دار السلام ، كما في قوله عز وجل :

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) ..

.. كما ورد فيه أن تحية أهل الجنة هي السلام ، كما في قوله تعالى :

﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ ﴾ (٢) ..

.. مما يدل على أن الجنة مقترنة دائماً مع السلام ، فاستفاد الشاعر من معاني آيات عديدة في القرآن تدل على السلام في الجنة ، وصاغه في أسلوب جديد لم يرد في القرآن ..

ومن وصف الشعراء الإسلاميين للجنة بصفة مبتكرة قول عدي بن وداع :

لاعيشَ إلا الجنــةُ المخضـرّه

من يدخلِ النارَ يُلاقي ضُرَّه (٣)

حيث وصف الشاعر الجنة بأنها مخضرّة ، ولم يرد وصف الجنة في القرآن على هذه الصورة بهذا النص ، وإنما وصف القرآن الكريم الجنة بشدة الاخضرار المائل للسواد ، كما في قوله تعالى : ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾ (٤)، كما بين القرآن الكريم أن الجنة حدائق وفيها أنهار وعيون .. وهذه المظاهر تدل على الخضرة ، مما يدل على صحة تصور الشاعر في وصفه للجنة بأنها مخضرّة .

ومما ابتكر فيه الشعراء الإسلاميون صوراً وأساليب جديدة في وصف الجنة قول حسان بن ثابت في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سورة الأنعام : آية : ١٢٧ .

(٢) سورة يونس ، آية : ١٠ .

(٣) المعمرون والوصايا ، ص ٤٨ .

(٤) سورة الرحمن ، آية : ٦٤ .

يـاربٌ فاجمعنـــا معـاً ونبيِّنَـا

في جنةٍ تُنبي عيونَ الحُسَّدِ (١)

فهو يذكر الجنة بصيغة الإفراد والتنكير ، ثم يصفها بأنها تُنبي عيون الحسد ، ولم يرد هذه الصفة بنصها في القرآن الكريم للجنة ، وإنما ورد فيه أن الجنة فيها من ألوان المتع والمسرات والمبهجات ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين .. مما يدل على أن الشاعر المسلم فهم معني آيات الكتاب الحكيم في وصف الجنة ، فعبر عنها بأن وصفها بأن الحاسد للمؤمنين وهم الكافرون الذين يحرمون من دخول الجنة والتمتع بما فيها من ألوان النعيم تَقبح أعينهم ويغيظ نفوسهم ما يرون من أنواع المسرات التي حرموا منها بكفرهم ، وتمتع بها المؤمنون لإيمانهم ..

ويصف حسان بن ثابت الجنة بصفة مبتكرة أيضاً في قوله يرثي حمزة رضي الله عنهما :

دعاه إلهُ الحقِّ ذو العـرشِ دعـوةً

إلي جنةٍ يرضي بـها وسـرور (٢)

فهـو يبين أن الجنة التي أعدت للمؤمنين الصالحين فيها من أنواع الملذات ما يذهب همّ النفوس وغمها ، ويبعث فيها الرضا والراحة والسرور .. مما يدل على أن الشاعر فهم معاني آيات الكتاب الكريم في وصف الجنة ،

فصاغ من مجموع ما فهمه صفة للجنة مبتكرة لم ترد بنصها في القرآن الكريم..

ومما وصف فيه حسان بن ثابت الجنة بصفة مبتكرة أيضاً قوله يرثي سعد بن معاذ :

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ، ج ١ ص ٢٦٩ .

(٢) المصدر السابق نفسه ، ج ١ ص ١٣٣ .

علي ملةِ الرحمــنِ وارثَ جنــةٍ

مع الشهداء وفدها أكرمُ الوفدِ[1]

فالشاعر في هذا البيت يذكر اسم الجنة بصيغة الإفراد والتنكير مضافاً إليه قوله «وارث» ليدل على أن الشهداء يرثون الجنة مستلهماً في هذا المعني الآية الكريمة :

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾[2] ..

.. ولكن الشاعر تصرف في عبارته بما يتناسب مع نسق الشعر .. ثم إنه وصف الجنة بأن وفدها أكرم الوفد ، وهي صفة لم ترد بنصها في القرآن الكريم .. وإنما ورد فيه أن الجنة مكرمون ، كما في قوله عز وجل :

﴿ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾[3] ..

فاستفاد الشاعر من معني الآيات الكريمة وصاغها في صورة جديدة ..

ومما وصف في الشعراء الإسلاميون الجنة بصفات جديدة مبتكرة قول كعب بن مالك يرد على ضرار بن الخطاب في يوم الخندق :

سيدخله جناناً طيباتٍ تكون مقامةٌ للصالحين[4]

فالشاعر يذكر اسم الجنة بصيغة جمع التكسير مضافاً إلى قوله «طيبات» ليصف الجنة بأنها طيبة ، وهي صفة لم ترد بصيغتها ونسقها في القرآن الكريم ، وإنما ورد فيه وصف مساكن جنات عدن بأنها طيبة ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾[5] ..

(١) ديوان حسان بن ثابت ، ج ١ ص ٤١٥ .
(٢) سورة مريم ، آية : ٦٩ .
(٣) سورة المعارج ، آية : ٣٥ .
(٤) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، ص ٢٨٠ .
(٥) سورة الصف ، من الآية : ١٢ .

.. فاستفاد الشاعر من صفة مساكن الجنة ووصف الجنة بها في أسلوب جديد وصورة مبتكرة .. كما أنه وصف الجنة بأنها مقام الصالحين .. ولم ترد هذه الصفة بنصها في القرآن الكريم .. وإنما ورد فيه أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يدخلون الجنة ، كما في قوله عز وجل :

﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) ..

فاستعمل الشاعر معاني الآيات الكريمة ، وصاغ منها الصورة المبتكرة للجنة في شعره ..

ومما وصفت فيه الجنة بصفة مبتكرة تبين أنها طيبة قول جعفر الطيار يرتجز :

يا حبذا الجنةَ واقترابُها
طيبةً وبارداً شرابُها (٢)

فهو يتمني الاقتراب من الجنة لما فيها من ألوان النعيم والمتع التي تروِّح عن النفس وتستهوي القلوب .. لذا فإنه يصفها بأنها طيبة .. أي أن كل مافيها تستطيبه النفس وتهفو إليه .. ولم يرد هذه الوصف بنصه في القرآن الكريم للجنة .. كما أن الشاعر يصف الجنة ببرودة شرابها .. ولم يرد في القرآن الكريم وصف شراب الجنة بأنه بارد .. ولكن الشاعر وصف شرابها بالبرودة مستلهماً معني قوله تعالى :

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ (٣) ..

.. إذ النفس تشتهي كل مايلذ لها .. وألذ ما يجد الإنسان الشراب البارد وقت الحر والعطش .. مما يدل على أن الشاعر تخيل أن في الجنة ما يشتهيه من الشراب

---

(١) سورة غافر ، من الآية : ٤٠ .
(٢) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة ، ص ١٨٠ .
(٣) سورة فصلت ، من الآية : ٣١ .

البارد ، فوصفها ببرودة شرابها ..

وقد يكون الشاعر وصف شراب الجنة بالبرودة باعتبار وصف ما يقابله من وصف شراب أهل النار ، كما في قوله تعالى :

﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [1] ..

ومن وصف الجنة بالصفات المبتكرة في الشعر الإسلامي في قول النابغة الجعدي :

فأدخلكَ اللهُ بَرْدَ الجنا
ن جَذْلانَ في مَدْخَلٍ طيبِ [2]

حيث ذكر الشاعر اسم الجنة بصيغة جمع التكسير مضافاً إليها «برد» ليدل على أن الجنة باردة ، ولم يرد في القرآن الكريم وصف برودة الجنة .. وانما بين سبحانه طبيعة مناخها ، وأنه ليس فيها حر شديد ولابرد مؤذ ، كما في قوله سبحانه :

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ﴾ [3] ..

.. فاستفاد الشاعر من وصف الجنة كما جاء في القرآن وصاغ صفة مبتكرة لها تبين برودة جوها .. ثم إنه وصف الجنة بصفة أخري هي أن مدخلها طيب .. وهي صفة جديدة لم ترد بنصها في القرآن الكريم ، وإنما استلهم الشاعر هذه الصفة للجنة من وصف مساكنها كما في قوله سبحانه :

﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [4] ..

.. فوصف مدخل الجنة بأنه طيب ..

---

(١) سورة النبأ : الآيتان : ٢٤ ـ ٢٥ .
(٢) شعر النابغة الجعدي ، ص ٣٣ .
(٣) سورة الإنسان ، آية : ١٣ .
(٤) سورة الصف ، من الآية : ١٢ .

ومما وصف فيه الشعراء الإسلاميون الجنة بصفة مبتكرة قول شاعر مجهول :

وأدخل الجنةَ دارَ الملتقي [1]

حيث ذكر الشاعر اسم الجنة بصيغة الإفراد والتعريف مع وصفها بأنها دار الملتقى، وهي صفة مبتكرة لم ترد في القرآن الكريم للجنة بنصها .. وإنما استفاد الشاعر معني صورته من مجموع آيات عدة وردت في القرآن العظيم تبين أن الله سبحانه يجمع في الجنة بين المؤمنين ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، كما في قوله عز وجل :

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ [2] ..

.. فاستفاد الشاعر من اجتماع المؤمنين بمن صلح من أهليهم ، وصاغه في صورة جديدة للجنة تبين أنها الدار التي يلتقي فيها المؤمنون بمن يحبون ..

ومن الشعر الإسلامي الذي ابتكر فيه الشعراء صوراً للجنة .. قول النابغة الجعدى:

فسلامُ الإلهِ يغدو عليهم

وفيوء الفردوسِ ذاتِ الظلال [3]

والشاعر في بيته يبين ما ينعم به أهل الجنة من تسليم الله سبحانه وتعالى عليهم، متأثراً بقوله عز وجل :

﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [4]..

.. ولكنه صاغ معني الآية الكريمة في أسلوب مبتكر لم يرد بنصه في القرآن

(١) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة ، ص ١٧٦ .
(٢) سورة الرعد ، من الآية : ٢٣ .
(٣) شعر النابغة الجعدي ، ص ٢٣١ .
(٤) سورة يس ، آية ٥٨ .

الكريم . ثم يصف الجنة بأنها ذات فيء وظلال .. ولم يرد في القرآن الكريم وصفها بأنها ذات فيء ، وإنما ورد فيه أنها ذات ظلال كما في قوله عز وجل :

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [1] ..

.. ولكن الشاعر قيد الفيء بالظلال في وصفه للجنة .. مما جعل أهل اللغة يقرونه في وصفه ولايخطئونه .. يقول ابن منظور : «وقد جعل بعضهم للجنة فيئاً غير أنه قيده بالظل ، فقال يصف حال أهل الجنة وهو النابغة الجعدى» [2] ..

ومن وصف الجنة بالصفات المبتكرة التي لم ترد بنصها في القرآن الكريم قول الفرزدق في قتل قتيبة بن مسلم :

فإنّا أُناسٌ نشتري بدمائنا

ديار المنايا رغبةً في المكارمِ [3]

فهو يبين استهانة المسلم بنفسه في سبيل الله ، لأنه يرغب فيما وعد به الله سبحانه من المكارم في الجنات .. فهو لم يذكر اسم الجنة ، وإنما كني عنها بما فيها من المكرمات التي ينعم بها أهلها .. وهذه صورة جديدة للجنة لم ترد بنصها في القرآن الكريم .. وإنما ورد فيه وصف حال المؤمنين في الجنة وأنهم مكرمون ، كما في قوله سبحانه :

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ [4] ..

ومن الشعر الإسلامي الذي وصف فيه الشعراء الإسلاميون الجنة بصفات جديدة لم ترد في القرآن الكريم بنصها ، قول أيمن بن خريم :

---

(١) سورة يس ، آية : ٥٦ .

(٢) لسان العرب ج ١١ ص ٤١٥ ، مادة ظلل .

(٣) نقائض جرير والفرزدق ، طبع مدينة ليدن ، ج ١ ص ٣٢٣ .

(٤) الصافات ، الآيتان ٤١ ـ ٤٢ .

وبنيتَ عند مَقامِ ربِّكَ قبةً

خضراءَ كُلِّلَ تاجها بالفسفسِ

فسماؤها ذهبٌ وأسفلُ أرضها

ورِقٌ تلألأ في البهيمِ الحندسِ (١)

حيث وصف الشاعر مساكن الجنة بصفات لم ترد في القرآن الكريم بنصها ، فهو يصفها بأنها قبة خضراء عليها تاج مكلل بالفسيفساء .. وسماؤها ذهب وأرضها فضة تلمع في الليل المظلم .. وهذه الصفات لمساكن الجنة استلهم الشاعر صورتها من مجموع آيات الكتاب الكريم في وصف الجنة ، حيث وصف الله سبحانه كل مافي الجنة من ألوان النعيم في أروع صورة وأدقها وأبدعها .. مما جعل خيال الشاعر يتصور هذه الصورة لمساكن الجنة لتكون في أعلي مستوي وأرقاه ، كما هو الحال في بقية أنواع المتع التي صورها الله سبحانه أبدع تصوير وأروعه ..

ومما وصف فيه الشعراء الإسلاميون الجنة بصور مبتكرة قول عبيدة بن الحارث بعد إصابته يوم بدر :

مع الحورِ أمثالِ التماثيل أُخلصتْ

مع الجنةِ العُليا لمن كان عاليا (٢)

فهو يصف نساء الجنة بأنهن حور أمثال التماثيل .. ولم ترد في القرآن الكريم صفة نساء الجنة على هذه الصورة بنصها .. وإنما ورد تشبيههن بالبيض المكنون ، واللؤلؤ المكنون ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ (٣) ..

---

(١) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ، ص ١٦٥ .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة ، ص ٢٧٤ .

(٣) سورة الواقعة ، الآيتان : ٢١ ـ ٢٢ .

.. فاستفاد الشاعر من مجموع آيات وصف نساء الجنة ، ووصف نساءها الحور العين بأمثال التماثيل .. ليكن في أحسن وأجمل صورة كما وصفهن الله عز وجل في الكتاب الكريم .. ثم إنه وصف الجنة بأنها عليا ، مستفيداً من وصفه سبحانه في قوله تعالى :

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ (١) ..

.. دون أن يضمن شعره الوصف القرآني بنصه رعاية لمقتضي وزنه وقافيته ..

ومن وصف الجنة بصفات مبتكرة قول المجهول في صفة الحور العين :

من حُبِّ سيدةٍ تبوأ جنَّةً
قد حُفِّفتْ أنهارُها بخيام

مع خودةٍ في جوفِ قصر زبرجدٍ
مكنونةٍ في خدرها كغلامِ (٢)

فقد ذكر الشاعر الجنة بصيغة الإفراد والتنكير ، مع وصفها بأن أنهارها محفوفة بالخيام .. وهي صورة جديدة للجنة لم ترد في القرآن الكريم بنصها ، كما أنه بيّن أن خيام الجنة قصور من الزبرجد فيها الخود المخدورات لأزواجهن .. وهذه الصفة لنساء الجنة مبتكرة لم ترد في القرآن الكريم بنصها ، ولكن الشاعر استلهمها من مجموع آيات عدة في صفة نساء الجنة ، كما في قوله تعالى :

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ (٣) ..

وقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (٤) ..

---

(١) سورة الحاقة ، آية : ٢٢ ، وسورة الغاشية ، آية : ١٠ .
(٢) كتاب مصارع العشاق ، ص ١١٩ .
(٣) سورة الرحمن ، آية : ٧٢ .
(٤) سورة الصافات ، آية : ٤٩ .

.. فكوّن الشاعر من مجموع صور نساء الجنة في القرآن صورة بديعة لهن ..

ومن الشعر الإسلامي الذي وصف الجنة بصفة مبتكرة قول المجهول في صفة نساء الجنة :

من التي صاغها الرحمن في غرفٍ
من مسكهٍ عُجنتْ في ماء نسرين (١)

فهو يذكر غرف الجنة ويبين أن فيها نساء خلقن من المسك والنسرين .. وهذه صفة مبتكرة لنساء الجنة لم ترد بنصها في القرآن الكريم .. وإنما استلهمها الشاعر من الوصف العام لنساء الجنة كما جاء في القرآن ، حيث بين سبحانه وتعالى أنهن في أبدع صورة من الجمال وحسن الخِلْقة والخُلق ..

ومن الصور المبتكرة في وصف الجنة قول عبدالله بن رواحة :

جعفر ، ما أطيبَ ريحَ الجنهْ (٢)

حيث وصف الشاعر ريح الجنة بأنه طيب .. ولم يرد في القرآن الكريم وصف ريح الجنة أو رائحتها .. وإنما ورد فيه بيان أن في الجنة رَوْحاً وريحاناً ، كما في قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ (٣) ..

.. مما يبين أن نسيم الجنة ورائحتها طيبان لأن فيها الرياحين والزهور .. فاستلهم الشاعر وصف الله تعالى ، وتخيل هذه الصورة الجديدة للجنة ..

ومـن الشعر الإسلامـي الذي ابتكـر فيه الشعراء صوراً جديدةه للجنة قول حسان بن ثابت يرثي حمزة بن عبدالمطلب :

---

(١) كتاب مصارع العشاق ، ص ١١٨ .
(٢) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة ، ص ١٦٥ .
(٣) سورة الواقعة ، الآيتان : ٨٨ ، ٨٩ .

صلى عليكَ اللهُ في جنةٍ
عاليةٍ مكرمةَ الداخلِ [1]

حيث ذكر الشاعر اسم الجنة بصيغة الإفراد والتنكير مع وصفها بأنها عالية ، مستخدماً الأسلوب القرآني نفسه ، كما في قوله عز وجل :

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [2] ..

.. كما أنه وصفها بأنها مكرمة الداخلِ ، وهي صورة جديدة للجنة لم ترد بنصها في القرآن الكريم ، وإنما ورد فيه أن أهلها مكرمون ، كما في قوله سبحانه :

﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ [3] ..

.. فاستفاد الشاعر من معني الآية الكريمة فابتكر هذه الصورة الجديدة للجنة التي تبين أن الداخل إليها مكرم ..

ومما وصف فيه الشعراء الإسلاميون الجنة بصورة مبتكرة قول جرير بن عطية يمدح :

سوّستُمُ الملكَ في الدنيا ومنزلكم
منازلَ الخُلْدِ زانتها الأكاويب [4]

فهو يذكر اسم الجنة بصيغة مبتكرة لم ترد بنصها في القرآن الكريم ، حيث ذكر اسماً جديداً للجنة هو «منازل الخلد» ويصف الجنة بصفة مبتكرة تبين أن الأكواب تزينها .. ولم ترد هذه الصورة للجنة في القرآن الكريم بنصها ، وإنما ورد فيه ذكر الأكواب فيها .. كما في قوله عز وجل :

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [5] ..

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ، ج ١ ص ٣٢١ .
(٢) سورة الحاقة ، آية ٢٢ ، وسورة الغاشية ، آية ١٠ .
(٣) سورة المعارج ، آية : ٣٥ .
(٤) ديوان جرير ، ج١ ص ٣٥٠ .
(٥) سورة الغاشية ، الآيتان : ١٣ ـ ١٤ .

.. ولكن الشاعر في صورته جمع الكوب على «أكاويب» وهذه الصيغة ليست دقيقة ، ذلك أن جمع الكوب في اللغة « أكواب» [1] وهي الصيغة التي وردت في القرآن الكريم ..

ومن وصف الجنة بصفات مبتكرة قول العجاج :

فــداخلون جنَّةً بهــيــجــا
وشــاربون عــســلاً مــزيجــا
بماء مُــزْنٍ بارداً مــثلوجــا [2]

فالراجز يذكر اسم الجنة بصيغة الإفراد والتنكير ، مع وصفها بأنها ذات بهجة وهي صفة لم ترد في القرآن الكريم بنصها .. ثم إنه وصف عسل الجنة بأنه ممزوج بماء المزن البارد المثلج .. وهذه الصورة لعسل الجنة لم ترد في القرآن الكريم ، وإنما ورد فيه وصفه بأنه مصفّي ، كما في قوله عز وجل :

﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ [3] ..

.. أما وصف الشاعر العسل بأنه ممزوج ، فإنها وردت في القرآن صفة للخمر تبين أنه ممزوج بالكافور والزنجبيل ، كما في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [4] ..

.. وقوله عز وجل :

﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً ﴾ [5] ..

---

(١) انر لسان العرب ج ١ ص ٧٢٩ ، مادة كوب .
(٢) ديون العجّاج ، ص ٣٤٦ .
(٣) سورة محمد ، من الآية : ١٥ .
(٤) سورة الإنسان ، آية : ٥ .
(٥) سورة الإنسان ، آية : ١٧ .

.. ما يدل على أن الشاعر استفاد من معاني آيات عدة في القرآن وصاغ منها صورته المبتكرة لعسل الجنة ، وهي صورة تدل على أن الشاعر استلهم فيها معنى الآية الكريمة في وصف الجنة :

﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ﴾ (١) ...

ومن الصور المبتكرة في وصف الجنة قول العجاج أيضاً :

علَّ الإلهَ الباعِثَ الأثقالا

يُعْقِبني من جنةٍ تظلالا

وعنباً يُساقِطُ الأهدَالا (٢، ٣)

فقد ذكر الراجز اسم الجنة بصيغة الإفراد والتنكير مضافاً إلى «تظلالا» ليدل على أنها تتميز بالظلال .. مستفيداً من الآيات العديدة التي وصفت الجنة بالظلال.. مثل قوله تعالى :

﴿ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾ (٤) ..

.. ثم إنه وصف الجنة بأن فيها العنب الذي يساقط الأهدال .. وهي صورة مبتكرة بديعة لفواكه الجنة لم ترد بنصها في القرآن الكريم .. كما لم يرد ذكر العنب بين فواكه الجنة في الآخرة .. وإنما ورد فيه وصف فاكهة الجنة بالدنو من أهلها ، وتذليل قطوفها .. كما في قوله عز وجل :

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾ (٥) ،

---

(١) سورة الزخرف ، من الآية : ٧١ .

(٢) تهددلت الثمار وأغصان الشجرة ، أي تدلت فهي متهدلة ، اللسان ج ١١ ص ٦٩٢ مادة هدل.

(٣) ديوان العجّاج ، ص ١٧٤ .

(٤) سورة النساء ، من الآية : ٥٧ .

(٥) سورة الإنسان ، آية : ١٤ .

وقوله سبحانه :

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [(١)] ..

.. فاستفاد الشاعر من معاني الآيات التي وصفت فاكهة الجنة ، وصاغ منها هذه الصورة العجيبة لعنب الجنة الذي يساقط الأهدال .. ليدل بها على تساقط أغصانه وتدليها لتدنو من أهل الجنة فيتناولونها من غير جهد ..

ومن الشعر الإسلامي الذي وصف فيه الشعراء الجنة بصور مبتكرة ، قول ناجية ابن جندب :

ماهو إلا مأكلٌ ومشربُ
وجنَّةٌ فيها نعيم مُعْجِبُ [(٢)]

فهو يصف الجنة بأن فيها النعيم المعجب ، والمأكل والمشرب .. وهي صفة جديدة للجنة لم ترد بنصها في القرآن الكريم .. وإنما استفاد الشاعر في وصفه من مجموع آيات عدة في وصف الجنة ، كما في قوله تعالى :

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [(٣)] ..

.. وقوله سبحانه :

﴿ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ [(٤)] ..

.. ولكن الشاعر لم يصف النعيم بأنه مقيم كما ورد في الآية الكريمة .. وإنما وصفه بأنه معجب مستفيداً من وصف الله سبحانه وتعالى لمختلف ألوان نعيم الجنة في أدق صورة وأبدعها .. مما جعل الشاعر يراه معجباً في كل أنواعه .

---

(١) سورة الحاقة ، الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة ، ص ١٦٩.

(٣) سورة الطور آية : ١٩ .

(٤) سورة التوبة ، من الآية : ٢١ .

ومن وصف الجنة بالصفات المبتكرة قول كعب بن مالك الأنصاري :

عن الحقِ حتي غَدتْ روحُه

إلي منزلِ فاخرِ الزَبرج [١ ، ٢]

حيث لم يذكر اسم الجنة ، وإنما كني عنها بأنها منزل فاخر الزبرج أي موشاة مزينة بأفخر أنواع الوشي من الذهب وغيره من أنواع المعادن الثمينة ، والجواهر الجميلة .. بمعني أن الجنة فيها كل ما هو بديع ساحر من أنواع النعم والمتع والمسرات .. وهذه الصورة للجنة لم ترد في القرآن الكريم بنصها ، وإنما ورد فيه وصف أنواع النعيم المختلفة في الجنة في أروع الصور وأحسنها .. مما خيل للشاعر صورة للجنة جديدة صور فيها نعيم الجنة حسب ما تصوره خياله ..

ومما وصف فيه الشعراء الإسلاميون الجنة بصفة مبتكرة قول عمران بن حطان :

هُما فريقان : فرقةٌ تدل الـ

ـجنةَ حُفَّتْ بهم حدائِقُها [٣]

فهو يذكر اسم الجنة بصيغة الإفراد والتعريف ، مع وصفها بأن الحدائق تحف بأهلها .. ولم ترد هذه الصفة للجنة في القرآن الكريم بنصها ، بل ورد فيه أن الجنة حدائق وأعناباً ، كما في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾ [٤] ..

فاستفاد الشاعر من معني الآية الكريم ، وصاغ هذه الصفة المبتكرة للجنة ، والتي تصور أهلها وهم ينعمون بالحدائق المحيطة بهم .

---

(١) الزبرج : الوشي والذهب ، انظر لسان العب ج ٢ ص ٢٨٥ مادة زبرج .

(٢) دوان كعب بن مالك ، ص ١٨٨ .

(٣) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ، ص ٣١٢ .

(٤) سورة النبأ ، الآيتان: ٣١ ـ ٣٢ .

ومما وصفت فيه الجنة بصفة مبتكرة قول الأخطل في مدح قريش وبشر بن مروان :

في جنَّة هي أرواحُ[1] الإله فما
يُفزِّعُ الطيرَ في أغصانها فَزَعُ [2]

فقد ذكر الجنة بصيغة الإفراد والتنكير ، مع وصفها بأنها من نسيم الإله ، ليدل عل علو شأنها . وأنها في منزلة عليا لايرتقي إليها إلى المخلصون .. ثم إنه يصف الجنة بالأمن والأمان ، وأن طيورها على الأغصان آمنة .. وهذه الصفة للجنة لم ترد في القرآن الكريم على هذا النحو .. بل ورد فيه أن أهل الجنة آمنون من الخوف والحزن .. وأنهم في سلام دائم .. كما في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾ [3] ..

.. وقول عز وجل :

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [4] .

.. فاستفاد الشاعر من معاني الآيات الكريمة التي وصفت الأمن والسكينة والسلام في الجنة ، ورسم هذه الصورة الجديدة التي تدل على تمام الأمان فيها ..

ومن الشعر الإسلامي الذي وصف فيه الشعراء الجنة بصفة مبتكرة قول أبي الأسود الدؤلي :

---

(١) أرواح ، جمع الريح ، والريح : نسيم الهواء . انظر لسان العرب ج ٢ ص ٤٥٥ مادة روح .
(٢) ديون الأخطل ، ص ٢٠٤ .
(٣) سورة الحجر ، الآيتان : ٤٥ ــ ٤٦ .
(٤) سورة فصلت ، من الآية : ٣٠ .

أُرجّي بذلك حوضَ الرسو

لِ والفوزَ والنعمةَ الدائمة [١]

فهو يتمني الورود على حوض الرسول في الجنة ، متأثراً بمعني الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه البخاري عن سهلٍ بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أنا فَرطُكم على الحوض من وردهُ شرِب منه ، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ، ليَرِدُ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم» [٢] ..

ويذكر الشاعر الجنة بالكناية عنها بأنها النعمة الدائمة ، والدخول فيها يعد فوزاً، ولم يذكر القرآن الكريم صفة للجنة بهذا النسق ، وإنما ورد فيه بيان أنها مقر للنعيم، وأن دخولها يعد فوزاً عظيماً .. كما في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [٣] ..

.. وقوله تعالى :

﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [٤] ..

.. فاستلهم الشاعر من معني الحديث الشريف ، وآيات الكتاب الكريم صورة بديعة مبتكرة للجنة ..

ومما وصف فيه الشعراء غرف الجنة وسررها قول الفرزدق يمدح :

رفقاء متكئين في غُرَفٍ

فرحين فوق أسِرَّةٍ خضر [٥]

---

(١) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، ص ٣٧٥ .

(٢) صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٩ ، كتاب الفتن .

(٣) سورة القلم ، آية : ٣٤ .

(٤) سورة الصف ، من الآية : ١٢ .

(٥) أثر الإسلام في شعر الفرزدق ، ص ٢٩ .

فهو يصور حال أهل الجنة في الغرف وهم متكئين فوق السرر .. فيصف السرر بأنها خضر ، ويبين أنهم فوقها رفقاء فرحون .. ولم يصف القرآن الكريم سرر الجنة بأنها خضراء ، وإنما بيّن سبحانه حال أهل الجنة في اتكائهم على السرر ، كما في قوله تعالى :

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ (١) ..

.. ويبين ـ سبحانه ـ أن ثياب أهل الجنة ووسائدهم خضراء اللون .. كما في قوله سبحانه :

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (٢) ..

.. وقوله عز وجل :

﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ (٣) ..

.. فجمع الشاعر بين هذه الصور في الآيات الكريمة ، وألف منها صورة بديعة تبين أن أهل الجنة رفقاء فرحون متكئون فوق أسرة خضراء .. لتكون صورة جديدة للجنة ، تستمد أصولها من معاني آيات الكتاب الحكيم في وصفها ..

ومما وصف فيه الفرزدق غرف الجنة بصفة مبتكرة قوله :

في غُرَفِ الجنةِ العُليا التي جعلت

لهم هناك بسعي كان مشكورِ (٤)

وقوله أيضاً :

---

(١) سورة الواقعة ، الآيتان : ١٥ ـ ١٦ .
(٢) سورة الرحمن ، آية : ٧٦ .
(٣) سورة الكهف ، من الآية : ٣١ .
(٤) أثر الإسلام في شعر الفرزدق ، ص ٢٩ .

إلـي الغـرفةِ العُليـا رفيـقَ محمدٍ

مقيماً ، ولامنها هو الدهرَ رائمُ[1]

فهو في بيتيه يذكر غرف الجنة بصيغة جمع التكسير «غرف» وصيغة الإفراد والتعريف «الغرفة» مع وصفها بأنها «عليا» في البيتين ..

وقد ذكر القرآن الكريم غرفِ الجنة ، بصيغ الإفراد ، وجمع التكسير ، والمؤنث السالم .. ولكنه لم يصفها بأنها «عُليا» وإنما بين ـ سبحانه ـ أنها درجات ، كما في قوله ـ عز وجل ـ :

﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ [2] ..

.. فاستفاد الشاعر من وصف القرآن الكريم لها .. ووصفها بأنها «عُليا» لتكون الصفة بلون جديد لم يرد بنصه في القرآن الكريم ..

ويلحق بقول الفرزدق في وصف غرف الجنة بأنها عُليا قول حبيب بن خدرة يرثي قتلي الخوارج :

أبكي الذين تبوءوا الغُرفَ العُلى

فجرت لهم من تحتها أنهار [3]

فهو يصف الغُرف بأنها «عُلى» ويصفها بأن الأنهار تجري من تحتها .. مما يدل على أنه استقي وصفه كاملاً من قوله تعالى :

﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ [4] ..

---

(١) آثر الإسلام في شعر الفرزدق ، ص ٥٩ .
(٢) سور الزمر ، من الآية : ٢٠ .
(٣) شعر الخوارج ، ص ٢١١ .
(٤) سورة الزمر ، من الآية : ٢.

.. لكن الشاعر صاغها في صورة مبتكرة تبين تأثره بالقرآن الكريم ..

ومن وصف غرف الجنة بصفة مبتكرة قول الأصم الضبي يرثي قتلي الخوارج :

سارُوا إلـي اللهِ حتـي أُنـزلوا غرفـاً

من الأرائكِ في بيتٍ من الذهب [(١)]

فهو يذكر غرف الجنة بصيغة جمع التكسير متعلقاً به الجار والمجرور «من الأرائك» ليدل على أن الغرف من الأرائك موجودة في بيت من الذهب . ولم يرد في القرآن الكريم ذكر الغرف من الأرائك ، وهذا الوصف ليس مطابقاً ، إذ الأرائك في اللغة : هي السرر أو الفرش في الحجال أو في غير الحجال [(٢)] .. ولاتكون الغرف من الأرائك . وإنما الأرائك للاتكاء كما بين القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ ﴾ [(٣)] ..

.. أما بيان الشاعر أنها في بيت من الذهب ، فإنه وصف استهلمه الشاعر من وصف القرآن الكريم للجنة في أرقي وأبدع صورة ، مما جعل الشاعر يتخيل أن بيوت الجنة من الذهب ، وهي صورة لم ترد في القرآن الكريم في وصف الجنة .

ومن وصف الجنة بصورة مبتكرة قول النعمان بن بشير الأنصاري :

والنبيـــون عنـــده بمكـــان

في علاءٍ والصالحون قعود [(٤)]

حيث كني الشاعر عن الجنة بأنها مكان في علاء .. وهي صورة مستوحاة من القرآن الكريم ، ابتكر لها الشاعر تعبيراً جديداً لم يرد بنصه في القرآن الكريم ..

---

(١) شعر الخوارج ، ص ١٢٥ .

(٢) انظر لسان العرب ج ١٠ ص ٣٨٩ ، مادة أرك .

(٣) سورة الكهف ، من الآية : ٣١ .

(٤) شعر النعمان بن بشير الأنصاري ، ص ٩٠ .

وبعد عرض الأبيات السابقة التي بين قدرة الشاعر المسلم على تخيل وابتكار صور جديدة للجنة ، وابتكار أساليب جديدة في وصفها ، لم ترد في القرآن الكريم في وصف الجنة .. مع أن آيات الكتاب الحكيم في وصف الجنة تعددت وتنوعت كثيراً ، بحيث لم يترك القرآن الكريم لوناً من ألوان نعيم الجنة إلا وورد وصفه في القرآن في أبدع صورة وأروعها وأدقها .. بل ورد أيضاً في صور متنوعة وأساليب متعددة . مما يدل على أن الشاعر المسلم ، استطاع أن يستوعب ما جاء في القرآن الكريم من آيات وصف الجنة ، ويصور نعيمها في صور متعددة ومتنوعة استقى ألفاظها أو معانيها من آيات الذكر الحكيم .. كما أنه استطاع أن يبتكر أساليب وصوراً في وصف الجنة .. جاءت جديدة لم ترد ألفاظها أو صورها في القرآن الكريم.. ليثبت هذا قدرة الشاعر المسلم وصدق موهبته الفنية ، وبعد خياله .. وهذا يدفع تهمة المفترين على الإسلام ، الذين يزعمون أن الإسلام أضعف شعر الملتزمين به ، محاولين فصل العقيدة عن الأدب ليبينوا أن الشاعر لايبدع إلا إذا انفصل عن عقيدته، وليثبتوا أن الشاعر المسلم ضعيف الملكات مقلد ليس لدي موهبة فنية صادقة ، ولاقدرة على الإبداع .. وغير هذا من التهم التي يبينها كلام على أحمد سعيد الملقب أدونيس في كتابه «صدمة الحداثة» الذي ورد فيه : إن الله أبدع للشاعر المسلم المضمون «العقيدة الإسلامية» والتاريخ العريق لغة وشعراً أبدع له الشكل ، فمن أين له هو أن يبدع ما يفوقهما ؟ إن مهمته هي في أن يأخذ ما أعطي له ، وأن يجيد في محاكاته واستعادته ، فهو لايبدع بل ينسخ ويصوغ [(١)] ..

وهذا كلام فيه مغالطات كثيرة ، وتهم باطلة يدحضها ويدفعها ما بين أيدينا من شعر وصف الجنة لشعراء صدر الإسلام ، والعصر الأموي ، بل يدفعها المستوي الفني الرفيع للشعراء المسلمين في مختلف العصور الأدبية .. وقد ناقش الدكتور مصطفي عبدالواحد تهم هؤلاء المغرضين في كتابه «سمات الأدب الإسلامى» مستدلاً بالشواهد الشعرية من العصور المختلفة في تاريخ الأدب العربي [(٢)] ..

---

(١) انظر من سمات الأدب الأسلامي ، للدكتور مصطفي عبدالواحد ص ٩ .

(٢) انظر المرجع السابق .

# الفصل الخامس

## التصوير البيانى فى شعر وصف الجنة

وهو في مبحثين

المبحث الأول : التشبيه في شعر وصف الجنة .

المبحث الثاني : الكناية في شعر وصف الجنة .

# التصوير البياني فى شعر وصف الجنة

لانجد في شعر وصف الجنة كثيراً من الصور البيانية .. اللهم إلا أبياتاً قليلة يظهر فيها التشبيه والكناية ، حيث شبه الشعراء نساء الدنيا بالجنة .. وشبهوا نساء الدنيا بصور القرآن الكريم البيانية الواردة في تشبيه نساء الجنة .. كما أنهم كنوا عن الجنة بصفات تبين ما فيها من أنواع النعيم ..

## المبحث الأول

## التشبيه فى شعر وصف الجنة

ورد التشبيه في شعر وصف الجنة في أبيات عديدة ، وعلي طرق مختلفة ، وصور متنوعة ، منها تشبيه المفرد بالمفرد ، وتشبيه المفرد بالمركب .. ومنها التشبيه المحذوف الأداة ، والمذكورة في الأداة .. ومنه التشبيه المستلهم من القرآن الكريم ، والتشبيه المبتكر ذو الصور الجديدة .. وأكثر صور التشبيه وردت في شعر الغزل ، وقليل منها خرج عن إطار الغزل ..

ولدراسة التشبيه في شعر وصف الجنة ينبغي تقسيمه حسب ألوان التصوير فيه ، وطرق الشعراء التي سلوكها في صورهم .. لذا فإنه ينقسم إلى قسمين أساسيين هما:

**( أ ) تشبيه نساء الدنيا بالجنة :**

حيث شبه الشعراء الإسلاميون نساء الدنيا في تعلقهم بهن ، واشتياقهم إليهن ، وإعجابهم بحسن جمالهن بالجنة ، في صور مختلفة ، وأساليب متنوعة ، تعكس مدي عمق افتتان الشاعر المسلم بالجنة ، وحبه وتعلقه بها ، وإيمانه وتصديقه بصفاتها كما وردت في القرآن الكريم ، ومعرفته بمميزات وصفات الجنة التي تميزها عن زينة الحياة الدنيا ومفاتنها ومغرياتها .

وفي دراسة هذه الصور البيانية في شعر وصف الجنة بيان للقيمة الجمالية لأنواع

التشبيهات فيه ، وإشارة إلى القدرة الفنية عند الشعراء الإسلاميين في تمثل صور القرآن الكريم ، والتعبير عنها في إطار بلاغي يعكس ما يتحلي به الشاعر المسلم من عمق التفكير ، وما يتميز به من بديع التصور والانطلاق .. حتي استطاع أن يستوعب ما جاء في آيات الكتاب الحكيم من وصف الجنة ، ويعبر عن فهمه وسعة تصوره له في صور بيانية جيدة .

ولدراسة هذا القسم من التشبيه في شعر وصف الجنة يمكن تقسيمه إلى التشبيه المحذوف الأداة وهو المنسمي بالتشبيه المؤكد (١) . والتشبية المذكور فيه الأداة ..

## ١ ـ التشبيه المؤكد :

فمن الأبيات التي شبهت فيها نساء الدنيا بالجنة تشبيهاً مؤكداً قول عمر بن أبي ربيعة في الغزل :

والله ، والبيتِ العتيـقِ ، لقـد
ساويتِ عندي جنة الخُلْدِ (٢)

حيث شبه الشاعر المرأة من نساء الدنيا بجنة الخُلْد تشبيهاً حذفت منه الأداة .. بجامع أن كلاً منهما من مطامح نفسه ومراميها ..

وقد استعمل الشاعر طريقة مبتكرة ، حيث ساوي فيه بين المرأة المخاطبة وجنة الخُلْد .. ولما كانت هذه المساواة فيها مبالغة في بيان فضل المرأة وتشريف مكانتها ، فإن الشاعر أراد إثبات وتحقيق وتأكيد هذه المشابهة والمساواة ، فأكده بعدة مؤكدات تبدو في القسم بالله ، والبيت العتيق ـ وإن كان هذا القسم غير سائغ ـ واللام ، وقد كما بين أن هذه المساواة بين من أحب والجنة ليست على الحقيقة وعند العامة من

---

(١) التشبيه المؤكد : هو ما حذفت أداته ، كقوله تعالي : (وهي تمر مرّ السحاب) انظر الإيضاح للخطيب القزويني ج ١ ص ٣٨٧ . والتشبيه المؤكد هذا : هو ما يسميه البلاغيون المحدثون بالتشبيه البليغ ، وهي تسيمة لم ترد عند القدماء لهذا اللون من التشبيه

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ص ١٠٥

الناس ، وإنما هي من تصور الشاعر وتقديره ، وذلك بإضافة الظرف إلى ضميره «عندى» أي في تصوري الخاص .. وذلك أن المرأة لايمكن في الحقيقة أن تتساوي بجنة الخلد إلا في تصور الشاعر نفسه .. ويبدو في إضافة الجنة إلى الخلد معني الداوم والخلود الذي تميل إليه نفس الشاعر ..

ومن هذه التشبيهات المؤكدة قول عمر بن أبي ربيعة :

أنتِ كنتِ المني ، ورؤيتـك الخلـدُ

فقـري عيـناً بـه واطمئنـي [1]

وقوله :

أنتِ عيشي ، نعم ، ورؤيتك الخلـ

ـدُ ، وكنتِ الحديث والأشغالا [2]

حيث يبدو في البيتين مدي تعلق الشاعر بالمرأة التي يتغزل بها ، ومدي عمق إحساسه وتبصيره بما في الجنة من متاع ، وما فيها من الخلود .. فقد شبه رؤيته لمن يتغزل بها بجنة الخلد ، مع الاكتفاء بالدلالة على الجنة بصفة الخلد فيها .. وهي الصفة التي كثر بيان القرآن الكريم لها في آيات عدة . إذ كثرت الآيات التي تدل على الخلود في نعيم الجنة ، والأمن من زواله ، فهي صفة تحقق الأمان والاطمئنان لأهلها ، لأن ما ينعمون به من أنواع المسرات دائم مقيم لايتحول ولايزول .. فإذا شبه الشاعر رؤية من يحب برؤية دار الخلد ، فإن في هذا بياناً لعلو شأن هذا المحبوب في نفسه ، تبعاً لعلو منزلة الجنة وشرف مكانتها .. وفي الاكتفاء بصفة الخلد في الجنة ، مع عدم ذكر اسمها «الجنة» كما في البيت السابق له .. دلالة على اهتمام الشاعر بصفة الخلود فيها ، وتركيزه عليها دون غيرها من صفات الجنة ، إذ هي أهم

---

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤٠٨ .

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٣٢١.

الصفات وأدعاها لبث الأمن والطمأنينة في النفس ..

ثم إن الشاعر في بيتيه يعمد إلى ما يدعم تصوره ويحققه ويثبته ، بالتعبير عن كون هذه المحبوبة في رتبة من لايستغني عنه ولايحيا بدونه ، فهي : المني ، والعيش ، والحديث ، والأشغال .. وهي التي تقرّ بها العين .. وهذا كله يجعل رؤيتها كرؤية الخلد التي تتشوق نفس المؤمن إليها وتطمئن وتسعد بنيلها .. ثم إن في تكرار ضمير الخطاب : أنت ــ التاء ــ الكاف ــ والياء في البيتين دلالة على خصوصية هذه الصفة بالمحبوبة المخاطبَة دون غيرها ، إذا لايري الشاعر غيرها يستحق هذه المنزلة العظيمة الشأن أبداً ..

ومما شبه فيه الشعراء النساء بجنة الخلد تشبيهاً مؤكداً قول مجنون ليلي :

هويتَ فتاةً نيلُها الخُلْـدُ فالتمـس

سبيلاً إلى ما لست يوماً بواجدِ(١)

حيث يشبه الشاعر نيل محبوبته بنيل جنة الخلد ، بجامع استحالة حصوله على كل منهما ، ثم إنه حذف اسم الجنة مكتفياً بدلالة صفة الخلود عليها .. لما في هذه الصفة من دواعي الأمن والطمأنينة والسعادة المقيمة الدائمة . والصلة قريبة بين المشبه والمشبه به ، باعتبار أن كليهما مستحيل الحصول عند الشاعر ، ومع ذلك فإنه لم ييأس في البحث عن الطرق الموصلة إليهما .. بدليل الأمر الموجه إلى نفسه «فالتمس» الذي فيه دلالة على عدم يأسه .. فهو على يقين من تعذر نيل محبوبته ، وعلي علم بما اقترفه من آثام تحرمه من الفوز بجنة الخلد ، ومع ذلك فإنه يلتمس الطريق إلى المطلوب في نفسه ، ويعاود الكرة بعد الكرة محاولاً نيل محبوبته .. ذلك أن التلمسُ في اللغة : التطلب مرة بعد مرة(٢) .. أي السعي الحثيث للحصول على الشيء .. وهذا معني نفسي رائع في شوق النفوس ومطامحها إلى نيل المراد وإن تعسر الطريق إليه ..

---

(١) ديوان مجنون ليلي ، جمع وتحقيق عبدالستار أحمد فراج ص ١٠٩ .

(٢) انظر لسان العرب ج ٦ ص ٢٠٩ ، مادة لمس .

وقد يكون المراد بالخلود في الدنيا وهو أمر مستحيل بدليل قوله : «ما لست يوماً بواجد» ..

ومما شبه فيه الشعراء المرأة بالجنة تشبيهاً مؤكداً قوله شبيب بن البرصاء :

فإن تكُ هندٌ جَنّةً حيـل دونهـا

فقد يعزف اليأس الفتي فيعيج(1)

فهو يشبه من أحبّ بالجنة تشبيهاً مؤكداً ، ليدل على أنها تحتل مكانة رفيعة المستوي عنده .. وتنكير المشبه به «جنة» يفيد العموم ، وعلو المكانة ، فهي جنة تصبوا إليها النفوس عامة ، إن كانت من جنات الحياة الدنيا ، وتتشوق إليها نفوس المؤمنين من عباد الله خاصة إن كانت جنة الآخرة ، وفي كل اشتياق وتطلع وترقب للحصول عليها والفوز بها .. ويبدو تشبث الشاعر بالمشبه وتمسكه بها في بيان حاله معها وأنه حيل بينهما ، إلا أن اليأس لم يتمكن منه ، فهو مع منعه منها لا يكترث بل يمضي في تلمس الطرق إليها .. ذلك أن معني يعيج أي لايكترث له ولايباليه(2) .. وتبدو المبالغة في تشبيه المحبوبة بالجنة في حذف أداة التشبيه ، وذلك ليكون المشبه هو المشبه به نفسه .. يحتل المكانة الخاصة به ويتميز بخصائصه ذاتها فلا يفرق بينهما ..

ومن تشبيه الشعراء الإسلاميين نساء الدنيا بالجنة قول يزيد بن مفرغ الحميري في غلامه برد وجاريته أراكة :

أمـا الأراك فكانت من مـحارمنا

عـيـشـاً لذيذاً ، وكـانت جنة رغـدا

كـانت لنا جنّةً كنّا نعيش بهـا

نغني بهـا إن خَشَينا الأزل والنكدا(3)

---

(1) شعراء امويون ، القسم الثالث ، دراسة وتحقيق د. نوري القسي ص ٢٢٢ .

(2) انظر لسان العرب ج ٢ ص ٣٣٦ ، مادة عيج .

(3) ديوان يزيد مفرغ الحميري ص ٩٧ ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م .

حيث يشبه جاريته بالجنة الرَّغد ، تشبيهاً مؤكداً ، مع وصف المشبه به بصفة تبين تميزه واختصاصه بكثرة الخصوبة ، والسعة والمال والكلأ .. ذلك لأن الرغد : الكثير الواسع الذي لايعييك من مال أو ماء أو عيش أو كلأ [(1)] .. وفي وصف المشبه به بهذه الصفات دلالة على علو شأن المشبه وعظمته في نفس الشاعر .. ذلك أن حذف أداة التشبيه تجعل المشبه هو المشبه به نفسه .. لافرق بينهما في الصفات ..

ثم إن الشاعر يعيد تشبيه جاريته بالجنة في بيته الآخر ، مع وصف المشبه به بصفة أخري تبين مدي احتياج الشاعر للمشبه ، وتمسكه به ، فهو يصف المشبه به بأنه مصدر رزقه ، والدعامة التي يعتمد عليها عند الأزمات ، ثم انه يحذف أداة التشبيه ليكون المشبه هو المشبه به ذاته يتصف بصفاته وله خصائصه نفسها . مما يدل على حرص الشاعر على المشبه وتمسكه به .. وفي تكرار التشبيه بالجنة مع حذف الأداة في التشبيهين فضل مزية تعكس مدي تعلق الشاعر بالجنة وصفاتها .. حيث لم يجد ما يوازيها في أهمية التشبيه عنده فكرر التشبيه بها في بيته الآخر ..

ومن تشبيه نساء الدنيا بالجنة قول الفرزدق في زوجته النوار :

وكانت جنتي فخرجت منها

كآدم حين لج به الضِّرارُ [(2)]

وفيه شبه زوجته بجنة خرج منها بالطلاق ، كما خرج آدم من الجنة بعد غواية إبليس له .. وهو تشبيه مركب بمركب .. حيث بين حاله بعد طلاق زوجته وهي جنته ، بحال آدم حين أغواه إبليس فتسبب بخروجه من الجنة .. بجامع حصول الضرر في كل .. وفي إضافة المشبه به إلى ضمير المتكلم «جنتى» مزية بلاغية دقيقة تبين دقة تصور الشاعر ، فزوجته خاصة به وحده ، وكذلك المشبه به جنة خاصة به

---

(١) لسان العرب ج ٣ ص ١٨٠ ، مادة : رغد .

(٢) أثر الاسلام في شعر الفرزدق ، د. مصطفى عبدالواحد ص ٦٢ .

وحده لايشركه فيها أحد فليست مثل كل الجنات .. وطلاقه منها هو خروجه من الجنة الخاصة به .. وحاله في طلاقه كحال آدم عليه السلام ، كانت له جنته الخاصة وحرمانه من التمتع بما فيها .. وقد بين الشاعر وجه الشبه في الصورتين بقوله: «كآدم حين لج به الضرار» وهو ما حصل من الضرار لكل من الصورة المشبهة والصورة المشبه بها .. حيث حصل الحرمان من المتعة في الحالين .. وقد صور شدة ملازمة الضرر الحاصل في الحالين بقوله «لجّ به الضرار» ، وذلك أن معني لجّ في الأمر : تمادي عليه وأبي أن ينصرف عنه (١) ..

وبما شبه فيه الشعراء الإسلاميون نساء الدنيا بالجنة قول بشار ابن برد :

يارحمــةَ اللــهِ حُــلِّي فــي منازِلنـــا

حسبي برائحة الفردوس من فيك (٢)

فهو يطلق على محبوبته اسم رحمة الله ويناديها به ، ويشبه رائحة فمها برائحة الجنة ، بجامع طيب الرائحة ولطفها .. ثم هو يطلق على الجنة اسم الفردوس مقتدياً بأسلوب القرآن الكريم .. وفي النداء برحمة الله علاقة دقيقة بين المشبه وهو المرأة ، والمشبه به وهو الجنة ، حيث إن كلاً منهما رحمة من الله تجمع بين اللطف والمتعة وشوق النفس إليهما .. ثم إن في تشبيه رائحة فم المرأة برائحة الجنة ، واكتفاء الشاعر برائحة المشبه به فقط دلالة على عظم شأن المشبه به وعلو مكانة الجنة في نفسه ، كما فيه مبالغة في تشريف المرأة وبيان فضلها عنده .

ومن تشبيه المرأة بالجنة تشبيهاً مؤكداً قول كثيّر عزة :

منعمـــةٌ لــم تلقَ بؤس معيشـــةٍ

هي الخُلْدُ في الدنيا لمن يستفيدها

هي الخلد مـادامت لأهلك جـارة

وهل دامَ في الدنيا لنفسي خلودها (٣)

---

(١) انظر لسان العرب ج ٢ ص ٣٥٣ ، مادج لجج .

(٢) مختارات البارودي ج ٤ ص ١٩٣ .

(٣) ديوان كثيّر عزة ، جمع وشرح د. احسان عباس ص ٢٠٠ .

فالشاعر يشبه المرأة التي يتغزل بها بجنة الخلد ، تشبيهاً مؤكداً ، مع حذف اسم الجنة ، والاكتفاء بدلالة صفة الخلد عليها .. ولكنه نقل التشبيه بالجنة إلى الحياة الدنيا ، أي أنه تصور المرأة من نساء الدنيا بجنة الخلد التي أعدت لعباد الله المتقين في الآخرة .. ويؤكد هذا التشبيه في بيته الآخر بإعادته نفسه مبيناً أنه لايضمن الخلود في الدنيا مع المشبه ، إذ لاخلود في الحياة الدنيا .. وإنما دوام الحال والخلود في النعيم يكون في الآخرة . كما يبين الشاعر سبب تشبيه من أحب بجنة الخلد ، حيث بدأ تشبيهه ببيان حال المرأة في الدنيا وكونها من أهل النعيم والعيش الرغد الهنيء حتي استحقت أن تشبه بجنة الخلد .. وفي ذلك دلالة على استيعاب الشاعر لصفات الجنة كما وردت في القرآن الذي بين أنها دار النعيم المقيم ، وأن أهلها لايجدون بؤساً ولا ضنكاً ، وإنما هم الرغد والهناء والنعيم والتكريم الدائم ..

وقد شبه الشعراء الإسلاميون غير المرأة بجنة الخلد ، كما في قول طُريح بن إسماعيل الثقفي في مدح الوليد بن يزيد :

واستبشروا بالرضا تباشُرَهـم

بالخُلْدِ لو قيل إنكم خُلُدُ(١)

حيث شبه الشاعر التبشير برضاء الخليفة بالتبشير بجنة الخلد ، تشبيهاً جمع بين طرفين أحدهما معنوي ، والآخر حسي .. فالرضا معنوي شبهه بجنة الخلد ، وهي محسوسة كما بين القرآن الكريم من صفاتها .. وفي التعبير بالتبشير بين المشبه والمشبه به ربط دقيق بينهما ، يدل على تأكيد مشابهة المشبه بالمشبه به ، فالإخبار بالرضا بشارة كما الإخبار بدخول جنة الخلد بشارة .. مما يدل على أن كلاً منهما له المكانة والصفة نفسها في تصور الشاعر .. حتي يعد الإخبار بهما بشارة .. وفي تكرار صفة الخلود التي بينها القرآن للجنة معني بلاغي دقيق يدل على أن الخلود في الجنة من أهم ما تتميز به من الصفات .. إذ الاطمئنان إلى الخلود في النعيم أدعي إلى

---

(١) شعر طُريح بن اسماعيل الثقفي ، دراسة وجمع وتحقيق د. بدر أحمد ضيف ص ٨٣ .

الأمان من خوف زواله وتغيره ..

### ٢ـ التشبيه المذكور في الأداة :

وقد وردت أبيات يشبه فيها الشعراء ـ في تلك الفترة ـ نساء الدنيا بالجنة مع ذكر أداة التشبيه ، كما في قول الوليد بن يزيد :

ياسلّمَ كنتِ كجنةٍ قد أطمعتْ

أفنانُهـا دانٍ جناهـا موضَـعُ[(١)]

وفيه ينادي الشاعر المشبه نداء مرخماً ، ثم يشبهه بجنة لها من الصفات ما يميزها، ويجعلها مطمعاً عند الكل .. وفي النداء المرخم إشارة إلى التودد والتقرب من المشبه وهو المنادي .. مما جعله يستحق أن يشبه بالجنة التي تميزت بالصفات التي بينها الشاعر .. مدللاً على تأثره بالصور البيانية الواردة في القرآن الكيم لوصف الجنة التي أعدت عند الله ـ سبحانه ـ للمتقين من عباده .. فهو يصف المشبه به وهو الجنة بأن أفنانها محمّلة بالثمار الدانية ليسهل جنيها وقطافها .. وفي وصف المشبه به بهذه الصفات بيان أن الشاعر إنما أراد جنة الخلد التي وعدها الله لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات .. وإن كان من الممكن أن يكون أراد جنة من جنات الدنيا..

ولإثبات أن العلاقة بين المشبه والمشبه به تقوم على المشابهة فقط فإن الشاعر أثبت كاف التشبيه «كجنة» وهذا يدل على أن الشاعر إنما يشبه المنادي بأنه كان فيما مضي بالنسبة إليه كالجنة التي دنا جناها .. وأطمعت في قطافها ..

ومن التشبيه المذكور فيه الأداة قول مجنون ليلي :

وإنـي لمشتـاق إلـي ريـحِ جيبهـا

كما اشتاق إدريس إلى جنة الخلد [(٢)]

---

(١) شعر الوليد بن يزيد ، جمع وتحقيق د. حسين عطوان ص ٧٥ .
(٢) ديوان مجنون ليلي ص ١١٥ .

فهو يشبه توق نفسه إلى رائحة المحبوبة باشتياق النبي إدريس إلى رائحة الجنة .. والصلة بين المعنيين قريبة ، حيث أن كليهما اشتياق النفس ومناها .. إلا أن المشبه به حقيقي ثابت .. فإدريس نبي الله ـ عليه السلام ـ قد جاء في بعض الروايات أنه رقي إلى السموات ودخل الجنة .. ثم أعيد إلى الأرض (١) ..

أما المشبه فإنه أمنية تحققها ليس أكيداً .. وفي تعبير الشاعر بالاشتياق دلالة على شوق النفس وتطلعها إلى تحقق هذه الأمنية .. لما لها من الضرورة والحاجة .. ذلك أن الشوق والاشتياق : نزاع النفس إلى الشئ (٢) .. فإذا كان اشتياق الشاعر إلى رائحة المحبوبة كاشتياق إدريس إلى جنة الخلد ، فإنه متعلق النفس بها جامح الشوق إليها .. لايفكر إلا في الاجتماع بها ونيل المسرة معها .. إذ أن اشتياق الأنبياء إلى الجنة فيه تطلع شديد لملاقاة النعيم الذي بشرهم به الله ـ سبحانه ـ في جنات النعيم .. وفي ذكر أداة التشبيه «الكاف» دلالة على أن المشابهة بين المشبه والمشبه به ليست على الحقيقة ذاتها ، وهو من التشبيهات المركبة ، حيث شبهت صورة بصورة..

ومما صور فيه الشعراء نعيم الجنة بالتشبيه قول عبيدة بن الحارث بعد اصابته يوم بدر :

إن تقطعوا رجلي فإني مسلم

أعيشُ بها عيشاً من الله دانيا

مع الحورِ أمثالِ التماثيل أُخلصت

مع الجنةِ العُلْيا لمن كان عاليا(٣)

فهو يصور الحور العين وهن من ألوان النعيم في الجنة بأنهن أمثال التماثيل بجامع اكتمال الزينة والحسن ودقة الصنع في كلٍ .. وفي ذكر صفة الحور فقط من نعيم

---

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ، تحقيق د. مصطفى عبدالواحد ج ١ ص ٧٢ .
(٢) انظر لسان العرب ج ١٠ ص ١٩٢ ، مادة شوق .
(٣) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

الجنة دلال على أن نفس الشاعر إنما اشتاقت إلى الحور لما وصفهن به الله ـ سبحانه ـ من اكتمال الحسن وصفاء البشرة وعلو الأخلاق وكرم الطباع .. ذلك أنهن في الجنة العالية التي أعدت للعالين من عباد الله المتقين .. وفي وصف المشبه به بأنهن أمثال التماثيل إشارة إلى دقة الصنع وروعة الجمال وصفائه وخلوه من المعايب الصغيرة أو الكبيرة ، ذلك أن التماثل هو الصورة للشئ المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله[1] ، من حيث دقة الصنع وجمال الخلقة ، وروعة الشكل والخلوص من المعايب .. لذا فإن الشاعر أكد هذا الوصف للمشبه به وهي التماثيل بأنها أخلصت لتكون خالصة لعباد الله العالين في الجنة العالية ..

وفي تعدد صفات المشبه به مع إفراد ذكر المشبه دليل على أن الشاعر شبه المفرد بالمركب لإدراكه أن المشبه مكتمل الوصف بذكر الاسم فقط لأنه مما وعد الله به من نعيم الجنة .. فلا يحتاج لأكثر من ذكر الاسم للدلالة عليه .. أما المشبه به فإنه مما يحتاج إلى الصفات التي تبين تميزه ليستحق أن يشبه به المشبه .. مما يدل على عمق الإدراك وصحة التصور لدي الشاعر المسلم في فهم آيات الكتاب الحكيم في وصف ألوان نعيم الجنة ..

ومن التشبيه الذي استلهمه الشعراء من وصف القرآن للجنة قول عمر بن أبي ربيعة :

تُبِنْ غير أن قد أومأت فعمدْنها

كشاربِ مكنون الشرابِ المختّم[2]

فهو يشبه المرأة من نساء الدنيا في تخبط سيرها واختلاله بشارب الخمر في الدنيا، بجامع عدم الثبات والتخبط واختلال الحركة ، ذلك أن معني عمدت الشئ:

---

(١) انظر لسان العرب ج ١١ ص ٦١٣ ، مادة مثل .
(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٤٤ .

أي أقمته بعماد يعتمد عليه [1] وهو من تشبيه المفرد بالمفرد ، مع ذكر الأداة .. ولكن الشاعر وصف الخمر التي يشربها المشبه به بصفات تدل على استلهامه لوصف خمر الجنة كما ورد في القرآن الكريم .. حيث بين أنه شارب لمكنون الشراب المختم متأثراً بقوله عز وجل :

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [2]..

وفي استعمال الوصف القرآني لخمر الجنة في وصف خمر الدنيا .. وإدخال هذا الوصف في صورة بيانية تصف المرأة من نساء الدنيا دلالة على سعة خيال الشاعر المسلم وحريته في اقتباس ما في الذكر الحكيم من معاني الآيات والتصوير فيها ، واستعماله في المعاني المختلفة والصور الجديدة .

## (ب ) تشبيه نساء الدنيا بصور القرآن الكريم البيانية في وصف نساء الجنة :

وهو الشعر الذي وصف فيه الشعراء الإسلاميون نساء الدنيا بصفات نساء الجنة عن طريق تشبيههن بالبيض المكنون ، والدر المكنون ، من مثل قول محمد بن عبدالله النميري :

فهنَّ كمكنونٍ من البيضِ تحتَهُ
عِقَادٌ من الأنقاءِ بالقفرات [3]

حيث شبه الشاعر نساء الدنيا بالبيض المكنون متأثراً بقوله تعالى وصف نساء

---

(١) انظر لسان العرب ج ٣ ص ٣٠٣ ، مادة عمد .

(٢) سورة المطففين ، من الآية : ٢٥ .

(٣) شعراء ثقيف في العصر الأموي ص ١٦٧ ، والعقاد : جمع عقدة وهي المرعي ، اللسان ج ٣ ص ٢٩٩ . والأنقاء : جمع النقاوة ، وهي أفضل ما انتقيت من الشيء ، اللسان ج ١٥ ، ص٣٣٨ .

الجنة: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [1] ... وقد ورد في الشعر الجاهلي تشبيه المرأة بالبيض ، كما في قول زهير :

أو بيضة الأدحي باتَ شعارَها

كنقا النعامةِ جؤجؤٌ وعِفَاءُ [2]

وتشبيه المرأة بالبيض عندهم لحسن منظرها ونقاء لونها وصفائها .. إلا أنهم لم يصفوا البيض كما وصفه القرآن الكريم بأنه (مكنون) ليدل بهذا الوصف على زيادة الحرص في الحفظ له ، وخلوصه من كل ما ينتقص رونقه وبهاءه .. ولذا لم يوصف البيض في هذا الباب بأحسن ولا أجمع لمعاني الوصف مما جاء به الذكر الحكيم[3] .. ولذا فإن الشاعر المسلم استلهم الصورة القرآنية في تشبيهه .. فشبه النساء من أهل الدنيا بالبيض المكنون . إلا أنه لم يرق إلى بلاغة القرآن الكريم في تشبيهه .. ذلك أن القرآن قُدِّم فيه الموصوف (بيض) على الصفة (مكنون) ليدل هذا على مدي مشابهة المرأة من نساء الجنة بالبيض في تناسق شكله وصفاء لونه وبياضه.. ثم يضاف إلى هذه الصفات صفة تزيد في بيان حفظه ونقاء لونه وصونه من كل ما ينتقص من بهائه .. أما في تشبيه الشاعر المسلم فإنه قدم الصفة «مكنون» على الموصوف وهو «البيض» وكأن التشبيه مركز في بيان صفة الحفظ والصون دون الالتفات إلى ما تتميز به البيضة من جمال الشكل وتناسقه وبياض اللون وصفائه ..

ومما شبه فيه الشعراء الإسلاميون المرأة بالبيض قول رؤبة ابن العجاج :

---

(١) سورة الصافات ، من الآية : ٤٩ .

(٢) شرح شعر زهير بن أبي سلمي ، لأبي العباس ثعلب ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ص ٢٥٤ ، نشر دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الأولي ١٤٠٢هـ .

(٣) انظر الجمان في تشبيهات القرآن ، لإبن ناقيا البغدادي ص ٢٤٣ .

ومـن هـواي الـرجـع الأثـايـث

تميلهـا أعـجـازها الأواعث

كـالبـيض لم يطمث بهن طامث

أزمان رأسي قصيب جثاجث[1]

فهو يشبه النساء بالبيض مع وصفهن بأنهن لم يطمثهن أحد .. متأثراً بما وصف به القرآن الكريم نساء الجنة ، كما في قوله تعالى :

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[2] ..

.. ولكن الشاعر المسلم في تشبيهه جمع بين صورتين من صور القرآن البيانية ، حيث جمع بين تشبيههن بالبيض ، وبيان أنهن لم يطمثن ، مما يدل على استفادته من معاني صور القرآن البيانية ، وتعبيره عن فهمه بصور مبتكرة لم ترد بنصها فيه .. ويلحظ في قول الشاعر «لم يطمث بهن طامث» أنه أراد وصف المشبه لا المشبه به .. ولكن هناك علاقة دقيقة في هذا الوصف تربط بين المشبه والمشبه به .. ذلك أن وصف المشبه بأنهن لم يطمثن تدل على الحفظ والصيانة من كل ما ينتقص من خلوصه ونقائه .. مما يدل على إرادة وصف المشبه به «البيض» بالمكنون ، أي المحفوظ المصون من كل ما يعتريه بالنقص ..

ومن تشبيه النساء بما ورد في القرآن من الصور البيانية قول عمر بن أبي ربيعة :

بيـضـاء ناصـعـة البـيـاض

كـدرةِ الصَّـدف الكنين[3]

حيث شبه المرأة من نساء الدنيا بالدر المكنون بجامع الصفاء والبياض .. مستلهماً

---

(١) مجموع أشعار العرب وهو مشتمل علي ديوان رؤبة بن العجاج ص ٢٩ ، القصيب : الشعر المقصّب أي المجعد ، اللسان ج ص ٦٧٥ . جثاجث : تجثجث الشعر : كثر . وشعر جثجاث وجثاجث ، اللسان ج ٢ ص ١٢٨ .

(٢) سورة الرحمن ، الآية : ٥٦ .

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٤١٢ .

هذا التشبيه مما ورد في القرآن الكريم من تشبيه نساء الجنة باللؤلؤ المكنون ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾(١) ..

.. وقد ورد في الشعر الجاهلي تشبيه المرأة بالدرة المكنونة .. كما في قول النابغة:

أو درةٍ صدفيــةٍ غواصُهـــا
بَهِجٌ متي يرها يُهِلُّ ويسجُدِ (٢)

فهو يشبه المرأة بالدرة في الصدف ، أي مكنونة .. ولكن تشبيه القرآن ، بالدرة المكنونة لم يرد على بلاغته أي بيت ، حيث بيّن سبحانه أن الحور العين كأمثال اللؤلؤ المكنون .. ولذا فإن الشاعر المسلم في تشبيهه استلهم الصورة القرآنية ، فشبه المرأة بالدرة المكنونة في الصدف ، ولكنه زاد في تشبيهه ذكر الصدف الذي يحفظ في الدرة ..

وأخراً يلحظ أن التشبيه في شعر وصف الجنة قد ورد أعظمه في شعر الغزل في العصر الأموي .. وأكثر صوره إنما جاءت في تصوير تعلق الشعراء بنساء الدنيا ووصف جمالهن ومفاتنهن وتشبيههن بالحور العين اللاتي وصف القرآن الكريم جمالهن على أتم وأكمل صورة في الخلق والخلق ... وتصوير نساء الدنيا بصور الحور العين يعد من شعراء الغزل الإسلاميين انحداراً مادياً إلى الملذات الدنيوية فحسب ، فهم لم يتصوروا نعيم الجنة إلا من ناحية الربط بين نساء الدنيا بنساء الجنة ، مع أن العلاقة بينهما متفاوتة في المنزلة والدرجات ، حيث لايمكن أن ترقي نساء الدنيا إلى منزلة التشابه والتساوي بالحور العين في الجنة . لذا فإن تصوير نعيم الجنة في الشعر الإسلامي لم يرق إلى المستوي الفني البليغ في القرآن الكريم .. وذلك أن الشعراء ـ وخاصة شعراء الغزل ـ قصر أفق تصورهم فقصروه على أكثر ما يؤثر في مشاعرهم ، وكأنما هم بذلك يصورون لأنفسهم أنهم حصلوا على نعيم الجنة المتمثل في الحور العين اللاتي شبهوا بهن من تعلقت بهن نفوسهم من نساء الدنيا ..

---

(١) سورة الواقعة ، الآيتان : ٢٢ ـ ٢٣ .
(٢) ديوان النابغة الذبياني ، جمع وتحقيق محمد الطاهر ابن عاشور ص ٩٦ .

## المبحث الثاني

## الكناية في شعر وصف الجنة

وردت الكناية في أبيات قليلة من هذا الشعر ، أغلبها يكني فيها الشعراء عن الجنة أو عن صفة من صفاتها .. وقد لوحظ أن أكثر كنايات الشعراء الإسلاميين عن الجنة وردت عن طريق ذكر صفة الخلود فيها ، كما وردت الكنايات عن صفاتها عن طريق ذكر ألوان النعيم والمسرات فيها .. ويدل هذا الترديد لصفتي الخلود والنعيم للجنة على تعلق تفكير الشاعر المسلم بما تميزت به الجنة من النعيم المقيم الخالد .. ذلك أن النعيم واللذائذ من أهم ما تتعلق به النفس وتتمسك به .. فإذا علمت النفس المؤمنة أن ما هي فيه من نعيم لايزول ولايحول ، وإنما هو دائم مقيم .. ولهم فيه الخلود والدوام .. إذا علمت هذا فإنها تطمئن فلا ينتابها خوف الزوال ولاحزن على الحرمان .. وقد بشر الله أهل الجنة بالأمن من الخوف والحزن في آيات عدة .. كما في قوله تعالى :

﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [1] ..

.. مما يبين سبب تعلق الشعراء المسلمين بصفتي النعيم والخلود في الجنة .. فهي الداعية إلى الأمن والأمان من الخوف والحزن كما بين عز وجل ..

ولدراسة الكناية في شعر وصف الجنة ينبغي تقسيمها قسمين :

أولهما الشعر المتضمن كناية عن موصوف ، والثاني الشعر المتضمن كناية عن صفة .

---

(١) سورة الأعراف ، من الآية : ٤٩ .

## ( أ ) الشعر المتضمن كناية عن موصوف :

وهو الشعر الذي كني فيه الشعراء الإسلاميون عن الجنة بصفات متعددة أهمها صفة الخلود فيها ، حيث أطلقوا على الجنة اسم دار الخلود ومنازل الخلد ، والخلد، ومنزلة المقيم الخالد .. ويتلو صفة الخلود في الجنة صفة النعيم المقيم الخالد .. ثم صفات أخري تدل على ألوان الترف والمسرات التي يتمتع بها أهل الجنة ..

فمن الأبيات التي كني فيها الشعراء عن الجنة بدار الخلد ، قول حسان ابن ثابت في يوم بني قريظة :

فصار المؤمنون بدار خلـدٍ

أقام لها بها ظل ظليل [١]

حيث أطلق الشاعر على الجنة اسم دار الخلد .. لبيان أن الجنة لما كان ما فيها من أنواع المتع خالدة دائمة لاتنقطع عن أهلها ، ولا تنفد من بين أيديهم .. ولما كان أهلها قد كتب لهم الخلود فيها ، فلا يخرجون منها أبداً .. فإنها استحقت أن تسمي بدار الخلد .. أي كل ما فيها خالد فهي مكان الخلد ..

ويلحق بقول حسان بن ثابت في الكناية عن الجنة ، قول قطري بن الفجاءة :

أُقارِعُ عن دار الخلودِ ولا أرى

بقاءً عن حالٍ لمن ليس باقيا[٢]

فهو يطلق على الجنة اسم دار الخلود بالكناية عنها بصفة الخلود فيها .. مع مقارنة الجنة مع الحياة الدنيا التي لاخلود ولابقاء فيها أبداً .

ومما كني فيه الشعراء عن الجنة بصفة الخلود قول جرير بن عطية :

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٣٢٧ .

(٢) شعر الخوارج ، جمع وتقديم د. احسان عباس ص ١١١ ، الطبعة الثالثة ١٩٧٤م .

سوّستم الملكَ في الدنيا ومنزلُكم

منازلُ الخلدِ زانتها الأكاويب [1]

حيث كني عن الجنة باسم « منازل الخلد» مستعملاً صفة الخلود فيها .. ولكنه وصف الجنة بقوله «زانتها الأكاويب» ، مبيناً اهتمامه وتركيزه على الأكواب التي ورد وصفها في آيات القرآن الكريم ، فهو يري أن زينة الجنة كانت بالأكواب المصفوفة فيها معدة لشراب أهلها ..

ومن الشعر الإسلامي الذي كني فيه الشعراء عن الجنة بصفة الخلد قول الجعد بن ضمام الدوسي في رثاء صالح بن مسرح :

أيا عينُ فابكي صالحاً إن صالحاً

شري نَفْسَهُ للهِ يبغي بها الخُلْدا [2]

فهوي يسمي الجنة باسم (الخلد) وفي استعمال المصدر «الخلد» للكناية عن الجنة ، دلالة على ما استقر في خيال الشاعر المسلم من أهمية الخلود في نعيم الجنة، مما دعاه إلى إطلاق اسم الخلد دالاً به على الجنة لبيان أنه أهم صفاتها التي بينها القرآن الكريم ..

ومن كناية الشعراء الإسلاميون عن الجنة بصفة الخلد ، قول جرير بن عطية الخطفي في مدح المهاجر بن عبدالله :

مستبصرٌ فيها على نورِ الهُدى

أبشرْ بمنزلةِ المقيمِ الخالدِ [3]

حيث كني عن الجنة بقوله : «منزلة المقيم الخالد» ليدل على تعمق فكرة الخلود في باطن الشاعر المسلم .. فهو لا يذكر اسم الجنة ، وإنما يكتفي في الدلالة

---

(١) ديوان جرير ، بشرح محمد بن حبيب ج ١ ص ٣٥٠ .

(٢) شعر الخوارج ص ١٧٨ .

(٣) ديوان جرير ج ٢ ص ٦٣٩ .

عليها بيان أنها منزل الإقامة والخلود لأهلها ..

وفي عبارة الشاعر بيان بأن الجنة تتميز بكون ما فيها من أنواع النعيم خالداً باقياً لايزول ، وتتميز بأنها منزل الخلود والإقامة الدائمة لكل من قدر له دخولها ..

ويلحظ في كنايات الشعراء التي أشرنا إليها ، أن قصد الشعراء فيها بيان صفة الخلد في الجنة .. إلا أن صورهم اختلفت وأساليبهم تنوعت في بيان هذه الصفة ، حيث قالوا عن الجنة : «دار خلد» فأضيفت الدار إلى الخلد ، وهو مصدر خلد ، وقالوا «دار الخلود» بصيغة أخري للمصدر .. لتبين الإضافة أن الجنة هي مكان الخلود العظيم .. التي يحل فيها فلا يتحرك عنها ولايزول ، وقالوا : «منازل الخلد» ليدلوا على أنها منازل عديدة يحل فيها الخلد بياناً لعظمة الخلد وسعة الرحمة فيها..

وأطلقوا على الجنة اسم «الخلد» بالمصدر ليدل على أنها هي الخلد ذاته مبالغة في وصفها بهذه الصفة .. وقالوا عن الجنة إنها : «منزلة المقيم الخالد» لبيان أن الجنة ليست هي الخلد ذاته فحسب بل إن كل من دخلها يكتسب الخلود والإقامة فيها على الدوام .. وفي هذه الصورة المتنوعة في التعبير عن صفة الخلود في الجنة مزية بلاغية دقيقة ، تدل على سعة أفق الشاعر المسلم وخصوبة خياله في تنويع الصور وتغيير طرائقها وهي تعبر عن معني واحد .. وهذه هي الطريقة المتبعة في صور الكناية المعروفة في الشعر العربي ، حيث يبدو المعني الواحد في صور متعددة متغيرة.. حتي تنفذ ـ كما قال الدكتور محمد أبو موسي ـ من خلال هذه الصور المختلفة التي تعطي كل صورة منها صورة خاصة للمعني ، لأن للمعاني كما للأشياء صوراً وأشكالاً وخصائص [(١)] ...

ومن الكناية عن الجنة بصفة النعيم الدائم فيها قول سابق البربري في الوعظ :

وتطلب في الدنيا المنازل والعُلا

وتنسي نعيماً دائماً لاتزايله [(٢)]

---

(١) انظر التصوير البياني ص ٣٨٠ .

(٢) سابق البربري والاتجاه الإسلامي في شعره ، رسالة مخطوطة ، ورقة ١٥٥ .

حيث بين الشاعر سفه الإنسان الغافل ، وقلة عقله في سعيه وراء ملذات الحياة الدنيا ومفاتنها الزائلة .. مع إعراضه عن طلب النعيم الدائم المقيم الذي أعده الله ـ سبحانه ـ للمؤمنين في جنات النعيم .. فكني عن الجنة بصفة النعيم المقيم الدائم فيها، بقرينة ذكره سعي الإنسان لتحصيل ما في الدنيا من متاع زائل .. مؤكداً أن نعيم الجنة هو المستحق للسعي الحثيث في تحصيله وذلك بوصفه بقوله : «نعيماً دائماً لاتزايله» ..

ومما كني فيه الشعراء الإسلاميون عن الجنة بصفة النعيم الدائم قول أبي الأسود الدؤلي :

أُرجي بذلك حـوض الرسـو

لِ والفوزَ والنعمةَ الدائمةْ (١)

حيث كني عن الجنة بصفة الفوز والنعمة الدائمة .. مبيناً أن دخول الجنة يعني الفوز بالنعيم الدائم والحظوة بالشرب من حوض الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة متأثراً بقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «أنا فَرَطكم على الحوض من ورده شَرِبَ منه ومن شَرِبَ منه لم يظمأ بعده أبداً ، ليردنَ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يُحال بيني وبينهم» (٢) ...

## ( ب ) الشعر المتضمن كناية عن صفة :

وهو الشعر الذي كني فيه الشعراء عن صفات النعيم في الجنة ، وذلك قول كعب بن مالك :

عن الحقِّ حتي غَدَتْ رُوحهُ

إلـي منزلٍ فاخرِ الزِّبْرِجِ (٣)

---

(١) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، ص ٢٧٥

(٢) صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٩ ، كتاب الفتن ٢

(٣) ديوان كعب بن مالك ، دراسة وتحقيق : سامي مكي العاني ص ١٨٨ .

فهو يصف الجنة بأنها فاخرة الزبرج .. ليدل على كمال الترف والنعيم فيها ، ذلك أن الزبرج : هو الوشي والزينة [1] .. فإذا كانت الجنة فاخرة الوشي والزينة فإن هذا دلالة على فخامة ما فيها من ألوان المتع ، ولهذا فإنه كني عن هذه الصفة في الجنة بقوله «فاخر الزبرج» ..

ومما كني فيه الشعراء عن صفة الجنة قول حسان بن ثابت في يوم قريظة :

فصارَ المؤمنون بـدارِ خُلْـدٍ
أقام لها بها ظِلٌّ ظليلُ [2]

ففي الشطر الأول كناية عن موصوف وهو الجنة ، وفي الشطر الثاني كناية عن صفة .. حيث وصف الجنة بامتداد الظل في قوله : «أقام لها بها ظل ظليل» ..وامتداد الظل فيها إشارة إلى ما في الجنة من المناخ المعتدل والجو اللطيف والنسيم العليل والضياء المنير .. فكني عن هذه الصفة بذكر الظل الظليل .. وهو في هذه الصفة للجنة مستلهم أسلوب القرآن الكريم في وصفها ..

(١) انظر لسان العرب ج ١ ص ٢٨٥ ، مادة زبرج .
(٢) ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ٣٢٧ .

# الخاتمة

# الخاتمة

وبعد : فهذا ما لديّ في وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره على الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي ... وفيه بذلت ما لديّ من جهد وطاقة ، لتكون الدراسة مستوفية لكل ما جاء في وصف الجنة من آيات قرآنية كريمة ، ولتتجلي صورة الجنة في وضوح يتناسب مع ما جاء من وصفها في القرآن الكريم .. ولتتبين بعض الأسرار البلاغية ، والنكت الدقيقة في التعبير القرآني .. ولتظهر آثار الإعجاز القرآني على شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي .

وقد أظهرت دراسة آيات وصف الجنة ، وتجميعها حسب موضوع كل لون من ألوان النعيم بعض الحقائق التي أبرزت سر الإعجاز القرآني ... حيث إن دراسة أسماء الجنة وحقيقة عددها في القرآن بينت أن الأعلام الدالة على الجنة هي : جنات عدن ـ جنات النعيم ـ جنة المأوي ـ جنات الفردوس ...

كما بينت دراسة أسماء الجنة أن للمؤمن جنات عديدة وليس جنة واحدة ... مما يشير إلى سعة وعظمة الجنة التي وعد بها الله عز وجل عباده المتقين .

ووضح من المقارنة بين آيات وصف الجنة المدنية والمكية ، أن الوصف المجمل ورد كثيراً في الآيات المدنية ، بينما كان الوصف المفصل فيها أقل كثيراً مما ورد في الآيات المكية ... كما أن أسماء الجنة كلها قد وردت في الآيات المكية ، بينما ورد عدد قليل منها في الآيات المدنية ، كما ورد لفظ الجنة باسم الجنس بالتعريف والتنكير كثيراً في الآيات المدنية ... مما يدل على أن الآيات المدنية إحالة إلى ما سبق ذكره ووصفه في الآيات المكية .

كما دلت الدراسة في الباب الأول وهو الوصف الحسي للجنة أن الوصف المجمل للجنة كان أقل كثيراً من الوصف المفصل .. وأكثر ما ورد من وصف الجنة المجمل هو وصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار ... بل إن ذكر الجنة في القرآن يقترن كثيراً بوصفها بأنها تجري فيها الأنهار ... أما الوصف المفصل للجنة فقد كثرت الآيات الدالة عليه ، وفصلت كثيراً منه في أدق تفاصيله ... بل إنها جلّت لنا الجنة

ووضحتها، فوصفت كل ما يتعلق بالاحتياجات الحسية ، التي يعرف الناس في حياتهم الدنيا ضرورتها لهم ، لتقرب وصفها للإدراك البشري بما يعرفونه في الحياة الدنيا ... أما حقيقة هذه المتع الحسية التي بينها الله ـ عز وجل ـ ، فإنها مما لا يعلمه إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ كما أن وصف الله تعالى لألوان المتاع الحسي في الجنة ، إنما هو احتراز عن مشابهتها بما هو من اسمها في الحياة الدنيا ، ذلك أنه ليس شيء مما في الجنة ، يشابه ما في الدنيا إلا في الأسماء ...

أما الباب الثاني في هذه الدراسة وهو الخاص بوصف النعيم الروحي في الجنة، فإنه أبرز بدراسة آياته أن اهتمام الخالق ـ عز وجل ـ بالنعيم الروحي في وصف الجنة ، لا يقل عن اهتمامه بوصف النعيم الحسي ... بل إن الآيات الكريمة تقرن معظمها بين آثار النعيم الحسي على وجوه وأرواح أهل الجنة ، كما أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقرن في آيات وصف الجنة دائماً بين نعيم الحس ونعيم الروح .

أما الباب الثالث في هذه الدراسة وهو الخاص بدراسة وتصنيف الشعر الإسلامي المتأثر بوصف الجنة في القرآن . فإن الدراسة فيه أبرزت أن كمية الشعر المتأثر بوصف الجنة في القرآن في عصر صدر الإسلام ، العصر الأموي تعدُّ قليلة بالنسبة لما كان يُعتقد ، فقد كان الاعتقاد أن الشعراء الإسلاميين أكثر تأثراً بوصف الجنة في القرآن .. وإنما أثبتت الدراسة أن عدداً كبيراً من شعراء هاتين الفترتين ، لم يرد في دواوينهم شيء من الشعر المتأثر بوصف الجنة [١] .

كما بينت الدراسة أن الشعراء الإسلاميين لم يصلوا في تأثرهم بآيات وصف الجنة إلى المستوي البلاغي الرفيع ، الذي يتناسب مع ما في الآيات القرآنية الكريمة من براعة التصوير ، ودقة الاختيار في الألفاظ ، وروعة النسق الفني .

وبينت هذه الدراسة أن الشعراء الإسلاميين قد اقتبسوا كثيراً من ألفاظ آيات وصف الجنة ، وتأثروا بالصور البيانية التي وردت فيها ، ومع هذا فإن الشعراء الإسلاميين لم يقتصروا على الاتباع في تأثرهم بالآيات الكريمة ، وإنما ابتدعوا كثيراً

(١) انظر فهرس المصادر والمراجع ، قائمة الدواوين التي لم يرد فيها شعر لوصف الجنة أو ذكرها ، ص ٧٨٢ .

من الألفاظ والصور البيانية ، والتعبيرات ، مما يدل على تحرر خيال الشاعر المسلم ، من قيود الاتباع فقط ، كما يحاول المغرضون أن يشيعوا عن الشعر الإسلامي .

ودلت دراسة الشعر الإسلامي المتأثر بوصف الجنة في القرآن الكريم ، أن شعراء صدر الإسلام في عصر النبوة والخلفاء الراشدين كانوا أكثر ذكراً للجنة وتأثراً بأوصافها المجملة التي وردت في القرآن الكريم .. ويتبعهم في هذا المنهج شعراء الخوارج من العصر الأموي . أما بقية شعراء عصر بني أمية ، فإن تأثرهم كان أقل .. ووصفهم المفصل للجنة أكثر من الأوصاف المجملة ... كما أن شعراء الغزل في عصر بني أمية قد انحصر أكثر تفكيرهم في وصف نساء الدنيا بصفات نساء الجنة ، وبتشبيه المرأة من نساء الدنيا بالجنة .

وبينت دراسة التصوير البياني لشعر وصف الجنة أن أكثر الصور البيانية وضوحاً فيه التشبيه والكناية .. وقد نجح بعض الشعراء في تأثرهم بالصور البيانية في الآيات الكريمة لوصف الجنة ... وابتكر بعضهم صوراً جديدة لم تأت في آيات الكتاب الحكيم ... مما يدل على قدرة الشاعر المسلم على التصرف فيما تأثر به من آيات الكتاب الكريم ، والاستفادة منه في توجيه الشعر الإسلامي وجهة دينية تقصد الدعوة إلى الإسلام ، والترغيب فيما أعده الله لعباده المؤمنين من ألوان المتاع في الآخرة ... والتشويق إلى الجنة والتطلع إلى الفوز العظيم فيها ... لذا يوصي البحث إلى زيادة الاستفادة مما في آيات الكتاب الكريم من تصوير للنعيم والعذاب في الآخرة . لتوجيه الشعر الإسلامي إلى الدعوة عن طريق الترغيب والترهيب ...

ويمكن لباحثين آخرين أن يتناولوا تأثر الشعر الإسلامي عير العصور بوصف الجنة في القرآن ، حتي العصر الحديث ، لتمتد حلقات الأدب الإسلامي ويتبين عمق تأثير الإسلام في الشعر العربي .

وحسبي أن أوضحت في هذا البحث صورة الجنة في القرآن وروعة التصوير القرآني لهذا النعيم المقيم ليكون ذلك سبباً لتذوق الإعجاز القرآني والانبهار ببلاغة القرآن .

وعلى الله قصد السبيل وهو نعم المولي ونعم النصير ،،،

# الفهـارس

# فهرس الشعر

| القافية | البحر | الشاعـــر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| وعفاءُ | الكامل | زهير بن أبي سلمى | |
| أترابًا | الكامل | الوليد بن يزيد | |
| وطيبَها | الكامل | جحدر بن معاوية | |
| بالمراهِبِ | مشطور الرجز | غلام أزدي | |
| والمراتبِ | مشطور الرجز | غلام أزدي | |
| طيِّب | المتقارب | النابغة الجعدي | |
| شاهبِ | الطويل | أبو صخر الهذلي | |
| من الذهبِ | البسيط | الأصم الضبي | |
| أترابِ | الكامل | عمر بن أبي ربيعة | |
| يا أترابى | الخفيف | عمر بن أبي ربيعة | |
| أتراب | الخفيف | عمر بن أبي ربيعة | |
| أبو الخطابِ | الكامل | عمر بن أبي ربيعة | |
| واقترابُها | مشطور الرجز | جعفر الطيار | |
| شرابُها | مشطور الرجز | جعفر الطيار | |
| يرغَبُ | مشطور الرجز | ناجيه بن جندب | |
| ومشربُ | مشطور الرجز | ناجيه بن جندب | |
| معجبُ | مشطور الرجز | ماجيه بن جندب | |
| الأكاويبُ | البسيط | جرير بن عطية | |
| والشنبُ | البسيط | الكميت بن زيد | |
| مثقَبُ | الكامل | ساعده بن جؤية | |
| المعجبُ | الكامل | منسوب إلى على بن أبي طالب | |
| يتقربُ | الكامل | منسوب إلى على بن أبي طالب | |

| القافية | البحر | الشاعـــر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| لا تخربُ | الكامل | منسوب إلى على بن أبي طالب | |
| لا تسلُبُ | الكامل | منسوب إلى على بن أبي طالب | |
| بالقفراتِ | الطويل | محمد بن عبد الله النميرى | |
| جناتِ | البسيط | امرأة تميمية | |
| صليتِ | الرجز | عبد الله بن رواحة | |
| هُديتِ | الرجز | عبد الله بن رواحة | |
| الأثايثْ | مشطور السريع | رؤبة بن العجاج | |
| الأواعثْ | مشطور السريع | رؤبة بن العجاج | |
| طامثْ | مشطور السريع | رؤبة بن العجاج | |
| جثاجثْ | مشطور السريع | رؤبة بن العجاج | |
| ازعاجاً | الرجز | القعقاع بن عمرو | |
| ثجّاجاً | الرجز | القعقاع بن عمرو | |
| أفواجاً | الرجز | القعقاع بن عمرو | |
| شريجا | مشطور الرجز | العجّاج | |
| بهيجاَ | مشطور الرجز | العجّاج | |
| مزيجاَ | مشطور الرجز | العجّاج | |
| مثلوجاَ | مشطور الرجز | العجّاج | |
| ضجوجا | مشطور الرجز | العجّاج | |
| أجيجا | مشطور الرجز | العجّاج | |
| والمخرجِ | المتقارب | كعب بن مالك وحسان بن ثابت | |
| الولجِ | المتقارب | كعب بن مالك وحسان بن ثابت | |
| لم يحنجِ | المتقارب | كعب بن مالك وحسان بن ثابت | |

| القافية | البحر | الشاعر | الصفحة |
| --- | --- | --- | --- |
| الخلْدُ | البسيط | حسان بن ثابت | |
| الخلْدَ | الطويل | حسان بن ثابت | |
| والقصدِ | الطويل | حسان بن ثابت | |
| الخلْدُ | السريع | عمر بن أبي ربيعة | |
| الخلْدَ | الطويل | مجنون ليلي وجميل بثينة | |
| الخلْدَ | الطويل | العُديل بن الفرخ العِجْلي | |
| الخالدِ | الكامل | جرير | |
| بواجدِ | الطويل | مجنون ليلى | |
| زادِ | الرجز | عمير بن الحمام | |
| المعادِ | الرجز | عمير بن الحمام | |
| الجهادِ | الرجز | عمير بن الحمام | |
| ويسجدِ | الكامل | النابغة الذبياني | |
| أحمدِ | الرجز | منسوب إلى على بن أبي طالب | |
| موردى | الرجز | منسوب إلى على بن أبي طالب | |
| زادِ | الرجز | عمير بن الحمام | |
| المعادِ | الرجز | عمير بن الحمام | |
| الجهادِ | الرجز | عمير بن الحمام | |
| نَحْمَدُ | الطويل | حسان بن ثابت | |
| يخلَّدُ | الطويل | حسان بن ثابت | |
| أخلُدُ | الطويل | حسان بن ثابت | |
| وأُجْهَدُ | الطويل | حسان بن ثابت | |
| مخلَّدُ | الكامل | كعب بن مالك | |

| القافية | البحر | الشاعـــر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| وتخليدُ | البسيط | الأخطل | |
| خُلُدُ | المنسرح | طريح بن إسماعيل الثقفي | |
| ممدودُ | البسيط | ذو الرمة | |
| وسعيدُ | الخفيف | النعمان بن بشير الأنصاري | |
| قعودُ | الخفيف | النعمان بن بشير الأنصاري | |
| ومِدُ | البسيط | الراعي النميري | |
| صيدُ | البسيط | الراعي النميري | |
| يستفيدُها | الطويل | كثير عزة | |
| خلودُها | الطويل | كثير عزة | |
| الصلودُ | الوافر | جرير | |
| سودُ | الوافر | جرير | |
| الخلودُ | الوافر | جرير | |
| الحصيدُ | الوافر | جرير | |
| نضيدُ | الوافر | جرير | |
| سَعِدُوا | البسيط | منسوب إلى على بن أبي طالب | |
| شَهِدُوا | البسيط | منسوب إلى على بن أبي طالب | |
| المفرْ | مشطور الرجز | ضرار بن الأزور | |
| المستقرْ | مشطور الرجز | ضرار بن الأزور | |
| مطهّرَا | الطويل | عبد الرحمن بن جمانة | |
| جرًّا | الوافر | يحيى بن عروة بن الزبير | |
| قرارَها | الطويل | العيزار بن الأخنس الطائي | |
| أبكارَا | مشطور المنسرح | العجّاج | |

| القافية | البحر | الشاعر | الصفحة |
| --- | --- | --- | --- |
| خفارَا | مشطور المنسرح | العجّاج | |
| منثورَا | الكامل | الشمردل اليربوعي | |
| ودمّرا | الطويل | منسوب إلى أبي بكر الصديق | |
| أخضرا | الطويل | منسوب إلى أبي بكر الصديق | |
| وعنبرا | الطويل | منسوب إلى أبي بكر الصديق | |
| في خسارِ | مجزوء الرمل | الوليد بن يزيد | |
| بالنارِ | البسيط | قمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمى | |
| إلي نارِ | البسيط | ابن امرأة من عبد القيس | |
| في النارِ | البسيط | أميمة امرأة بن الدمينة | |
| مهاجريّا | الوافر | أبو الأسود الدؤلي | |
| وزيرِ | الطويل | حسان بن ثابت وصفية بنت عبد المطلب | |
| وسرورِ | الطويل | حسان بن ثابت وصفية بنت عبد المطلب | |
| وإقتارِ | البسيط | الحسن بن محمد بن علي | |
| المسافرِ | الطويل | الرهن بن سهم المرادي | |
| وأنهارِ | البسيط | حبيب بن خدرة | |
| مشكورِ | البسيط | الفرزدق | |
| الذكرِ | الكامل | الفرزدق | |
| قَدْرِ | الكامل | الفرزدق | |
| خَصْرِ | الكامل | الفرزدق | |
| القهرِ | الكامل | الفرزدق | |
| يطيرُ | الطويل | الأعرابي في ابن الطيار | |
| والتمرُ | الطويل | حكيم بن قبيصة الضبي | |

| القافية | البحر | الشاعـــر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| يتكسرُ | الطويل | حسان بن ثابت | |
| النارُ | الطويل | أبو زبيد الطائي | |
| أخضرُ | الطويل | حسان بن ثابت | |
| ولا تذرِ | البسيط | عامر بن قيس | |
| أنهارُ | الكامل | حبيب بن خدرة الهلالي | |
| الأبرارُ | الكامل | حبيب بن خدرة الهلالي | |
| الضرارُ | الوافر | الفرزدق | |
| جعفرِ | الرجز | منسوب إلى على بن أبي طالب | |
| مفخرِ | الرجز | منسوب إلى على بن أبي طالب | |
| بالفسفسِ | الكامل | أيمن بن خريم | |
| الحندسِ | الكامل | أيمن بن خريم | |
| النفسِ | البسيط | حسان بن ثابت | |
| يبخسِ | الطويل | منسوب إلى أبي بكر الصديق | |
| أفلسُ | الطويل | منسوب إلى أبي بكر الصديق | |
| وسندسِ | الطويل | منسوب إلى أبي بكر الصديق | |
| حرقوصَا | البسيط | الرهين بن سهم المرادي | |
| ولا تدعْ | البسيط | عامر بن عبد قيس | |
| بلاقعِ | الطويل | حسان بن ثابت | |
| مطيعِ | الطويل | حسان بن ثابت | |
| سريعِ | الطويل | حسان بن ثابت | |
| فارتفعوا | البسيط | الأخطل | |
| فزعُ | البسيط | الأخطل | |

| القافية | البحر | الشاعـــر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| موضعُ | الكامل | الوليد بن يزيد | |
| يهجعوا | الكامل | الوليد بن يزيد | |
| فتصدّعوا | الكامل | الوليد بن يزيد | |
| الأكارعُ | الطويل | مجنون ليلي | |
| ساطعِ | الطويل | ي٦٨٣مجنون ليلى | |
| يهجعِ | الطويل | منسوب إلى على بن أبي طالب | |
| يطمع | الطويل | منسوب إلى على بن أبي طالب | |
| عارفِ | الطويل | مجهول لسيدي الأوس | |
| رفارفِ | الطويل | والخزرج | |
| المذاف | الوافر | منسوب إلى أبي بكر الصديق | |
| بالسلافِ | الوافر | منسوب إلى أبي بكر الصديق | |
| من يصفُ | البسيط | عدي بن الرقاع العاملي | |
| عطفُ | البسيط | عدي بن الرقاع العاملي | |
| غُرَفُ | البسيط | عدي بن الرقاع العاملي | |
| حتوفُ | الطويل | الحطيئة | |
| غَرَفُ | البسيط | جرير | |
| شَرَفُ | البسيط | جرير | |
| من صَدَقْ | مشطور الرجز | خالد بن الوليد | |
| من سبقْ | مشطور الرجز | خالد بن الوليد | |
| صادقَا | مشطور الرجز | مجهول | |
| المرتقَى | مشطور الرجز | مجهول | |
| الملتقَى | مشطور الرجز | مجهول | |

| القافية | البحر | الشاعر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| الأثقالاَ | مشطور المنسرح | العجّاج | |
| تظلالاَ | مشطور المنسرح | العجّاج | |
| الأهْدَالا | مشطور المنسرح | العجّاج | |
| عَجلاَ | الوافر | منسوب إلى أبي بكر الصديق | |
| الحُلَلاَ | الوافر | منسوب إلى أبي بكر الصديق | |
| الأشبُلِ | المتقارب | كعب بن مالك | |
| وأوصالِ | البسيط | أبو بلال مرداس بن | |
| البالى | البسيط | أدية | |
| الداخِلِ | السريع | حسان بن ثابت | |
| الهلاَلِ | الخفيف | عبيد الله بن قيس الرقيات | |
| غير قالِ | الخفيف | النابغة الجعدي | |
| الظلالِ | الخفيف | النابغة الجعدي | |
| لعلّي | مشطور المنسرح | أحد الخوارج يرتجز | |
| وظلّ | مشطور المنسرح | أحد الخوارج يرتجز | |
| الداخِلِ | السريع | حسان بن ثابت | |
| العوالى | الوافر | منسوب إلى على بن أبي طالب | |
| غير آلى | الوافر | منسوب إلى على بن أبي طالب | |
| السلسبيل | الوافر | منسوب إلى على بن أبي طالب | |
| ظليلُ | الوافر | حسان بن ثابت | |
| لا يزولُ | الوافر | حسان بن ثابت | |
| | | وكعب بن مالك | |
| | | وعبد الله بن رواحة | |

| القافية | البحر | الشاعـــر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ينزلُ | الطويل | منسوب إلى على بن أبي طالب | |
| لا تزايلُهْ | الطويل | سابق البربري | |
| مناهلُهْ | الطويل | سابق البربري | |
| سبيلٍ | الطويل | يزيد بن الطثرية | |
| ينزل | الطويل | منسوب إلى على بن أبي طالب | |
| خُدّامَا | البسيط | حسان بن جعدة | |
| والسلامَا | الوافر | جرير | |
| جهنمِ | الطويل | عمر بن أبي ربيعة | |
| مقامي | الطويل | جميل بن سعيد | |
| خُطامِ | الطويل | الفرزدق | |
| وأمامي | الطويل | الفرزدق | |
| وسلامِ | الطويل | الفرزدق | |
| سليمِ | الوافر | جنب بن عامر بن الطفيل | |
| حريمِ | الطويل | قطري بن الفجاءة | |
| ونعيمِ | الطويل | قطري بن الفجاءة | |
| النعيمِ | الوافر | معن بن أوس المزني | |
| المكارمِ | الطويل | الفرزدق | |
| بخيامِ | الكامل | مجهول | |
| كغلامِ | الكامل | مجهول | |
| نوّامِ | الكامل | مجهول | |
| مقامِ | الطويل | الفرزدق | |
| غير أثامِ | الطويل | الفرزدق | |

| القافية | البحر | الشاعـــر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| طعام | الطويل | الفرزدق | |
| المختَّمِ | الطويل | عمر بن أبى ربيعة | |
| نواعم | الكامل | عدي بن رفاع العاملي | |
| خِصام | الطويل | منسوب إلى علي بن أبي طالب | |
| بسلام | الطويل | منسوب إلى علي بن أبي طالب | |
| رحيم | الطويل | منسوب إلى علي بن أبي طالب | |
| ونعيم | الطويل | منسوب إلى علي بن أبي طالب | |
| السلام | الوافر | منسوب إلى علي بن أبي طالب | |
| زعيمها | الطويل | كعب بن مالك | |
| نعيمُها | الطويل | كعب بن عميرة | |
| سالمِ | الطويل | الفرزدق | |
| عالمِ | الطويل | الفرزدق | |
| رائم | الطويل | الفرزدق | |
| جهنمِ | الطويل | سحيم بن عبد بني الحساس | |
| يريمِ | الطويل | جرير | |
| محتزمِ | البسيط | زياد بن منقذ | |
| ينمِ | البسيط | زياد بن نتقذ | |
| جشمِ | البسيط | زياد بن منقذ | |
| خدمُ | البسيط | زياد بن منقذ | |
| والسلامُ | الوافر | منسوب إلى أبي بكر الصديق | |
| المقامُ | الوافر | منسوب إلي أبي بكر الصديق | |
| ندام | الوافر | منسوب إلي أبي بكر الصديق | |

| القافية | البحر | الشاعـــر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ولينا | البسيط | عمران بن حطان | |
| القادِرينا | الوافر | كعب بن مالك الأنصاري | |
| للصالحينا | الوافر | كعب بن مالك الأنصاري | |
| جيرانا | البسيط | الضحاك بن قيس الشيباني | |
| واطمئني | الخفيف | عمر بن أبي ربيعة | |
| وسنانِ | الطويل | الفرزدق | |
| جنانِ | الذويل | الفرزدق | |
| الجنانِ | الوافر | أبو جلدة اليشكري | |
| في الجنانِ | الوافر | مالك بن دينار | |
| مع الحسانِ | الوافر | مالك بن دينار | |
| نسرينِ | البسيط | مجهول | |
| وتفتينِ | البسيط | مجهول | |
| يأتيني | البسيط | مجهول | |
| عينِ | البسيط | مجهول | |
| الكنينِ | الكامل | عمر بن أبي ربيعة | |
| الجنانِ | الوافر | بشار بن برد | |
| العينِ | البسيط | منسوب إلى أبي بكر الصديق | |
| لتكرهنهْ | الرجز | عبد الله بن رواحة | |
| الرنهْ | الرجز | عبد الله بن رواحة | |
| الجنهْ | الرجز | عبد الله بن رواحة | |
| مطمئنهْ | الرجز | عبد الله بن رواحة | |
| في شنهْ | الرجز | عبد الله بن رواحة | |

| القافية | البحر | الشاعـــر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| المطيرهْ | مشطور الرجز | عبيد الله بن قيس الرقيات | |
| لتكرهنهْ | الرجز | عبد الله بن رواحة | |
| الجنهْ | الرجز | عبد الله بت رواحة | |
| بضاعهْ | الوافر | منسوب إلى علي بن أبي طالب | |
| ساعهْ | الوافر | منسوب إلى علي بن أبي طالب | |
| فاهاَ | الكامل | عدي بن الرقاع العاملي | |
| حماميا | الطويل | قطري بن الفجاءة | |
| داعيا | الطويل | مجهول | |
| باقيا | الطويل | مجهولى | |
| باقيا | الطويل | قطري بن الفجاءة | |
| راضيا | الطويل | صفية بنت عبد المطلب | |
| | | وأروي بنت عبد المطلب | |
| | | وأبو بكر الصديق | |
| لساكنيه | مخلع البسيط | امرأة تندب زوجها | |
| دانيا | الطويل | عبيدة بن الحارث | |
| عاليا | الطويل | عبيدة بن الحارث | |
| العواليا | الطويل | زياد بن الأعسم | |

# قائمة المصادر والمراجع

# قائمة المصادر والمراجع

## أولاً ـ مصادر الدراسة القرآنية :

### أ ـ المصادر الأساسية :

* القرآن الكريم :

* تفصيل آيات القرآن الكريم ، وضعه بالفرنسية : جول لابوم ويليه المستدرك ، إدوار مونتيه ، نقلها إلى العربية : محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الكتاب العربي لبنان .

* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .

* المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة ، وعن مسند الدارمي ، وموطأ مالك ، ومسند أحمد بن حنبل . رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ، ونشره د/ أ. ي ونسنك ، مكتبة بريل في مدينة ليدن ١٩٣٦م.

### ب ـ المصادر :

* الإصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ أحمد بن على بن محمد بن على الكناني ، ومعه الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، ج ٢ ، ٣ ، ٤ . المكتبة التجارية الكبري ـ مصر .

* إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس . تحقيق : الدكتور زهير غازي زاهد ، جـ : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ . عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية .

* البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، جـ: ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ . نشر: مكتبة ومطابع النصر الحديثة ـ الرياض .

* بدائع الفوائد : لإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، م : ١ ، جـ : ١ ، ٢ . دار الفكر .

* البرهان في توجي متشابه القرآن ، محمود بن نصر الكرماني ، تحقيق : عبد القادر عطا . دار الاعتصام .

* بصائر ذوي التمييز ، للفيروزابادي ، جـ ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، المكتبة العلمية ـ بيروت .
* تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، شرح ونشره : السيد أحمد صقر . المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة .
* تاج العروس ، للزبيدي ، جـ ٩ ـ مطبعة حكومة الكويت ١٣٩٧هـ .
* تذكرة بأحوال الموتي وأمور الآخرة ، وهو مختصر كتاب التذكرة ، للإمام أبي عبد الله القرطبي ، المكتبة الملكية ـ مصر .
* التفسير الكبير ، للفخر الرازي ، جـ : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٤ ، ٢٥ ، ٦ ، ٢٧ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
* تفسير النسفي ، المسمي بمدارك التنزيل وحقائق التأويل ، جـ ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ دار الكتاب العربي ـ بيروت .
* تفسير ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، السيد عبد العال السيد إبراهيم ، محمد الشافعي صادق العناني . الطبعة الأولي ١٤٠٢هـ . مؤسسة دار العلوم .
* تفسير أبي السعود ، المسمي إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي . جـ ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ . دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
* تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد صقر . دار الكتب العلمية ـ بيروت .
* تفسير الطبري ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، أحمد محمد شاكر الطبعة الثانية. جـ ١ ، ١٦ . دار المعارف ـ مصر .
* تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزري ، تحقيق : أ. على حسن هلابي ، أ. محمد على النجار . جـ ١ ، ١٠ .

* جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، جـ ٣ ، ٥، ٧، ٩، ١١، ١٣، ١٧، ٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٠ . دار الفكر .

* الجمان في تشبيهات القرآن ، لابن ناقيا البغدادي ، تقيق د/ مصطفي الجويني . نشر : منشأة المعارف ـ الإسكندرية .

* حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لابن قيم الجوزية ، صححه وعلق عليه : محمود سن ربيع ، الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م ، نشر مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ـ مكة المكرمة . وطبعة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

* حاشية الشهاب ، المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي . جـ ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧ ، ٨ دار صادر .

* حروف المعاني والصفات ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، تحقيق: د/ حسن شاذلي فرهود . دار العلوم ١٤٠٢هـ.

* حلية الأولياء ، لأبي نعيم ، جـ ١ ، ٢ . دار الكتاب العربي ـ بيروت .

* درة التنزيل وغرّة التأويل ، للخطيب الإسكافي ، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني ، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

* روح المعاني ، للآلوسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي جـ ١ ، ٣، ٤ ، ٥، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩ .

* سنن ابن ماجة ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة . تقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . جـ ١ . دار إحياء التراث العربي .

* سنن الترمذي ، لأبي عيسي ممد بن عيسي ، تحقيق وشرح : أمد محمد شاكر ، جـ: ٤ ، ٥ . دار إحيء التراث العربي ـ بيروت .

* شرح قطر الندي وبل الصدي ، لابن هشام ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الحادية عشرة ١٣٨٣هـ. مطبعة السعادة ـ مصر .

* الصحاح ، للجوهري ، تقيق أحمد عبد الغفور عطار . ج : ٥ . الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

* صحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . جـ : ١ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ . دار أحياء التراث العربي ـ بيروت .
* صحيح مسلم بشرح النووي ، للإمام مسلم والإمام النووي . جـ ١٣ ، ١٧ . دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
* طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لابن قيم الجوزيه ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
* القاموس المحيط ، للفيروزابادي ، جـ ١ ، ٢ ، ٤ . دار الجيل ـ بيروت .
* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجو التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، جـ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ . دار المعرفة ـ بيروت .
* لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، جـ : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، دار صادر بيروت.
* مجاز القرآن ، صنعه أبي عبيدة معمر بن المثني ، عارضه بأصوله وعلّق عليه د/ محمد فؤد سزكين ، جـ : ١ ، ٢ ، مكتبة الخانجي .
* معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء ، جـ ١ ، ٢ ، ٣ ، عالم الكتب ـ بيروت .
* معاني القرآن وإعراب ، لأبي إسق إبراهيم بن السري الزجاج ، شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي ، جـ : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، عالم الكتب .
* معاني القرآن الكريم ، للإمام أبي جعفر النحاس ، تحقيق الشيخ محمد على الصابوني ، جـ : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، الطبعة الأولي ، طبعة جامعة أم القري .
* معجم مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفاني ، تحقيق : نديم مرعشلي ، دار الفكر .
* مسند الإمام أحمد بن حنبل ، جـ : ٢ ، ٤ ، ٥ ، دار صادر ـ بيروت .
* المصباح المنير ، لأحمد بن محمد بن على الفيومي ، دار المعارف ، مصر .
* مغني اللبيب عن فن الأعاريب ، لابن هشام الأنصاري ، وبهامشه حاشية محمد الأمير ، جـ ١ ، دار إحياء الكتب العربية .

## جـ ـ المراجع :

* أهوال القيامة ، تأليف : عبد الملك على الكليب ، الطبعة الثامنة ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، مكتبة الكوثر ـ الرياض .
* تفسير المراغي ، للأستاذ : أحمد مصطفي المراغي ، دار الفكر .
* التصوير البياني ، للدكتور محمد أبو موسي ، مكتبة وهبة .
* التصوير الفني في القرآن ، للأستاذ : سيد قطب ، الطبعة الثامنة ، دار المعارف ـ مصر .
* الجزاء ـ الجنة ـ النار ، تأليف : نعمت صدقي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ، دار الاعتصام .
* الجنة نعيمها والطريق إليا ، تأليف : على حسن على عبد الحميد ، الطبعة الأولي، ١٤٠٥هـ، المكتبة الإسلامية ـ عمان الأردن .
* حياة أهل الجنة ، تأليف : محمود شلبي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، دار الجيل .
* خصائص التراكيب ، للدكتور محمد أبو موسي ، مكتبة وهبة .
* الدار القرار في البيان القرآني ، دراسة موضوعية ، تأليف : د/ حامد صادق قنيبي ، الطبعة الأولي ـ دار الإصلاح .
* سورة الرحمن وسور قصار ، للدكتور : شوقي ضيف ، دار المعارف ـ مصر .
* العقيدة في ضوء الكتاب والسنة ، للدكتور : عمر سليمان الأشقر ، جـ: ٣ ، اليوم الآخر الجنة والنار ، الطبعة الأولي ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، مكتبة الفلاح ـ الكويت .
* في ظلال القرآن ، للأستاذ سيد قطب . دار العلم للطباعة والنشر ـ جدة .
* مشاهد القيامة في القرآن ، للأستاذ سيد قطب ، الطبعة الشرعية السابعة ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، دار الشروق ـ بيروت .

* معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية ، جـ ١ ، ٢ ، دار المعارف ـ مصر .
* نعيم الجنة في القرآن والسنة ، تأليف عبد اللطيف عاشور ، الطبعة الأولي ـ مكتبة القرآن ـ القاهرة .
* اليوم الآخر في ظلال القرآن ، جمع وإعداد : أحمد فائز ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م ، مؤسسة الرسالة .

## ثانيًا :

### أ ـ مصادر الدراسة الأدبية :

* أشعار أبي بكر الصديق ، عني بنشره وتقيقه والتعليق على ، د/ أمين الله وثير . قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بنجاب بلاهور .
* أشعار النساء لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ، د/ سامي مكي العاني ـ لال ناجي ، دار الرسالة للطباعة ـ بغداد ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .
* الإصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ أحمد بن على بن محمد العسقلاني المعروف ـ بابن حجر ، ومعه الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، المكتبة التجارية الكبري ـ مصر ، جـ ٢ ، ٣ ، ٤ .
* الإيضاح في علوم البلاغة ، للإمام الخطيب القزويني ، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت .
* الجمان في تشبيهات القرآن ، لابن نافيا البغدادي ، تقيق د/ مصطفي اجويني ، منشأة المعارف ـ الإسكندرية .
* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان جـ ١ .
* حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء ، لأبي محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني ، تحقيق : محمد جبّار المعيبد ، الجمهورية العراقية ـ وزارة الثقافة والفنون . جـ : ٢ .

* ديوان حسان بن ثابت ، حققه وعلق عليه د/ وليد عرفات ، تولي طبعه أمناء سلسلة جب ، جـ : ١ .

* ديوان كعب بن مالك ، دراسة وتحقيق د/ سامي مكي العاني ، الطبعة الأولي ١٩٦٦م ـ مكتبة النهضة العربية ـ بغداد .

* ديوان أبي الأسود الدؤلي ، صنعه أبي سعيد السكري ، تحقيق : محمد حسن آل ياسين .

* ديوان عبد الله بن راوحة الخزرجي ، تقيق : د/ حسن باجودة ، مكتبة در التراث ـ القاهرة .

* ديوان الحماسة ، لأبي تمام ، شرح العلامة التبريزي ، مكتبة النوري ـ دمشق ، جـ ١ ، ٢ .

* ديوان الإمام على بن أبي طالب ، دار القلم .

* ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، تحقيق : عبد العزيز الميمني . دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م.

* ديوان النابغة الذبياني ، جمع وتحقيق : محمد الطار عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع .

* ديوان الهذليين . نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القسم الأول نشر الدار القومية للطباعة والنشر ـ القارة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م .

* ديوان الطيئة ، من رواية أبن حبيب عن ابن الأعرابي ، وأبي عمرو الشيباني ، شرح أبي سعيد السكري ، دار صادر ـ بيروت .

* ديوان يزيد بن مفرّع الحميري ، جمع وتحقيق : عبد القدوس أبو صالح ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

* ديوان مجنون ليلي ، جمع وتحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار مصر للطباعة .

* ديوان جميل بثينه ، جمع وتحقيق وشرح د/ حسين نصار ، ملتزم الطبع والنشر ـ مكتبة مصر .

* ديوان عبيد الله بن قيس الرقيّات ، تقيق وشرح د/ محمد يوسف نجم دار صادر ـ بيوت ، دار بيروت ٩١٣٧٨ ـ ١٩٥٨م.
* ديوان عمر بن أبي ربيعة ، دار صادر ـ بيروت .
* ديوان الأخطل ، شرح وتقديم : مهدي محمد ناصر الدين ، الطبعة الأولي ١٤٠٦هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .
* ديوان العجّاج . رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه ، عني بتحقيقه د/ عزة حسن ، مكتبة دار الشروق ـ بيروت .
* ديوان الراعي النميري ، جمعه وحققه ؛ راينهرت فايبرت بيروت ١٠٤١هـ ـ ١٩٨٠م.
* ديوان عدي بن الرقاع العاملي ، عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني ، تحقيق د. نوري حمودي القيسي ، د/ حاتم صالح الضامن مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
* ديوان الفرزدق ـ دار صادر ـ بيروت .
* ديوان كثير عزة ، جمع وشرح ، د/ إحسان عباس ، نشر وتوزيع دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان .
* ديوان جرير ، بشرح محمد بن حبيب ، تحقيق : د/ نعمان محمد ط ، دار المعارف ـ بمصر ، جـ ١ ، ٢ .
* ديوان ذي الرُّمة ، حققه وقدم له : د/ عبد القدوس أبو صالح ، مؤسسة ومكتبة الخافقين ـ دمشق ، جـ ٢ .
* شعراء أمويون ، دراسة وتحقيق : د/ نوري حمودي القيسي ، مؤسسة الكتب ـ جامعة الموصل ، طبعة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م . ق : ١ ، ٢ ، ق : ٣ طبعة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ، ١٤٠هـ ـ ١٩٨٢م.
* شعراء إسلاميون ، جمع وتحقيق : د/ نوري القيسي ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م، عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية .

* شعراء أمويون ، جمع وتحقيق : د/ نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية ـ بيروت .

* شعر عمرو بن معد يكرب الزُبيدي ، جمع وتحقيق : مطاع الطرابيشي ـ دمشق ١٣٩٤ ـ ١٩٧٤م.

* شعر معن بن أوس المزني ، جمعه وحققه ونشره : عمر محمد سليمان القطان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ دار العلم ـ جدة .

* شعر النابغة الجعدي ، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م ، منشورات المكتب الإسلامي ـ دمشق .

* شعر النعمان بن بشير الأنصاري ، حققه وقدم له : د/ يحيى الجبوري ، دار القلم ـ الكويت .

* شعر يزيد بن معاوية ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ـ بيروت ـ بنان . الطبعة الأولى : ١٩٨٣م.

* شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ، جمعه وحققه ووثقه وشرح غريبه وترجم لأعلامه وصنع فارس : عبد الله بن حامد الحامد . بإشراف د/ عبد الرحمن رأفت الباشا . بحث مقدم لنيل الشهادة العالية من كلية اللغة العربية بالرياض .

* شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي ، جمعه وحقق ووثقه وشرح غريب وترجم لأعلامه وصنع فهارس : عبد العزيز بن محمد الزير ، ومحمد بن عبد الله الأطرم . بإشراف الدكتور : عبد الرحمن رأفت الباشا . بحث قُدِّم لنيل الشهادة العالية من كلية اللغة العربية بالرياض . طبعة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

* شعر الخوارج ، جمع وتقديم : د/ إحسان عباس . دار الثقافة ـ بيروت الطبعة الثالثة : ١٩٧٤م.

* شعراء ثقيف في العصر الأموي ، جمع وتقيق ودراسة : عيضة عبد الغفور السواط. مطبوعات نادي الطائف الأدبي .

* شعر الكميت بن زيد الأسدي ، جمع وتقديم : د/ داود سلوم ، مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف بغداد ١٩٦٩م ، جـ ١ ، ق : ١ .

* شعر يزيد بن الطثرية ، صنعه حاتم الضامن ، دار التربية للطباعة والنشر ، مطبعة أسعد ـ بغداد .

* شعر طريح بن إسماعيل الثقفي ، دراسة وجمع وتحقيق : د/ بدر أحمد ضيف ، ١٩٨٧م دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية .

* الشعر النسوي في الأندلس ، تأليف : محمد المنتصر الريسوني ، قدّم له العلامة عبد الله كنّون ، منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت .

* شاعرات العرب ، جمع وتحقيق : عبد البديع صقر ، المكتب الإسلامي ـ دمشق ، الطبعة الأولي : ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

* شعر الوليد بن يزيد ، جمعه وحقق : د/ حسين عطوان ، مكتبة الأقصي ـ عمان.

* شرح ديوان الخنساء ، بالإضافة إلى مراثي ستين شاعرة من شواعر العرب ، دار التراث ـ بيروت ، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

* شرح شعر زهير بن أبي سلمي ، لأبي العباس ثعلب ، تحقيق : د/ فخر الدين قباوة، نشر دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الأولي ١٤٠٢هـ.

* لسان العرب ، لابن منظور ، در صادر ، جـ : ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥.

* مجموع أشعار العرب ، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج وعلي أبيات مفردات منسوبة إليه ، اعتني بتصحيحه وترتيبه : وليم بن الورد البروسي ، منشورات : دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

* معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، جـ ٥ .

* مصارع العشاق ، تأليف : الشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج، طبع مطبعة الجوانب ـ قسطنطنية ، الطبعة الأولي ١٠٣١هـ .

* المعمرون والوصايا ، لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق : عبد المنعم عامر ١٩٦١م.

* مختارات البارودي من شعر بني أمية وبني العباس ، الشاعر العربي الكبير محمود سامي باشا البارودي ، مشروع المكتبة الجامعة ـ اختيار وتنفيذ : إبراهيم أمين فوده ـ مكة المكرمة ، الطبعة الأولي ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ، جـ : ٤ .

* النقائض بين جرير والفرزدق ، لأبي عبيدة معمر بن المثني التيمي ، وقف على طبعها وتصحيحها : محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، مطبعة الصاوي ـ مصر ، جـ ٢ .

* نقائض جرير والفرزدق ـ طبع في مدينة ليدن ، بمطبعة بريل سنة ١٩٠٥م، جـ ١، ٢.

## ب ـ مراجع الدراسة الأدبية :

### أ ـ المخطوطات :

* سابق البربري والاتجاه الإسلامي في شعره ، رسالة ماجستير في الأدب إعداد : شادية سن زيني .

### ٢ ـ المطبوعات :

* أثر الإسلام في شعر الفرزدق ، تأليف د/ مصطفي عبد الواحد ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، الطبعة الأولي : ١٤٠هـ ـ ١٩٨٢م.

* الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ـ بيروت ، الطبعة الخامسة ـ ١٩٨٠م . جـ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨.

* تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين ، نقله إلى العربية : د/ محمود فهمي حجازى، راجعه : د/ عرفة مصطفي ، و د/ سعيد عبد الرحيم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م . م ، جـ٣.

* التصوير البياني ، دراسة تحليلية لمسائل البيان ، للدكتور محمد أبو موسي ، مكتبة وهبة ـ القاهرة ، الطبعة الثانية : ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

* الجمان في تشبيهات القرآن ، لابن ناقيا البغدادي ، تقيق : د/ مصطفي الصاوي الجويني ، منشأة المعارف ـ الإسكندرية .
* الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، تأليف الأديبة : زينب بنت يوسف فواز العاملي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت الطبعة الثانية .
* الرثاء في الشعر العربي أو جراحات القلوب ، تأليف د/ محمود حسن أبو ناجي ، مكتبة الحياة ـ بيروت ، الطبعة الأولي ١٤٠١هـ.
* شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، تأليف : النعمان عبد المتعال القاضي ، الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة : ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.
* الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ، تأليف د/ حسين عطوان ، مكتبة المحتسب ـ عمان ، دار الجيل ـ بيروت ، الطبعة الأولي ١٩٧٤م.
* الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية ، د/ الهادي حموده الغزي ، الدار التونسية للنشر ـ مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع ـ الكويت ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
* شعر الفقهاء ، نشأته وتطوره حتي نهاية العصر العباسي الأول ، د/ حسني ناعس ، المكتبة العربية ـ حلب ، الطبعة الأولي : ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
* الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، د/ النعمان عبد المتعال القاضي ، دار المعارف ـ مصر .
* مع شعر الدعوة الإسلامية ، د/ طه عبد الفتاح مقلد ، مؤسسة : دار التعاون للطبع والنشر ، جـ: ١ .

## ثالثاً ـ الدواوين التي تمت مراجعتها ولا يوجد بها وصف للجنة أو ذكر :

* جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، حققه وعلق على وزاد في شرحه : د/ محمد على الهاشمي ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، جـ ٢ .
* الحماسة البصرية ، لصدر الدين على بن أبي الفرج بن الحسين البصري ، عالم الكتب ـ بيروت ، جـ ١ .

* ديوان أبي الهندي وأخباره ، صنعه : عبد الله الجبوري ، منشورات الأندلس ـ بغداد ، الطبعة الأولي .

* ديوا حُمَيد بن ثور الهلالي ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، نشر : الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٣٨٤م ـ ١٩٦٥م.

* ديوان زيد الخيل الطائي ، صنعه : د/ نوري حمودي القيسي ، مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف .

* ديوان سُراقة البارقي ، حققه وشرحه : حسين نصار ، طبعة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الأولي : ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م.

* ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، حققه وشرحه : صلاح الدين الهادي ، دار المعارف ـ بصر ١٩٦٨م.

* ديوان الصمة بن عبد الله القشيري ، جمعه وحققه : د/ عبد العزيز محمد الفيصل ، النادي الأدبي ـ الرياض .

* ديوان القتّال الكلابي ، ققه وقدّم له : إحسان عباس ، دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان.

* ديوان الهذليين / نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، نشر : الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م .

ق : ١ : شعر أبي ذؤيب الهذلي . ق : ٢ : جمع شعرائه .

* شرح هاشميات الكميت بن يزيد الأسدي ، تفسير : أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي ، تقيق : د/ داود سلوم ، ، و د/ نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية ـ بيروت . الطبعة الأولي ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

* شعراء إسلاميون ، جمع وتحقيق : د/ نوري القيسي ، الطبعة الثانية : ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م، عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية ، شعر عاصم بن عمرو التميمي ، نافع بن الأسود المعروف بأبي نجيد ، شعر أبي مفرز الأسود بن قطبة . شعر زيد الخيل الطائي ، شعر ربيعة ابن مقروم الضبي ، شعر النمر بن توب ، شعر خفاف بن ندبة .

* شعر أمويون ، دراسة وتحقيق د/ نوري حمودي القيسي ، ق : ١ : ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م : شعر عبيد الله بن الحر الجعفي .
* السمهري العُكلي ، عُبيد بن أيوب العنبري ، الخَطيم المحرزي . ق : ٢ : ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م : حارثة بن بدر الغداني . كعب بن معدان الأشقري ، المرار بن سعيد الفقعسي .

ق : ٣ : ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ، مطبعة المجمع العلمي العراقي : جبهاء الأشجعي ، الوليد بن عقبة ، محمد بن نمير الثقفي ، عويف القوافي ، محمد بن بشر ، يزيد بن الحكم الثقفي .
* شعراء أمويون ، دراسة وتحقيق : د/ نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية ، طبعة : ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، شعر الأغلب العجلي ، شعر المقنع الكندي ، شعر الأشهب بن رميلة ، الأبيرد بن المعذر ، شعر عبد الله بن الحجاج.
* شعر الأحوص الأنصاري ، جمعه وحققه : عادل سليمان جمال ، الهيئة المصرية العامة .
* شعر ابن ميادة ، جمع وتقيق : د/ حنا جميل حداد ، راجعه وأشرف على طباعته: قدري الحكيم ، دمشق : ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
* شعر ثقيف العصر الأموي ، جمع وتحقيق ودراسة : عيضة بن عبد الغفور الصواط، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، شعر يزيد بن الحكم الثقفي ، يزيد بن ضبة الثقفي ، الحجاج بن يوسف ، شعر المغيرة بن شعبة الثقفي ، شعر عبد الله بن أراكة الثقفي ، شعر الأجرد الثقفي ، المختار بن أبي عبيد الثقفي ، عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي ، محمد بن القاسم الثقفي ، عنترة بن عروس الثقفي ، القاسم بن محمد بن الحكم الثقفي .
* شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ، دراسة وتحقيق : د/ سعود محمود عبد الجابر ـ جامعة قطر ، مؤسسة الرسالة .
* شعر ضرار بن الخطّاب الفهري ، دراسة وجمع وتحقيق : د. عبد الله سليمان الجربوع، دار المدني للطباعة والنشر ـ جدة ، مطبوعات نادي مكة الأدبي الثقافي.

* شعر عبد الله بن الزبعري ، تقيق : د/ يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة الثانية : ١٠٤١هـ ـ ١٩٨١م.

* شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الل بن جعفر بن أبي طالب ، جمعه : عبد الحميد الراضي ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

* شعر عمر بن لجأ التيمي ، تحقيق : د/ يحيى الجبوري ، دار القلم ـ الكويت ، الطبعة الثالثة : ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

* شعر العرب الفرسان في الجاهلية وصدر الإسلام ، تأليف : د/ محمود حسن أبو ناجي ، مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق ـ بيروت ، الطبعة الأولي : ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

* شعر الكميت بن زيد الأسدي ، جمع وتقديم : د/ داود سلوم ، مكتبة الأندلس ـ بغداد : ١٩٦٩م ، جـ : ٢ ، ق : ١ .

* شعر لبيد بن ربيعة ، بين جاهلية وإسلامية ، تقيق : د/ زكريا عبد الرحمن صيام ، الطبعة الثانية : دار الأصفهاني للطباعة ـ جدة .

* شعر مروان بن أبي حفصة ، جمعه وحققه وقدم له : د/ حسين عطوان ، دار المعارف .

* شعر هدبة بن الخشرم العذري ،د/ يحيى الجبوري ، دار القلم ـ الكويت .

* العباس بن مرداس السلمي الصحابي الشاعر ، د/ عبد الله عبد الرحيم عسيلان ، دار المريخ ـ الرياض ، الطبعة الأولي : ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

* كتاب التعازي والمراثي ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، حققه وقدم له : محمد الديباجي ، مطبعة زيد بن ثابت ـ دمشق إلا بيتًا لحسان بن ثابت موجود في ديوانه .

* نقائض جرير والأخطل ، تأليف الأديب أبي تمام ، عُني بطبعها لأول مرة عن نسخة الأستانة الوحيدة ، وعلق حواشيها : الأب أنطون صالحاني اليسوعي . المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت : ١٩٢٢م ، دار المشرق ـ بيروت ـ لبنان .

# فهرس الموضوعات